



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحٌ مُبْتَدِئٌ فِي الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُؤَلِّفِ الْمَشْهُورِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ الْعَزِيزِ

الجزء الثاني عشر

من مشوراته

الكتب الإسلامية

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

## فهرست

|    |  |
|----|--|
| ٥  | فهرست  |
| ١٠ | منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ١٢     |
| ١٠ | مشخصات كتاب  |
| ١١ | تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره |
| ١١ | اشاره  |
| ١٢ | و من خطبه له عليه السلام تسمى بالقاصعه و هى المأه          |
| ١٢ | اشاره  |
| ١٢ | الفصل السابع   |
| ١٢ | اشاره  |
| ١٣ | اللغه  |
| ١٣ | الاعراب  |
| ١٦ | المعنى   |
| ٢٧ | الترجمه  |
| ٢٩ | الفصل الثامن   |
| ٢٩ | اشاره  |
| ٣٠ | اللغه  |
| ٣١ | الاعراب  |
| ٣١ | المعنى   |
| ٣١ | اشاره  |
| ٥٥ | التنبیه الاول  |
| ٩٠ | التنبیه الثانى   |
| ٩١ | بيان   |
| ٩٣ | بيان   |
| ٩٥ | التنبیه الثالث   |

|     |   |
|-----|---|
| ١٠٠ | الترجمه                                       |
| ١٠٢ | الفصل التاسع                                  |
| ١٠٢ | اشاره   |
| ١٠٤ | اللغه   |
| ١٠٤ | الاعراب                                       |
| ١٠٤ | المعنى  |
| ١٠٤ | اشاره   |
| ١١١ | تبصره   |
| ١١٢ | الترجمه                                       |
| ١١٦ | و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثانيه |
| ١١٦ | اشاره   |
| ١٢٠ | اللغه   |
| ١٢١ | الاعراب                                       |
| ١٢٤ | المعنى  |
| ١٢٤ | اشاره   |
| ١٧٠ | تكمله   |
| ١٧٢ | بيان  |
| ١٧٤ | الترجمه                                       |
| ١٧٩ | و من خطبه له عليه السلام يصف فيها المنافقين   |
| ١٧٩ | اشاره   |
| ١٨٠ | اللغه   |
| ١٨٢ | الاعراب                                       |
| ١٨٢ | المعنى  |
| ١٩٢ | الترجمه                                       |
| ١٩٣ | و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الرابعه |
| ١٩٣ | اشاره   |

اللغة - ١٩٥

الاعراب - ١٩٧

المعنى - ١٩٧

اشاره - ١٩٧

بشاره - ٢١٠

الترجمه - ٢١٥

و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الخامس - ٢١٧

اشاره - ٢١٧

اللغة - ٢١٨

الاعراب - ٢١٨

المعنى - ٢١٩

الترجمه - ٢٢٢

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و السادس - ٢٢٣

اشاره - ٢٢٣

اللغة - ٢٢٤

الاعراب - ٢٢٤

المعنى - ٢٢٥

اشاره - ٢٢٥

و أما كيفيه وفاته صلوات الله و سلامه عليه و آله - ٢٤٣

اشاره - ٢٤٣

تنبيهان: - الاول - ٢٤٢

الثانى - ٢٤٨

الترجمه - ٢٧٩

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و السابع - ٢٨٠

اشاره - ٢٨٠

الفصل الاول - ٢٨٠

|     |       |  |
|-----|-------|--|
| ٢٨٠ | ..... | اشاره  |
| ٢٨١ | ..... | اللغه  |
| ٢٨٢ | ..... | الاعراب                                      |
| ٢٨٣ | ..... | المعنى                                       |
| ٢٩٢ | ..... | الترجمه                                      |
| ٢٩٤ | ..... | الفصل الثانى                                 |
| ٢٩٤ | ..... | اشاره  |
| ٢٩٥ | ..... | اللغه  |
| ٢٩٦ | ..... | الاعراب                                      |
| ٢٩٧ | ..... | المعنى                                       |
| ٣٠٦ | ..... | الترجمه                                      |
| ٣٠٨ | ..... | الفصل الثالث و الرابع فى بعثه                |
| ٣٠٨ | ..... | اشاره  |
| ٣٠٩ | ..... | اللغه  |
| ٣١٠ | ..... | الاعراب                                      |
| ٣١١ | ..... | المعنى                                       |
| ٣٢٧ | ..... | الترجمه                                      |
| ٣٢٨ | ..... | و من كلام له عليه السلام و هو المأه و الثامن |
| ٣٢٨ | ..... | اشاره  |
| ٣٣٠ | ..... | اللغه  |
| ٣٣١ | ..... | الاعراب                                      |
| ٣٣٢ | ..... | المعنى                                       |
| ٣٣٢ | ..... | اشاره  |
| ٣٣٢ | ..... | اما الفصل الاول                              |
| ٣٤١ | ..... | و أما الفصل الثانى                           |
| ٣٤٤ | ..... | و اما الفصل الثالث                           |



٣٤٤ ..... اشارة

٣٤٤ ..... الاول

٣٤٧ ..... الثانى

٣٤٩ ..... الثالث

٣٥٤ ..... تذييل

٣٧١ ..... تكمله

٣٧٢ ..... بيان

٣٧٣ ..... الترجمة

٣٧٥ ..... و من كلام له عليه السلام و هو المأه و التاسع

٣٧٥ ..... اشارة

٣٧٥ ..... اللغة

٣٧٤ ..... الاعراب

٣٧٤ ..... المعنى

٣٩٢ ..... الترجمة

٣٩٤ ..... و من كلام له عليه السلام و هو المأتان

٣٩٤ ..... اشارة

٣٩٤ ..... اللغة

٣٩٥ ..... الاعراب

٣٩٥ ..... المعنى

٣٩٥ ..... اشارة

٤٠١ ..... تنبيه

٤٠٢ ..... تذييل

٤١٠ ..... الترجمة

٤١٢ ..... دربارہ مرکز

## منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۲

### مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰. مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ / خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

## و من خطبه له عليه السلام تسمى بالقاصعه و هى المأه

### اشاره

و الحاديه و التسعون من المختار فى باب الخطب]

### الفصل السابع

### اشاره

ألا و إنكم قد نفضتم أيديكم من جبل الطاعة، و ثلتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليته، و إن الله سبحانه قد امتن على جماعه هذه الامه فيما عقد بينهم من جبل هذه الالفه، التى ينتقلون «يتقلبون خ ل» فى ظلها، و يأوون إلى كنفها، بنعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه، لأنها أرجح من كل ثمن، و أجل من كل خطر و اعلموا أنكم صرتم بعد الهجره أعرابا، و بعد الموالاه أحرابا، ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه، و لا تعرفون من الإيمان إلا رسمه، تقولون: النار و لا العار، كأنكم تريدون أن تكفؤا الإسلام على وجه انتهاكا لحريمه، و نقضا لميثاقه، الذى وضعه الله لكم حرما فى أرضه، و أمنا بين خلقه، و إنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرئيل و لا ميكائيل و لا مهاجرين و لا أنصار ينصرونكم إلا المقارعه بالسيف، حتى يحكم الله بينكم، و إن عندكم الأمثال

من بأس الله وقوارعه، و أزيامه و وقايعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه، و تهاونا ببطشه، و ياسا من بأسه، فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي «القرون الماضيه خ ل» بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فلعن الله السيفهاء لركوب المعاصي، و الحلما لترك التناهي، ألا و قد قطعتم قيد الإسلام، و عطّتم حدوده، و أمّتم أحكامه

## اللغه

(نفضت) الورقه من الشجره أسقطته، و نفضت الثوب نفضا حرّكه ليزول عنه الغبار و نحوه فهو منتفض و (ثلمت) الاناء ثلما من باب ضرب كسرتة من حافته فهو متلثم، و الثلمه فى الحائط و غيره الخلل و الجمع ثلم مثل غرفه و غرف و (الخطر) محرّكه السبق الذى يتراهن عليه، و خطر الرجل خطرا وزان شرفا إذا ارتفع قدره و منزلته فهو خطير و (الأحزاب) جمع حزب و هو الطائفه من الناس و تحزّب القوم صاروا أحزابا، و يوم الأحزاب هو يوم الخندق و (كفات) الاناء قلبته و أكفأته مثله و (بطش به) من باب نصر و ضرب أخذه بالعنف و السطوه كأبطشه، و البطش الأخذ الشديد فى كلّ شىء و (تناهوا عن المنكر) نهى بعضهم بعضا.

## الاعراب

قال الشارح المعتزلى: الباء فى قوله: بنعمه، متعلّقه بقوله: امتنّ، و فى من قوله فيما عقد بينهم متعلّقه بمحذوف و موضعها نصب على الحال، انتهى

و الظاهر من سياق كلامه أنّ ذا الحال هو قوله: بنعمه، أى امتنّ بنعمه حاصله فيما عقده، و لا يضرّ تقدّمها عليه لكونها ظرفاً يغتفر فيه ما لا يغتفر فى غيره، و يجوز أن يكون ذو الحال قوله: على جماعه إى امتنّ على جماعه هذه الأئمّه حالكونهم ثابتين مستقرّين فيما عقد بينهم.

و قوله: التّار و لا العار منصوبان بفعل مضمر، أى ادخلوا التّار و لا تلتزموا العار، و انتهاكا مفعول لأجله لقوله: تريدون، أو لقوله: تكفّوا، و الثانى أظهر و أقرب.

و قوله: لا- جبرئيل و لا- ميكائيل و لا- مهاجرين قال الشّارح المعتزلى: الرّوايه المشهوره هكذا بالنّصب و هو جائز على التشبيه بالنّكره كقولهم معضله و لا أبا حسن لها، انتهى.

أقول: قال نجم الأئمّه بعد اشتراط كون اسم لا النّافيه للجنس نكره:

و اعلم أنّه قد يؤول العلم المشتهر ببعض الخلائل بنكره فينتصب و ينزع منه لام التعريف إن كان فيه، نحو لا حسن فى الحسن البصرى، و لا صعق فى الصعق، أو فيما اضيف إليه نحو لا امرء قيس و لا ابن زبير، و لتأويله بالمنكر و جهان: إمّا أن يقدر مضاف هو مثل فلا- يتعرّف بالاضافه لتوعّله فى الابهام، و إمّا أن يجعل العلم لاشتهاره بتلك الحله كأنه اسم جنس موضوع لافاده ذلك المعنى، لأنّ معنى قضيه و لا أبا حسن لها لا فيصل لها إذ هو عليه السّلام كان فيصلا فى الحكومات على ما قال النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم: أقضاكم علىّ، فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل و القطع كلفظ الفيصل، انتهى.

و عليه فالتأويل فى كلامه أن يراد بقوله لا جبرئيل و لا ميكائيل أنّه لا ناصر لكم و لا معاون، هذا.

و على الرّوايه الغير المشهوره فالرّفيع فى الجميع بالابتداء على أن لا ملغاه عن العمل، و هو أحد الوجوه الخمسه الّتى ذكرها علماء الأدب فى نحو لا- حول و لا قوه إلاّ بالله، و على أىّ تقدير فالخبر محذوف و جمله ينصرونكم وصف أو حال و الأوّل أظهر و أولى من جعلها خبراً أيضاً كما ذهب إليه الشّارح البحرانى.

و قوله: إلاّ المقارعه بالسّيف، يروى بالنّصب و بالرّفيع

أما النَّصْب فعلى أنه استثناء من الأسماء الواقعة بعد لاء التبريه لعمومها بعد تأويل الأولين منها بالنكره حسبما عرفت، فإن الكلام بعد التأويل المذكور بمنزله لا عوان ولا ناصرين ينصرونكم إلا المقارعه، ويجوز جعل المستثنى منه ضمير الجمع فى ينصرون العايد الى الأسماء المذكوره، و على أى تقدير فالظاهر أن الاستثناء متصل بعد ارتكاب التأويل المذكور لا منقطع كما قاله الزاوندى.

و أمّا الرفع فعلى أنه بدل من الأسماء المذكوره على روايتها بالرفع، أو من ضمير ينصرون على روايتها بالنصب، و الرفع هو المختار كما قاله علماء الأدب فى مثل ما فعلوه إلا قليل و إلا قليلا، أى فيما إذا وقع المستثنى بالآ فى كلام غير موجب و ذكر المستثنى منه أنه يجوز النَّصْب و يختار البدل.

و مرادهم بالكلام الغير الموجب كما قاله نجم الأئمه أن يكون المستثنى مؤخرا من المستثنى منه المشتمل عليه نفى أو نهى، فيدخل فيه الضمير الزاجع قبل الاستثناء بالآ على اسم صالح لأن يبدل منه معمول للابتداء أو أحد نواسخه نحو قولك ما أحد ضربته إلا زيدا يجوز لك الابدال من هاء ضربته لأن المعنى ما ضربت أحدا إلا زيدا، فقد اشتمل النفى على هذا الضمير من حيث المعنى، و كذلك إذا كان الضمير فى صفة المبتدأ نحو ما أحد لقيته كريم إلا زيدا، فإنه بمنزله ما لقيت أحدا كريما إلا زيدا.

فعلم بذلك ان جعل جمله ينصرون فى كلامه عليه السلام صفة أو خبرا لا يوجب التفاوت فى الابدال من الضمير الذى فيه.

قال نجم الأئمه: و الابدال من صاحب الضمير أولى لأنه الاصل و لا يحتاج الى تاويل آه.

فان قلت: فعلى الابدال يكون بدل غلط فكيف به فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى هو أفصح الكلام؟ قلت: كلاً بل هو بدل اشتمال، لأن نصره جبرئيل و ميكائيل و المهاجر و الأنصار لما كان بمقارعه السيوف حسن ذلك للابدال، هذا ما يقتضيه النظر الجلى.

و أما الذى يقتضيه النظر الدقيق فهو أن جعل انتصاب المقارعه على روايه النصب

بالمصدر كما قاله الشارح المعتزلى أولى، لافادته الدوام و الثبوت.

بيان ذلك أنهم قد قالوا إنّ المصدر إذا وقع مثبتا بعد نفى داخل على اسم لا- يكون خبرا عنه إلا مجازا لكونه صاحب هذا المصدر يحذف عامله قياسا نحو ما زيد إلا سيرا، و ما الدهر إلا تقلبا، و ما كان زيد إلا سيرا، فإن سيرا لا يجوز جعله خيرا عن زيد، لأنّ زيدا صاحب السير لا نفس السير، و هكذا لا يصحّ جعل تقلبا خبرا عن دهر، فلا بدّ من أن يكون العامل محذوفا أى ما زيد إلا يسير سيرا، و ما الدهر إلا يتقلب تقلبا، و فيما نحن فيه لا أنصار ينصرونكم إلا تقارعوا المقارعه بالسيف.

قال نجم الأئمه: و إنّما وجب حذف الفعل لأنّ المقصود من هذا الحصر وصف الشىء بدوام حصول الفعل منه و لزومه له، و وضع الفعل على الحدوث و التجدد فلما كان المراد التنصيص على الدوام و اللزوم لم يستعمل العامل أصلا لكونه إما فعلا و هو موضع على التجدد، أو اسم فاعل و هو مع العمل كالفعل لمشابهته، فصار العامل لازم الحذف، فان أرادوا زياده المبالغه جعلوا المصدر نفسه خبرا نحو ما زيد إلا سيرا كما ذكرنا فى المبتدأ فى قولنا إنما هى أقبال و إدبار، فينمحي إذا عن الكلام معنى الحدوث أصلا لعدم صريح الفعل و عدم المفعول المطلق الدال عليه، انتهى.

و به يعلم أنه على روايه الرّفح يجوز أن يكون ارتفاعه على الخبر قصدا إلى المبالغه كما فى ما زيد إلا سيرا، فافهم جيّدا.

## المعنى

اعلم أنّه لمّا أمر المخاطبين فى الفصل السابق بالاعتبار بحال بنى إسماعيل و بنى إسرائيل، عاد فى هذا الفصل إلى تقرّيعهم و توبيخهم كما فى أكثر الفصول السّابقه بقله الطّاعه و أخذ طريق الجاهليّه فقال:

(ألا و أنكم قد نفّضتم أيديكم من حبل الطّاعه) و التعبير بلفظ النّفّض دون الترك للاشاره إلى طرحهم له و إعراضهم عنه، فإنّ من يخلّى الشىء من يده



ثم ينفذ يده منه يكون أشدّ تخليه ممن لا ينفذها، بل يقنع بتخليته فقط.

و تشبيه الطاعة بالجبل من تشبيه المعقول بالمحسوس و وجه الشّبه أنّ الجبل آله الوصله بين الشّيين و الطاعه سبب الاتّصال بقرب الخالق، و لذلك أمر الله سبحانه بالاعتصام به في قوله «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا».

(و ثلتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّه) استعار حصن الله للاسلام، و رشح بذكر المضروب، و الجامع بين المستعار منه و المستعار له أنّ الحصن سبب الحفظ و الوقايه من شرّ الأعداء، و الاسلام سبب السّلامه من شرّ الأعداء في الدّنيا و من حرّ النار في الاخره، يعنى أنّكم كسرتم حصن الاسلام الّذى كنتم متحصّنين فيه متحفّظين به بأحكام الجاهليّه و هى التفرّق و الاختلاف و العصبية و الاستكبار.

و لَمّا وبّخهم على ترك الطاعه و ثلم الاسلام بالافتراق و الاختلاف رغبهم فى الاعتصام بحبل الايتلاف و الاجتماع بالتّبيه على أنّه أعظم نعمه أنعم الله سبحانه بها على عباده و هو قوله:

(و إنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعه هذه الأّمه) أى منّ عليهم (فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفه الّتى ينتقلون) و فى بعض النسخ يتقلّبون (فى ظلّها و يأوون إلى كنفها) أى ينزلون و يسكنون إلى جانبها و ناحيتها.

و المراد بحبل الالفه هو الاسلام الموجب للايتلاف و الارتباط بينهم استعار له الجبل لذلك.

(بنعمه) أى امتنّ عليهم بنعمه عظيمه (لا- يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه) و المراد بتلك النعمه نفس هذه الالفه أو الاسلام الموجب لها، فإنّها نعمه عظيمه يترتب عليها من المنافع الدّنيويّه و الأخرويه ما لا تحصي، و يندفع بها من المضار الدّنيويه و الاخرويه ما لا تستقصى.

و فى هذه الفقرات تلميح إلى قوله تعالى فى سوره آل عمران «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ»

«إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» (١) قال الطبرسى: أى تمسكوا بحبل الله و هو دين الله و الاسلام قاله ابن عباس، و لا تفرّقوا معناه و لا تفرّقوا عن دين الله الذى أمركم فيه بلزوم الجماعه و الايتلاف على الطاعه و اثبتوا عليه.

و اذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم.

قيل: أراد ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائه و عشرين سنه إلى أن أَلّف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالَت تلك الأحقاد.

و قيل: هو ما كان بين مشركى العرب من الطوائل، و المعنى احفظوا نعمه الله و منته عليكم بالاسلام و بالايِتلاف، و رفع ما كان بينكم من التنازع و الاختلاف، فهذا هو النفع الحاصل لكم فى العاجل مع ما أعدّ لكم من الثواب الجزيل فى الاجل، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، بجمعكم على الاسلام و رفع البغضاء و الشحناء عن قلوبكم.

فأصبحتم بنعمته، أى بنعمه الله إخوانا متواصلين و أحبابا متحابين، بعد أن كنتم متحاربين متعادين.

و كنتم على شفا حفرة من النار، أى و كنتم يا أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم على طرف حفرة

ص: ٨

---

١- (١) - قال فى مجمع البيان فى وجه نزول هذه الايه قال: مقاتل: افتخر رجلا من الأوس و الخزرج فقال الأوسى: منّا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، و منّا حنظله غسيل الملائكه، و منّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدين، و منّا سعد بن معاذ الذى اهتزّ عرش الرّحمن له و رضى بحكمه فى بنى قريظه. و قال الخزرجى: منّا أربعة أحكموا القرآن ابى بن كعب، و معاذ بن جبل، و زيد ابن ثابت، و ابو زيد، و منّا سعد بن عباده خطيب الأنصار و رئيسهم. فجرى الحديث بينهما فغضبا و تفاخرا و ناديا، فجاء الأوس إلى الأوسى و الخزرج إلى الخزرجى و معهم السلاح، فبلغ ذلك النبى (صلى الله عليه و آله) فركب حمارا و أتاهم، فأنزل الله الايات فقرأها عليهم، فاصطلحوا، منه.

من جهنم لم يكن بينكم و بينها إلا الموت.

فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولا و هداكم للايمان و دعاكم إليه فنجوتم باجابته من النار.

و انما قال: فأنقذكم منها و إن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزله من هو فيها حيث كانوا مستحقين لها.

و بما ذكرنا كله علم أن هذه النعمة أعنى نعمه الالفه و المحابه على الاسلام أعظم نعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه.

(لأنها) موجه لسعاده الناشئين و عز الدارين و للانقاذ من النار و الدخول فى جنات تجرى من تحتها الأنهار و النزول فى منازل الأبرار و (أرجح من كل ثمن) كما يشير اليه قوله تعالى «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» (و أجل من كل خطر) و شرف و مزيه لجمعها جميع أقسام الشرف، إذ بها يتمكّن من دركها و تحصيلها و الوصول إليها.

(و اعلموا أنكم صرتم بعد الهجره أعرابا) قال الشارح المعتزلى: الأعراب على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من آمن به من أهل البادية و لم يهاجر إليه، و هم ناقصوا المرتبه عن المهاجرين لجفائهم و قسوتهم و توحشهم و تشبثهم فى بعد من مخالطه العلماء و سماع كلام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و فيهم انزل: «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ» و ليست هذه الايه عامه فى كل الأعراب بل خاصه ببعضهم، و هم الذين كانوا حول المدينة و هم: جهنيه، و أسلم، و أشجع، و غفار، و اليهم أشار سبحانه بقوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ» و كيف يكون كل الأعراب مذموما و قد قال تعالى «وَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ» و صارت هذه الكلمه جاريه مجرى المثل، انتهى و قال الشهيد الثانى: المراد بالأعراب من أهل البادية و قد أظهر الشهادتين على وجه حكم باسلامه ظاهرا و لا يعرف من معنى الاسلام و مقاصده و أحكامه سوى الشهادتين آه.

إذا عرفت ذلك فأقول:

قد ظهر لك في شرح الخطبه المأه و الثامنه و الثمانين أنّ حقيقه المهاجره هو الهجره إلى حضور الحَجّه لمعرفته و العلم بوجود اطاعته و امتثال أحكامه، و على هذا فمقصوده عليه السّلام بقوله: صرتم بعد الهجره أعرابا، توبيخهم على أنّهم بعد ما كانوا عارفين به و بمقامه عليه السّلام و وجوب طاعته و عالمين بأحكام الشرع و آدابه و وظائف الاسلام كما هو شأن المهاجر، قد تركوا ذلك كلّهم و صاروا مثل الأعراب الذين لا يعرفون إلا ظاهر الاسلام كما قال عزّ و جلّ «أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» أي أخرى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض و السنن و الحلال و الحرام.

يعنى أنكم قد صرتم بالعصبيّه و الاستكبار و العناد و إثارة الفتن بمنزله الأعراب الجاهلين بما لهم و ما عليهم بعد ما كنتم عارفين بذلك كلّهم.

(و بعد الموالات أحزابا) أي بعد الالفه و الاجتماع أحزابا متعدديه متشتمّه مختلفه الاراء، أي صرتم حزبا حزبا و طائفه طائفه كلّ منكم يخالف آخرين، و كلّ حزب بما لديهم فرحون.

(ما تتعلّقون من الاسلام إلا باسمه و لا تعرفون من الايمان إلا رسمه) لما جعلهم أعرابا أحزابا اتبعه بهذه الجملة و لكمال الاتّصال بينهما وصلها بسابقته و ترك العاطف.

و المراد أنّهم لم يأخذوا من الاسلام و أحكامه شيئا إلا اسمه فيسمّون باسم المسلم، و لا يعرفون من الايمان إلا صورته دون ماهيته و حقيقته، و في بعض النسخ لا تعقلون بدل لا تعرفون، و المقصود واحد.

(تقولون الثار و لا العار) كلمه جاريه مجرى المثل يقولها أهل الحميه و الانفه من تحمل الضيم و الدّل على نفسه أو من ينسب إليه من قومه و خاصّته استنهاضا و الهابا بها إلى النضال و الجدل فاذا قيلت في حقّ كان ثوبا و إذا قيلت في باطل كان خطأ.

و لئيا كان غرض المخاطبين منها هو الشرّ و الفساد و إثارة الفتنة المخالفه لوظائف الاسلام شبّه حالهم في أعمالهم و أقوالهم بقوله:

ص: ١٠

(كأنكم تريدون أن تكفوا الاسلام على وجهه) بأنهم يريدون أن يكتبوا و يقلبوا الاسلام على وجهه، تشبيها له بالاناء المقلوب على وجهه فكما أنه بعد قلبه لا يبقى فيه شيء أصلا و يخرج ما كان فيه من حيز الانتفاع، فكذلك الاسلام الذي لم يراع حدوده و احكامه كأنه لم يبق منه شيء ينتفع به، و هو من الاستعاره المكتبه و ذكر الكفاء تخيل.

و قوله (انتهاكا لحريمه) أراد به أن فعلكم ذلك كاشف عن كون غرضكم منه الانتهاك كالكفار و المنافقين و أعادي الدّين الذين لا غرض لهم إلا إبطال الاسلام و هتك حريمه (و نقضا لميثاقه) و هي حدوده و شرايطه المقرره و وظيفه المأخوذه فيه (الذي وضعه الله لكم حرما في أرضه) لمنعه الاخذين به و المواظبين له من الرّفث و الفسوق و الجدل.

(و أمنا بين خلقه) أي سبب أمن أي أمانا لهم من شرّ الأعداء و من تعدّى كلّ منهم إلى الآخر.

و المراد بنقضهم ميثاقه تركهم لوظائفه المقرره، و قطعهم لما أمر الله به أن يوصل، و سعيهم في إثارة الفتنة و الفساد و القتل و القتال، قال سبحانه «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

قال الطبرسيّ: الذين ينقضون عهد الله، أي يهدمونه أي لا يفون به، و عهد الله وصيته إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته و نهيهم عنه من معصيته و نقضهم لذلك تركهم العمل به من بعد ميثاقه قال في الصّافي: أي تغليظه و أحكامه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل قال الطبرسيّ: معناه امروا بصله النبيّ و المؤمنين فقطعوههم، و قيل: امروا بصله الرّحم و القرابه فقطعوها و قيل: امروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرّقوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا و قيل: معناه الأمر بوصل

كُلٌّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بِصَلْتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَالْقَطْعِ وَالْبِرَاءِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَهَذَا أَقْوَى لِأَنَّهُ أَعَمُّ.

و فِي الصِّافِي أَقُولُ: وَ يَدْخُلُ فِي الْإِيهَةِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَتَبِ فِي التَّصْدِيقِ وَ تَرَكَ مَوَالِيَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْجَمْعَةَ وَ الْجَمَاعَاتِ الْمَفْرُوضَةَ وَ سَائِرَ مَا فِيهِ رَفْضٌ خَيْرٌ أَوْ تَعَاطَى شَرٌّ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ الْوَصْلَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ الْعَبْدِ الَّتِي هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ وَصَلٍ وَ فَصْلٍ.

و يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ قِيلَ: نَقَضَهُمُ الْعَهْدَ، وَ قِيلَ أَرَادَ كُلٌّ مَعْصِيَهُ تَعَدَّى ضَرَرَهَا إِلَى غَيْرِ فَاعْلَاهَا.

و فِي الصِّافِي يَفْسُدُونَ بِسَبَبِ قَطْعِ مَا فِي وَصْلِهِ نِظَامِ الْعَالَمِ وَ صِلَاحِهِ أَوْلِيَاكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا صَارُوا إِلَى النَّيْرَانِ وَ حَرَمُوا الْجَنَانَ، فَيَا لَهَا خَسَارَاتَا لَزِمَتْهُمْ عَذَابُ الْأَبَدِ وَ حَرَمَتْهُمْ نَعِيمَ الْأَبَدِ.

ثُمَّ حَذَّرَهُمْ وَ خَوَّفَهُمْ بِقَوْلِهِ (وَ إِنْكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارِبِكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ) يَعْنِي أَنْكُمْ إِنْ قَطَعْتُمْ حَبْلَ الْإِسْلَامِ الْعَاقِدَ بَيْنَكُمْ وَ الْجَمَاعَةَ لْجَمْعِيَّتِكُمْ وَ تَمَسَّيْتُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ حَمِيهِ أَوْ جَمَاعِهِ أَوْ كَثْرَةِ عَشِيرِهِ مَعَ الْخُرُوجِ عَنِ طَاعَةِ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَ التَّفَرُّقِ فِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَطْمَعُ فِيكُمْ الْكُفَّارُ وَ يَحَارِبُونَكُمْ.

(ثُمَّ لَا- جَبْرِيْلُ وَ لَا- مِيكَائِيلُ وَ لَا مَهَاجِرِينَ وَ لَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ) كَمَا كَانُوا يَنْصُرُونَ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ (إِلَّا الْمَقَارِعَةَ) أَيِ الْمَضَارِبَةَ وَ قَرَعَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا (بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ) وَ بَيْنَهُمْ بَغْلِبَهُ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْآخَرِ.

ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِالْعُقُوبَاتِ النَّازِلَةِ عَلَى الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ بِخُرُوجِهِمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَقَالَ:

(وَ إِنْ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالُ) الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ لَكُمْ بِأَهْلِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ كَمَا قَالَ «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِمَّنْ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» وَ قَالَ أَيْضًا «وَ عَادًا وَ تَمُودَ وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَ كَلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَ كَلًّا تَجْرُونَا تَنْبِيْرًا»

(من بأس الله) و عذابه لهم (و قوارعه) أى دواهيته و افزاعه التى كانت تفرع القلوب بشدتها (و أيامه) التى انتقم الله فيها من القرون الاولى.

قال الطبرسى فى قوله: و ذكرهم بأيام الله: معناه و أمرناه(1) بأن يذكر قومه وقايع الله فى الامم الخاليه و اهلاك من اهلك منهم ليحذروا ذلك.

أقول: و من تلك الأيام ما اشير إليه فى قوله «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ» و فى قوله «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و فى قوله «وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصِيرٍ عَائِيهِ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ».

(و وقايعه) أى نوازله الشديده و عقوباته الواقعة بالعاصين المتمردين كما اشير اليها فى قوله عزّ و جلّ «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

و غرضه عليه السلام من التذكير بهذه الأمثال توعيد المخاطبين و تهديدهم من أن يقارفوا ما قارف أهل القرون المتقدمه من الذنوب و الاثام، فتنزل عليهم ما نزل بهم من البأس و العذاب، و لذلك فرع عليه قوله:

(فلا تستبطئوا وعيده) أى لا تعدّوا ما أوعدكم به من العذاب بطيئا بعيدا فإنه قريب كما قال «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا».

و لا تبطئوا إبطاءه للعذاب طمعا منكم فى أن إبطاءه يوجب ذهابه، و إمهاله يوجب إهماله كما هو الغالب فى وعيد غيره سبحانه، فإن تأخيره غالبا يوجب عدم وقوعه إمّا لحصول الغفله و النسيان من الموعد، أو لأنه ربّما يفوته من طلب أو يعجزه من هرب، و أمّا الله الحى القيوم القهار ذو القوه المتين و البأس الشديد فإنه لبالمرصاد و لا يخلف الميعاد، و المخاطبون لما قاسوه عزّ شأنه بغيره و وعيده بوعيد

ص: ١٣

غيره استبطؤه لذلك و انما وقعوا فى هذا الزعم الفاسد.

(جهلا بأخذه و تهاونا ببطشه و يأسا من بأسه) يعنى أنّ جهلكم بمؤاخذته الشديده، و تهاونكم ببطشه الناشى من تأخير وقوعه، و يأسكم من بأسه الناشى من طول مدّه البأس صار عله للاستبطاء فأوجب ذلك جساتكم على اقرار الجرائم و اقتحامكم فى ورطات الاثام.

كما أنّ أهل القرون الاولى قد وقعوا فى الهلاك الدائم و استحقوا العذاب الأليم أيضا من الجهاله بأخذه كما اشير إليه فى الكتاب الكريم فى قوله «وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَ مَا نَحْنُ بِمُستَقِينِ».

و من التهاون ببطشه كما حكاه سبحانه عنهم بقوله عقيب هذه الايه «وَ بَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و بقوله «وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ».

و من اليأس من بأسه كما اخبر عنهم بقوله «فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ».

و أما أهل العرفان و الايقان فيعرفون بنور الايمان و اليقين بما أخبر به الأنبياء و المرسلين و شهد به الكتاب المكنون أنّ وعده عزّ و جلّ و وعيده واقعان لا محاله و أنّ أخذه و بطشه و بأسه و إن تأخر حقّ محقق لا ريب فيه كما قال «وَ لَا يُرَدُّ بِأَسِنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» و قال «وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَِّبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ آخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ».

و يعلمون أنّ التأخير و الامهال فى العقاب لاقتضاء الحكمة الالهيه و لو يعجل (1) الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم.

ص: ١٤

١- (١) - اقتباس من الايه فى سوره يونس (عليه السلام) (منه)



و لكنه يمهل المؤمنين من باب اللطف حتى يتوبوا و يتداركوا الذنوب بالانابه و الاستغفار.

و يمهل الظالمين و يذر الذين لا يرجون لقاءه فى طغيانهم يعمهون من باب الاستدراج كما قال تعالى «و لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ » هذا.

و لما ذكّرهم بأمثال الذين خلوا من قبل و نهاهم عن استبطاء و عيد الله سبحانه أردفه بالتنبيه على عمدته سبب الاستحقاق القرون الخاليه للطعن و العتاب و اللعن و العقاب و هو ارتفاع الركن الأعظم من الاسلام أى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من بينهم، و غرضه بذلك تحذير المخاطبين و تنبيههم على أنهم مثلهم فى استحقاق اللعن لارتفاع هذه الخصله العظيمه من بينهم أيضا و لذلك أتى بالفاء التفريعيه فقال:

(فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرون الماضيه) و لم يحرمهم من رحمته الواسعه (إلا لتركهم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر) كما اشير إليه فى قوله سبحانه «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ».

قال الطبرسى: أخبر تعالى عما جرى على أسلافهم فقال: لعن الذين كفروا الايه، معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قرده و على لسان عيسى فصاروا خنازير.

قال و قال أبو جعفر الباقر عليه السّلام و أما داود فانه لعن أهل ايله لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه فقال: اللهم البسهم اللعنه مثل الرّدا و مثل المنطقه على الحقوين، فمسخهم الله قرده، فأما عيسى عليه السّلام فانه لعن الذين انزلت عليهم المائده ثم كفروا بعد ذلك قال الطبرسى: و انما ذكر اللعن على لسانهما إزاله للابهام بأنّ لهم منزله بولاده الأنبياء تنجيهم من العقوبه، ثم بين الله تعالى حالهم فقال: كانوا لا- يتناهون عن منكر فعلوه، أى لم يكن ينهى بعضهم بعضا و لا- ينتهون أى لا يكفون عما نهوا عنه

قال ابن عباس: كان بنو اسرائيل ثلاث فرق: فرقه اعتدوا فى السّيب، و فرقه نهوهم و لكن لم يدعوا مجالستهم و لا مؤاكتهم، و فرقه لما رأوهم يعتدون ارتحل عنهم و بقى الفرقتان المعتديه و الناهيه المخاطله فلعنوا جميعا.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لتأمرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنكر و لتأخذن على يد السفيه و لتاظرنه (١) على الحقّ اطراء أو ليضربنّ الله قلوب بعضكم على بعض و يلعنكم كما لعنهم.

و فى الوسائل عن الحسن بن عليّ بن شعبه فى تحف العقول عن الحسين عليه السلام قال: و يروى عن عليّ عليه السلام: اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأخبار إذ يقول: «لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُونَ وَ الْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ» و قال «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» - إلى قوله - «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» و إنما عاب الله عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمه المنكر و الفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبه فيما كانوا ينالونه منهم، و رهبه مما يحذرون، و الله يقول: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوُا اللَّهَ» و قال: «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» فبدء الله بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فريضه منه لعلمه بأنها إذا أدت و اقيمت استقامت الفرائض كلّها و هيئتها و صعبتها، و ذلك إنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم، و مخالفه الظالم، و قسمه الفىء و الغنائم، و أخذ الصدقات من مواضعها و وضعها فى حقّها.

و قد تقدّم هذا الحديث مع حديث آخر مناسب للمقام و بعض الكلام فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى شرح الفصل الثانى من المختار المأه و الخامس و الخمسين (فلعن الله السفهاء) أى الجهّال (لركوب المعاصى و الحلماء) أى ذوى العقول و الاناه و فى بعض النسخ الحكماء بدله (لترك التناهى)

ص: ١٦

و هذه الجملة إمّا اخباريّه أتى بها إيضاحاً للجملة المتقدّمه أعنى قوله:

إنّ الله لم يلعن القرون الماضيه إلّا- لتركهم اه، و يؤيّدّه إضمار فاعل لعن و إسقاط لفظ الجلاله فى بعض النسخ و إمّا انشائيّه دعائيّه منه عليه السّلام أتى بها قياماً منه بوظيفته اللّازمه، فإنّ لعنه عليهم نهى لهم عن المنكر و هو مقتضى وظيفه الامامه.

فعلى الاحتمال الأوّل يكون المراد بالسّفهاء و الحلما سفهاء القرون الماضيه و حلما هم.

و على الاحتمال الثانى سفهاء المخاطبين و حلما هم، و أوضح استحقاقهم للعن و دخولهم فى زمرة الملعونين بقوله:

(ألا و قد قطعتم قيد الاسلام) أى جبل الالفه عليه بالاعتراء و العصبية (و عطلتم حدوده) أى تركتم وظيفه المقرره التى لم يجز التّعدي و التّخطى منها (و أمّتم أحكامه) أى أبطلتم أحكامه التى كان يلزم عليكم إحيائها و العمل بها.

و قد كان من جملة تلك الحدود و الأحكام المتروكه المعطله أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر، فإنّ القيام بهما غالباً شأن الرّؤساء و الكبراء، و قد كانوا قائمين بخلافه و كانوا يأمرّون بالمنكر و ينهون عن المعروف و لذلك حدّرن عن طاعتهم و متابعتهم فى الفصل الثالث من هذه الخطبه و قال: إنهم قواعد أساس العصبية و دعائم أركان الفتنه و سيوف اعتراء الجاهليّه.

## الترجمه

آگاه باشید بدرستی که شما بتحقیق افشاننده اید دستهای خود را از ریسمان اطاعت و بالمّرّه اعراض کرده اید از آن، و خراب نموده اید حصار خدا را که زده شده است بر شما با احکام جاهلیت، و بدرستی خدای تبارک و تعالی مّنت نهاده بر جماعت این امّت در آنچه منعقد ساخته در میان ایشان از ریسمان این الفت، چنان الفتی که بر می گردند در سایه آن، و نازل میشوند در پناه گاه آن با نعمتی

که نمی شناسد احدی از مخلوقان قیمت آن را، از جهت این که آن افزونتر است از هر بهائی، و بزرگتر است از هر منزلت و مزیتی.

و بدانید بدرستی که شما گردیدید بعد از مهاجرت و معرفت برسومات و آداب شریعت مثل عربان بادیه نشین بی معرفت، و بعد از دوستی و موالات طوایف مختلفه متعلق نمی شوید از اسلام مگر اسم آن را، و نمی شناسید از ایمان مگر رسم آن را می گوئید: النار و لا العار، داخل آتش بشوید قبول ننگ و عار ننمائید گویا که می خواهید برگردانید اسلام را بر روی آن بجهت هتک احترام آن، و بجهت شکستن پیمان آن چنان اسلامی که نهاده است آن را خدای تعالی برای شما حرم در زمین خود، و ایمنی در میان خلقان خود.

و بدرستی که اگر شما ملتجی بشوید بسوی غیر آن یعنی اگر اعتماد نمائید بر غیر دین اسلام محاربه می کنند با شما کفار، بعد از آن نه جبرئیل است و نه میکائیل و نه مهاجرین و نه انصار که نصرت کنند شما را مگر کوفتن یکدیگر با شمشیر آبدار تا آنکه حکم کند خداوند متعال در میان شما.

و بدرستی که در نزد شما است داستانها از شدت عذاب خدا و عقوبات کوبنده او و روزهای سخت او و واقعه های نکال او، پس بعید نشمارید وعده عذاب او را از جهت جهالت شما بمواخذة او، و از جهت استخفاف بعنف و سطوت او، و از جهت نویدی از عذاب او.

پس بدرستی که خداوند لعنت نفرمود قرنهای گذشته را مگر بجهت ترک کردن ایشان امر بمعروف و نهی از منکر را، پس لعنت کرده خدا سفیهان را بجهت ارتکاب معصیتهای، و دانایان را بجهت ترک نهی کردن از مناهی، آگاه باشید بدرستی که شما بریدید بند محکم اسلام را، و معطل کردید حدّهای نظام او را و فانی نمودید و باطل کردید احکام او را.

ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوّخت، وأما شيطان الردّه فقد كفيته بصعقه سمعت لها وجه قلبه، ورجه صدره، وبقيت بقيته من أهل البغي و لئن أذن الله في الكره عليهم لاديلنّ منهم إلا ما يتشذّر في أطراف البلاد تشذّرا. أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعه ومضر. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرايه القريبه، والمنزله الخصيصه، وضعتني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبه في قول، ولا خطله في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في

كُلَّ سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرّساله، و أشمّ ريح النبؤه. و لقد سمعت رنّه الشيطان حين نزل الوحي عليه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، فقلت:

يا رسول الله ما هذه الرّنه؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلا أنّك لست بنبى، و لكنك وزير، و إنّك لعلى خير.

## اللغه

(دوّخه) ذلّله و (الرّدهه) وزان تمره حفرة فى الجبل يجتمع فيها الماء و الجمع رده كتمر قال فى القاموس: و شبه اكمه خشنه و جمعه رده محرّكه و (كفيته) بالبناء على المفعول من كفانى الله مؤنثه قتله أو دفع عني شرّه و (صعق) صعقا و صعقا و صعقه غشى عليه فهو صعق ككتف و الصّعق محرّكه شدّه الصّوت و الصّاعقه الموت و كلّ عذاب مهلك و صيحه العذاب.

و (الوجبه) وزان تمره الاضطراب للقلب و (الرّجيه) الحركه و الزلزله و (أدلت) من فلان غلبته و قهرته أى صرت ذا دوله و (تشدّر) تبدّد و تفرّق و (الكلاكل) الصّدور و الواحد الكلكل و (النواجم) جمع ناجمه من نجم الشىء أى طلع و ظهر و (القرن) من الحيوان الرّوق و موضعه من رأسنا أو الجانب الأعلى من الرّأس و الجمع قرون.

و (ربيعه و مضر) وزان صرد قبيلتان من قريش معروفتان يضرب لهما المثل

فى الكثره نسبتها إلى أبويهما و هما ربيعه و مضرابنا نزار بن معدّ بن عدنان و يقال للأوّل ربيعه الفرس و للثانى مضر الحمراء بالاضافه، لأنّ ربيعه اعطى الخيل من ميراث أبيه و مضر اعطى الذهب.

و (الوليد) الصّبي و المولود و (يكنفنى) أى يجعلنى فى كنفه و الكنف محرّكه الحرز و الجانب و السّتر، و كنف الطائر جناحه و (العرف) وزان فلس الرائحه و أكثر استعماله فى الطيبه و (الخطله) بالفتح المرّه من الخطل محرّكه و هو الخفّه و السرعه و الكلام الفاسد الكثير فهو خطل ككفف أى أحمق عجل.

و (حراء) بالكسر و المدّ وزان كتاب جبل بمكّه فيه غار كان النّبىّ يعتزل إليه و يتعبّد أيّاما يذكّر و يؤنث و (الرنّه) الصوت رنّ يرنّ رنيناً صاح و رنّ إليه أصغى.

## الاعراب

الواو فى قوله: و لئن اذن الله، للقسم و المقسم به محذوف و قوله: لا يدلّن جواب القسم، و الباء فى قوله: وضعت بكلام كل العرب، زائده و قال الشارح البحرانى و يحتمل أن تكون للالصاق أى فعلت بهم الوضع و الاهانه، و ربيعه و مضر بالفتح لمنع الصرف بالتأنيث و العلميه، و جمله وضعنى فى حجره استينافيه بياتيه.

## المعنى

## اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام لما لام المخاطبين فى الفصول السابقه و وبّخهم على مخالفه شرايع الدّين و ترك مراسم الاسلام، و دعاهم إلى الله سبحانه بالحكمه و الموعظه الحسنه، و نصّحهم بالتى هى أحسن، أردف بهذا الفصل المسوق لبيان فضايله و مناقبه و خصائصه الخاصّه و علوّ شأنه و رفعة مقامه، تنبيهاً بذلك على أنّه إمام مفترض الطّاعه، و أنّه فيما يأمر و ينهى بمنزله رسول الله صلّى الله عليه و آله فى أوامره و نواهيه، و غرضه بذلك جذب قلوب المخاطبين إلى قبول مواعظه و نصايحه و امتثال أوامره و نواهيه، و صدّر الفصل بالاشاره إلى أعظم تكليف كان مكلفاً به بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و إلى قيامه به

على أبلغ وجهه و هو قوله:

(ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي) و المراد بهم المجاوزون عن الحدّ و العادلون عن القصد الخارجون عليه عليه السّلام بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله من الفرق الثلاث الذين يصرح بهم تفصيلا.

و أمر الله سبحانه له بقتالهم إمّا بما أنزله سبحانه في ضمن آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ».

فقد روى في غايه المرام عن يونس بن عبد الرّحمن بن سالم عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السّلام في هذه الايه قال: الله انتقم بعليّ عليه السّلام يوم البصره و هو الذي وعد الله رسوله.

و فيه عن (1) عدى بن ثابت قال: سمعت ابن عباس يقول: ما حسدت قريش عليا بشيء مما سبق له أشدّ مما وجدت يوما و نحن عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: كيف أنتم يا معشر قريش لو كفرتم بعدي و رأيتموني في كتيبه أضرب وجوهكم بالسيف، فهبط جبرئيل فقال: قل إنّ الله أو على فقال إنّ الله أو على.

و فيه عن الشيخ في أماليه باسناده عن محمّد بن علي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنني لأدناهم من رسول الله في حجّه الوداع فقال: لا-عرفنكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفوني في الكتيبه التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ أو عليّ ثلاثا، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه فأنزل الله عزّ و جل «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» - بعليّ - «أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ».

و مثل قوله سبحانه «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

روى في الصافي من الكافي و التهذيب و عليّ بن إبراهيم القميّ عن الصادق عن

ص: ٢٢

١- (١) - ذكره الروايه لتأييدها الروايه الآتيه في شأن نزول الايه فافهم، منه



أبيه عليهما السلام في حديث لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: خاصف النعل يعني أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الزاوية مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثلاثا وهذه الرابعة (١) و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل و كانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين ما كان من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوم فتح مكة، فإنه لم يسب منهم ذرية و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابها و ألقى سلاحه فهو آمن.

و فيه من الكافي عن الصادق عليه السلام إنما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة و هم أهل هذه الآية، و هم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام فكان الواجب عليهم قتلهم و قتالهم حتى يفيثوا إلى أمر الله، و لو لم يفيثوا لكان الواجب عليه عليه السلام فيما انزل الله أن لا يرفع السيف عنهم حتى يفيثوا و يرجعوا عن رأيهم، لأنهم بايعوا طائعين غير كارهين، و هي الفئة الباغية كما قال الله عز و جل، فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و سلم في أهل مكة إنما من عليهم و عفى، و كذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم بمثل ما صنع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأهل مكة حذو النعل بالنعل.

و مثل قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ».

قال في مجمع البيان في تفسير الآية قيل: هم أمير المؤمنين و أصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين و القاسطين و المارقين، و روى ذلك عن عمار و حذيفه و ابن عباس، و هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام و أبي عبد الله عليه السلام قال و روى عن علي عليه السلام أنه قال يوم البصرة: و الله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم.

ص: ٢٣

و سيأتي لهذه الايه مزيد تحقيق و تفصيل بعد الفراغ من شرح هذا الفصل فى أوّل التنبهات الاتيه.

و إماماً (١) بما صدر عن لسان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى ضمن الأخبار النبويه من الأوامر الانشائيه و الجملات الخبريه التى فى معنى الانشاء، حسبما عرفتها فى شرح الفصل الخامس من المختار الثالث، و شرح المختار المأه و الثامن و الأربعين، و شرح الفصل الثانى من المختار المأه و الخامس و الخمسين فى التنبه الأول منه، و قد عرفت فى التنبه الثانى منه و فى شرح المختار الثالث و الثلاثين تحقيق الكلام فى كفر البغاه و ساير أحكامهم، فليراجع إلى المواضع التى اشرنا إليها، فإنّ مراجعتها يوجب مزيد البصيره فى المقام.

و تعرف بما أوردناه هنا و فيما تقدّم أنّ أهل البغى الذين كان أمير المؤمنين عليه السّلام مأموراً بقتالهم هم الناكثون و القاسطون و المارقون كما أوضحه بقوله:

(و النكث و الفساد فى الأرض) و فصّلهم بقوله (فأما الناكثون) أى الناقضون ما عقدوه من البيعه و هم أصحاب الجمل (فقد قاتلت) و قد مضى تفصيل قتالهم فى شرح المختار الحادى عشر.

(و أمّا القاسطون) أى العادلون عن الحقّ و الدّين و هم أصحاب معاويه و صفّين (فقد جاهدت) و مضى تفصيل جهادهم فى شرح المختار الخامس و الثلاثين و المختار الحادى و الخمسين و المختار الخامس و الستين.

(و أمّا المارقه) و هم خوارج النهروان الذين مرقوا من الدّين أى جازوا منه مروق السّهم من الرميّه حسبما عرفته فى التذييل الأوّل من شرح المختار السّادس و الثلاثين (فقد دوّخت) أى ذلّتهم و قهرتهم حسبما عرفته فى التذييل الثانى منه (و أمّا شيطان الرّدهه فقد كفيته) أى كفانى الله من شرّه (بصعقه سمعت لها وجهه قلبه) و اضطرابه (و رجّه صدره) و زلزاله.

ص: ٢٤

---

١- (١) - عطف على قولنا و أمر الله سبحانه له بقتالهم إما بما أنزله سبحانه فى ضمن آيات كتابه، منه.

و قد اختلف الأقوال فى شيطان الردهه فقد قال قوم (١) إنّ المراد به ذو الثديه رئيس الخوارج و تسميته بالشيطان لكونه ضالاً قائد ضلاله مثل شيطان الجن، و أمّا إضافته إلى الردهه فلما عرفته فى التذييل الثانى من شرح المختار السادس و الثلاثين من أنّه بعد الفراغ من قتل الخوارج طلبه عليه السلام فى القتلى فوجده بعد جدّ أكيد فى حفرة داليه فنسبه عليه السلام إليها لذلك.

و أمّا الصعقه التى كفى عليه السلام عنه بها فقد قيل: إنّ المراد بها الصّاعقه و هى صيحه العذاب لما روى أنّ علياً لما قابل القوم صاح بهم فكان ذو الثديه ممّن هرب من صيحه حتّى وجد قتيلاً فى الحفرة المذكوره.

و قيل إنّّه رماه الله بصاعقه من السماء فهلك بها و لم يقتل بالسيف، و قيل:

إنّه لما ضربه عليه السلام بالسيف غشى عليه فمات.

و قال قوم: إنّ شيطان الردهه أحد الأبالسه المرده من أولاد ابليس اللعين قال الشارح المعتزلى: و روى فى ذلك خبراً عن النبى صلى الله عليه و آله و أنّه كان يتعوّذ منه، و هذا مثل قوله صلى الله عليه و آله هذا أربّ العقبة اى شيطانها و لعل أربّ العقبة هو شيطان الردهه بعينه فتاره يعبر بهذا اللفظ و اخرى بذلك.

أقول: و الأظهر أن يكون المراد به شيطان الجنّ و يكون الاشاره بهذا الكلام إلى ما وقع منه عليه السلام فى بئر ذات العلم.

فقد روى السيد السيّد السيد هاشم البحرانى فى كتاب مدينه المعاجز عن ابن شهر آشوب، عن محمّد بن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه، عن ابن عباس و عن أبى عمر و عثمان بن أحمد عن محمّد بن هارون باسناده عن ابن عباس فى خبر طويل أنّه أصاب الناس عطش شديد فى الحديبيّه فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلّم هل من رجل يمضى مع السّقاء إلى بئر ذات العلم فيأتيها بالماء و أضمن له على الله الجنّه؟ فذهب جماعه فيهم سلمه بن الأكوع فلمّا دنوا من الشجر و البئر سمعوا

ص: ٢٥

---

١- (١) - قال ابن شهر آشوب عن ابان بن بطة انه ذكر المقتول بالنهروان فقال سعد ابن وقاص هو شيطان الردهه و قال ابن الاثير: الردهه النقره فى الجبل يستنقع فيها الماء و قال فى حديث على (عليه السلام) أنه ذكر ذا الثديه فقال شيطان الردهه، منه

حسًا و حركة شديده و قرع طبول و رأوا نيرانا تتقد بغير حطب فرجعوا خائفين «خ ل خائبين».

ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم: هل من رجل يمضى مع السِّقاه يأتيها بالماء أضمن له على الله الجنه؟ فمضى رجل من بنى سليم و هو يرتجز و يقول:

أمن غريف(١) ظاهر نحو السلم ينكل من وجهه خير الأمم

من قبل أن يبلغ آبار العلم فيستقى و الليل مبسوط الظلم

و يأمن الدّم و توبيخ الكلم و صاحب السيف لسيف منهدم

فلما وصلوا إلى الحس رجعوا و جلين.

فقال النبي صلى الله عليه و آله: هل من رجل يمضى مع السِّقاه إلى البئر ذات العلم فيأتينا بالماء أضمن له على الله الجنه؟ فلم يبق أحد، و اشتد بالناس العطش و هم صيام.

ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام: سر مع هؤلاء السقاه حتى ترد بئر ذات العلم و تستقى و تعود إنشاء الله فخرج علي عليه السلام قائلاً:

أعود بالرّحمن أن أميلاً من غرف(٢) جنّ أظهروا تأويلاً

و أوقدت نيرانها تغويلاً و قرعت مع غرفها الطبولاً

قال فداخلنا «خ ل فتداخلنا» الرّعب فالتفت علي عليه السلام إلينا و قال: أتبعوا أثرى و لا- يفرعنكم ما ترون و تسمعون فليس بضائرکم إنشاء الله.

ثم مضى فلمّا دخلنا الشجر فاذا بنيران تضطرم بغير حطب و أصوات هائله و رءوس مقطعه لها ضجّه و هو يقول: أتبعونى و لا خوف عليكم و لا يلتفت أحد منكم يمينا و لا شمالاً.

فلمّا جاوزنا الشجر و وردنا الماء فأدلى البراء بن عازب دلوه فى البئر فاستقى دلوا و دلوين ثم انقطع الدلو فوق فى القليب، و القليب ضيق مظلم بعيد القعر، فسمعنا فى أسفل القليب قهقهه و ضحكا شديداً.

ص: ٢٤

١- (١) - الغريف كأمير الشجر الكثير الملتف أى شجر كان أو الأجمه من الضال و السلم، منه

٢- (٢) - الغرف شجر يدبغ به، منه

فقال عليّ عليه السّلام: من يرجع الى عسكرنا فيأتينا بدلو و رشا؟(١) فقال أصحابه عليه السّلام:

من يستطيع ذلك، فائتزر بمئزر و نزل في القليب و ما تزداد القهقهه إلاّ علوا و جعل عليه السّلام ينحدر في مراقى القليب إذ زلّت رجله فسقط فيه، ثم سمعنا وجهه شديده و اضطرابا و غطيطا(٢) كغطيطة المخلوق «المخنوق ظ» ثم نادى عليّ عليه الصلاه و السلام و التحية و الاكرام: الله أكبر الله أكبر أنا عبد الله و أخو رسول الله، هلموا قربكم فأفعمها و أصعدها على عنقه شيئا فشيئا و مضى بين أيدينا فلم نر شيئا فسمعنا صوتا.

أى فتى ليل أخى روعات و أىّ سباق إلى الغايات

لله درّ الغرر السادات من هاشم الهامات و القامات

مثل رسول الله ذى الايات أو كعليّ كاشف الكربات

كذا يكون المرء فى حاجات

فارتجز أمير المؤمنين عليه السّلام

الليل هول يرهب المهيبا و مذهل المشجع اللبيا

و أننى اهول منه ذيبا و لست أخشى الردع و الخطوبا

إذا هزرت الصّارم القضييا أبصرت منه عجا عجييا

و انتهى إلى النّبىّ و له زجل(٣) فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: ما ذا رأيت فى طريقك يا علىّ؟ فأخبره بخبره كلّه فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الذى رأيت مثل ضربه الله لى و لمن حضر معى فى وجهى هذا، قال عليّ عليه السّلام: اشرحه لى يا رسول الله.

فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: أمّا الزّؤوس التى رأيت لها ضجّه و لألستها لجلججه، فذلك مثل قومى معى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و لا يقبل الله منهم صرفا و لا عدلا و لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا.

و أما النيران بغير حطب ففتنه تكون فى أمتى بعدى القائم فيها و القاعد سواء

ص: ٢٧

١- (١) - الرشا الحبل الذى يستقى به الماء من البئر، منه

٢- (٢) - الغطيطة صوت النائم المتضمن لتردد نفسه إلى حلقه حتى يسمعه من حوله، منه

٣- (٣) - الزجل بالزاء المعجمه الصوت، لغه.

لا يقبل الله لهم عملا ولا يقيم لهم يوم القيامة وزنا.

وأما الهاتف الذي هتف بك فذلك سلقعه وهو سملقه «كذا» بن غداف الذي قتل عدو الله مسعرا شيطان الأصنام الذي كان يكلم قرين منها ويشرع في هجائي، هذا.

وقوله عليه السلام (و بقت بقتيه من أهل البغي) أراد به معاويه وأصحابه لأنه لم يكن أتى عليهم بأجمعهم، بل بقت منهم بقتيه بمكيده التحكيم حسبما عرفته في شرح المختار الخامس والثلاثين.

(و) الذي فلق الحبه و براء النسمة (لئن أذن الله في الكره عليهم) هذا بمنزله التعليق بالمشيه أى إنشاء الله سبحانه لى الرجوع إليهم بأن يمد لى فى العمر و يفسح فى الأجل و يهيا أسباب الرجوع (لاديلن منهم) أى ليكون الدوله و الغلبه لى عليهم.

والايتان فى جواب القسم باللام و نون التوكيد لتأكيد تحقق الإداله و ثبوتها لا محاله بعد حصول الاذن و المشيه منه سبحانه، و ذلك بمقتضى وعده الصادق و قوله الحق فى كتابه العزيز «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

و بعد هذا فلقاتل أن يقول: إنه عليه السلام قد كان عالما بعدم اذن الله سبحانه فى الكره عليهم و الاداله منهم، و ذلك لما كان يعلمه باخبار الله سبحانه و اخبار رسوله صلى الله عليه و آله بأن بنى اميه يملكون البلاد ألف شهر، و قد كان عليه السلام نفسه أخبر بذلك حين شاع فى الكوفه خبر موت معاويه بقوله: كلاً- أو تخضب هذه من هذه و يتلاعب بها ابن آكله الأكباد، فى الروايه التى تقدمت فى شرح المختار السادس و الخمسين، و مع ذلك كله فما معنى قوله عليه السلام: و لئن أذن الله فى الكره اه؟ قلت: الايتان بهذه الجملة الشرطيه مع علمه عليه السلام بعدم وقوع مضمونها لربط جاش المخاطبين و تقويه قلوبهم.

و نظيره ما رواه عنه عليه السلام على بن إبراهيم بسنده عن عدى بن حاتم و كان معه عليه السلام فى مردبه «كذا» أن عليا قال ليله الهرير بصفتين حين التقى مع معاويه رافعا صوته يسمع أصحابه: لأقتلن معاويه و أصحابه، ثم قال فى آخر قوله: إنشاء الله تعالى، يخفض بها صوته، و كنت قريبا منه فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت

على ما قلت ثم استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال عليه السّلام: إنّ الحرب خدعه و أنا عند أصحابي صدوق فأردت أن اطمع أصحابي كيلا يفسئوا «يفشلوا ظ» و لا يفروا، فافهم فانك تنتفع بهذه بعد اليوم انشاء الله، هذا.

و قوله عليه السّلام: (إلا ما يتشذّر في أطراف الأرض تشذّرا) كلمه ما هنا بمعنى من كما في قوله: «و السّماء و ما بناها»، أى إلا من يتفرّق في أطرافها تفرّقا ممّن لم يتمّ أجله ثمّ تبّه على نجدته و شجاعته بقوله:

(أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب) استعار لفظ الكلاكل للأكابر و الرؤساء من العرب و أشراف القبائل العذّين قتلهم في صدر الاسلام، و الجامع للاستعاره كونهم سبب قوّه العرب و مقدّميههم و بهم انتهاضهم إلى الحرب كما أنّ الكلكل للجمل كذلك سبب لهوضه و قيامه و قوته و مقدم أجزائه.

و يجوز أن يكون من باب الاستعاره بالكنايه، بأن يشبه العرب بجمال مستجلات ذوات الصدور و الكلاكل في القوّه، فيكون اثبات الكلاكل تخييلا، و الوضع ترشيحا.

و على أىّ تقدير فأشار عليه السّلام بوضعه لهم إلى قهرهم و إذلالهم كما أنّ إناخه الجمل يستلزم قهره و إذلاله قال الشاعر:

مراجيح ما تنفكّ إلا مناخه على الحتف أو ترمى بها بلدا قفرا

و إن شئت أن تعرف أنموذجا من قتله و قتاله و إذلاله للكلاكل و الشجعان فاستمع لما وقع منه عليه السّلام في أوّل غزاه كانت في الاسلام و هى غزوه بدر، و قد كانت تلك الغزوه على رأس ثمانيه عشر شهرا من الهجره كما في كشف الغمه و كان عمره عليه السّلام إذ ذاك سبعة و عشرين سنه.

قال المفيد فى الارشاد: و أما الجهاد العذّى ثبتت به قواعد الاسلام، و استقرّت بثبوته شرايع المله و الأحكام، فقد تخصّص منه أمير المؤمنين عليه السّلام بما اشتهر ذكره فى الأنام، و استفاض الخبر به بين الخاصّ و العامّ، و لم يختلف فيه العلماء، و لا تنازع فى صحته الفهماء، و لا شكّ فيه إلا غفل لم يتأمل فى الأخبار، و لا دفعه أحد ممّن نظر فى الاثار إلا معاند بهّات لا يستحيى من العار.

فمن ذلك ما كان منه عليه السّلام في غزاه البدر المذكوره في القرآن، و هي أوّل حرب كان به الامتحان، و ملأت رهبه صدور المعدودين من المسلمين في الشجعان، و راموا التأخر عنها لخوفهم منها و كراحتهم لها على ما جاء به محكم الذّكر في التبيان.

و كان من جمله خبر هذه الغزاه إنّ المشركين حضروا بدرا مصرّين على القتال، مستظهرين فيه بكثرة الأموال، و العدد و العده و الرّجال، و المسلمون إذ ذاك نفر قليل عدد هناك، و حضرته طوايف منهم بغير اختيار، و شهدته على الكراهه منها له و الاضطرار.

فتحدّتهم قريش بالبراز و دعتهم إلى المصافه و النزال و اقترحت (١) في اللقاء منهم الأكفاء، و تطاولت الأنصار لمبارزتهم فمنعهم النبيّ صلّى الله عليه و آله من ذلك فقال لهم:

إنّ القوم دعوا الأكفاء.

ثمّ أمر عليا أمير المؤمنين بالبروز إليهم، و دعا حمزه بن عبد المطلب و عبيده ابن الحارث رضوان الله عليهما أن يبرزا معه، فلمّا اصطفوا لهم لم يثبتهم (٢) القوم لأنهم كانوا قد تغفّروا فسألوهم من أنتم، فانتسبوا لهم، فقالوا: أكفاء كرام، و نشبت الحرب بينهم.

و بارز الوليد أمير المؤمنين عليه السّلام فلم يلبثه حتّى قتله، و بارز عقبه حمزه رضى الله عنه فقتله حمزه، و بارز شبيهه عبيده رحمه الله فاختلفت بينهما ضربه قطعت إحداهما فخذ عبيده، فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السّلام بضربه بدر بها شبيهه فقتله، و شرکه في ذلك حمزه.

فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل و هن لحق المشركين، و ذلّ دخل عليهم، و رهبه اعتراهم بها الرّعب من المسلمين، و ظهر بذلك امارات نصر المسلمين.

ثمّ بارز أمير المؤمنين العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواء

ص: ٣٠

١- (١) - أي طلبت

٢- (٢) أي لم تعرفهم حقّ المعرفة منه،



فلم يلبثه أن قتله، وبرز إليه حنظله بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه طعيمة بن عدى فقتله، و قتل بعده نوفل بن خويلد و كان من شياطين قريش.

و لم يزل عليه السَّلام يقتل واحدا منهم بعد واحد حتَّى أتى على شطر المقتولين منهم، و كانوا سبعين رجلا تولَّى كافه من حضر بدرًا من المسلمين مع ثلاثه آلاف من الملائكة المسؤمين قتل الشطر منهم، و تولَّى أمير المؤمنين عليه السَّلام قتل الشطر الاخر وحده بمعونه الله له و تأييده و توفيقه و نصره و كان الفتح له بذلك على يديه.

و ختم الأمر بمناوله النبي صَلَّى الله عليه و آله كفا من الحصى فرمى بها فى وجوههم و قال لهم:

شاهت الوجوه، فلم يبق أحد منهم إلا ولى الدبر بذلك منهزما، و كفى الله المؤمنين القتال بأمر المؤمنين عليه السَّلام و شركائه فى نصره الدين من خاصه الرسول عليه و آله السلام و من أيدهم به من الملائكة الكرام.

قال المفيد: و قد أثبتت رواه العامه و الخاصه معا أسماء العذرين تولَّى أمير المؤمنين عليه السَّلام قتلهم ببدر من المشركين على اتفاق فيما نقلوه من ذلك و اصطلاح فكان ممن سمّوه: الوليد بن عتبة كما قدّمناه و كان شجاعا جريئا و قاحا فاتكاتها به الرجال، و العاص بن سعيد و كان هولاء عظيميها به الأبطال، و هو الذى حاد عنه عمر بن الخطاب، و طعيمة بن عدى بن نوفل و كان من رءوس أهل الضلال، و نوفل ابن خويلد و كان من أشدّ المشركين عداوه لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و كانت قريش تقدّمه و تعظّمه و تطيعه و هو الذى قرن أبا بكر و طلحه قبل الهجره بمكه و أوثقهما بحبل و عذبهما يوما إلى الليل حتّى سئل فى أمرهما و لما عرف رسول الله صَلَّى الله عليه و آله حضوره بدرًا سأل الله أن يكفيه أمره فقال: اللهم اكفنى نوفل بن خويلد، فقتله أمير المؤمنين عليه السَّلام.

و زمعه بن الأسود، و عقيل بن الأسود، و الحارث بن زمعه، و النضر بن الحارث ابن عبد الدار، و عمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحه بن عبيد الله، و عثمان، و مالك ابنا عبيد الله أخوا طلحه بن عبيد الله، و مسعود بن أبى امية بن المغيرة، و قيس بن الفاكه ابن المغيرة، و حذيفه بن أبى حذيفه بن المغيرة، و أبو قيس بن الوليد بن المغيرة،

و حنظله بن أبي سفيان، و عمرو بن مخدوم، و أبو المنذر بن أبي رفاعه، و منيه بن الحجاج السهمي، و العاص بن منيه، و علقمه بن كلده، و أبو العاص بن قيس بن عدى، و معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص، و لوذان بن ربيعة، و عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه، و مسعود بن أمية بن المغيرة، و حاجب بن السائب بن عويمر، و اوس بن المغيرة بن لوذان، و زيد بن مليص، و عاصم بن أبي عوف، و سعيد بن وهب حليف بني عامر، و معاوية ابن عبد القيس، و عبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد، و السائب بن مالك، و أبو الحكم بن الأخنس، و هشام بن أبي أمية بن المغيرة.

فذلك سته و ثلاثون رجلا سوى من اختلف فيه أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، و هم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدمناه.

قال المفيد: و فيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام ببدر قال اسيد بن اياس يحرض مشركي قريش عليه:

فى كل مجمع غايه أخزاكم جذع أبرّ على المذاكى القرّح

لله درّكم الما تنكروا قد ينكر الحرّ الكريم و يستحى

هذا ابن فاطمه الذى أفناكم ذبحا و قتلا قعصه لم يذبح

اعطوه خرجا و اتقوا تضريبه فعل الذليل و بيعه لم تربح

أين الكهول و أين كلّ دعامة فى المعضلات و اين زين الأبطح

أفناهم قعصا و ضربا يعترى بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

(١)

ص: ٣٢

١- (١) - الغايه الرايه، و الجذع الشاب الحدث، ابّر عليهم غلبهم، و المذاكى من الخيل التى قد اتى عليها بعد قروحها سنه او سنتان، و القارح منها ما انتهت اسنانه و انما تنتهى فى خمس سنين و الجمع قرح، و القعص أن يضرب الانسان فيموت فى مكانه يقال قعصه اى قتله سريعه، و الكهول جمع كهل و هو من جاوز الثلاثين إلى الأربعين أو الخمسين و انما خصّهم بالذكر لأنهم أشدّ قوه فى الحروب و اكمل عقلا يرجع اليهم و يحتاج إلى تدبيرهم فى الملمات و الدواهي، و دعامة القوم سيدهم

(و كسرت نواجم قرون ربيعه و مضر) و الاستعاره فى هذه القرينه مثل التى فى سابقتها، فتحتمل الاستعاره التحقيقيه بأن يراد تشبيه رؤساء القبيلتين و انجادهم بقرون الحيوان، لأنهم أسباب القوه و الصوله و المحاربه للقبيلتين كما أن القرن آله الحرب و النطح و الصيال للكبش.

و تحتمل الاستعاره المكتيه بأن يراد تشبيه القبيلتين بالأ-كبش ذوات القرون فى الصوله و القوه، فيكون اثبات القرن تخيلا و الكسر و التواجم ترشيحا، و المراد بكسره عليه السّلام نواجم قرونهم قهرهم، و اذلالهم، لأنّ الكبش اذا انتطح بكبش آخر فانكسر قرنه يغلب و يهرب.

و قد قتل عليه السّلام من ربيعه و مضر فى مجاهداته بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بعده فى الجمل و صفين جما غفيرا يكاد أن يكون أغزر من قطر المطر و أكثر من عدد النجم و الشجر، و لنعم ما قال كاشف الغمه:

سل عن علىّ مقامات عرفن به شدّت عرى الدّين فى حلّ و مرتحل

بدرا واحدا و سل عنه هوازن فى أوطاس و اسأل به فى وقعه الجمل

و اسأل به إذ أتى الأحزاب يقدمهم عمرو و صفّين سل أن كنت لم تسل

ثمّ ذكر المخاطبين بمناقبه الجميله و مفاخره الجليله، و عدّ منها تسعا الاولى - ما أشار اليه بقوله (و قد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالقرايه القريبه) لأنّ أبويهما عبد الله و أبا طالب أخوان لأب و أمّ، دون غيرهما من بنى عبد المطلب فهما ابنا عمّ مضافا إلى علاقته المصاهره و كونه عليه السّلام زوج ابنته فاطمه سلام الله عليها.

و الى هذه القرايه اشيرت فى قوله سبحانه «هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا».

روى فى غايه المرام عن المالكي فى فصول المهمه عن محمّد بن سيرين فى هذه الايه أنّها نزلت فى النّبي صلى الله عليه و آله و سلم و علىّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول الله و زوج ابنته فاطمه فكان نسبا و صهرا.

و فيه عن الشيخ فى أماليه بسنده عن انس بن مالك قال: ركب رسول الله صلى الله عليه و آله

ذات يوم بغلته فانطلق الى جبل آل فلان و قال: يا أنس خذ البغله و انطلق إلى موضع كذا و كذا تجد عليًا جالس يسبح بالحصي، فاقراءه مني السلام و احمله على البغله و ايت به إليّ.

قال أنس: فذهبت فوجدت عليًا كما قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، فأتيت به عليه، فلَمَّا أن نظر عليه السّلام برسول الله قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: و عليك السلام يا أبا الحسن اجلس، فإنّ هذا موضع قد جلس فيه سبعون نبيًا مرسلًا ما جلس فيه أحد من الأنبياء إلّا و أنا خير منه، و قد جلس كلّ نبيٍّ أخ له ما جلس فيه من الاخوه واحد إلّا و أنت خير منه.

قال أنس: فنظرت إلى سحابه قد أظلتّهما و دنت من رؤوسيهما، فمدّ النبيّ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم يده إلى السحابه فتناول عنقود عنب فجعله بينه و بين عليّ و قال: كل يا أخي.

قلت: يا رسول الله: صف كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله عزّ و جلّ خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، و اسكنه في لؤلؤه خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلَمَّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤه فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله في صلب شيث فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبد المطلب، ثمّ شقّه الله عزّ و جلّ نصفين نصف في أبي عبد الله بن عبد المطلب و نصف في أبي طالب فأنا من نصف الماء و عليّ من النصف الاخر، فعليّ أخي في الدنيا و الاخره، ثمّ قرء رسول الله صَلَّى الله عليه و آله «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا».

و في كشف الغمه عن جابر بن عبد الله قال: سمعت عليًا ينشد و رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي معه ربيّيت و سبطاه هما ولدي

جدّي و جدّ رسول الله منفرد و فاطم زوجتي لا قول ذي فند

فالحمد لله شكرا لا شريك له البرّ بالعبد و الباقي بلا أمد

قال فتبسّم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و قال: صدقت يا عليّ الثانيه - ما أشار إليه بقوله (و المنزله الخصيصه) أى الخاصه و المخصوصه بي

و شرحها بقوله (وضعتني في حجره) و رباني (و أنا وليد) طفل صغير (يضمّني إلى صدره و يكتفني) أي يضمّني إلى كنفه و حضنه (في فراشه و يمّيني جسده و يشمّني عرفه) أي ريحه الطيب (و كان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه) و هذا كلّه إشاره إلى شدّه تربيته صلّى الله عليه و آله له و قيامه بأمره و يوضحه ما رواه الشارح المعتزلي عن الطبري في تاريخه قال: حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمه قال حدّثني محمّد بن إسحاق قال حدّثني عبد الله بن نجيح عن مجاهد قال:

كان من نعمه الله عزّ و جلّ على عليّ بن أبي طالب و ما صنع الله له و أراد به من الخير أنّ قريشا أصابتهم أزمه (1) شديده و كان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم للعبّاس و كان من أيسر بني هاشم: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال و قد ترى ما أصاب التّياس من هذه الأزمه فانطلق بنا فنخفّف عنه من عياله آخذ من بنيه واحدا و تأخذ واحدا فنكفيهما عنه، فقال العبّاس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عليا فضمّه إليه، و أخذ العبّاس جعفرا فضمّه إليه، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى بعثه الله نبيا، فاتبعه عليّ عليه السّلام فأقرّب به و صدّقه، و لم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم و استغنى عنه.

و رواه كاشف الغمّه عن الخطيب الخوارزمي عن محمّد بن إسحاق نحوه.

و روى الشّارح المعتزلي عن الفضل بن عباس قال: سألت أبي عن ولد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الذّكور أيهم كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أشدّ حبّا، فقال: عليّ بن أبي طالب، فقلت: سألت لك عن بنيه، فقال: إنّّه كان أحبّ إليه من بنيه جميعا و أرف ما رأيناه زايله يوما من الدهر منذ كان طفلا إلّا أن يكون في سفر لخديجه و ما رأينا أبا أبرّ بآب من لعليّ و لا ابنا أطوع لأب من عليّ له قال الشّارح: و روى جبير بن مطعم قال: قال أبي مطعم بن عدى لنا و نحن

ص: ٣٥

صبيان بمكّه: ألا ترون حبّ هذا الغلام يعنى عليّاً لمحمّد و أتباعه له دون أبيه و اللّات و العزّى لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً.

قال الشّارح: و روى الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سمعت زيدا أبى يقول: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يمزغ اللّحمه و التمره حتّى تلين و يجعلهما في فم عليّ و هو صغير في حجره.

الثالثة - ما أشار إليه بقوله (و ما وجد لي كذبه في قول و لا خطله في فعل) أى لم تجد منى كذبا و خطاء أبدا و لو مرّه واحده، لوجود العصمه المانعه فيه و فى زوجته و الطيبين من أولاده سلام الله عليهم أجمعين من الاقدام على الذّنوب صغيرها و كبيرها باتّفاق الاماميه و حكم آيه التّطهير و غيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا عمدا و لا نسيانا و لا خطاء.

روى فى البحار من الخصال قال: قوله تعالى «لا ينال عهّدى الظّالمين» عنى به أنّ الامامه لا تصلح لمن قد عبد صنما أو وثنا أو أشرك بالله طرفه عين و إن أسلم بعد ذلك، و الظلم وضع الشىء فى غير موضعه و أعظم الظلم الشّرك قال الله عزّ و جلّ «إنّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ» و كذلك لا تصلح لمن قد ارتكب من المحارم شيئا صغيرا كان أو كبيرا و إن تاب منه بعد ذلك، و كذلك لا يقيم الحدّ من فى جانبه حدّ.

فاذا لا يكون الامام إلاّ معصوما، و لا تعلم عصمته إلاّ بنصّ الله عزّ و جلّ عليه على لسان نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم، لأنّ العصمه ليست فى ظاهر الخلقه فترى كالسواد و البياض و ما أشبه ذلك و هى مغيبه لا تعرف إلاّ بتعريف علام الغيوب.

و قد مضى وجوب عصمه الامام بتقرير آخر فى مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه.

ثمّ تبّه على منقبه عظيمه لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لتكون تمهيدا و توطئه لمنقبته عليه السّلام الرابعه فقال:

(و لقد قرن الله به صلّى الله عليه و آله من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به

طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره).

قال الشارح المعتزلي: روى أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليهما السّلام سأله عن قول الله عزّ و جلّ «إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» فقال عليه السّلام يوكل الله بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم و يؤدّون إليه تبليغهم الرساله، و وکل بمحمد صلّى الله عليه و آله و سلّم ملكا عظيما منذ فصل عن الرضا (عليه السلام) يرشده إلى الخيرات و مكارم الأخلاق و يسدّه عن الشرّ و مساوی الأخلاق، و هو الذي كان يناديه السّلام عليك يا محمد يا رسول الله و هو شاب لم يبلغ درجه الرّساله بعد فيظنّ أنّ ذلك من الحجر و الأرض فيتأمل فلا يرى شيئا.

أقول: و الظاهر على ما يستفاد من الأخبار و اشير إليه في غير واحده من الايات: إنّ المراد بهذا الملك هو روح القدس المخصوص بالنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و عترته الأطهار الأخيار.

فقد روى المحدث العلامة المجلسي «ره» في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله «وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: هو ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو مع الأئمه، و في خبر آخر هو من الملكوت.

و فيه منه في قوله تعالى «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» هم الأئمه «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» قال: ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل و كان مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو مع الأئمه عليهم السّلام.

و فيه من كتاب الاختصاص و بصائر الدّرجات بسندهما عن أبي بصير قال:

سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله تبارك و تعالى «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل و ميكائيل، كان مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يخبره و يسدّده و هو مع الأئمه من بعده.

و فيه من البصائر مسندا عن سماعه بن مهراّن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ الرّوح خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

يسدده و يرشده و هو مع الأوصياء من بعده و فيه من البصائر عن البرقى عن أبى الجهم عن ابن اسباط قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل و أنا حاضر عن قول الله « وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا » فقال:

منذ أنزل الله ذلك الروح على محمد صلى الله عليه و آله لم يصعد إلى السماء و أنه لفينا.

و فيه من الاختصاص و البصائر عن ابن يزيد عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قال: خلق أعظم من خلق جبرئيل و ميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه و آله و سلم و هو مع الأئمة يوفقهم و يسددهم، و ليس كلما طلب وجد.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة و لا حاجة إلى الاكثار و الاطاله، و المستفاد من الروايه الأخيره اختصاصه بالنبى و الأئمه عليهم السلام و قوله عليه السلام فيها: و ليس كلما طلب وجد معناه أنّ حصول تلك المرتبه الجليله و المنقبه العظيمه لا يتيسر بالطلب بل ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء.

الرابعه - ما أشار إليه بقوله (و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل) و هو ولد الناقه (أثر أمه) و هو اشاره إلى فرط ملازمته له و عدم مفارقتة إياه ليله و نهاره سفرا و حضرا فى خلواته و جلواته.

و لثما عرفت آنفا أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان مؤيدا مسددا بروح القدس من حين الطفوليّه إلى آخر عمره الشريف ملهما إلى الخيرات موقفا بتأييد الروح إلى سلوك طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم.

تعرف من ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان ملازما له غير مفارق منه يكون تاليا له صلى الله عليه و آله و سلم فى سلوك مسالك مكارم الخصال و محامد الأفعال مقتبسا من أنواره مقتفيا لاثاره كما أوضحه بقوله:

(يرفع لى فى كل يوم علما) و رايه (من أخلاقه) الفاضله (و يأمرنى بالاعتداء به) و المتابعه له.



الخامسه - ما أشار إليه بقوله (و لقد كان يجاور في كل سنه بحراء) و يعتزل عن الخلق و يتخلى للعباده (فأراه و لا يراه) أحد (غيري) قال الشارح المعتزلي: حديث مجاورته بحراء مشهور، قد ورد في الكتب الصحاح أنه صَلَّى الله عليه و آله كان يجاور في حراء من كل سنه شهرا، و كان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فاذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدء به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبه قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنه التي أكرمه الله فيها بالرساله، فجاور في حراء شهر رمضان و معه أهله خديجه و علي بن أبي طالب و خادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرساله قال صَلَّى الله عليه و آله: جائي و أنا نائم بنمط فيه كتاب فقال: اقرء، قلت: ما أقرء؟ فغشني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» «إلى قوله» «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»، فقرأته ثم انصرف عني، فتبتهت من نومى و كأنما كتب في قلبى كتاب الحديث و فى كتاب حيوه القلوب للمحدث العلامة المجلسي عن علي بن إبراهيم و ابن شهر آشوب و الطبرسي و الزاوندى و غيرهم من المحدثين و المفسرين أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان قبل مبعثه يعتزل عن قومه و يجاور الحراء و يفرغ لعباده ربه سبحانه، و كان عزّ و جلّ يسدده و يهديه و يرشده بالروح القدس و الرؤيا الصادقه و أصوات الملائكه و الالهامات الغيبية، فيدرج فى مدارج المحبّه و المعرفه، و يعرج إلى معارج القرب و الزلفى، و كان سبحانه يزيّنه بالفضل و العلم و محامد الأخلاق و محاسن الخصال و لا يراه أحد فى أيام مجاورته به و خلال تلك الأحوال غير أمير المؤمنين عليه السلام و خديجه.

السادسه - ما أشار إليه بقوله (و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و خديجه و أنا ثالثهما) هذا الكلام صريح فى سبقه على جميع من سواه من الرجال بالاسلام، و نظيره قوله فى المختار الماء و الأحد و الثلاثين: اللهم إني أول من أناب و سمع و أجاب

لم يسبقني إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بالصَّلاه.

وقد تقدّم في شرح المختار المذكور تحقيق تقدّمه بالصِّيلاه والاسلام كما هو مذهب الاماميه تفصيلا و أبطلنا تقدّم اسلام أبى بكر عليه كما ذهب إليه شرذمه من العثمانيه و أوردنا ثّمه من الأدلّه والأخبار والأشعار في هذا المعنى ما لا مزيد عليه و أقتصر هنا على روايتين تقدّمتا هناك اجمالا و نرويها هنا تفصيلا.

احدهما عن كاشف الغمّه عن عفيف الكندى قال: كنت امرأ تاجرا فقدمت الحجّ فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التّجاره، و كان امرأ تاجرا فوالله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلمّا رآها قد مالت قام يصلى.

قال: ثمّ خرجت امرأه من الخباء الّذى خرج منه ذلك الرّجل فقامت خلفه فصلّت، ثمّ خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه فصلّى.

قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى قال: فقلت: من هذه المرأه؟ قال: امرأته خديجه بنت خويلد قال:

فقلت: من هذا الفتى؟ قال: على بن أبى طالب ابن عمّه فقلت له: ما هذا الذى يصنع؟ قال: يصلى و هو يزعم أنّه نبيّ و لم يتبعه على أمره إلاّ امرأته و ابن عمّه هذا الفتى و هو يزعم أنّه سيفتح عليه كنوز كسرى و قيصر، و كان عفيف و هو ابن عمّ الأشعث بن قيس يقول بعد ذلك و هو أسلم و حسن إسلامه: لو كان رزقنى الله الاسلام يومئذ فأكون ثانيا مع على عليه السلام.

قال كاشف الغمه: و قد رواه بطوله أحمد بن حنبل فى مسنده، نقلته من الّذى اختاره و جمعه عزّ الدّين المحدّث، و تمامه من الخصائص بعد قوله ثمّ استقبل الرّكن و رفع يديه فكبر، و قام الغلام و رفع يديه و كبر، و رفعت المرأه يديها فكبرت و ركع و ركعا و سجد و سجدا و قنت و قنتا، فرأينا شيئا لم نعرفه أو شيئا حدث بمكّه فأنكرنا ذلك و أقبلنا على العباس فقلنا له يا أبا الفضل الحديث بتمامه.

و الروايه الثانيه قدّمناها هناك من البحار من مناقب ابن شهر آشوب من

كتاب محمّد بن إسحاق و أرويهنا هنا بتفصيل من شرح المعتزلى رواها هنا عن الطبرى عن ابن حميد عن سلمه عن محمّد بن إسحاق، و رواها أيضا فى تاسع المختار من باب الكتب من كتاب السيره و المغازى لمحمّد بن إسحاق قال الشارح المعتزلى: فأنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث و المؤرخين، و مصنفه شيخ الناس كلهم قال:

قال محمّد بن إسحاق: لم يسبق عليا عليه السّلام إلى الايمان بالله و رساله محمّد أحد من الناس، اللهم إلا أن تكون خديجه زوجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

قال: و قد كان صلى الله عليه و آله و سلم يخرج و معه على عليه السّلام مستخفيا من الناس فيصليان الصلاه فى بعض شعاب مكة، فاذا أمسيا رجعا فمكثا بذلك ما شاء الله أن يمكثا لا ثالث لهما.

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصليان فقال لمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم يا ابن أخى ما هذا الذى تفعله؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: أى عمّ هذا دين الله و دين ملائكته و رسله و دين أنبيائه أو كما قال صلى الله عليه و آله بعثنى الله به رسولا إلى العباد «إلى أن قال» فرعموا أنه قال: لعلى عليه السّلام أى بنى ما هذا الذى تصنع قال: يا أبتاه آمنت بالله و رسوله و صدقته فيما جاء به و صليت إليه و اتبعت قول نبيّه فرعموا أنه قال له أما أنه لا يدعوك أو لن يدعوك إلا إلى خير فالزمه.

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثه مولى رسول الله صلى الله عليه و آله فكان أوّل من أسلم و صلى معه صلى الله عليه و آله بعد على بن أبى طالب، ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافه فكان ثالثا لهما، ثم اسلم عثمان بن عفان و طلحه و الزبير و عبد الرحمن و سعد بن أبى وقاص فصاروا ثمانية، فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الاسلام بمكّه.

السابعه - ما أشار إليه بقوله (أرى نور الوحي و الرّساله و أشمّ ريح النبوه) قال الشارح البحرانى و هذه أعلى مراتب الأولياء، و استعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته من أسرار الوحي و الرّساله و علوم التنزيل و دقائق التّأويل و اشراقها على لوح نفسه القدسيّه، و وجه الاستعاره كون هذه العلوم و الأسرار هاديه فى سبيل الله إليه من ظلمات الجهل كما يهدى النور من الطّرق المحسوسه، و رشح

تلك الاستعاره بذكر الرؤيه لأنّ النور حظّ البصر و كذلك استعار لفظ الرّيح لما أدركه من مقام النبوه و أسرارها و رشح بذكر الشمّ لأنّ الرّيح حظّ القوه الشامه، انتهى.

أقول: و لقائل أن يقول: لا- مانع من ظهور نور محسوس عند نزول الوحي أو في ساير الأوقات أيضا، و كذلك عرف طيب يدركه أمير المؤمنين عليه السّلام بقوه قوته الباصره و الشّامه و إن لم يكن يحسّ به غيره و لا- حاجه على ذلك إلى التّأويل الّذي ذكره.

و يشهد بما ذكرته ما رواه في البحار من أمالي الشيخ عن المفيد عن عليّ بن محمّد البرّاز عن زكريا بن يحيى الكشحي عن أبي هاشم الجعفرى قال: سمعت الرّضا عليه السّلام يقول: لنا أعين لا تشبه أعين النّاس، و فيها نور ليس للشّيطان لها نصيب.

و في شرح المعتزلى روى عن جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام قال: كان عليّ عليه السّلام يرى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل الرّساله الضوء و يسمع الصّوت، و قال صلّى الله عليه و آله لو لا أنّى خاتم الأنبياء لكنت شريكا في النبوه فان لا تكن نبيا فانك وصيّ نبيّ و وارثه بل أنت سيّد الأوصياء.

الثامن - ما أشار إليه بقوله (و لقد سمعت رثه الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه و آله و سلّم فقلت يا رسول الله ما هذه الرّنه) و الصّوت (فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته) أى من أن يعبد له.

و هذه المنقبه له عليه السّلام تدلّ على كمال قوته السامعه أيضا و سماعه ما لا يسمعه غيره.

و أما رنين هذا اللّعين فقد روى عليّ بن إبراهيم القميّ عن أبيه عن الحسن ابن عليّ بن فضال عن عليّ بن عقبه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ إبليس رنّ رنيننا لما بعث الله نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم على حين فتره من الرّسل و حين انزلت أمّ الكتاب.

و روى المحدّث العلّامه المجلسيّ في كتاب حيوه القلوب عن الصّدوق عن الصادق عليه السّلام أنّ إبليس رنّ أربع رنّات: يوم لعن، و يوم اهبط إلى الأرض، و حين بعث محمّد على حين فتره من الرّسل، و حين نزلت أمّ الكتاب.

و فى شرح المعتزلى من مسند أحمد بن حنبل عن على بن أبى طالب عليه السّلام قال:

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليله التى اسرى به فيها و هو بالحجره يصلى فلما قضى صلاته و قضيت صلاتى سمعت رثه شديده فقلت: يا رسول الله ما هذه الرثه: قال:

ألا تعلم هذه رثه الشيطان علم أنى اسرى فى الليله إلى السماء فليس من أن يعبد فى هذه الأرض.

التاسعه - ما أشار إليه بقوله (إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى) ظاهر هذا الكلام يفيد أن الامام يسمع صوت الملك و يعاينه كالرسول.

أما سماع الصوت فلا غبار عليه و يشهد به أخبار كثيره.

و أما المعاينه فبدل عليه بعض الأخبار.

مثل ما فى البحار من أمالى الشيخ باسناده عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إن منّا لمن ينكت فى قلبه و إن منّا لمن يؤتى فى منامه و إن منّا لمن يسمع الصّوت مثل صوت السلسله فى الطشت و أنّ منّا لمن يأتيه صورته أعظم من جبرئيل و ميكائيل و قال أبو عبد الله عليه السّلام: منّا من ينكت فى قلبه، و منّا من يخاطب، و قال عليه السّلام:

إن منّا لمن يعاين معاينه و إن منّا لمن ينقر فى قلبه كيت و كيت، و إن منّا لمن يسمع كوقع السلسله فى الطشت، قال: قلت: و الذى يعاينون ما هو؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل.

و لكن الظاهر من الأخبار الكثيره أنّ الامام يسمع الصّوت و لا يعاين، و من ذلك اضطّرّ المحدّث العلّامه المجلسى «ره» بعد روايه هذه الرّوايه إلى تأويلها بقوله:

و المراد بالمعاينه معاينه روح القدس و هو ليس من الملائكه مع أنّه يحتمل أن يكون المعاينه فى غير وقت المخاطبه، انتهى.

و تمام الكلام إنشاء الله فى التّنبيه الثانى من التّنبيهات الاثنيه، هذا.

و لما كان ظاهر قوله صلى الله عليه وآله وسلم تسمع ما أسمع و ترى ما أرى موهما للسماوات بينه عليه السّلام و بينه صلى الله عليه وآله وسلم عليه و آله استدرك ذلك بقوله (إلا أنّك لست بنبى) و نظير هذا الاستدراك قد وقع فى كلام الصادق عليه السّلام و هو:

ما رواه فى البحار من البصائر بسنده عن على السائى قال: سألت الصادق عليه السّلام عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض، و غابر، و حادث، فأما الماضى فمفسّر، و أما الغابر فمزبور، و أما الحادث فقذف فى القلوب و نقر فى الأسماع و هو أفضل علمنا و لا نبى بعد نبينا.

فإنّ التّكث و التّقر لما كانا مظنّه لأن يتوهّم السائل فيهم التّبوه قال عليه السّلام:

و لا نبى بعد نبينا، و يتّضح لك معنى هذا الحديث ممّا نوردّه فى التّنبيه الثانى إنشاء الله.

ثمّ إنّه لمّا نفى عنه التّبوه أثبت له الوزاره و هى عاشر المناقب فقال (و لكتمك لوزير و إنك لعلى خير) بشّره بالوزاره و نبّه به على أنّه الصّالح لتدبير أمور الرّساله و المعاون له صلّى الله عليه و آله و سلّم فى نظم أمور الدّين و تأسيس قواعد شرع المبين و اصلاح أمور الاسلام و المسلمين، ثمّ شهد به أنّه على خير و أشار به على استقراره و ثباته على ما هو خير الدّنيا و الاخره، و أنّه بجانب لما هو شرّ الدّنيا و الاخره.

و هذا معنى عام متضمّن لكونه عليه السّلام جامعا لجميع الكمالات و المكارم الدّنيويّه و الاخرويّه و المحامد الصّوريّه و المعنويّه و كونه راسخا فيها غير متزلزل و لا متكلّف، هذا.

و اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه الشريفه لمّا كان متضمّنا لجلّ مسائل الرّساله و الامامه حسبما عرفته آتيت فى شرحه من الرّوايات الشّريفه و التحقيقات اللطيفه بما هو مقتضى مذهب الفرقة النّاجيه الاماميّه، و أضربت عن روايات عاميّه ضعيفه أوردها الشّارح المعتزلى فى بيان عصمه النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بالملائكه.

و العجب من مبالغه الشّارح البحرانى له فى ايراد بعض هذه الأخبار مع أنّها مضافه إلى أنّها خلاف اصول الاماميّه ممّا تشمئز عنها الطباع و تنفر عنها الأسماع كما هو غير خفىّ على من لاحظ الشرحين بنظر الدّقه و الاعتبار.

ثمّ لما بقى هنا بعض مطالب محتاجه إلى بسط من الكلام أردت ايرادها و تحقيق ما هو محتاج إلى التحقيق فى ضمن تنبيهات ثلاثة فأقول و بالله التوفيق:

اعلم أنا قد قلنا فى شرح قوله عليه السّلام فى فاتحه هذا الفصل: ألا وقد أمرنى الله بقتال أهل البغى: إن من جملة الأوامر الامر بقتاله لهم قوله «يا أيّها الذين آمنوا من يزدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلّه على المؤمنين أعزّه على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم».

لكن جمعا من العامّة العمياء المتعصّيين من المعتزله والأشاعره زعموا أنّ الايه ناظره إلى أبى بكر و دالّه على صحّحه إمامته، و قد أفرط فى هذا المعنى الناصب المتعصّب فخر المشكّكين والمضللين خذله الله تعالى و حشره مع أوليائه المرتدّين فأحببت أن اورد مقالهم و اعقبه بالتنبيه على خطائهم و ضلالهم فأقول:

قال الشارح المعتزلى فى شرح هذا الفصل:

و اعلم أنّ أصحابنا قد استدّلوا على صحّحه إمامه أبى بكر بهذه الايه، قال قاضى القضاة فى المغنى: و هذا خبر من الله تعالى و لا بدّ أن يكون كائنا على ما أخبر به، و الذين قاتلوا المرتدّين هم أبو بكر و أصحابه فوجب أن يكونوا هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله: يحبهم و يحبونه، و ذلك يوجب أن يكون على صواب، انتهى و قال الفخر الرّازى فى تفسير الايه: اختلفوا فى أنّ اولئك القوم من هم، فقال على بن أبى طالب و الحسن و القتاده و الضحّاك و ابن جريح: هم أبو بكر و أصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الرّده، قالت عايشه: مات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و ارتدّت العرب و اشتهر النفاق و نزل بأبى ما لو نزل بالجبّال الرّاسيات لهاضها.

و قال السدى: نزلت الايه فى الأنصار، لأنهم هم الذين نصرّوا الرّسول و أعانوه على اظهار الدّين.

و قال مجاهد: نزلت فى أهل يمن و روى مرفوعا أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم لما نزلت هذه الايه أشار إلى أبى موسى الأشعري و قال: هم قوم هذا.

وقال آخرون: هم الفرس لأنه روى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده على عاتق سلمان و قال: هذا و ذووه ثم قال: لو كان الدين معلقاً بالثريا لنا له رجال من أبناء فارس.

و قال قوم: إنها نزلت في عليّ عليه السلام و يدلّ عليه وجهان:

الوجه الأوّل أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما دفع الرّايه إلى عليّ عليه السلام يوم خيبر قال: لأدفعنّ الرّايه غدا إلى رجل يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، و هذا هو الصفه المذكوره في الآية.

و الوجه الثاني أنه تعالى إنما ذكر بعد هذه الآية قوله: «إِنَّمَا وَرِثِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية، و هذه في حقّ عليّ عليه السلام فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقّه عليه السلام، فهذه جمله الأقوال في هذه الآية، و لنا في هذه الآية مقامات:

المقام الأوّل أنّ هذه الآية من أدلّ الدلائل على فساد مذهب الاماميه من الزوافض.

و تقرير مذهبهم إنّ الذين أقرّوا بخلافه أبي بكر و امامته كلّهم كفروا و صاروا مرتدّين، لأنّهم أنكروا النصّ الجليّ على إمامه عليّ عليه السلام.

فنقول: لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم و يقهرهم و يردّهم إلى الدّين الحقّ بدليل قوله: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ»، الآية، و كلمه من في معرض الشرط للعموم، فهي تدلّ على أنّ كلّ من صار مرتدّا عن دين الاسلام فإنّ الله يأتي بقوم يقهرهم و يردّهم و يبطل شوكتهم فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافه كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم و يبطل مذهبهم، و لما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضدّ فإنّ الزوافض هم المقهورون الممنوعون من إظهار مقالاتهم الباطله أبدا منذ كانوا علمنا فساد مذهبهم و مقاتلتهم، و هذا كلام ظاهر لمن أنصف.

المقام الثاني إنّنا ندعى أنّ هذه الآية يجب أن يقال: إنّها نزلت في حقّ أبي بكر و الدليل عليه وجهان:



الوجه الأول أنّ هذه الايه مختصّه بمحاربه المرتدّين، و أبو بكر هو الذى تولّى محاربه المرتدّين، و لا يمكن أن يكون المراد هو الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، لأنّه لم يتفق له محاربه المرتدّين، و لأنّه تعالى قال: فسوف يأتي الله، و هذا للاستقبال لا للحال، فوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين فى وقت نزول هذا الخطاب.

فان قيل: هذا لازم عليكم، لأنّ أبا بكر كان موجودا فى ذلك الوقت.

قلنا: الجواب من وجهين:

الأول أنّ القوم الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردّه ما كانوا موجودين فى الحال و الثّانى أنّ معنى الايه أنّ الله تعالى قال: فسوف يأتي الله بقوم، قادرين متمكّنين من هذا الحراب، و أبو بكر و إن كان موجودا فى ذلك الوقت إلاّ أنه ما كان مستقلاً فى هذا الوقت بالحراب و الأمر و النهى، فزال السؤال فثبت أنه لا يمكن أن يكون هو الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و لا يمكن أن يكون المراد هو علىّ عليه السّلام لأنّ عليا لم يتفق له قتال مع أهل الردّه فكيف تحمل هذه الايه عليه.

فان قالوا: بل كان قتاله مع أهل الردّه، لأنّ كلّ من نازعه فى الامامه كان مرتدّا.

قلنا: هذا باطل من وجهين:

الأول أنّ اسم المرتدّ إنّما يتناول من كان تاركا للشرايع الاسلاميه، و القوم الذين نازعوا عليا ما كانوا كذلك فى الظاهر، و ما كان أحد يقول إنّهم خرجوا عن الاسلام و علىّ لم يسمّهم البتّه بالمرتدّين، فهذا الذى يقوله هؤلاء الرّوافض لعنهم الله بهت علىّ جميع المسلمين و علىّ علىّ عليه السّلام أيضا.

الثانى أنه لو كان كلّ من نازعه فى الامامه مرتدّا لزم فى أبى بكر و فى قومه أن يكونوا مرتدّين، و لو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الايه أن يأتي الله بقوم يقهرونهم و يردّونهم إلى الدّين الصحيح، و لما لم يوجد ذلك البتّه علمنا أنّ منازعه علىّ فى الامامه لا يكون ردّه، و إذا لم تكن ردّه لم يمكن حمل الايه علىّ علىّ لأنّها نازله فيمن يحارب المرتدّين.

ولا- يمكن أيضا أن يقال: إنها نازله في أهل فارس أو في أهل اليمن، لأنهم لم يتفق لهم محاربه مع المرتدّين، وبتقدير أنه اتّفقت لهم هذه المحاربه و لكنهم كانوا رعيّه و أتباعا و أذنابا، و كان الرئيس المطاع الامر في تلك الواقعه هو ابو بكر و معلوم أنّ حمل الايه على من كان أصلا في هذه العباده و رئيسا مطاعا فيها أولى من حملها على الرعيه و الأتباع و الأذنابا، فظهر بما ذكرنا من الدليل الظاهر أنّ هذه الايه مختصّه بأبي بكر.

و الوجه الثاني في بيان أنّ هذه الايه مختصّه بأبي بكر هو:

إنّا نقول: هب أنّ عليّا قد كان حارب المرتدّين، و لكن محاربه أبي بكر مع المرتدّين كانت أعلى حالا و أكثر موقعا في الاسلام من محاربه عليّ مع من خالفه في الامامه و ذلك لأنه علم بالتواتر أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم لما توفّي اضطربت الأعراب و تمردوا و أنّ أبا بكر هو الهدى قهر مسيلمه و طليحه، و هو الذى حارب مانعى الزكاه، و لما فعل ذلك استقرّ الاسلام و عظمت شوكته و انبسط دولته.

أمّا لما انتهى الأمر إلى عليّ فكان الاسلام قد انبسط في الشرق و الغرب و صار ملوك الدنيا مقهورين و صار الاسلام مستوليا على جميع الأديان و الملل، فثبت أنّ محاربه أبي بكر أعظم تأثيرا في نصره الاسلام و تقويته من محاربه عليّ عليه السلام.

و معلوم أنّ المقصود من هذه الايه تعظيم قوم يسعون في تقويه الدّين و نصره الاسلام، و لما كان أبو بكر هو المتولّى لذلك و جب أن يكون هو المراد بالايه.

المقام الثالث في هذه الايه و هو أنّا ندعى دلالة هذه الايه على صحّه إمامه أبي بكر، لما ثبت بما ذكرنا أنّ هذه الايه مختصّه به، فنقول: إنه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الايه بصفات:

أولها أنّهم يحبّهم الله، فلما ثبت أنّ المراد بهذه الايه هو أبو بكر ثبت أنّ قوله يحبّهم و يحبّونه و وصف لأبي بكر، و من وصفه الله تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالما، و ذلك يدلّ على أنه كان محقّا في إمامته.

و ثانيها قوله: أذله على المؤمنين أعزه على الكافرين، وهو صفة أبي بكر أيضا للدليل الذي قدمناه.

و يؤكد ما روى في الخبر المستفيض أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: أرحم امتي بامتى أبو بكر، فكان موصوفا بالرحمة و الشفقة على المؤمنين، و بالشده مع الكفار.

الأ- ترى أن في أول الأمر حين كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكه و كان في غاية الضعف كيف كان يذب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كيف كان يلازمه، و يخدمه، و ما كان يبالي بجبابره الكفار و شياطينهم و في آخر الأمر أعنى وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد و أصر على أنه لا بد من المحاربه مع مانعي الزكاه حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده حتى جاء أكابر الصحابه و تضرعوا إليه و منعه من الذهاب.

ثم لما بلغ بعث العسكر إليهم انهمروا و جعل الله ذلك مبدء لدوله الاسلام، فكان قوله: «أذله على المؤمنين أعزه على الكافرين»، لا يليق إلا به.

و ثالثها قوله: يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومه لائم، فهذا مشترك فيه بين أبي بكر و علي إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم و أكمل.

و ذلك لأن مجاهده أبي بكر مع الكفار كان في أول البعث، و هناك الاسلام كان في غاية الضعف، و الكفر كان في غاية القوه، و كان يجاهد الكفار بمقدار قدرته و يذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغايه وسعه.

و أما علي عليه السلام فانه إنما شرع في الجهاد يوم بدر و أحد، و في ذلك الوقت كان الاسلام قويا و كانت العساكر مجتمعه.

فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي عليه السلام من وجهين:

الأول أنه كان متقدما عليه في الزمان لقوله تعالى: «لا يسئوى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل» و الثاني جهاد أبي بكر كان في وقت ضعف الرسول و جهاد علي كان في وقت القوه.

و رابعها قوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و هذا لا يلق بأبي بكر لأنه متأكد

بقوله تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ»، وقد بينا أنّ هذه الايه فى أبى بكر و ممّا يدلّ على أنّ جميع هذه الصّيفات لأبى بكر أنا بينا بالدليل أنّ هذه الايه لا بدّ و أن تكون فى أبى بكر، و متى كان الأمر كذلك كانت هذه الصّيفات لا بدّ و أن تكون لأبى بكر، و إذا ثبت هذا و جب القطع بصحّه امامته، إذ لو كانت باطله لما كانت هذه الصّيفات لائقه به.

فان قيل: لم لا- يجوز أن يقال: إنه كان موصوفا بهذه الصّيفات حال حياه الرّسول ثمّ بعد وفاته لما شرع فى الامامه زالت هذه الصّيفات و بطلت.

قلنا: هذا باطل قطعاً، لأنّه تعالى قال: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه، فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصّيفات حال اتيان الله بهم فى المستقبل، و ذلك يدلّ على شهاده الله بكونه موصوفا بهذه الصّيفات حال محاربه مع أهل الرّده، و ذلك هو حال امامته، فثبت بذلك الايه دلالة الايه على صحّه امامته.

أمّا قول الرّوافض لعنهم الله إنّ هذه الايه فى حقّ علىّ عليه السّلام بدليل أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يوم خبير: لا عطينّ الرّايه غدا رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، و كان ذلك هو علىّ عليه السّلام.

فنقول: هذا الخبر من باب الاحاد و عندهم لا يجوز التمسك به فى العمل فكيف يجوز التمسك به فى العلم.

و أيضاً إنّ اثبات هذه الصّفه لعلىّ عليه السّلام لا يوجب انتفاءها عن أبى بكر و بتقدير أن يدلّ على ذلك لكنّه لا يدلّ على انتفاء ذلك المجموع عن أبى بكر و من جمله تلك الصّيفات كونه كرّاراً غير فزار فلّمّا انتفى ذلك عن أبى بكر لم يحصل مجموع تلك الصّيفات له فكفى هذا فى العمل بدليل الخطاب، فأما انتفاء جميع تلك الصّيفات فلا دلالة فى اللفظ عليه فهو تعالى إنّما أثبت هذه الصّيفه المذكوره فى هذه الايه حال اشتغاله بمحاربه المرتدّين بعد ذلك، فهب أنّ تلك الصّفه ما كانت حاصله فى ذلك الوقت فلم يمنع ذلك من حصولها فى الرّمان المستقبل.

و لأنّ ما ذكرناه تمسك بظاهر القرآن و ما ذكره تمسك بالخبر المذكور

ولأنه معارض بالأخبار الداله على كون أبي بكر محبا لله ورسوله وكون الله محبا له وراضيا عنه، قال تعالى في حق أبي بكر: «وَلَسَوْفَ يَرْضَى» وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يتجلى للناس عامه ويتجلى لأبي بكر خاصه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما صبب الله شيئا في صدري إلا وصبه في صدر أبي بكر، وكل ذلك يدل على أنه كان يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وأما الوجه الثاني وهو قولهم: الايه التي بعد هذه الايه داله على امامه علي عليه السلام فوجب أن تكون هذه الايه نازله في علي. فجوابنا أنا لا نسلم دلالة الايه التي بعد هذه الايه على امامته، وسنذكر الكلام فيه، فهذا ما في هذا الموضوع من البحث والله أعلم، انتهى كلامه هبط مقامه.

ويتوجه عليه وجوه من الكلام وضروب من الملام:

الوجه الاول - أن نسبته كون المراد يقوم يحبهم ويحونه هو ابو بكر وأصحابه إلى علي عليه السلام بهت وافتراء، وإنما المروي عنه عليه السلام وعن حذيفه وعمار وابن عباس حسبما تعرفه أن المراد به هو عليه السلام وأصحابه.

الثاني - ما ذكره من الوجه الثاني من استدلال الاماميه بأن الايه الواقعه بعد هذه الايه عنى قوله: «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ»، في حق علي عليه السلام فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقه فاسد، لأن أصحابنا وإن قالوا بكون «إِنَّمَا وَثِيكُمُ اللَّهُ» في حقه لكنهم لم يستدلوا بذلك على كون هذه الايه أعنى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ»، فيه عليه السلام وإنما استدلوا على ذلك بالوجه الأول الذي حكاه عنهم وياتى توضيحه، وبما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله يوم البصره والله ما قوتل أهل الايه حتى اليوم وتلاها، وبما روى عن وجوه الصحابه مثل حذيفه وعمار وابن عباس من نزولها فيه عليه السلام كما قاله المرتضى في الشافى، ومثلهم الثعلبى قال في تفسير قوله: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ» الايه، هو علي بن أبي طالب.

الثالث - أن استدلاله على فساد مذهب الاماميه بقوله: و تقرير مذهبهم إلى قوله:

ولما لم يكن كذلك علمنا فساد مذهبهم، سخيف جدا، لأننا لا ننكر ارتداد أبي بكر

و من تبعه حسبما نشير اليه، و لكن نمنع دلالة الايه على أنّ كلّ من صار مرتدًا عن دين الاسلام، فإنّ الله يأتي بقوم يردهم إلى الاسلام و إفاده من للشرط و العموم لا يقتضى ذلك.

و ذلك لأنه سبحانه لم يقل من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يجاهدكم و يقهرهم و يردهم الى الدين الحق كما زعمه هذا الناصب، و إنما قال «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» آه.

و لا دلالة فيها على أنّ القوم المأتى بهم يجاهدون هؤلاء المرتدّين بل ظاهر معنى الايه و مساقها مع قطع النظر عن الأخبار أنّ من يرتد منكم عن دينه فلن يضرّ دينه شيئاً و لا- يوجب ارتداده ضعفه و وهنه لأنّه سبحانه سوف يأتي بقوم لهم هذه الصّيفات ينصرونه على أبلغ الوجوه، و بهم يحصل كمال قوّته و شوكته.

فيكون مساق هذه الايه مساق قوله تعالى «و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

و قد روى ابن شهر آشوب من طريق العامّة باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الايه يعنى بالشاكرين علىّ بن أبى طالب و بالمرتدّين على أعقابكم هم الذين ارتدّوا عنه عليه السّلام.

فقد علم بما ذكرنا أنّ الايه لا تقتضى أنّ كلّ من ارتدّ لا بدّ و أن يأتي الله بمن يرده عن ارتداده إلى دين الاسلام كما توهمه الرّازى، كيف؟ و لو كان مفهومها ذلك لوجب أن لا يوجد مرتدّ إلاّ و له قاهر يقهره و رادّ يرده إلى دين الاسلام، و المعلوم المشاهد بالتجربه و الوجدان عدمه، فإنّ العالم ملاء من المرتدّين و ليس لهم دافع و لا رادع.

و قد اعترف الرّازى بخبطه من حيث لا- يشعر، فإنّه نقل قبل ما حكينا عنه من كلامه فى جملة كلام نقله عن صاحب الكشّاف و ارتضاه أنّ من جملة المرتدّين غسان قوم جبله بن الايهم على عهد عمر، و ذلك أنّ

جبله أسلم على يد عمر و كان ذات يوم جازاً رداءه فوطئ رجل طرف رداءه فغضب فطمه، فتظلم الرجل إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلا أن يعفو عنه فقال:

أنا اشتريها(1) بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد فى الفداء إلى أن بلغ عشره آلاف، فأبى الرجل إلا القصاص، فاستنظر عمر فأنظره فهرب إلى الروم و ارتد، انتهى.

فأقول للرازي: إن هؤلاء كانوا مرتدين بعد إسلامهم فلم لم يأتى الله بقوم يقهرونهم و يردونهم إلى الاسلام على ما زعمت، فعلم فساد ما قاله فى معنى الايه.

الرابع - قوله: إن هذه الايه مختصه بمحاربه المرتدين و أبو بكر هو الذى تولّى محاربتهم، قد علمت عدم دلالة الايه على محاربتهم فضلا عن اختصاصها بها.

و على التنزل و تسليم الدلالة و الاختصاص فمنع اختصاص أبى بكر بمحاربتهم لأن من جملة المرتدين الناكثين و القاسطين و المارقين و قد حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام.

و من جملتهم بنو مدلج و رئيسهم ذو الحمار و هو الأسود العنسى و كان كاهنا ادّعا النبوه فى اليمن و استولى على بلادها و أخرج عمال رسول الله منها فكتب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى معاذ بن جبل و سادات اليمن فأهلكه الله على يد فيروز الديلمي فقتله و اخبر رسول الله بقتله ليله قتل، فسّر المسلمون و قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الغد، و أتى خبره فى آخر شهر ربيع الأول روى ذلك فى الكشاف و حكاه عنه الرازي أيضا.

و إذا لم يكن المحاربه مختصه بأبى بكر فلم لا يجوز أن يكون المقصود بالايه هؤلاء المحاربون بالمرتدين لا أبو بكر و أصحابه.

الخامس - قوله: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يتفق له محاربه المرتدين قد علمت بطلانه.

فان قلت: إنه صلى الله عليه و آله و سلم لم يتول بنفسه جهاد بنى مدلج، و إنما أنفذ إليهم سرّيه قلت: أبو بكر أيضا لم يتول بنفسه.

السادس - قوله: و لأنه تعالى قال: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ»، و هذا للاستقبال لا للحال

ص: ٥٣

فوجب أن يكون هذا القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فيه أنه مسلم و لكنّه لا ينافي كون المراد بالمرتدين بنو مدلج أو قوم مسيلمه فإنّ محاربه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لهم كان بعد مضيّ نزول الخطاب و في آخر عمره الشريف، أمّا بنو مدلج فقد عرفت، و أمّا مسيلمه فقد ادّعى التّبوه فأنفذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لقتله جماعه من المسلمين و أمرهم أن يفتكوا به إن أمكنهم غيله، و استقرّ عليه قبائل من العرب و قتل على يدي وحشى قاتل حمزه بعد موت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم.

السابع - قوله: إنّ القوم الذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردّه ما كانوا موجودين في الحال.

فيه أولاً أنّه رجم بالغيب فمن أين له إثبات عدم وجودهم، بل بين الفساد لأنّ المرتدين هم الذين كانوا في زمن الرّسول صَلَّى الله عليه و آله و سلّم مثل خالد بن الوليد و أبو قتاده الأنصاري و نظرائهم و جلّهم كان جيش اسامه كما يظهر من كتب السّير. و ثانياً بعد التّنزّل أنّ عدم وجودهم لا ينفع بحال أبي بكر على ما زعم مع كونه موجوداً بل يدخل المقاتلون معه في عموم الايه لعدم كونهم موجودين و يخرج هو بنفسه عنه لكونه موجوداً، فافهم جيّداً.

الثامن - قوله: إنّ معنى الايه إنّ الله قال: فسوف يأتي الله بقوم قادرين متمكّنين من هذا الحرب «إلى قوله» و الأمر و النهي.

فيه إذا كان البناء في معنى الايه على ذلك فلنا أن نقول: إنّ أمير المؤمنين أيضاً كان موجوداً في ذلك الوقت و في زمان أبي بكر لكنّه لم يكن متمكّناً من الحرب و الأمر و النهي إلى أن استقلّ بالأمر، فقاتل المرتدين من النّاكثين و القاسطين و المارقين، غايه الأمر إنّ عدم استقلال أبي بكر بوجود الرئيس الحقّ و هو رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و عدم استقلال أمير المؤمنين عليه السّلام بوجود رئيس الباطل أعنى الغاصبين للخلافه مع عدم معاون التاسع - قوله: ثبت أنّه لا- يمكن أن يكون المراد هو الرّسول صَلَّى الله عليه و آله و سلّم قد علمت فساده و امكان إرادته.



العاشر - قوله: اسم المرتد إنما يتناول من كان تاركاً للشرايع الإسلاميه اه.

فيه أنه إن أراد به تركه لجميعها فيتعرض عليه بأن مانعي الزكاه لم يكونوا تاركين للجميع و إنما منعوا الزكاه فحسب فكيف حكمتهم بارتدادهم، و يدل على ما ذكرنا من عدم تركهم للجميع، مضافاً إلى ما يأتي قول قاضي القضاة في المغني حيث قال: فان قال قائل فقد كان مالك يصلي، قيل له: و كذلك ساير أهل الردة و الكفر و إنما كفروا بالامتناع من الزكاه و اعتقاد إسقاط وجوبها دون غيره.

و إن أراد به تناول الاسم و لو بترك بعضها فنقول: إن المحاربين لأمر المؤمنين عليه السلام قد كانوا تاركين للبعض، حيث أنهم قد كانوا يستحلون قتاله و قتله و قتل ساير المؤمنين التابعين له عليه السلام فضلاً عن إنكارهم النص الجلي و نقضهم لبيعته.

و استحلال قتل المؤمنين و سفك دمائهم فضلاً عن أكابرههم و أفاضلهم أشد من استحلال الخمر و شربه قطعاً، فيكونوا كفاراً مرتدين.

مع أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له عليه السلام بلا خلاف بين أهل النقل: يا علي حربك حربي و سلمك سلمى، و نحن نعلم أن المقصود به ليس إلا التشبيه في الأحكام، و من أحكام محاربي النبي الكفر و الارتداد بالانفاق.

و ملخص الكلام و محصل المرام أن الردة التي نقولها في حق محاربي علي عليه السلام هي بعينها مثل الردة التي نقولونها في حق مانعي الزكاه حرفاً بحرف.

قال شارح صحيح مسلم في المنهاج في كتاب الايمان كلاماً استحسنته من الخطابي ما هذا لفظه قال بعد تقسيم أهل الردة إلى ثلاثة أقسام:

فأما مانعوا زكاه منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغى و لم يسموا على الانفراد منهم كفاراً و إن كانت الردة قد اضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعه من حقوق الدين، و ذلك أن اسم الردة اسم لغوي و كل من انصرف عن أمر كان مقبلاً عليه فقد ارتد عنه، و قد وجد من هؤلاء القوم الانصراف و منع الحق و انقطع عنهم اسم الثناء و المدح بالدين و علق بهم اسم القبيح لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقاً، انتهى.

و هذا الكلام كما ترى صريح في أنّ مانعي الزكاه كانوا مقيمين على أصل الدين لكنّه اطلق عليهم اسم المرتد لترك بعض حقوق الدين الواجبه، هذا.

و أما استبعاد الشّارح المعتزلى لارتدادهم أعنى الناكثين و القاسطين و المارقين بأنهم لا يطلق عليهم لفظ الردّه.

أما اللفظ فبالإتفاق منّا و من الاماميّه و ان سمّوهم كفارا.

و أما المعنى فلأنّ في مذهبهم أنّ من ارتدّ و كان قد ولد على فطره الاسلام بانّت امرأته منه و قسم ماله بين ورثته و كان على زوجته عدّه المتوفى عنها زوجها، و معلوم أنّ أكثر المحاربين لأمير المؤمنين قد ولدوا في الاسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام.

ففيه منع أنّ الاماميّه لا يطلقون عليهم اسم المرتدّ و من أخبارهم المشهوره:

ارتدّ الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله إلاّ ثلاثه أو أربعة.

و أما ما حكاه عنهم من أنّ مذهبهم أنّ من ارتدّ و كان قد ولد على الفطره اه، فهو حقّ لكن نجيب عنه بأنّ أحكام الكفار كما أنّها مختلفه و إن كان شملهم اسم الكفر، فإنّ منهم من يقتل و لا يستبقى، و منهم من يؤخذ منهم الجزيه و لا يقتل إلاّ بسبب طار غير الكفر، و منهم من لا يجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين، فكذلك من الجائز اختلاف أحكام الارتداد و يرجع في أنّ حكمهم مخالف لأحكام ساير الكفار و المرتدّين إلى فعله عليه السّلام و سيرته فيهم.

و لذلك قال الشافعي: أخذ المسلمون السيره في قتال المشركين من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أخذوا السيره في قتال البغاه من عليّ عليه السّلام.

و بالجمله فلو لم يكن الباغون عليه عليه السّلام كفارا مرتدّين لما حاربهم أمير المؤمنين و لا استحلّ سفك دمايهم و لم يكن مأمورا من الله تعالى و من رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم بقتالهم على ما صرّح به في أوّل هذا الفصل من كلامه بقوله: و قد أمرني الله بقتال أهل البغي اه.

إذ المسلم لا يجوز سفك دمه و استحلال قتله فلما حاربهم أمير المؤمنين عليه السّلام ثبت

بذلك كفرهم و ارتدادهم.

و لَمَّا لم يسر فيهم بسيره ساير الكفار من سيهم و سبى ذراريهم و غنيمه أموالهم و أتباع مواليهم و إجهاز جريحهم، و لم يسر فيهم بسيره ساير المرتدّين من إبانة امرأتهم و تقسيم أموالهم و غيرها من الأحكام، علمنا بذلك اختلاف أحكامهم مع أحكام ساير الكفار و المرتدّين، فإنّ فعل الامام و سيرته كقوله حجّه متّبعه مثل الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و ان شئت مزيد تحقيق لهذا المقام.

فأقول: إنّ ارتداد المنحرفين عنه عليه السّلام كائنا من كان من الغاصبين للخلافه أو الباغين عليه عليه السّلام و اطلاق اسم المرتدّ عليه قد ورد في الرّوايات العامّيه كوروده في أخبار الخاصّه.

ففي غايه المرام عن الثعلبي قال: أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن الحسن حدّثنا محمّد بن شبيب حدّثنا أبي عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيّب عن أبي هريره أنّه كان يحدث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال:

إنّك لا علم لك بما أحدثوا أنّهم ارتدّوا على أديبارهم القهقري.

و فيه من صحيح البخارى فى الجزء الخامس على حدّ ثلثه الأخير فى تفسير قوله «و كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ» قال:

حدّثنا شعبه قال أخبرنا المغيرة بن النعمان قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس «رض» خطب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يا أيها النّاس إنّكم محشورون إلى الله حفاه عزلا، ثمّ قال: كما بدّنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا إنا كنّا فاعلين «إلى آخر الايه» ثمّ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم ألا و إنّ أوّل الخلاق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السّلام ألا و انه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلمّا توفيتنى كنت أنت الرّقيب عليهم و أنت على كلّ شىء شهيد، فقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ص: ٥٧

و رواه فيه من صحيح مسلم فى الجزء الثالث من أجزاء ثلاثه من ثلثه الأخير بسنده عن ابن عباس نحوه.

و فيه من البخارى من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريره كان يحدث عن بعض أصحاب النبى قال: يرد على الحوض رجال من امتى فيجلون عنه فأقول يا رب أصحابى، فيقال: إنك لا- علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى.

فان قلت: غايه ما يستفاد من هذه الروايات أن جماعه من امته صلى الله عليه وآله وسلم ارتدوا بعده، و لا دلالة على أنهم مبغضو أمير المؤمنين عليه السلام و المخالفون له.

قلت: الجواب أولا أنه قد ورد فى النبوى المتفق عليه بالنقل البالغ حد الاستفاضه: على مع الحق و الحق مع على يدور معه، و من جملة طرقه الزمخشري فى ربيع الأبرار قال:

استأذن أبو ثابت مولا على عليه السلام على أم سلمه رضى الله عنها فقالت: مرحبا بك يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: تبع على، فقالت:

و الذى نفسى بيده سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: على مع الحق و القرآن و القرآن مع على و لن يفترقا حتى يردا على الحوض و من المعلوم أنه عليه السلام إذا كان معهما و كانا معه مصاحبين حتى يردا على الحوض يكون مخالفوه المنحرفون عنه مخالفين للحق و القرآن، مفترقين عنهما البتة و ليس معنى الارتداد إلا- ذلك فيكون المرتدون المجلون عن الحوض هم هؤلاء.

و بمعناه ما رواه إبراهيم بن محمد الحموينى مسندا عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمه و الأسود قال:

أتينا أبا أيوب الأنصارى و قلنا له: يا أبا أيوب إن الله تعالى أكرمك بنبيه حيث كان ضيفا لك فضيله من الله فضلك بها أخبرنا بمخرجك مع على عليه السلام تقاتل أهل لا إله إلا الله، قال: اقسم لكما بالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذا البيت الذى أنتما فيه معى، و ما فى البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله و على جالس عن يمينه و أنا جالس عن

يساره و أنس قائم بين يديه، إذ حرّك الباب فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: افتح لعمار الطيّب المطيّب، ففتح النَّاس الباب و دخل عمار فسَلَّم على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فرحّب به ثمّ قال لعمار: إنه سيكون في أمتي بعدى هنا حتى يختلف السيف فيما بينهم و حتى يقتل بعضهم بعضا، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني يعنى عليّ بن أبي طالب، فاذا سلك الناس كلهم واديا و سلك عليّ و اديا فاسلك و ادى عليّ و خلّ عن النَّاس، يا عمار إنّ عليّا لا يردّك عن هدى و لا يدلك على ردى، يا عمار طاعه عليّ طاعتي و طاعتي طاعه الله عزّ و جلّ.

و دلالتة على المدعى غير خفيه.

و ثانيا انه قد وقع التصريح منه صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأنّ المرتدّين المطرودين عن الحوض مبغضوه عليه السّلام في ما رواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم بسنده عن إبراهيم ابن عبد الله بن العلاء- عن أبيه عن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال:

قال النبي صَلَّى الله عليه و آله يوم فتح خيبر: لو لا- أن يقول فيك طوايف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا- بحيث لا- تمرّ على ملاء من المسلمين إلّا- أخذوا من تراب رجلك و فضل طهورك، يستشفعون به و لكن حسبك أن تكون منّي و أنا منك ترثني و أرثك و أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى يا عليّ أنت تؤدّي ديني و تقاتل على سنّتي و أنت في الاخره أقرب النَّاس منّي و إنّك يا عليّ غدا على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين، و أنت أوّل من يرد على الحوض و أنت أوّل داخل في الجنّه من أمتي، و إنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويين مبيّضه و جوههم حولي أشفع لهم فيكونون في الجنّه غدا جيرانى، و إنّ أعداءك غدا ظماء مظمّين مسوّده و جوههم يتفحمون مقمعون يضربون بالمقامع و هى سياط من نار مقتحمين، حربك حربى و سلمك سلمى و سرّك سرّى و علانيتك علانيتى و سريره صدرك كسريره صدرى و أنت باب علمى و أنّ ولدك و لدى و لحمك لحمى و دمك دمى، و أنّ الحقّ معك و الحقّ على لسانك و فى قلبك و بين عينيك، و الايمان

خالط لحمك و دمك كما خالط لحمي و دمي، و انّ الله عزّ و جلّ أمرني أن أبشرك أنّك أنت و عترتك في الجنّة، و عدوك في النار لا يرد على الحوض مبغض لك، و لا يغيب عنه محبّ لك.

قال عليّ عليه السّلام فخررت ساجدا لله تعالى و حمدته على ما أنعم به عليّ من الاسلام و القرآن و حبّني إلى خاتم النّبیین و سيّد المرسلين.

و قد أوردت هذه الرّوايه بطولها لتضمّنها وجوها من الدّلاله على المدّعى كما لا يخفى على المنصف المجانب عن العصبية و الهوى فقد علم بذلك كلّه أنّ المحاربين له عليه السّلام كالمنتحلين للخلافه مرتدّون على لسان الله و النّبىّ و الوصىّ و منكر ارتدادهم منكر للنّص الجليّ.

الحاد يعشر - قوله: لو كان كلّ من نازعه في الامامه مرتدّا اه فيه إنّ ارتدادهم مسلّم حسبما عرفت و لكن وجوب إتيان الله بقوم يقهرونهم بحكم الايه غير لانزم، لما عرفت أيضا من عدم اقتضاء الايه ذلك لأنه سبحانه قال «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ» و لم يقل يقهرونهم و يردّونهم إلى الدّين الصّحيح.

لا يقال: لو كان أبو بكر و قومه مرتدّين لحاربهم أمير المؤمنين عليه السلام كما حارب النّاكثين و القاسطين و المارقين.

لأنّنا نقول: نعم و لكن تركه لمحاربتهم لأنّه لم يجد عوناً له على الحرب كما أشار عليه السّلام إلى ذلك في الخطبه الثالثه بقوله: و طفقت أرتأى بين أن أصول بيد جدّاء أو أصبر على طخيه عمياء فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجى، و في الفصل الثاني من الخطبه السادسة و العشرين: فنظرت فاذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت و أغضيت على القذى و شربت على الشّجى و صبرت على أخذ الكظم و على أمرّ من طعم العلقم.

و ممّا رواه عنه نصر بن مزاحم و كثير من أرباب السّير أنّه قال عقيب و فاه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لو وجدت أربعين ذوى عزم

و قد سأل الزماني عن الرضا عليه السلام قال: فقلته يا ابن رسول الله أخبرني عن عليّ بن أبي طالب لم لم يجاهد أعداءه خمسا و عشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ثم جاهد في أيام ولايته؟ فقال: لأنه اقتدى برسول الله في تركه جهاد المشركين بمكّه ثلاثه عشر سنة بعد النبوه و بالمدينه تسعه عشر شهرا، و ذلك لقله أعوانه عليهم.

فلما لم تبطل نبوه رسول الله صلى الله عليه و آله مع تركه الجهاد لم تبطل ولايه عليّ عليه السّلام بتركه الجهاد خمسا و عشرين سنة إذ كانت العله المانعه لهما عن الجهاد واحده.

الثاني عشر - قوله: و معلوم أنّ حمل الايه على الرئيس المطاع أولى.

فيه منع الأولويه أولا و منع اقتضاء الأولويه على فرض تسليمه للاختصاص ثانيا.

الثالث عشر - قوله: و لكن محاربه أبي بكر مع المرتدين كانت أعلى حالا «إلى قوله» و جب أن يكون هو المراد بالايه.

فيه أولا- إنّ محاربه أبي بكر كانت عقيب وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كان الأنصار و المهاجرون و ساير المسلمين رغباتهم متوافره و أيديهم متناصره و آرائهم متفقّه و أبدانهم مجتمعّه و أهوائهم متّحده و كلمتهم واحده في حمايه الدين و في ذبّ الكفار عن شرع سيّد المرسلين، و كان المرتدون شرذمه قليلين، فحارب أبو بكر هؤلاء الجماعه الكثيره المتفقّه ذوى الحميه و العصبيه هذه الشرذمه القليله مع ما بين الطرفين من عداوه الدين و تضادّ المذهب على رأى المجاهدين المقتضى للجدّ و الثبات فى الحرب و أما حرب أمير المؤمنين عليه السّلام فقد كان بعد السنين المتطاوله و تعود الناس على محدثات المتخلفين الثلاثه و بدعاتهم مع كون سيرته عليه السّلام فيهم بخلاف سيره الشيخين الموجب لتقاعدهم عنه و مخالفتهم له، و كون هوى أكثرهم فى الباطن خلاف هوى أمير المؤمنين عليه السّلام و رأيهم مخالفا لرأيه.

بل كان أكثرهم فى شكّ و تردّد من جواز قتال حرم رسول الله عايشه و جهاد قوم هم من أهل القبله على ظاهر الاسلام و قوم لهم ثغفات فى مساجدهم كثغفات البعير أجهد منهم عبادّه و أكمل قراءه.

فقاتل بهؤلاء الجماعه المختلفه الأهواء و المشتته الاراء الضعفاء الاعتقاد المرتدين على كثرتهم بمقتضى تصلبه فى الدين من دون أن يأخذه لومه لائم غير هائب و لا محتشم.

فحارب مع من حالهم ذلك بالناكثين و قد بلغوا تسعه آلاف و بالقاسطين و قد كانوا زهاء مأتى ألف، و بالمارقين و كانوا اثنى عشر ألفا فى أول أمرهم و أربعة آلاف فى آخره فانظر ما ذا ترى.

هل كان محاربه عليه السلام و الحال بما وصفت أولى و أحقّ بالتعظيم و أن تقصد بالايه الشريفه أم محاربه أبى بكر؟! و ثانيا إن محاربه أبى بكر لم تكن إلا بمحض الأمر و النهى و انهاض الجيش و السرايا، و قد كان جالسا فى كسر بيته و حوله المهاجر و الأنصار فى أمن و راحه و طيب عيش و دعه على مصداق قوله:

ألا طعان ألا فرسان عاديه ألا تجشواكم حول التناير

و أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان شاهرا سيفه واضعا له على عاتقه فى حروب يضطرب لها فؤاد الجليلد، و يشيب لهو لها فود الوليد، و يذوب لتسعر بأسها زبر الحديد، و يجب منها قلب البطل الصديد.

فتولى عليه السلام الحرب بنفسه النفيسه فخاض غمارها و اصطفى نارها، و دوّخ أعوانها و أنصارها و أجرى بالدماء أنهارها، و حكم فى مهج الناكثين و القاسطين و المارقين فجعل بوارها، فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر، و الشجعان تلوذ بالهزيمة إذا زأر عالمه أنه ما صافحت صفحه سيفه مهجه إلا فارقت جسدها، و لا كافح كتيبه إلا افترس ثعلب رمحه أسدها.

و هذا حكم ثبت له بطريق الاجمال و حال أتصف به بعموم الاستدلال.

و أما تفصيله فليطلب من مظانه من الكتاب، فانه لا يخفى على ذوى البصائر و أولى الألباب.

فانشدك بالله هل مجاهده ذلك أجدر و أحرى بالمجمده و الثناء؟ أم محاربه



هذا؟! (1) جزی اللہ خیر الجزاء من تجنّب العصبیّہ و الهوی الرابع عشر - قوله: فلما ثبت أنّ المراد بهذه الایہ أبو بکر ثبت أنّ قوله:

یحبّهم و یحبّونه وصف له.

فیه أنّ الاستدلال علی اتّصاف أبی بکر بهذا الوصف و ما يتلوہ من الأوصاف بسبب اختصاص الایہ به أشبه شیء بالأكل من القفاء، إذ المناسب لرسم المناظره أن یقیم الدلیل أولا علی اتّصاف أبی بکر بهذه الأوصاف ثمّ یستدلّ بذلك علی أنّ الایہ فی حقّه لا بالعکس.

مع أنّک قد علمت عدم دلالة الایہ علی خلافته فضلا عن الاختصاص فلم یثبت اتّصافه بها بما زعمه من الدلیل، بل قد علمت بما ذکرناه و نذکره نزولها فی أمير المؤمنین علیہ السلام و أنه المتّصف بهذه الأوصاف لا غیر.

الخامس عشر - قوله: و من وصفه اللہ بذلك یمنع أن یكون ظالما.

هذا مسلم لكن ظلمه محقق فاتّصافه به ممتنع فمبطلیته فی الامامه محققه لا غبار علیها.

أما تحقّق ظلمه فلا أنّ أعظم الظلم الشرك باللّٰه و عباده الأوثان كما قال عزّ من قائل «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» و أبو بکر قد كان مشرکا مدّه مدیده و زما طویلا من عمره فیکون ظالما البتہ، و من كان كذلك لا یستحقّ الإمامه بمقتضى قوله سبحانه: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

روی أبو الحسن الفقیه ابن المغزلی الشافعی مسندا - حذفت الاسناد للاختصار - عن مینا مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد اللّٰه بن مسعود قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه علیه و آله أنا دعوه أبی إبراهیم، قلت: یا رسول اللّٰه و کیف صرت دعوه أبیک إبراهیم؟ قال:

أوحى اللّٰه عزّ و جلّ إلیه إنّی جاعلك للناس إماما، فاستخفّ إبراهیم الفرّح قال علیه السّلام و من ذرّیتی أئمّه مثلی، فأوحى اللّٰه عزّ و جلّ إلیه أن یا إبراهیم إنّی لا اعطیک عهدا لا أفی لك به، قال: یا ربّ ما العهد الذی لا تفی لی به؟ قال: اعطیک عهدا لظالم من

ص: ۶۳

ذريتك قال إبراهيم عندها: «وَاجْتَنِبِي وَبَيْنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ»، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فانتَهت إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدا لصنم قط فاتخذني نبيا واتخذ عليا وصيا.

وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»: اعلمه أنّ فى ذريته الظالم قال وقال السدى عهدي نبوتى يعنى لا ينال ما عهدت إليك من النبوه و الامامه فى الدين من كان ظالما فى ولدك.

قال وقال الفراء: لا يكون للناس إمام مشرك.

وقد ظهر بذلك كون المشرك ظالما غير مستحق للامامه و لا كلام فى شرك أبى بكر فى أول أمره فظلمه فى بدايه حاله ثابت، و أما ظلمه بعد إسلامه فكذلك، لأنه لم يكن معصوما بالاتفاق حتى يكون له قوه العصمه المانع من الظلم على نفسه و على غيره، و قد قال على المنبر: إنّ لى شيطانا يعتربنى فاذا ملت فسدّ دونى، فمن كان محتاجا إلى تسديد الغير عند الميل و الانحراف عن الرّشاد كيف يكون مسددا لغيره على ما هى وظيفه الامامه.

و من ظلمه العظيم غصبه للخلافه و حكمه باخراج أمير المؤمنين عليه السّلام من بيته ملتبا للبيعه و انتزاع الفدك من يد الصديقه الطاهره حسبما عرفت و تعرف فى تضاعيف الشرح ذلك كلّ بالأدله القاطعه و البراهين الساطعه.

و من عظيم ظلمه الذى صار عليه من أعظم المطاعن مضافا إلى مطاعنه الأخر محاربه مانعى الزكاه مع عدم كونهم مرتدّين و تركه إقامه الحدّ و القود على خالد بن الوليد و قد قتل مالك بن نويره و ضاجع المرأه من ليلته و أشار إليه عمر بقتله و عزله، فقال: أنّه سيف من سيوف الله سلّه الله على أعدائه و قال عمر مخاطبا لخالد:

لان وليت الأمر لأقيدنك له.

وقد روى تفصيل ذلك أرباب السير و رواه أصحابنا فى جملة مطاعن أبى بكر

و لا حاجة بنا فى هذا المقام إلى ذكر التفصيل و إنما نورد ما له مزيد مدخل فى إثبات المدعى فأقول:

روى الطبرى فى تاريخه و رواه غيره أيضا فى جملة ما رواه من تلك القضية أنّ من جملة السّريه المبعوثه إلى بنى يربوع قوم مالك بن نويرة أبا قتاده الحارث ابن ربعى فكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا و أقاموا و صلّوا، فحدث أبو قتاده الأنصارى خالد بن الوليد بأنّ القوم ماذوا بالاسلام و أنّ لهم أمانا، فلم يلتفت خالد إلى قوله و أمر بقتلهم و قسم سبيهم، فحلف أبو قتاده أن لا يسير تحت لواء خالد فى جيش أبدا، و ركب فرسه شادّا إلى أبى بكر و أخبره بالقصّه و قال: إننى نهيت خالدًا عن قتله فلم يقبل قولى و أخذ بشهاده الأعراب اللّذين غرضهم الغنائم، و أنّ عمر لّمّا سمع ذلك تكلم فيه عند أبى بكر فأكثر، و قال: إنّ القصاص قد وجب عليه، و لما أقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسجد و عليه قباء له عليه صداء الحديد معتجرا بعمامه له قد غرز فى عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فترع الأسهم عن رأسه فحطمها ثمّ قال: يا عدوّ نفسه عدوت على امرء مسلم فقتلته ثمّ نزوت على امرأته و اللّله لنرجمنك بأحجارك، و خالد لا يكلمه و لا يظنّ إلاّ أنّ رأى أبى بكر مثل ما رأى عمر فيه، حتّى دخل إلى أبى بكر و اعتذر إليه فعذّره و تجاوز عنه.

و قد رواه الشّارح المعتزلى أيضا فى الشّرح و فى غير ذلك المقام و قال عقيب ذلك:

فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد و يشير عليه أن يقتصّ منه بدل مالك، فقال أبو بكر إياها يا عمر ما هو بأول من أخطأ فأرفع لسانك عنهم، ثمّ ودى ذلك من بيت مال المسلمين، انتهى.

فقد علم بذلك أنّ أبا بكر كان ظالما فكيف يكون محبوبا لله سبحانه و محبّا له.

ثمّ لا يخفى عليك إنّ الله وصف القوم المأتى بهم بالمحبّه و لم يخصّ المحبّه بالرئيس فقط و من جملة المحاربين للمرتدّين على زعمهم خالد بن الوليد الذى

عرفت حاله من هتكه لناموس الاسلام و تضييعه لشرع سيّد الأنام أفترى من نفسك أن تحكم بأنه محبوب الله و محبّه؟! حاشا ثم حاشا.

السادس عشر - قوله: أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين، صفة لأبى بكر للدليل الذى قدّمناه.

فيه أولاً أنك قد عرفت عدم تماميه الدليل و عدم اختصاص الايه بأبى بكر، و الخبر الذى رواه من قوله: أرحم أمتى بامتى أبو بكر. مما تفرد العامه بروايته لا يكون حججه علينا.

و ثانياً أن قوله: ألا ترى أنّ فى أوّل الأمر كيف كان يذبّ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيه أنه لم يسمع إلى الان ذبّ منه عنه صلّى الله عليه و آله و لم يكن له نسب معروف، و لا حسب مشهور، و لا فضل مأثور، و لا صيت مذكور، و لم يكن يومئذ ممّن يعتنى بشأنه و يعبأ به فى عداد الرجال حتّى يذبّ عن رسول الله، أ لم يكن يومئذ مثل شيخ بطحاء أبى طالب و أسد الله حمزه و ذى الجناحين جعفر و أسد الله الغالب أمير المؤمنين و ساير فتيه بنى هاشم و أنجاد بنى عبد مناف محدقين حوله صلّى الله عليه و آله و سلّم حامين له ذابّين عنه حتّى يكون الذّاب عنه مثل أخى تيم الجلف الجافى الرّذل، و لو كان له تلك المقام و المنزله لم يعزله رسول الله صلّى الله عليه و آله عن إبلاغ سوره برائه.

و ثالثاً قوله: و فى آخر الأمر أصرّ على المحاربه مع مانعى الرّكاه.

فيه أنك قد علمت أنّ مانعى الرّكاه لم يكونوا من المرتدّين بل كانوا مسلمين و لذلك صار محاربتهم معهم من أعظم المطاعن عليه فاستحقّ بذلك عقاباً و نكالا، و صار له وزرا و وبالاً.

و رابعاً قوله حتى جاء أكابر الصحابه و تضرّعوا إليه و منعه من الدّهاب النّكه فى منعهم منه على تقدير صحّته أنّهم قد كانوا عارفين بجبنه، عالمين بضعف قلبه، مجرّبين له فى المعارك و المهالك، و أنّه و صاحبه عمر عند منازل الشجعان و مبارزه الأقران كان شيمتهما الفرار، و سجيّتهما عدم الحمايه للذّمار، و قد فرّأ يوم خيبر و احد و الأحزاب و غزوه ذات السلسله و غيرها على أقبح الوجوه كما أثبتته

أرباب السِّير، و على لسان الشعراء و المورِّخين شاع و اشتهر قال الشَّارح المعتزلى فى اقتصاص غزوه خيبر يقصُّ فرارهما فى قصايد السَّبْع العلويّات:

و ما أنس لا أنس اللّذين تقدّما و فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للرايه العظمى و قد ذهبها بها ملابس ذلّ فوقها و جلايب

يشلّهما من آل موسى شمر دل طويل نجاد السِّيف أجيد يعبوب

يمجّ منونا سيفه و سنانه و يلهب نارا غمده و الأنايب

احضرهما أم حضرا خرج خاضب اذان هما ام ناعم الخدّ مخضوب

عذرتكما أنّ الحمام لمبغض و أنّ بقاء النفس للنفس مطلوب (1)

فكان تضرّع الصحابه له فى الرّجوع و الاياب مخافه أن يذهب فيهرب بمجرى عادته و مجرب شيمته، فيبطل بالمزّه دين الاسلام و يضمحلّ شرع سيّد الأنام فتضرّعوا إليه بلسان المقال، و قالوا له بلسان الحال:

دع المكارم لا ترحل لبغيّتها و اقعّد فانك أنت الطاعم الكاسى

و يشهد بما ذكرنا أنه لو كان عرف فى نفسه البأس و النجده لأصرّ على المضىّ و لم يصغ إلى تضرّعهم، و كان مثل أمير المؤمنين عليه السّلام لما عزم على المسير إلى البصره تضرّع إليه ابنه الحسن بأن لا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصد لهما القتال و بكى و قال أسألك أن لا تقدم العراق و لا تقتل بمضيّعه.

ص: ٦٧

١- (١) - الحوب الاثم و الرايه العظمى رايه رسول الله «صلّى الله عليه و آله» و الجلايب جمع الجلاب و هو الملحفه و يشلّهما اى يطردهما، و آل موسى هنا قومه أى اليهود، و الشمر دل الابل القوى السير و أراد به مرحب و الأجد طويل الجيد و هو العنق و اليعبوب الفرس الكثير الجرى و المَجّ القذف و المنون الموت. و الحضر العدو و الاخرج ذكر النعام و الخاضب الذى اكل الربيع فاحمر طنبويه و ناعم الخدّ مخضوب كناية عن المرأة، يقول: اعدوا هذين الرّجلين حين طردهما مرحب انه عدو نعامه قوى منفروهما رجلاان ام امرأتان ناعمتا الخدّ بأيديهما خضاب و هذا تهكّم و استهزاء (منه)

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: و الله لا أكون كالضّيع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها، و لكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه، و بالسّامع المطيع العاصى المريب أبدا حتى اتى على يومى، على ما عرفت تفصيله فى شرح سادس المختار فى باب الخطب.

و لعمري إنّ هذه المنقبه الشريفه أعنى العزّه على الكافرين هو حظّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا- غير، و استمع ما قاله الأديب النحرير الشاعر الماهر و الاستاد الفاضل.

بدر له شاهد و الشعب من احد و الخندقان و يوم الفتح إن علموا

و خير و حين يشهدان له و فى قريظه يوم صيل قتم

مواطن قد علت فى كلّ نائبه على الصحابه لم اكنتم و إن كنتموا

و أما كونه عليه السّلام ذليلا على المؤمنين فلما عرفت فى تضاعيف الشرح و تعرفه أيضا من مكارم أخلاقه و محامد خصاله التى أقرّ بها المخالف كالمؤلف، و نقله المنحرف كالمعترف، و اعترف بها الخاصّه و العامّه و تصدقها المحبّ و المبغض

له شرف فوق النجوم محلّها قرّ به حتّى لسان حسوده

حدّث الزّبير بن بكار عن رجاله قال دخل محفن بن أبى محفن الضّبى على معاويه فقال:

يا أمير المؤمنين جئتك من عند الأمّ العرب «و أبخل العرب ظ» و أعيبى العرب و أجبن العرب قال: و من هو يا أخا بنى تميم؟ قال: عليّ بن أبى طالب، قال معاويه: اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العراقى، فابتدروه أيّهم ينزله عليه و يكرمه، فلمّا تصدّع النّياس عنه قال له: كيف قلت؟ فأعاد عليه، فقال له: ويحك يا جاهل كيف يكون الأمّ العرب و أبوه أبو طالب و جدّه عبد المطلب و امرأته فاطمه بنت رسول الله، و أنّى يكون أبخل العرب فو الله لو كان له بيتان بيت تبن و بيت تبر لأنفذ تبره قبل تبته و أنّى يكون أجبن العرب فو الله ما التقت فتتان قطّ إلّا كان فارسهم غير مدافع، و أنّى يكون أعيبى العرب فو الله ما سنّ البلاغه لقريش غيره، فو الله لو لا ما تعلم لضربت الذى فيه عيناك فأياك عليك لعنه الله و العود إلى مثل هذا.

فقد أقرّ بفضل العنود الحسود، و قيام الحجّه بشهاده الخصم أو كد و إن

تعددت الشهود.

و مليحه شهدت لها ضرّاتها و الفضل ما شهدت به الأعداء

السابع عشر - قوله: «إلا أنّ حظّ أبي بكر فيه أتمّ» إلى قوله» يوم بدر واحد.

أقول: لا- يكاد ينقضى عجبى من هذا التّياصب المتعصّب كيف أعمته العصبية إلى أن جاوز حدّه و خرج عن زيّه و تكلم فوق قدره حتّى رجّح ابن أبى قحافه على أبى تراب فوا عجا عجا كيف يقاس التراب بالتبر المذاب، و أىّ نسبة للشراب إلى الشراب و أىّ شبه بين الدّرّ و الحصى و السيّيف و العصا، و أىّ تطابق بين الشجاع المبارز الغالب على كلّ غالب، و الأجين من كلّ الثعالب و هذا مقام التمثيل بقول أبى العلاء:

إذا وصف الطائي بالبخل ما در و غير قسا بالفهاهه باقل

و قال السهيل للشمس أنت خفيته و قال الدّجى للصّبح لونك حائل

و طاولت الأرض السّماء ترفعا و طاول شهبأ الحصى و الجنادل

فيا موت زر إنّ الحياه ذميمه و يا نفس جدى إنّ دهرك هازل

فيقال لهذا الخابط الهازل اللاّغى الّذى لا يفعل من لغوه و هذيه: أىّ جهاد كان قبل غزوه بدر؟ و أىّ ذبّ نقل عن أبى بكر؟ و لو كان منه قدره الذّبّ و الدّفاع لنقل شىء منها فى محاربات الرّسول المختار مع الكفّار، و لنزل فيه ما نزل فى أبى الحسن الكرّار، من مثل «وَ كَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » و لا فتى إلّا علىّ و لا سيف إلّا ذو الفقار.

و قد كانت العساكر فى هذه المعارك حسبما قال مجتمعه، و الصفوف متلاصقه، و الكتائب مترادفه، فاختر هو و صاحبه عمر و الحال هذه الفرّ على الكرّ، و ولينا عن العدوّ الدّبر، فمن كان هذه حاله كيف كان يذبّ عن سيّد الأنام حين ضعف الاسلام مع عدم العساكر، و لا معين و لا ناصر.

الثامن عشر - قوله: إنّّه كان متقدّما عليه فى الرّمان.

فيه أنّه إن أراد تقدّمه عليه من حيث الجهاد فقد عرفت بطلانه، إذ أوّل

غزوه فى الاسلام غزوه بدر و قد كانا كلاهما حاضرين فيها معا، ثم فيما بين حضوريهما من التفاوت ما لا يخفى، فانّ ابا بكر لم ينقل منه فيها فرد قتيل، و اما امير المؤمنين عليه السّلام فقد روى جمهور المؤرّخين أنّ قتلاه فيها شطر جميع المقتولين و كانوا سبعين.

و إن اراد تقدّمه عليه فى السنّ ففيه إنّ الزّمان الذى تقدّم به على امير المؤمنين عليه السّلام مع سبقه عليه السّلام بالا سلام و مع كونه فيما تقدّم به عليه من اهل الشّرك و عبده الأصنام، فأى شرف لهذا التقدّم أو منقبه، أمّ أى خير فيه و منفعه.

التاسع عشر - قوله: جهاد ابي بكر فى وقت ضعف الرّسول.

فيه إنك قد عرفت فساده لأنّه لم يكن قبل غزوه بدر غزوه معروفه إلاّ غزوات مختصره مثل غزوه بواد بواط و عشيره و غزوه بدر الصغرى، و لم ينجز الأمر فيها إلى القتال فيجاهد أبو بكر و يقعد عنه امير المؤمنين مع أنّ حضور ابي بكر فيها و غياب على عنها غير ثابت.

و أيضا لم يكن الرّسول عند المسير إليها ضعيفا، و إن اراد أنّه كان لأبى بكر جهاد قبل تلك الوقايح فهو ممّا تفرّد به و لم ينقله عن غيره.

نعم لو قلنا إنّ امير المؤمنين كان سابقا بالجهاد لأنّه جاهد الكفّار صبيحه ليله بات فيها على فراش رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لما ذهب إلى الغار، و جاهدهم أيضا عند الهجره بأهل بيت الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم من مكّه إلى المدينه لّمّا أرادت قريش المنع منها، لقلنا مقالا رواه ارباب السّير، و ورد فى صحيح الخبر.

و كيف كان فجهاد امير المؤمنين عليه السّلام فى سبيل الله و كون حظّه فيه الأوفر أبين من الشمس فى رابعه التّهار، و لنعم ما قيل:

بعلىّ شيدت معالم دين الله و الأرض بالعناد تمور

و به أيدّ الاله رسول الله إذ ليس فى الأنام نصير

أسد ما له إذا استفحل الناس سوى رنّه السلاح زئير

ثابت الجاش لا يردعه الخطب و لا يعتريه فتور



عزّمت أمضى من القدر المحتوم يجرى بحكمه المقدور

فقد ظهر بذلك كلّهُ أنّ مصداق قوله سبحانه في الايه الشريفه «أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» هو أمير المؤمنين عليه السّلام.

و أمّا قوله سبحانه «لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» فيظهر كونه مصداقا له و يصدّقه قوله صريحا في الفصل الا-تى: و أنّى لمن قوم لا يأخذهم في الله لومه لائم.

و قوله عليه السّلام في المختار الزّابع و العشرين: و لعمرى ما على من قتال من خالف الحقّ و خابط الغيّ من إدهان و لا ايهان.

و قوله عليه السّلام في المختار الحادى و التسعين لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان:

دعوني و التمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا- تقوم له القلوب و لا- تثبت عليه العقول «إلى قوله» و اعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب.

و قوله عليه السّلام في المختار المأه و السادسه و العشرين لما عوتب على التسويه في العطاء: أ تأمرؤنى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه و الله ما أطور به ما سمر سمر و ما أمّ نجم في السّماء نجما.

العشرون - قوله: و ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء و هذا لائق بأبى بكر متأكّد بقوله و لا يأتل أولو الفضل منكم و السعه اه و قد بيّنا أنّ هذه الايه في أبى بكر.

فيه بعد الغضّ عمّا روى عن ابن عباس و غيره من أنّها نزلت في جماعه من الصّحابه أقسموا على أن لا تتصدّقوا على رجل تكلم بشيء من الافك و لا يواسوهم، و البناء على نزولها في أبى بكر كما هو قول جمع من المفسّرين، أنّ إحدى الايتين لا ارتباط لها بالآخرى، فإنّ المراد بالفضل في الايه الثانيه هو الغنى و الثروه، و به في الايه الاولى اللّطف و التوفيق، و معنى قوله: و ذلك فضل الله إنّ محبتهم لله و لين جانبهم للمؤمنين و شدّتهم على الكافرين فضل من الله و توفيق و لطف منه و من جهته يمنّ به على من يشاء من عباده.

الحادى و العشرون - قوله: انا بينا بالدليل.

فيه أنك قد عرفت عدم تمامية الدليل بما لا مزيد عليه.

الثانى و العشرون - قوله: هذا الخبر من باب الاحاد.

فيه منع كونه من الأخبار الاحاد التي لا يعول عليها، بل هو خبر مستفيض رواه المخالف و المؤلف معتضد مضمونه بأخبار كثيرة قطعية، و تقتصر على بعض الأخبار العامية لكونه أدحض لحجة الخصم.

ففى غاية المرام عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن المسيب أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال يوم خيبر: لأدفعنّ الزّايه إلى رجل يحبّه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله، فدعا عليّا و أنّه لأرمد ما يبصر موضع قدميه، فتفل فى عينيه ثم دفعها إليه ففتح الله عليه.

و رواه أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن أبى ليلى و عن عليّ عليه السّلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و عنه عن عبد الله بن بريده عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عنه عن أبى هريره عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عنه بسند آخر أيضا عن عبد الله بن بريده عن أبيه بريده الأسلمى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و عنه عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و رواه أيضا من صحيح البخارى من الجزء الرابع فى رابع كراسه عن سلمه الأ-كوع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و من الجزء الرابع من صحيح البخارى أيضا فى ثلثه الأخير فى باب مناقب عليّ عن سلمه عنه صلى الله عليه و آله و من الجزء الخامس منه أيضا عن سلمه عنه صلى الله عليه و آله و من صحيح البخارى عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و رواه أيضا من صحيح مسلم من الجزء الرابع فى نصف الكراس من أوله باسناده عن عمر بن الخطاب بعد قتل عامر أرسلنى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى عليّ عليه السّلام و هو أرمد

و قال: لاعطينَ الرّايه رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، الحديث.

و من صحيح مسلم فى آخر كراس من الجزء الرابع منه عن أبى هريره عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و من صحيح مسلم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و من صحيح مسلم عن سلمه بن الأكوع عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من تفسير الثعلبى فى تفسير قوله «وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» باسناده عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و رواه أيضا من مناقب ابن المغازلى بسند يرفعه إلى أياس بن سلمه عن أبيه فى ذكر حديث خبير قال فقال النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم لاعطينَ الرّايه اليوم رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله.

و من مناقبه أيضا عن أبى طالب محمّد بن عثمان يرفعه إلى عمران بن الحصين قال:

بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله عمر إلى خبير فرجع فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم لاعطينَ الرّايه غدا رجلا يحبّ الله و رسوله ليس بفزار.

و من المناقب أيضا عن القاضى أبو الخطاب يرفعه إلى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأعطينَ الرّايه رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، فأعطاها عليّا ففتح الله عزّ و جلّ خبير به.

و من المناقب عن سعيد بن المسيّب عن أبى هريره قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه و آله أبا بكر إلى خبير فلم يفتح عليه ثم بعث عمر فلم يفتح عليه فقال: لاعطينَ الرّايه رجلا كزارا غير فزار يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله.

و من المناقب عن أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران يرفعه إلى أبى هريره قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لاعطينَ الرّايه غدا رجلا- يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فدفعها إلى عليّ بن أبى طالب.

و من المناقب قال: أخبرنا أبو القاسم عمر بن عليّ بن الميمونى و أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران الواسطيان بقراءتى عليهما فأقرّا به يرفعه إلى أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث كان أرسل عمر بن الخطاب إلى خبير هو و من معه فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فبات تلك الليله و به من الغمّ غير قليل فلما أصبح

خرج إلى الناس و معه الزّايه فقال: لا-عطينَ اليوم رجلا- يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله غير فزار، فتعرّض لها جميع المهاجرين و الأنصار فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله أين عليّ، فقالوا: يا رسول الله هو أرمدم، فأرسل إليه أبا ذر و سلمان فجاؤا و هو يقاد لا يقدر على أنّه يفتح عينيه، ثمّ قال: اللهم اذهب عنه الرّمدم و الحرّ و البرد و انصره على عدوّه و افتح عليه فأنّه عبدك و يحبّك و يحبّ رسولك «خ ل رسوله» غير فزار، ثمّ دفع صلّى الله عليه و آله و سلّم الزّايه إليه عليه السّلام و استأذنه حسان بن ثابت فى أن يقول فيه شعرا، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم له: قل، فأنشأ يقول:

و كان عليّ أرمدم العين يتغى دواء فلما لم يحسّ مداويا

شفاه رسول الله منه بتفله فيورك مرقتا و بورك رافيا

و قال سأعطى اليوم رايه صار ما كميّا محبّا للرسول محاميا

يحبّ إلهى و الاله يحبه به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البريه كلّها عليّا و سمّاه الوزير المؤاخيا

و من المناقب أيضا عن عبد الله بن بريده عن أبيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نزل بحضره أهل خيبر و قال: لاعطينَ اللّواء رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، فلما كان من الغد صادف أبا بكر فدعا عليّا و هو أرمدم العين فأعطاه الزّايه.

و من المناقب بسند مرفوع إلى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول يوم الخيبر: لاعطينَ الزّايه رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله.

و فيه من الجمع بين الصّحاح الستة باسناده عن سهل بن سعد عن أبيه قال:

كان عليّ تخلف عن رسول الله صلّى الله عليه و آله فى غزوه خيبر فلحق، فلما أتينا الليله الّتى فتحت فى صبيحتها قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لاعطينَ غدا الزّايه رجلا يفتح الله على يديه يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله.

و من الجمع بين الصّحاح الستة من الصحيح الترمذى قال بالاسناد عن سلمه قال: أرسلنى رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى عليّ و هو أرمدم فقال: لاعطينَ الزّايه رجلا

يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله.

و فيه عن إبراهيم بن محمّد الحمويّ مسندا عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ في ذكر حديث خبير قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا بعثنّ غدا رجلا يحبّ الله ورسوله لا يولّي الدبر، هذا.

و اقتصرنا على مورد الحاجة في أكثر هذه الزوايات و حذفنا اسناد أكثرها للاختصار، و تركنا الأخبار الخاصية الواردة في هذا المعنى حذرا من الاطالة و دفعا لمكابره الخصم و عناده، و ادعى صاحب غايه المرام تواتر الخبر في القصه من طريق العامه و الخاصه.

أقول: و هذه الأخبار التي رواها المخالفون في كتبهم فضلا عن أخبار الموالين له عليه السّلام كافيه لمن راقب العدل و الانصاف، و جانب التعصب و الاعتساف في إثبات كونه عليه السّلام محبّا لله ورسوله و كون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله و سلم محبّين له.

و لكنّي أضيف إلى هذه الأخبار على رغم الناصب المعاند الرّازي المتعصّب الجاحد حديث الطير الذي قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهم اعطني «ايتنى ظ» بأحبّ الناس إليك و في بعض روايته: إليك و إلى رسولك يأكل معي فجاء عليّ عليه السّلام و أكل معه و قد رواه في غايه المرام بسنّه و ثلاثين طريقا من طرق العامه، و من جملتها أبو المظفر السمعاني في كتاب مناقب الصّحابه عن السّدي عن أنس بن مالك قال:

كان عند النبيّ طير فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء عليّ عليه السّلام فأكل معه.

و قد روى ذلك في الجمع بين الصّحيحين السّنه لرزين من مسند أبي داود السّجستانيّ و رواه أحمد بن حنبل بطريق واحد من طريق السفينه مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم.

و رواه ابن المغازلي الشافعيّ الواسطيّ من عشرين طريقا.

و من جملة طرق غايه المرام أيضا القاصم لظهر المكابرين و الرّاغم لانوف الناصبين ما أورده من كتاب المناقب الفاخره في العتره الطاهره، روى أبو جعفر بن

محمّد بن أحمد بن روح مولى بنى هاشم قال: حدّثني العباس بن عبد الله الباكثاني عن محمد بن يوسف السري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: حدّثني أبي صميم حوثن بن عدى عن أبي ذرّ ره قال:

بيننا نحن قعود مع رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا هدى إليه طائر مشوّى، فلمّا وضع بين يديه قال لأنس: انطلق به إلى المنزل، وتبعه رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى إذا دخل المنزل وضع أنس الطائر بين يديه، فرفع النبيّ يديه نحو السماء وقال: اللهمّ آيت إلىّ بأحبّ الناس إليك تحبّه أنت وحبّه من في الأرض ومن في السماوات حتّى يأكل معي من هذا الطير، قال أنس: فقلت: اللهمّ اجعله من قومي وقالت عايشة: اللهمّ اجعله أبي وقالت حفصة: اللهمّ اجعله أبي فما لبثنا حتّى أتى عليّ عليه السّلام فقال له أنس:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله في حاجه حتّى أتى عليّ عليه السّلام ثلاث مرّات.

فجثا النبيّ صلّى الله عليه وآله على ركبتيه ورفع يديه إلى السماء حتّى بان بياض إبطيه وقال: حاجتي يا ربّ الساعه الساعه، فما لبثنا أن قرع الباب فقال أنس: من ذا؟ فقال: أنا عليّ وسمع النبيّ صلّى الله عليه وآله صوته فقال افتح، ففتحت، فلما دخل وكز أنس بيده حتّى ظنّ أنس أنه قد أنفذ يده من ظهره، فلما بصر به النبيّ صلّى الله عليه وآله وثب قائما وقبل عينيه وقال: ما الذي أبطاك عنّي يا قرّه عيني، فقال عليه السّلام: يا رسول الله قد أقبلت ثلاثا ويردّني أنس، فصفق رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و كان لا يصفق حتّى يغضب، فقال:

يا أنس حجبت عنّي حبيبي، فقال: يا رسول الله إنّي أحببت أن يكون رجلا- من قومي فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: يا أنس أما علمت أنّ المرء يحبّ قومه، إنّ عليا يحبّني وإنّ الله يحبّه والملائكة تحبّه ويحبّه الله، يا أنس إنّي و عليا لم نزل ننقلب إلى مطهّرات الأرحام حتّى نقلنا إلى عبد المطلب فصار عليّ في صلب أبي طالب و صرت أنا في صلب عبد الله عمّ عليّ، فصارت فيّ التّبوه و في عليّ الولاية و الوصيّه أما علمت يا أنس أنّ الله عزّ وجلّ اشتقّ لي اسما من أسمائه و لعلّي اسما فسّماني أحمد لتحمدني امتي و أما عليّ فالله العليّ سمّاه عليا، يا أنس كما حجبت عنّي عليا ضربك الله بالوضح، و كان لا يدخل المسجد بعد الدّعوه إلا متبرقع الوجه.

و هذه الزوايه كما ترى ظاهره بل صريحه من جهات عديده فى فرط محبته النبى صلى الله عليه و آله له و محبته لله و محبته الله له.

و الأخبار فى كونه أحب الناس إلى الله و إلى رسوله متجاوزة عن حدّ الاحصاء، و لو أردنا أن نجمع ما نقدر عليه منها لصار كتابا كبير الحجم و لكن اورد منها روايتين اختم بهما المقام ليكون ختامه مسكا فأقول:

روى فى كشف الغمه من مناقب الخوارزمى عن عبد الله بن عمر قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سئل بأى لغة خاطبك ربك ليله المعراج، قال: خاطبني بلغه على بن أبى طالب فألهمنى أن قلت يا رب أنت خاطبتني أم على؟ فقال: يا أحمد أنا شىء لا كالأشياء و لا أقاس بالناس و لا اوصف بالأشياء، خلقتك من نورى و خلقت عليا من نورك فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من على بن أبى طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك.

و فيه من المناقب قال:

و أخبرنا بهذا الحديث عاليا الامام الحافظ سليمان بن إبراهيم الاصفهاني مرفوعا إلى عايشه، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و هو فى بيتي لَمَّا حضره الموت. ادعوا إلى حبيبي، فدعوت أبا بكر فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه و آله ثم وضع رأسه، ثم قال: ادعوا إلى حبيبي فقلت: ويلكم ادعوا له على بن أبى طالب فوالله ما يريد غيره، فلما رآه فرج الثوب الذى كان عليه ثم ادخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قبض و يده عليه.

إذا عرفت هذا فأقول:

قال فيه البليغ ما قال ذو العي فكل بفضل منطيق

و كذاك العدو لم يعد أن قال فيه جميلا كما قال المحب الصديق

و مع ذلك كله فانظر هداك الله إلى سلوك صراطه المستقيم إلى الرازى و استمراره على غيه، و غرقه فى سبيل نصبه و تعصبه، و مكابرتة الحق اللايح، و تنكبه الجدد الواضح، و عدوله عن السنن، و بقاءه على غمط (1) حق أبى الحسن، و إرادته

ص: ٧٧

ستر الشمس المجلّه بنورها للعالم بالنقاب، و النير الأعظم بالحجاب، فجراه الله عن رسوله و عن أمير المؤمنين سلام الله عليهما شرّ الجزاء.

الثالث و العشرون - قوله: و لأنه معارض بالأخبار الداله على كون أبي بكر محبًا لله و رسوله و كون الله محبًا له اه.

فيه أوّلا إنّّه ليس هنا خبر متضمّن لمحبه أبي بكر لله أو محبه الله له يحتجّ به على الاماميه فضلا عن الأخبار، و ما رووه في هذا المعنى ممّا تفردوا بروايته لا يكون حجّه علينا.

و مع ذلك فمعارض بالأخبار الكثيره المتضمّنه لكون عليّ عليه السلام أحبّ الناس إلى الله و إلى رسوله المستفيضه بل المتواتره معنى من طرقهم حسبما عرفت في الاعتراض الثاني و العشرين، و هي أقوى منها سندا و أظهر دلاله فلا يكاد تكافؤ الأخبار الاوله على تقدير وجودها لها كما لا يخفى صدق المدعى على أهل البصيره و النهي الرابع و العشرون - قوله: قال تعالى في حقّ أبي بكر و لسوف يرضى.

غير مسلمّ نزولها في أبي بكر و لما نزله الرازي عن ابن الزبير و عن أبي بكر الباقلائي، و المرويّ عن المفسرين خلافه، فقد روى الواحدى بالاسناد المتّصل المرفوع عن عكرمه عن ابن عتيّاس أنّها نزلت في رجل من الأنصار، و عن عطاء قال: اسم الرجل أبو الدّحداح، و في بعض روايات أصحابنا أنّها في عليّ عليه السلام و قال بعض المفسرين: الأولى إبقاؤها على العموم فيرجع الضمير إلى كلّ من يعطى حقّ الله من ماله ابتغاء وجه ربّه، و إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال و قوله: و قال: إنّ الله يتجلّى للناس عامه و يتجلّى لأبي بكر خاصّه أنت خير بأنّه لا غبار في كونه من الأحاديث الموضوعه، لأنّه إن أريد من تجلّيه سبحانه تجلّيه بذاته فهو مستلزم للتجسّم مخالف للاصول المحكمه و البراهين القاطعه الساطعه، و إن أريد تجلّيه بربّه و فضله و عناياته و لطفه المقرّب إلى طاعته و المبعد عن معصيته، ففيه أنّ التجلّى بهذا المعنى لعموم الناس غير جازئ إذ فيهم المؤمن و المنافق و المسلم و الكافر، فكيف يتصوّر التجلّى في حقّ الكافر المنافق



و إن خصّ بالمؤمنين فهو مع كونه خلاف الظاهر يتوجّه عليه أنّ من جمله المؤمنين الأنبياء والرسل وفيهم اولو العزم وغيرهم فيلزم أن يكون أبو بكر أعلى شأنًا منهم وهو باطل بالاتفاق.

ثمّ كيف يتجلّى الله سبحانه على قلب أبي بكر وهو عثّ الشيطان وقد قال مخبراً عن نفسه: إنّ لى شيطاناً يعترينى فان استقمت فأعينونى و إن زغت فقومونى وقوله: وقال صلى الله عليه وآله: ما صبّ الله شيئاً فى صدر إلاّ و صبّه فى صدر أبى بكر.

هو كسابقه أيضاً فى الوضع، لأنّ النكره فى سياق النفى مفيد للعموم، و من جمله ما صبّ فى صدر النبى نور النبوه و الوحي و الالهام و علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن و نحوها، فهل ترى شيئاً من ذلك ينصبّ فى قلب أبى بكر فضلاً عن جميعها و لو صحّ ذلك الصبّ لم يخف عليه معنى الكلاله و الأبّ الخامس و العشرون - قوله: إنا لا نسلّم دلالة الايه التى بعد هذه الايه على امامته و سنذكر الكلام فيه اه.

يريد عدم تسليم دلالة الايه «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ» الايه على إمامه أمير المؤمنين بما ذكره من الوجوه السخيفه فى تفسير هذه الايه، و أنت قد عرفت تماميه دلالتها على امامته فى مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه، كما عرفت بطلان ما ذكره من الأدلّه، لعدم تماميتها بما لا مزيد عليه.

و الحمد لله العدى هداً لهذا و ما كنّا لتهدى لو لا أن هدينا الله، و أسأل الله أن يثبت ما أوردناه هنا فى ردّ الرّازى النّاصب فى صحائف أعمالى، و يرده إلى يوم حشر الأولين و الاخرين، و يثقل به ميزانى، و يحشرنى مع من أتولاه و احبه و أتعصب له من محمّد و آله الطيبين الطاهرين، و أن يكتب ما أوردته النّاصب الرّازى فى صحيفه أعماله، و يرده إليه، و يحشره يوم القيامة مع من تعصب له من أوليائه الظالمين فى حقّ آل الرّسول، صلى الله عليهم و عليه أجمعين إلى يوم الدين.

قد أشرنا في شرح قوله عليه السّلام: إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، أنّه ظاهر في سماع الامام ما يسمعه النبيّ من الملك و رؤيته له مثله، قد اختلفت الأخبار في ذلك فمما يدلّ على سماعه و رؤيته حديث الأمامي المتقدّم في شرح الفقيه المذكوره و منه أيضا ما في البحار من البصائر عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ نزاد في الليل و النهار و لو لا أنّا نزاد لنفد ما عندنا، فقال أبو بصير: جعلت فداك من يأتيكم؟ قال: إنّنا لمن يعاين معاينه، و منّا من ينقر في قلبه كيت و كيت، و منّا من يسمع باذنه و قعا كوقع السلسله في الطست، قال: قلت: جعلني الله فداك من يأتيكم بذاك؟ قال: هو خلق أكبر من جبرئيل و ميكائيل.

و من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان باسناده عن الرضا عليه السّلام في حديث طويل قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في كلام له: و ان شئتم أخبرتكم بما هو أعظم من ذلك قالوا: فافعل قال عليه السّلام: كنت ذات ليله تحت سقيفه مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و انى لاحصى ستا و ستين و طئه من الملائكه كلّ و طئه من الملائكه أعرفهم بلغاتهم و صفاتهم و أسمائهم و وطئهم.

و مما يدلّ على السماع فقط من دون الرؤيه مثل ما في الاحتجاج قال: كان الصادق عليه السّلام يقول: علمنا غابر و مزبور و نكت في القلوب و نقر في الأسماع، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السّلام: أما الغابر فالعلم بما يكون، و أما المزبور فالعلم بما كان، و أما النكت في القلوب فهو الالهام، و أما النقر في الأسماع فحديث الملائكه نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم. و مثله الأخبار الكثيره الفارقه بين الرسول و النبيّ و الامام و المحدث.

مثل ما رواه في الكافي عن زراره قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ

«وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا»، ما الرسول و ما النبي؟ قال عليه السّلام النبيّ الذي يرى في منامه و يسمع الصوت و لا يعاين الملك، و الرسول الذي يسمع الصوت و يرى في المنام و يعاين الملك، قلت: الامام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك ثمّ تلا هذه الايه: و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبيّ و لا محدث.

و فيه عن بريد (زيد خ) عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السّلام في قوله عزّ و جلّ «و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبيّ و لا محدث، قلت جعلت فداك ليست هذه قراءتنا فما الرسول و النبيّ و المحدّث قال: الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه و النبيّ هو الذي يرى في منامه و ربما اجتمعت النبوه و الرّساله لواحد، و المحدّث الذي يسمع الصوت و لا يرى الصوره، قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أنّ الذي رأى في النوم حقّ و أنّه الملك؟ قال: يوفق لذلك حتّى يعرفه و لقد ختم الله بكتابكم الكتب و ختم بنبيكم الأنبياء و فيه عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الرسول و النبيّ و المحدّث قال عليه السّلام: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبله فيراه و يكلمه فهذا الرسول، و أمّا النبيّ فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السّلام و نحو ما كان رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من أسباب النبوه قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل عليه السّلام من عند الله عزّ و جلّ بالرّساله و كان محمّد صلّى الله عليه و آله حين جمع له النبوه و جاءته الرّساله من عند الله عزّ و جلّ يجيئه بها جبرئيل عليه السّلام يكلمه بها قبله و من الأنبياء من جمع له النبوه و يرى في منامه و يأتيه الرّوح و يكلمه و يحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظه، و أمّا المحدّث فهو الذي يحدث فيسمع و لا يعاين و لا يرى في منامه.

و عن محمّد بن مسلم قال: ذكر المحدّث عند أبي عبد الله عليه السّلام فقال إنّهُ يسمع الصوت و لا يرى الشّخص، قلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنّه كلام الملك؟ قال: إنّهُ يعطى السّكينه و الوقار حتّى يعلم أنّه كلام ملك

## بيان

السّكينه اطمينان القلب و عدم التزلزل، و الوقار الحاله التي بها يعلم أنّه كلام الملك

و فى روايه زرارہ عن أبى عبد اللہ عليه السّلام قال: قلت: كيف يعلم أنّه كلام من الملك و لا يخاف أن يكون من الشّيطان إذا كان لا يرى الشّخص؟ قال: إنّهُ يلقى عليه السّكينه فيعلم أنّه من الملك و لو كان من الشّيطان اعتراه فزع، و إن كان الشّيطان بازرارہ لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر.

و فى البحار من أمالى الشّيخ عن أبى بصير عن أبى عبد اللہ عليه السّلام قال: كان علىّ محدّثا و كان سلمان محدّثا، قال: قلت: فما آيه المحدث؟ قال عليه السّلام: يأتيه ملك فينكت فى قلبه كيت و كيت.

و من البصاير عن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: من أهل بيتى اثنى عشر محدّثا.

و من البصاير عن زرارہ قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول الاثنى عشر الأئمه من آل محمّد عليه و عليهم السّلام كلّهم محدّث من ولد رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم و ولد علىّ عليه السّلام فرسول اللّٰه و علىّ هما الوالدان، فقال عبد الرّحمن بن زيد و أنكر (ذكر) ذلك و كان أخوا لعلّى بن الحسين عليهما السّلام لأمه، فضرب أبو جعفر عليه السّلام فخذّه فقال أمّا ابن امّك كان أحدهم.

و منه عن أبى بصير عن أبى عبد اللّٰه عليه السّلام قال: سمعته يقول: كان علىّ عليه السّلام و اللّٰه محدّثا، قال: قلت له: اشرح لى ذلك أصلحك اللّٰه قال: يبعث اللّٰه ملكا يوقر فى اذنه كيت و كيت و كيت.

و منه عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أ لست حدّثنى أنّ عليّا عليه السّلام كان محدّثا؟ قال: بلى قلت: من يحدّثه؟ قال: ملك يحدّثه، قال:

قلت: فأقول إنّهُ نبىّ أو رسول؟ قال: لا بل مثله مثل صاحب سليمان و مثل صاحب موسى و مثل ذى القرنين، أمّا بلغك أنّ عليّا عليه السّلام سئل عن ذى القرنين فقالوا كان نبيا؟ قال: لا، بل كان عبدا أحبّ اللّٰه فأحبّه، و ناصح اللّٰه فناصره فهذا مثله و بمعناها أخبار كثيره احر تركنا ذكرها حذرا من الاطاله

المراد بصاحب موسى إِمَّا يوشع بن نون كما صرّح به في بعض الأخبار، أو الخضر على نبينا و عليه السلام كما في البعض الآخر، فيدلّ على عدم نبوّه واحد منهما و يمكن أن يكون المراد عدم نبوّته في تلك الحال فلا ينافي نبوّته بعد في الأول و نبوّته قبل في الثّاني، هكذا قال في البحار، و المراد بصاحب سليمان عليه السلام إِمَّا خضر عليه السلام أو آصف بن برخيا.

قال المحدّث العلّامة المجلسي في البحار بعد ايراد هذه الأخبار ما هذا لفظه استنباط الفرق بين النبي و الامام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، و كذا الجمع بينها مشكل جدّا، و الذي يظهر من أكثرها هو أنّ الامام لا يرى الحكم الشرعي في المنام و النبي قد يراه فيه.

في المنام و النبي قد يراه فيه.

و أمّا الفرق بين النبي و الامام و بين الرسول هو أنّ الرسول يرى الملك عند إلقاء الحكم و النبي غير الرسول و الامام لا يريانه في تلك الحال و ان رأياه في سائر الأحوال، و يمكن أن يخصّ الملك العلي لا يريانه بجبرئيل عليه السلام و يعمّ الأحوال لكن فيه أيضا منافاه لبعض الأخبار.

و مع قطع النظر من الأخبار لعلّ الفرق بين الأئمة و غير اولي العزم من الأنبياء أنّ الأئمة عليهم السلام نواب للرسول صلّى الله عليه و آله لا يبلغون إلّا بالنيابة و أمّا الأنبياء و إن كانوا تابعين لشريعته غيرهم لكنهم مبعوثون بالاصاله و إن كانت تلك النيابة أشرف من تلك الاصاله.

و بالجملة لا بدّ من الازعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء و بأنهم أشرف و أفضل من غير نبينا عليه و عليهم السلام من الأنبياء و الأوصياء، و لا- نعرف جهة لعدم اتّصافهم بالنبوّه إلّا رعايه جلاله خاتم الأنبياء صلوات الله عليه و آله، و لا يصل عقولنا إلى فرق بين النبي و الامامه، و ما دلّت عليه الأخبار فقد عرفته، و الله تعالى يعلم حقايق أحوالهم صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و قال المفيد رحمه الله عليه في كتاب المقالات: إنّ العقل لا يمنع من نزول

الوحي اليهم صلوات الله عليهم و إن كانوا أئمة غير أنبياء فقد أوحى الله عزّ و جلّ إلى أمّ موسى أن أرضعها الايه، فعرفت صحّه ذلك بالوحي و عملت عليه و لم تكن رسولا- و لا نبيا و لا إماما، و لكنّها كانت من عباده الصّالحين، و إنّما منعت نزول الوحي إليهم و الايحاء بالأشياء إليهم للاجماع على المنع من ذلك و الاتفاق على أنه من زعم أنّ أحدا بعد نبينا صلّى الله عليه و آله يوحى اليه فقد أخطأ و كفر، و لحصول العلم بذلك من دين النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كما أنّ العقل لم يمنع من بعثه نبيّ بعد نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم و نسخ شرعنا كما نسخ ما قبله من شرايع الانبياء عليهم السّلام و إنّما منع ذلك العلم و الاجماع، فانه خلاف دين النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من جهة اليقين و ما يقارب الاضطراب(1) ، و الاماميّه جميعا على ما ذكرت ليس بينها على ما وصفت خلاف.

و قال رحمه الله عليه في شرح عقايد الصدوق عليه الرّحمه: أصل الوحي هو الكلام الخفيّ، ثمّ قد يطلق على كلّ شيء قصد به إفهام المخاطب على السّتر له عن غيره و التخصيص له به دون من سواه، و إذا اضيف إلى الله تعالى كان فيما يخصّ به الرّسل خاصّه دون من سواهم على عرف الاسلام و شريعه النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم «إلى أن قال» و قد يرى الله في منامه خلقا كثيرا ما يصحّ تأويله و يثبت حقّه، لكنّه لا يطلق بعد استقرار الشريعه عليه اسم الوحي و لا يقال في هذا الوقت لمن أطلعه الله على علم شيء أنه يوحى إليه و عندنا أنّ الله تعالى يسمع الحجج بعد نبينه صلّى الله عليه و آله و سلّم كلاما يلقيه إليهم أى الأوصياء في علم ما يكون لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدّمناه من إجماع المسلمين على أنه لا وحي لأحد بعد نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أنه لا يقال في شيء مما ذكرناه أنه وحي إلى أحد، و لله تعالى أن يبيح اطلاق الكلام احيانا، و يحظره احيانا فأما المعانى فانها لا تتغير عن حقايقها، انتهى كلامه رفع مقامه

ص: ٨٤

---

١- (١) - يعنى أنه يكاد أن يكون ضرورياً، منه

فی ذکر الأخبار الواردة فی وزارته علیه السّلام و هی کثیره جدا من طرق الخاصّه و العامّه و لتقتصر علی بعضهما حدرا من الاطاله فأقول و بالله التوفیق:

فی غایه المرام من مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسیم قال: سمعت رجلا من خثعم یقول: سمعت رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم یقول: اللهمّ إنّی أقول كما قال موسى:

اللهمّ اجعل لی وزیرا من أهلی علیا أخی «أشدُّد به أزرّی و أشرّکهُ فی أمرّی کئی نُسببِحک کثیراً و نذکرک کثیراً إنک کنت بنا بصیراً».

و فیهِ عن أبی نعیم الحافظ باسناده عن رجاله عن ابن عباس قال: أخذ رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم بیّد علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و بیّدی و نحن بمکه و صلّی أربع رکعات، ثمّ مدّ یدیه إلی السماء و قال: اللهمّ إنّ نبیک موسی بن عمران علیه السّلام سألك فقال «رَبِّ اشْرَحْ لی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لی أمرّی» الایه، و أنا محمّد نبیک سألك: «رَبِّ اشْرَحْ لی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لی أمرّی وَ اخللْ عُقْدَهُ مِنْ لِسَانِی یَفْقَهُوا قَوْلِی وَ اجْعَلْ لی وَ زِیراً مِنْ أَهْلِی» علیا أخی «أشدُّد به أزرّی و أشرّکهُ فی أمرّی»، قال ابن عباس: فسمعت منادیا ینادی: قد اوتیت ما سألت.

و فیهِ عن أبی الحسن الفقیه من طریق العامّه باسناده عن الباقر عن أبیه عن جدّه الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیهم السّلام قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: علیّ بن أبی طالب علیه السّلام خلیفه الله و خلیفتی، و حجّه الله و حجّتی، و باب الله و بابی، و صفی الله و صفیّی، و حبیب الله و حبیبی، و خلیل الله و خلیلّی، و سیف الله و سیفی، و هو أخی و صاحبی، و وزیرّی، و محبّه محبّی، و مبغضه مبغضی، و ولّیه ولّیّی، و عدوّه عدوّی، و زوجته ابنتی، و ولده ولدی، و حزبه حزبی، و قوله قولی، و أمره أمرّی، و هو سیّد الوصیّین و خیر امتی و فیهِ عن ابن شاذان من طریق العامّه بحذف الاسناد عن سعید بن المسیب قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم: اللهمّ اجعل لی وزیرا من أهل السماء، و وزیرا من أهل

الأرض، فأوحى الله إليه أنى قد جعلت وزيرك من أهل السماء جبرائيل، و وزيرك من أهل الأرض عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و أفتع من غايه المرام بهذه الأحاديث الأربعة، و قد روى فيه من طرق العامه أحد عشر حديثا، و من طرق الخاصه أحدا و عشرين حديثا، جلّها بل كلّها ناصه بخلافته و وصايته عليه الصّلاه و السلام.

و روى الشارح المعتزلى عن الطبرى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

لما نزلت هذه الايه «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم دعانى فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم لى: يا عليّ إنّ الله أمرنى أن انذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعا و إنى علمت متى اناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتت حتّى جاءنى جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّك إن لم تفعل ما امرت به يعذبك ربّك، فاصنع لنا صاعا من طعام و اجعل عليه رجل شاه و املاء لنا عسا من لبن، ثم اجمع بنى عبد المطلب حتّى اكلمهم و ابّلغهم ما امرت به، ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم و هم يومئذ أربعون رجلا- يزيدون رجلا- أو ينقصونه و فيهم أعمامه: أبو طالب و حمزه و العباس، و أبو لهب.

فلما اجتمعوا إليه صلّى الله عليه و آله و سلّم دعا بالطعام الذى صنعت لهم، فجنّت به، فلما وضعت تناول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بضعه من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها فى نواحي الصحف، ثم قال صلّى الله عليه و آله و سلّم كلوا باسم الله فأكلوا حتّى ما لهم إلى شىء من حاجه، و أيم الله الهدى نفس عليّ بيده أن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم قال صلّى الله عليه و آله:

اسق القوم يا عليّ، فجنّتهم بذلك العس فشربوا منه حتّى رووا جميعا و أيم الله ان كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يكلمهم بدر أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم و لم يكلمهم رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقال من الغد: يا عليّ إنّ هذا الرّجل قد سبقنى إلى ما سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن اكلمهم فعدلنا



اليوم إلى ما سمعت بالأمس ثم اجمعهم لى، ففعلت ثم جمعهم، ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشىء حاجه، ثم قال: اسقهم فجتتهم بذلك العس فشربوا منه جميعا حتى رووا.

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا بنى عبد المطلب إني والله ما أعلم أنّ شابا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيتكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى و خليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعا و قلت أنا وإني لأحدثهم سنّا و أرمصهم عينا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه.

فأعاد صلى الله عليه وآله وسلم القول فأمسكوا و أعدت ما قلت.

فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم برقبتي ثم قال لهم: هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و أطيعوا، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.

قال الشارح المعتزلى و يدلّ على أنه وصيى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نصّ الكتاب و السّينه قول الله تبارك و تعالى «وَ اجْعَلْ لى وَ زِيْرًا مِنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخى أُشْدُّ بِهِ أَزْرى وَ أَشْرِكُهُ فى أَمْرى» و قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الخبر المجمع على روايته بين ساير فرق الاسلام: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، فأثبت له جميع مراتب هارون و منازلته عن موسى فاذا هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و شادّ ازره، و لو لا أنه خاتم النبیین لكان شريكا فى أمره.

أقول و هذه الأخبار كما ترى صريحه فى إمامته عليه السّلام و وزارته و خلافته حسبما عرفت تحقيقه فى مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه.

قال المفيد فى الارشاد بعد الاستدلال على إمامته عليه السّلام بحديث المنزله: فأوجب له الوزاره و التخصيص بالموودّه و الفضل على الكافه له و الخلافه عليهم فى حياته و بعد وفاته لشهادته القرآن بذلك كلّ لهارون من موسى عليهما السّلام، قال الله عزّ و جلّ معبرا عن موسى عليه السّلام «وَ اجْعَلْ لى وَ زِيْرًا مِنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخى أُشْدُّ بِهِ أَزْرى وَ أَشْرِكُهُ» (١)

ص: ٨٧

«فِي أَمْرِي كُنِيَ نُسْبَحَكَ كَثِيرًا وَ نَذُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» قال الله تعالى «قَدْ أُوتِيَ سؤْلَكَ يَا مُوسَى».

فثبت لهارون شرکه موسی علیه السّلام فی النّبوه و وزارته علی تأدیة الرّساله و شدّ ازره به فی النصره.

و قال فی استخلافه له: «وَ أُخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» فثبت له خلافته بمحكم التنزيل فلما جعل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام جميع منازل هارون من موسى على نبينا و عليه السّلام فى الحكم له منه إلاّ النّبوه و جبت له وزاره الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و شدّ الازر بالنصره و الفضل و المحبّه لما تقتضيه هذه الخصال من ذلك فى الحقيقه ثمّ الخلافه فى الحياه بالصّيريح و بعد النّبوه بتخصيص الاستثناء لما اخرج منها(1) بذكر البعد(2) ، و أمثال هذه الحجج كثيره يطول بذكرها الكتاب.

و قال «ره» فى موضع آخر من الارشاد: فأما مناقبه عليه السّلام الغنيه لشهرتها و تواتر النقل بها و اجماع العلماء عليها عن ايراد أسانيد الأخبار بها فهى كثيره يطول بشرحها الكتاب و فى رسمنا منها طرفا كفايه عن ايراد جميعها.

فمن ذلك أنّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم جمع خاصه أهله و عشيرته فى ابتداء الدعوه إلى الاسلام فعرض عليهم الايمان و استنصرهم على الكفر و العدوان و ضمن لهم على ذلك الخطوه(3) فى الدّنيا و الشرف و ثواب الجنان فلم يجبه منهم إلاّ أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب عليه الصّلاه و السّلام فنحله(4) بذلك تحقيق الاخوّه و الوزاره و الوصيه و الوراثه و الخلافه، و أوجب له به الجنّه.

و ذلك فى حديث الدّار الذى أجمع على صحته نقاد الاثار حين جمع

ص: ٨٨

١- (١) - أى المنازل م

٢- (٢) - أى قوله لا نبى بعدى م

٣- (٣) - أى المكانه و المنزله

٤- (٤) - أى اعطاه

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب و هم أربعون رجلا يومئذ يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيما ذكره الرّواه.

و أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يصنع لهم طعاما فخذ شاه مع مدّ من برّ و يعدّ لهم صاع من اللّبن، و قد كان الرّجل منهم معروفا بأكل الجذعه - و هو من الضّأن ما له سنه كامله - فى مقام واحد، و يشرب الفرق (١) من الشراب فى ذلك المقعد.

فأراد عليه و آلّه السلام بأعداد قليل الطعام و الشراب لجماعتهم إظهار الايه لهم فى شعبهم و ريّهم مما كان لا يشبع واحدا منهم و لا- يرويه ثمّ أمر بتقديمه لهم، فأكلت الجماعه كلّها من ذلك اليسير حتى تملوا منه و لم يبين ما أكلوه منه و شربوه فيه فبههم (٢) بذلك و بيّن لهم آيه نبوّته و علامه صدقه ببرهان الله تعالى فيه.

ثمّ قال لهم بعد أن شعبوا من الطعام و رروا من الشراب: يا بنى عبد المطلب إنّ الله بعثنى إلى الخلق كافّه و بعثنى إليكم خاصّه فقال «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» و أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان تملكون بهما العرب و العجم و تنقاد لكم بهما الامم و تدخلون بهما الجنّه و تنجون بهما من النّار: شهاده أن لا إله إلاّ الله، و أنّى رسول الله، فمن يجيبنى إلى هذا الأمر و يوازرنى عليه و على القيام به يكون أخى و وصيّى و وزيرى و خليفتى من بعدى.

فلم يجبه أحد منهم، فقال أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام فقامت بين يديه من بينهم و أنا إذ ذاك أصغرهم سنا و أحمشهم (٣) ساقا و أرمصهم عينا فقلت: أنا يا رسول الله اوازرك على هذا الأمر، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اجلس.

ثمّ أعاد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القول على القوم ثانيه فاصمتوا، فقامت أنا و قلت مثل مقالتي الاولى، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اجلس.

ص: ٨٩

١- (١) - كيل معروف بالمدينه و هو ستّه عشر رطلا و قد يحرك صحاح م

٢- (٢) - أى غلبهم م

٣- (٣) - حمش الرجل حمشا صار دقيق الساقين فهو أحمش، و الرمص البياض الذى يجتمع فى روايا العين يقال رجل أرمص و هو كناية عن صغر العين، منه

ثم أعاد على القوم ثالثه فلم ينطق أحد منهم بحرف فقامت و قلت: أنا أوازرك يا رسول الله على هذا الأمر.

فقال صَلَّى اللهُ عليه و آله: اجلس فانت أختي و وصيبي و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى فنهض القوم و هم يقولون لأبى طالب: يا أبا طالب ليهنئك اليوم ان دخلت فى دين ابن اخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك.

قال المفيد قدس سره العزيز: و هذه منقبه جليله اختص بها أمير المؤمنين عليه الصّلاه و السّلام و لم يشركه فيها أحد من المهاجرين و الأنصار و لا أحد من أهل الاسلام، و ليس لغيره عليه السّلام عدل لها من الفضل و لا مقارب على حال.

و فى الخبر بها ما يفيد أنّ به عليه الصّلاه و السّلام تمكّن النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم من تبليغ الرساله و إظهار الدّعوه و الصدع بالاسلام، و لولاه لم تثبت المله و لا استقرّت الشريعه و لا ظهرت الدّعوه.

فهو عليه الصّلاه و السّلام ناصر الاسلام و وزيره الدّاعى اليه من قبل الله عزّ و جلّ، و بضمانه لنبى الهدى عليه و آله السلام النصره، تمّ له فى التّبوه ما أراد و فى ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً، و لا تعادله الفضائل كلّها محلاً.

## الترجمه

این فصل از خطبه شریفه مسوقست در بیان مناقب جلیله و فضایل جمیله خود آن بزرگوار می فرماید:

آگاه باشید که بتحقیق امر فرمود خداوند متعال مرا بقتال و جدال أهل ظلم و طغیان و أهل نقض بیعت و أهل فساد در زمین، پس أما ناقضان بیعت که أهل جمل بودند پس بتحقیق مقاتله کردم با ایشان، و أما عدول کنندگان از حقّ که أهل صفین بودند پس بتحقیق جهاد کردم با ایشان، و أما بیرون روندگان از دین که أهل نهروان بودند پس بتحقیق که ذلیل گردانیدم ایشان را، و أما شیطان ردهه پس بتحقیق کفایت کرده شدم از او به آواز مهیبی که شنیدم بجهت شدت آن آواز اضطراب

قلب و حرکت سینه او را، و باقی مانده بقیه از اهل ستم که معاویه و اهل شام است و اگر اذن بدهد خدای تعالی در رجوع بر ایشان هر آینه البته غالب می شوم بر ایشان و باز گیرم دولت را از ایشان مگر این که متفرق شود در اطراف زمین متفرق شدنی.

من پست کردم رؤسای عرب را، شکستم شاخهای ظاهر شده قبیله ربیع و مضر را، و بتحقیق که شما دانسته اید مرتبه و مقام مرا در نزد رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم با قرابت نزدیک و با رتبه و منزلت مخصوصه، نهاد مرا در کنار تربیت خود در حالتی که طفل بودم، می چسباند مرا بسینه خود، و ضم می کرد مرا در رختخواب خود، و مس می کرد بمن بدن شریف خود را، و می بوئید مرا بوی معطر خود را، و بود که مضغ می فرمود چیزی را از طعام پس می خوراند بمن آنرا.

پس بتحقیق که مقرون گردانید بان بزرگوار از وقتی که فطیم و از شیر و اشده بود اعظم ملکی را از ملائکه خود که می برد آنرا براه مکرمتها و خوبترین خلقهای عالم در شب و روز او، و بتحقیق که تبعیت می نمودم او را مثل تبعیت شتر بچه در عقب مادر خود، بلند می گردانید از برای من در هر روز رایتی از خلقهای عظیمه خود، و امر می فرمود مرا به پیروی کردن بخود.

و هر آینه بود آن سید انام علیه صلوات الله الملك العالم مجاور می شد هر سال بکوه حرا پس می دیدم من او را و نمی دید او را احدی غیر از من، و جمع نکرده بود یک خانه آن روز در اسلام غیر رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم و خدیجه کبری علیها سلام الله و من ثالث ایشان بودم، می دیدم نور وحی را و می بوئیدم بوی پیغمبری را.

و بتحقیق شنیدم ناله شیطان را در وقت نزول وحی بر آن بزرگوار پس گفتم یا رسول الله این چه ناله است؟ پس فرمود که: این شیطانست بتحقیق نا امید شده است از این که عبادت و اطاعت کنند مردمان او را.

بدرستی که تو ای علی می شنوی آنچه که می شنوم من، و می بینی آنچه که می بینم من، مگر آنکه تو پیغمبر نیستی، و لکن تو وزیر منی، و بدرستی که تو ثابت هستی بر خیر دنیا و آخرت.

و لقد كنت معه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ لَمَّا أَتَاهُ المَلَاءُ من قريش، فقالوا له:

يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قد إدَّعيت عَظِيمًا لم يدَّعه آباؤُكَ و لا أَحَدٌ من بيتِكَ و نحن نَسئَلُكَ أَمْرًا إن أجبتنا إليه و أَرِيتناهُ علمنا أَنَّكَ نَبِيٌّ و رسولٌ و إن لم تفعل علمنا أَنَّكَ ساحرٌ كَذَّابٌ. قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ لهم: و ما تَسئَلون؟ قالوا: تدع لنا هذه الشَّجْرَةَ حَتَّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديكَ فقال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ: إنَّ اللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فإن فعل اللهُ ذلك بكم أ تؤمنون و تشهدون بالحقِّ؟ قالوا: نعم. قال: فَإِنِّي ساريكم ما تطلبون، و إِنِّي لأعلم أَنَّكم لا تفيئون إلى خير، و أَنَّ فيكم من يطرح في القليب، و من يحزَّب الأَحزاب. ثمَّ قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ: يا أَيُّهَا الشَّجْرَةُ إن كنت تؤمنين بالله و اليوم الآخر و تعلمين أَنِّي رسولُ اللهِ فانقلعي بعروقك حَتَّى تقفي بين يديَّ بإذن اللهِ. و المَذَى بعثه بالحقِّ لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دوىٌّ شديد و قصف كقصيف أجنحه الطَّير، حَتَّى وقفت بين يدي رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ

مرفرفه، و أَلقت بغصنها الأعلَى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِعِضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عَلَوْا وَاسْتَكْبَارُوا: فَمَرَهَا فَلَئِمْتُكَ نِصْفَهَا وَبَقِيَ نِصْفَهَا، فَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفَهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهُ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كَفَرُوا وَعَتَوْا فَمَرَّ هَذَا النَّصْفُ فَلِيرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَمَرَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ. فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَ أَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ أَنَّ الشَّجْرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، تَصْدِيقًا لِنَبْوَتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ، وَقَالَ الْقَوْمُ كُلَّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبٌ السَّحَرُ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يَصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا - يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمَنْ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ، سِيْمَاهُمْ سِيْمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمُ الْأَبْرَارِ، عَمَّارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مَتَمِّسٌ كَوْنٌ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يَحْيُونَ سُنْنَ اللهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَلَا يَعْزُبُونَ، وَلَا يَغْلِبُونَ، وَلَا يَفْسُدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

(القليب) البئر يذكر و يؤث أو العاديّه القديمه منها و (الأحزاب) جمع الحزب الطائفه و جماعه الناس و تحزّبوا صاروا أحزابا و حزبتهم تحزيبا جعلتهم حزبا حزبا و (القصف و القصيف) الصوت، و فى بعض النسخ قصف كقصف أجنحه الطير، و الجميع بمعنى واحد و (ررف) الطائر بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شىء يحوم عليه ليقع فوقه (و السّيما) بالقصر و المدّ العلامه و (غلّ) يغلّ من باب قعد غلولا إذا خان فى الغنيمه كأغلّ أو مطلق الخيانه و غلّ غلّا من باب ضرب أى حقد حقدًا.

## الاعراب

قوله: مرفرفه بالنصب حال من فاعل وقفت، و قوله: و ألفت عطف على وقفت، و علّوا و استكبارا منصوبان على المفعول لأجله، و دويّا منصوب على التمييز، و كفرا و عتّوا أيضا منصوبان على المفعول له، و كذلك تصديقا و اجلالا، و عمّار الليل بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، قوله: و أجسادهم فى العمل، الواو فيه للعطف و تحتل الحال.

## المعنى

## إشارة

اعلم أنّه عليه الصّلاه و السّلام لمّا تبّه فى الفصل السابق على علوّ مقامه و رفعه شأنه و شرف محلّه، و ذكر المخاطبين بمناقبه الجميله و عدّ فيه منها تسعا أردفه بهذا الفصل تذكيرا لهم بمنقبته العاشره و هو ايمانه برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و تصديقه بالمعجزه الظاهره منه صلوات الله و سلامه عليه فى الشجره لمّا كفر به غيره و نسبوه إلى السّحر و الكذب و هو قوله عليه الصّلاه و السّلام:

(و لقد كنت معه صلّى الله عليه و آله و سلّم لمّا أتاه الملاء من قريش) أى الجماعه منهم (فقالوا له يا محمّد إنّك قد ادّعت أمرا عظيما) و هو التّبوه و الرّساله (لم يدّعه أبأؤك) أى الأقربون منهم و إن كان الأبعدون أنبياء و مرسلين كاسماعيل و إبراهيم و غيرهما (و لا أحد من) أهل (بيتك و نحن نسألك أمرا) خارقا للعادة (إن أجبنا إليه) و أتيت به (و أريتناه



علمنا أنّك نبيّ و رسول) لا تيانك بما أتى به ساير الأنبياء و الرّسل ممّا يعجز عنه غيرهم من الايات البيّنات المصدّقه لرسالتهم و نبوتهم (و ان لم تفعل علمنا) بطلان دعواك و أنّك ساحر كذاب) لأنّ عدم فعلك لما نسأله كاشف عن عجزك من معاجزه النبوه و دلائل الرّساله.

ف (قال لهم) التّبيّ صلّى الله عليه و آله (و ما تسألون).

(قالوا تدع لنا هذه الشجره حتّى تنقلع بعروقها) من الأرض و تأتي (و تقف بين يديك) إجابة لدعوتك (فقال صلّى الله عليه و آله إنّ الله على كلّ شيء قدير) لا يعجزه شيء و لا يقصر قدرته عن شيء (فان فعل الله ذلك بكم) و أجاب إلى مسؤلكم (أ تؤمنون) به (و تشهدون بالحقّ) و إنّما نسب الفعل إلى الله و لم ينسبه إلى نفسه تنبيها لهم على أنّ ما يفعله و يصدر منه صلّى الله عليه و آله فإنّما هو فعل الله سبحانه و هو عليه السّلام مظهر له كما قال تعالى «و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى» و لذلك ذكر أوّلا عموم قدرته تعالى و فرع عليه قوله: فان فعل الله ذلك، ايماء إلى أنّ ما تسألونه من انقلاع الشجره من مكانها و وقوفها بين أيديهم أمر يعجز عنه المخلوق الضعيف و يقدر عليه الخالق القاهر القادر على كلّ شيء، فقال لهم:

فان فعلت ذلك مع كونى بشرا مثلكم فإنّما هو بكونى مبعوثا من عنده خليفه له و كون فعلى فعله أ تؤمنون حينئذ و تشهدون بأن لا إله إلاّ الله و أتى رسول الله.

(قالوا نعم قال صلّى الله عليه و آله و سلّم فأتى ساريكم ما تطلبون) أسند الارائه إلى نفسه القدسى بعد اسناد الفعل إلى الله، لما ذكرناه من النكته (و إنّى لأعلم أنّكم لا تفيثون إلى خير) أى لا ترجعون إلى الاسلام الجامع لخير الدّنيا و الاخره و فى تصدير الجملة بأنّ و اللّام تنبيها على أنّ عدم رجوعهم إلى الحقّ و بقائهم على الكفر و الضلال محقّق معلوم له صلّى الله عليه و آله بعلم اليقين ليس فيه شكّ و ريب (و أنّ فيكم من) يبقى على كفره و يقتل و (يطرح فى القليب) قليب بدر (و من) يستمرّ على غيّه و (يحزّب الأحزاب) و يجمع جموع الكفّار و المشركين على

و هذه الخبر من أخباره الغيبية و دلائل نبوته صلى الله عليه و آله و قد وقع المخبر به على طبق الخبر، فممن طرح فى القلب بعد قتلهم عتبه و شيبه ابني ربيعه و أبى جهل و اميه ابن عبد شمس و الوليد بن المغيرة و غيرهم، و ممن حزّب الأحزاب أبو سفيان بن حرب و عمرو بن ود و صفوان بن اميه و عكرمه بن أبى جهل و سهل بن عمرو و غيرهم.

(ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم يا أيها الشجره إن كنت تؤمنين بالله و اليوم الاخر و تعلمين انى رسول الله) خطابه للشجره بخطاب ذوى العقول يدل على أنها صارت بتوجه نفسه القدسى إليها شاعره مدركه قابله للخطاب كساير ذوى العقول المتصفه بالاحساس و الحياه لأن مشيئته صلى الله عليه و آله و سلم مشيه الله و إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون.

و نظير هذا الخطاب خطاب الله سبحانه للأرض و السماء بقوله «يا أرض ابلعى ماءك و يا سماء اقلعى» و فى قوله: ان كنت تؤمنين بالله و اليوم الاخر، دلالة على أن للنبات و الجماد تكليفا كساير المكلفين، و قد مرّ بعض الكلام فى ذلك فى شرح المختار الماء و التسعين.

و كيف كان فقد خاطب الشجره و قال لها (فانقلعى بعروكك حتى تقفى بين يدي باذن الله) و مشيئته ف (و الذى بعثه بالحق نبيا) (لانقلعت بعروقتها و جاءت و لها دوى شديد) صوت كصوت الريح (و قصف كقصيف) أى صوت مثل صوت (أجنحه الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) ممثله لأمره منقاده لحكمه (مرفرفه) رفرقه الطير (و ألقى بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) ممثله لأمر منقاده لحكمه (مرفوعه) رفرقه الطير (و ألقى بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) إجلالا له و إعظاما (و ببعض أغصانها على منكبى) تكريما و تعظيما (و كنت) واقفا (عن يمينه صلى الله عليه و آله و سلم فلما نظر القوم إلى ذلك) الاعجاز (قالوا) له صلى الله عليه و آله و سلم (علوا و استكبارا) لا اهتداء و استرشادا (فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها فأمرها بذلك) إتماما للحجّه و اكمالا للبيئته (فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشده دويا) و هو كناية عن سرعه إجابتها لأمره (فكادت تلتف

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) بمزيد دنوها منه صلى الله عليه وآله وسلم (فقالوا) ثالثه (كفرا وعتوا) وتمرّدا واعتلاء بقصد تعجيزه و افحامه صلى الله عليه وآله وسلم (فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله وسلم قطعاً للعدر و حسماً لمادّه المكابره (فرجع) إلى النصف الاخر و انضم اليه.

قال أمير المؤمنين لما شاهد هذه المعجزه (فقلت أنا: لا إله إلا الله فأتى أول مؤمن بك) أى برسالتك (يا رسول الله و أول من أقر بأن الشجره فعلت ما فعلت بأمر الله) و اذنه (تصديقاً لنبوتك و إجلالاً لكلمتك) و إجابته لأمرك.

(فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب) أى أنت ممّوه مدّلس لا حقيقه لما فعلته و إنّما هو تمويه و تخييل لا أصل له و أنّك كذاب فيما تدعوننا إليه من التوحيد و الايمان.

و قد حكى الله عنهم ذلك بقوله فى سورة ص «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ».

قال الطبرسى فى وجه نزول الايه: قال المفسّرون: إنّ أشراف قريش و هم خمسه و عشرون منهم الوليد بن المغيره و هو أكبرهم و أبو جهل و أبى و اميه ابنا خلف و عتبه و شيبه ابنا ربيعه و النضر بن الحارث أتوا أبا طالب و قالوا أنت شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن اخيك فأنه سقّه أحلامنا و شتم آلهتنا، شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن اخيك فأنه سقّه أحلامنا و شتم آلهتنا، فدعى أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قال: يا ابن أخ هؤلاء قومك يسألونك: فقال: ما ذا يسألوننى قالوا دعنا و آلهتنا ندعك و إلهك فقال صلى الله عليه وآله وسلم أ تعطوننى كلمه واحده تملكون بها العرب و العجم، فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك و عشر أمثالها فقال: قولوا: لا إله إلا الله، فقاموا و قالوا: أ جعل الالهه إلهاً واحداً، فنزلت هذه الايات، هذا.

و لما قالوا: إنّهُ صلى الله عليه وآله وسلم ساحر و لم يكونوا شاهدين مثل ما أتى صلى الله عليه وآله وسلم به من غيره أعظموا أمره و وصفوه بأنّه (عجيب السّحر) لأنّه قد أتى بما يعجز عنه غيره و بأنّه (خفيف فيه) لأنّه فعل ما فعل سريعاً من دون تراخ و تأخير.

ثم قالوا استحقاراً و استصغاراً: (و هل يصدّقك) و يؤمن بك (فى أمرك إلا مثل هذا) الغلام الحدث السنّ (يعنوننى) و قد حذا حذو هؤلاء الكفار أتباعهم الذين

فَضَّلُوا ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَعَلَى أَسْلَمٍ وَهُوَ حَدِيثٌ وَلَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ فَكَانَ إِسْلَامُ الْأَوَّلِ أَفْضَلَ وَقَدْ نَقَلَ تَفْصِيلَ مَقَالِهِمُ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ مِنْ كِتَابِ الْعُثْمَانِيَّةِ لِلْجَاحِظِ، وَتَفْصِيلَ الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ نَقْضِ الْعُثْمَانِيَّةِ لِأَبِي جَعْفَرِ الْأَسْكَافِيِّ تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ، وَكَفَانَا نَقْلَ الشَّارِحِ الْمُعْتَزَلِيِّ لَهُ مُؤَنَهُ النُّقْلِ هُنَا، مِنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ فَلْيَرِاجِعْ شَرْحَهُ.

ثُمَّ إِشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَنَاقِبِ لَهُ أُخْرَى وَفَضَّلَهَا بِقَوْلِهِ (وَآتَى لِمَنْ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ) أَيْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي سُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَاقَامَهُ أَحْكَامَ الدِّينِ وَاعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، مَلَامَةً لَائِمَةً وَوَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِعَشْرَةِ أَوْصَافٍ:

أَوَّلُهَا أَنَّ (سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَةُ الصِّدِّيقِينَ) أَيْ عَلَامَتُهُمْ هَؤُلَاءِ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: مَنْ يَطْعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ، قِيلَ: فِي مَعْنَى الصِّدِّيقِ إِنَّهُ الْمَصْدَقُ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَبِأَنْبِيَائِهِ لَا يَدْخُلُهُ فِي ذَلِكَ شَكٌّ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ» وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: «وَ أَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا» أَيْ كَثِيرَ التَّصَدِّيقِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَقِيلَ: صَادِقًا مَبَالِغًا فِي الصَّدَقِ فِيمَا يَخْبِرُ عَنِ اللَّهِ.

أَقُولُ: مُقْتَضَى كَوْنِ الصِّدِّيقِ مِنْ أَبْنِيهِ الْمَبَالِغَةُ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الصَّدَقِ مَبَالِغًا فِيهِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزَمٌ لَكَوْنِ عَمَلِهِ مُطَابِقًا لِقَوْلِهِ مَصْدَقًا لَهُ غَيْرَ مَكْذُوبٍ أَيْ صَادِقًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ فِي وَصْفِ الصِّدِّيقِينَ «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّيِّئَاتِ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصِّبْيَانِ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» وَ فِي الْبَحَارِ عَنْ بَصَايِرِ الدَّرَجَاتِ عَنْ بَرِيدِ الْعَجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عن قول الله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» قال عليه السلام إيانا عنى وفيه من البصائر عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السلام عن هذه الآية قال: الصادقون الأئمة الصديقون بطاعتهم.

و فيه من كثر جامع الفوائد عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: هبط على النبي ملك له عشرون ألف رأس فوثب النبي ليقبيل يده، فقال له الملك: مهلا- مهلا- يا محمّد فأنت والله أكرم على الله من أهل السماوات وأهل الأرضين أجمعين و الملك يقال له: محمود، فاذا بين منكبيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصديق الأ-كبر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حبيبي محمود كم هذا مكتوب بين منكبيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله أباك باثني عشر ألف عام.

فقد علم بما ذكرنا كلاً أن المراد بالصديقين خصوص الأئمة أو الأعمم منهم و من سائر المتقين، و على أى تقدير فرئيسهم هو أمير المؤمنين عليه السلام.

(و) الثانى (أن كلامهم كلام الأبرار) أى المطيعين لله المحسنين فى أفعالهم قال تعالى «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» قال الحسن فى تفسيره هم الذين لا يؤذون الذر و لا يرضون الشرّ و قيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمه و النافله قال الطبرسى و قد أجمع أهل البيت عليهم السلام و موافقوهم و كثير من مخالفيهم أن المراد بذلك على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، و الآية مع ما بعدها متعينة فيهم و أيضا فقد انعقد الاجماع على أنهم كانوا أبرارا و فى غيرهم خلاف، و على أى معنى فالمراد بكلامهم الذكر الدائم و قول الحقّ و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الثالث أنهم (عمّار الليل) أى بالدعاء و المناجاة و الصلاه و تلاوة القرآن (و) الرابع أنهم (منار النهار) يعنى أنهم يفرغون بالليل لعباده الخالق و يقومون فى النهار بهدايه الخلاق فالتاس يهتدون بهم من ظلمات الجهاله و الضلاله كما يهتدى بالمنار فى غياهب الدجى.

الخامس أنهم (متمسكون بحبل القرآن) قال الشارح البحرانى استعار

لفظ الجبل للقرآن باعتبار كونه سببا لتعلميه و متدبريه إلى التروى من ماء الحياه الباقيه كالعلوم و الأخلاق الفاضله كالجبل هو سبب الارتواء و الاستسقاء من الماء أو باعتبار كونه عصمه لمن تمسك به صاعدا من دركات الجهل إلى أقصى درجات العقل كالجبل يصعد فيه من السفلى إلى العلوى، انتهى و الأظهر أنّ تشبيهه بالجبل لأنه جبل ممدود من السماء إلى الأرض كما فى أخبار الثقلين: من اعتصم به فاز و نجا و ارتقى به إلى مقام القرب و الزلفى، و من تركه و لم يعتصم به ضلّ و غوى و فى مهواه المهانه هوى.

السادس أنّهم (يحيون سنن الله و سنن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم) أى يقومون بنشر آثار الدين و يواظبون على وظيف الشّرع المبين بأقوالهم و أعمالهم السابع أنّهم (لا يستكبرون و لا يعلون) لما قد علموا من مخازى الكبر و الترفع و مفاصده التى تضمّنتها هذه الخطبه الشريفه و غيرها من الخطب المتقدّمه (و) الثامن أنّهم (لا يغلون) أى لا يحقدون و لا يحسدون علما منهم برذائل الحقد و الحسد المتكفله لبيانها الخطبه الخامسه و الثمانون و شرحها، و لرداله هذه الصّيفه و دنائتها أخرجها سبحانه من صدور أهل الجنّه كما قال فى وصفهم «و نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» أى أخرجنا ما فى قلوبهم من حقد و حسد و عداوه فى الجنّه حتّى لا يحسد بعضهم بعضا و إن رآه أرفع درجه منه، و على كون يغلون من الغلول فالمراد براءتهم من وصف الخيانه لمعرفتهم برذالتها.

(و) التاسع أنّهم (لا يفسدون) أى لا يحدثون الفساد لأنّه من صفه الفساق و المنافقين كما قال تعالى «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ» الايه قال الطبرسى: معناه إذا قيل للمنافقين لا تفسدوا فى الأرض بعمل المعاصى و صدّ الناس عن الايمان أو بممايله الكفار فإنّ فيه توهين الاسلام أو بتغيير المله و تحريف الكتاب.

و العاشر أنّ (قلوبهم فى الجنان و أجسادهم فى العمل) يعنى أنّ قلوبهم متوجّهه إلى الجنان مشتاقه إلى الرّضوان، فهم و الجنّه كمن قد رآها و هم فيها منعمون، و محصّله أنّ نفوسهم بكلّيتها معرضه عن الدّنيا مقبله إلى الآخره،

و الحال أنّ أجسادهم مستغرقه فى العباده و أوقاتهم مصروفه بالطاعه.

و على كون الواو للعطف يكون قوله: و أجسادهم فى العمل الوصف الحادى عشر، و على الاحتمالين فالمراد واحد.

## تبصره

حديث الشجره مع رسول الله صلى الله عليه و آله قد روى فى ضمن معاجزه على أنحاء مختلفه لا حاجه بنا إلى روايتها، و لكنى أحببت أن اورد روايه مرويه فى تفسير الامام متضمنه لمعجزه شجره له صلى الله عليه و آله و سلم أوجب مشاهدتها لمشاهدها علما و ايماناً، كما أنّ مشاهده ما رواه أمير المؤمنين عليه السلام لم يزد كفّار قريش إلا كفراً و عتوّاً و طغياناً فاقول: فى تفسير الامام قال على بن محمّد عليهما السلام و أمّا دعاؤه صلى الله عليه و آله الشجره فإنّ رجلاً من ثقيف كان أطبّ الناس يقال له حارث بن كلده الثقفى، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال يا محمّد جئت ادأويك من جنونك فقد داويت مجانين كثيراً فشفوا على يدي، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا حارث أنت تفعل فعل المجانين و تنسبني إلى الجنون، قال الحارث: و ما ذا فعلته من أفعال المجانين، قال: نسبتك إتي إلى الجنون من غير محنه منك و لا تجربه و نظر فى صدقى أو كذبي، فقال الحارث:

أو ليس قد عرفت كذبك و جنونك بدعويك النبوه التى لا تقدر لها، فقال صلى الله عليه و آله و سلم و قولك لا تقدر لها، فعل المجانين، لأنك لم تقل لم قلت كذا و لا طالبتنى بحجّه فعجزت عنها، فقال الحارث: صدقت و أنا أمتحن أمرك بايه اطالبك بها، إن كنت نبياً فادع تلك الشجره - و أشار بشجره عظيمه بعيد عمقها - فان أتتك علمت أنّك رسول الله و شهدت لك بذلك، و إلا فأنت المجنون الذى قيل لى.

فرجع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يده إلى تلك الشجره و أشار إليها أن تعالى، فانقلعت الشجره باصولها و عروقها و جعلت تخذّ فى الأرض اخدوداً عظيماً كالنهر حتى دنت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فوقف بين يديه و نادى بصوت فصيح: ها أنا ذا يا رسول الله ما تأمرنى؟.

فقال لها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: دعوتك لتشهد لى بالنبوة بعد شهادتك لله بالتوحيد ثم تشهدى لعلّى هذا بالامامه و أنه سندی و ظهري و عضدى و فخرى، و لولاه لما خلق الله شيئا ممّا خلق.

فنادت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أنّك يا محمد عبده و رسوله أرسلك بالحقّ بشيرا و نذيرا و داعيا إلى الله باذنه و سراجا منيرا، و أشهد أنّ عليّ ابن عمّيك هو أخوك فى دينك أوفر خلق الله من الدّين حظّا، و أجز لهم من الاسلام نصيبا، و أنه سندی و ظهرك قاطع أعدائك و ناصر أوليائك، باب علومك فى امتك، و أشهد أنّ أولياءك الذين يوالونه و يعادون أعداءه حشو الجنّة، و أن أعداءك الذين يوالون أعداءك و يعادون أولياءك حشو النّار.

فنظر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى الحارث بن كلده فقال: يا حارث أو مجنوننا تعدّ من هذه آياته؟! فقال: لا و الله يا رسول الله، و لكنّى أشهد أنّك رسول ربّ العالمين و سيّد الخلق أجمعين و حسن اسلامه.

و قد مضى نظير هذه المعجزه لأمير المؤمنين عليه السلام فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه المأه و السابعه فتذكر.

قال الشارح عفى الله عنه: إنّ الفصول السّبعه الاول من هذه الخطبه الشريفه كما كانت قاصعه للمستكبرين المتجبرين، راغمه لأنفهم، لاطمه لرأسهم بمقام التّوبخ و التّقريع و التهديد، فكذلك الفصل الثامن و التاسع منها قاصعان للمنحرفين عنه عليه السّلام من غاصبى الخلافه و النّياكثين و القاسطين و المارقين بما فضّله عليه السّلام فيهما من مناقبه و مفاخره، فتلك المناقب الجميله له عليه السلام:

على قمم من آل صخر ترفّعت كجلمود صخر حطّه السّيل من عل

## الترجمه

این فصل آخر از خطبه شریفه باز در ذکر مفاخر و مناقب خود آن بزرگوار است می فرماید:



و بتحقیق بودم من با حضرت رسالت‌مآب صلی الله علیه و آله و سلم وقتی که آمدند نزد آن حضرت جماعتی از کفار قریش پس گفتند او را: ای محمد بدرستی که تو ادعا کردی امر عظیمی را که ادعا نکرده بود آنرا پدران تو و نه احدی از خانواده تو و ما خواهش می کنیم از تو کاری را اگر اجابت کردی ما را بان کار و نمودی آن را بما می دانیم که تو پیغمبر مرسلی، و اگر اجابت نکردی می دانیم که تو جادوگر و بسیار دروغ گوئی.

پس فرمود آن حضرت بایشان چه خواهش دارید گفتند که بخوانی بجهت ما این درخت را تا پر کنده شود با ریشه های خود و بایستد پیش تو، پس فرمود آن حضرت که خدای تعالی بهر چیز قادر است پس اگر بکند خداوند عالم بجهت شما آن را آیا ایمان می آورید و شهادت می دهید بحق؟ پس گفتند: بلی فرمود پس بدرستی که بزودی بنمایم من بشما آن چیزی را که طلب می کنید و حال آنکه بدرستی که یقین منست که شما باز نمی گردید بسوی اسلام که خیر دنیا و آخرت است، و بدرستی که در میان شما است کسی که انداخته می شود در چاه بدر، و کسی که جمع سازد لشکرهای کفار را بمحاربه من.

بعد از آن فرمود آن حضرت بطریق خطاب بدرخت که ای درخت اگر هستی که ایمان داری بخدای تعالی و بروز آخرت و می دانی که منم پیغمبر خدا پس برکنده شو با ریشه های خود تا این که بایستی پیش من با اذن خدا.

پس قسم بخدائی که مبعوث فرمود او را بحق هر آینه بر کنده شد با رگ و ریشه های خود و آمد بسوی آن حضرت در حالتی که مر او را صدای سخت بود، و آوازی بود مانند آواز بالهای مرغان، تا این که ایستاد پیش حضرت رسالت‌مآب صلی الله علیه و آله حرکت کنان مثل مرغ بال زنان، و انداخت شاخه بلندتر خود را بر پیغمبر خدا و بعض شاخهای خود را بر دوش من، و بودم من در جانب راست آن حضرت.

پس وقتی که نظر کردند آن جماعت بان معجزه گفتند از روی تکبر و گردن کشی پس امر کن تا بیاید بسوی تو نصف آن و باقی ماند بر جای خود نصف

دیگر آن، پس امر فرمود آن را باین پس پیش آمد بسوی او نصف آن درخت مانند عجب ترین روی آوردن و سخت ترین آن از روی آواز پس نزدیک شد که پیچیده شود بحضرت رسول خدا پس گفتند آن ملاعین از روی کفر و ستیزه گی پس امر کن این نصف را برگردد بسوی آن نصف دیگر چنانکه در اصل بود، پس امر فرمود او را پس برگشت.

پس گفتم من: لا إله إلا الله بدرستی که من اول ایمان آورنده ام بتو یا رسول الله و اول کسی هستم که ایمان آورد باین که آن درخت کرد آنچه کرد بفرمان خدا از جهت تصدیق پیغمبری تو و تعظیم فرمایش تو.

پس گفتند آن کفار شقاوت آثار جمیعا که تو جادوگر دروغ گوئی عجیب و غریب است سحر تو چابک و سبک دستی در آن، و تصدیق نمی کند تو را در پیغمبری تو مگر مثل این - و قصد می کردند در این حرف مرا - و بدرستی که من از قومی هستم که اخذ نمی کند ایشان را در راه خدا ملامت هیچ ملامت کننده که علامت ایشان علامت صدیقین است، و کلام ایشان کلام نیکوکاران، آباد کنندگان شبند بعبادت، و منارهای روزند بهدایت، چنگ زندگانند بریسمان محکم قرآن، زنده میکنند شریعت الهی و سنت رسالت پناهی را، تکبر نمی نمایند، بلندی نمی جویند، حقد و حسد نمی کنند، در راه فساد نمی پویند، قلبهای ایشان در بهشت برینست و بدنهای ایشان مشغول عبادت رب العالمین، و الحمد لله و الصلاه علی محمد و آله.

قال الشارح المحتاج إلی غفران ربّه:

هذا آخر المجلد الخامس (1) من مجلّعات منهاج البراعه، و يتلوه إنشاء الله المجلد السادس بتوفيق منه سبحانه، و قد يسّر الله بفضل الواسع ختامه، و بكرمه السابغ اتمامه بعد حصول الاياس و تفرّق الحواس و اضطراب الناس و اختلال الحال بداهيه دهيا، و بليته عظمى، و زلزله شديد اذّب الله أهل بلدنا بها في هذه الأيام،

ص: ۱۰۴

يا لها رجفة ما رأيت مثلها و قد جاوزت خمسين درجة أخذتهم نصف الليل بينما كانوا راقدين فقاموا من مضاجعهم ذعرين مرعوبين كأنهم من الأحداث إلى ربهم ينسلون بهول ترتعد منه الفرائص، و تفت الأكباد، و تصدع القلوب، و تقشعر الجلود، و كان الناس سكارى من مهول البلا.

فلو لا أن تداركنا رحمته السابقه على غضبه سبحانه لم يكن لأحد منها النجاه و لا لذى روح طماعيه فى الحياه، و قد حرمانا منذ ليال من سبت الرقاد، و خرجنا من تحت الأبنيه و العروش بعد ما أشرفت على السقوط و الانهدام، و اتخذنا الأخيه مسكنا و المظله أكنانا، و الرجفه فى هذه المدّه و قد مضت منذ ظهرت عشره أيام تطرقنا ساعه بعد ساعه.

نعوذ بالله سبحانه من غضبه و نسأله عزّ و جلّ أن لا يخاطبنا بذنوبنا و لا يؤاخذنا بأعمالنا و لا يقايسنا بأفعالنا، و أن يرفع عنا هذه البليه، و ينجينا من تلك الرزيه بمحمد و آله خير البريه، فأنه ذو المنّ الكريم و الرؤف الرحيم.

و قد وقع الفراغ منه ثالث عشر شهر ذى القعدة الحرام - من سنه سبع عشره و ثلاثمأه بعد الألف - و هذه هى النسخه الأصل كتبتها بيمنى و أسأله سبحانه أن يحشرنى فى أصحاب اليمين بجاه محمد و آله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح صدور المؤمنين بمصايح العرفان و اليقين، و نور قلوب المتقين بأنوار التقوى فى الدين، فاهدوا إلى المحجّه البيضاء و لزموا الشرع المبين، و سلكوا الجاده الوسطى و تمسكوا بالحبل المتين، و فاز العارفون منهم بعظيم الزلفى و حسن الماب، و خرجت أرواح الواصلين منهم من أبدانهم خوفا من العقاب و شوقا إلى الثواب.

و الصلاه و السلام على أشرف الأولين و الاخرين محمد سيد الأنبياء و المرسلين

و وصيّه و وزيره الوارث لعلمه، و الحامل لسرّه، و باب مدينه علمه، و دار حكمته على أمير المؤمنين و سيّد الوصيين، و آلهما الخائضين في بحار أنوار الحقائق، و الغائصين في لجج تيار الدقائق، أئمه المسلمين الهداه المهديين الأطيبين الأنجيين الغرّ الميامين:

هم هداه الورى و هم اكرم الناس أصولا شريفه و نفوسا

معشر حبّهم يجلى الهموم و مزاياهم تحلى طروسا

كرموا مولدا و طابوا اصولا و زكوا محتدا و طالوا غروسا

ملاؤا بالولاء قلبى رجاء و بمدحى لهم ملئت الطروسا

أما بعد فهذا هو المجلد السادس من مجلّدات منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه إملاء راجى عفو ربّه الغنى «حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى» وفقه الله لما يتمناه و جعل عقباه خيرا من اولاه إنه ولى الاحسان و الكريم المنان.

قال الشريف الرضى قدس سرّه العزيز:

**و من خطبه له عليه السلام و هى المآه و الثانيه**

**اشاره**

و التسعون من المختار فى باب الخطب

و هى مرويه فى الكافى فى باب علامات المؤمن و صفاته باختلاف كثير تطلع عليه بعد الفراغ، من شرح ما أورده السيّد «ره» فى المتن.

قال «قده» روى أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام: كان رجلاً عابداً فقال له: يا أمير المؤمنين صف لى المتّقين حتّى كأتى أنظر اليهم، فتناقل عليه السلام عن جوابه ثمّ قال عليه السلام يا همّام:

ص: ١٠٦

إتق الله و أحسن فإن الله مع الذين اتقوا و الذينهم محسنون، فلم يقنع همّام بذلك القول حتى عزم عليه فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله و سلم ثم قال:

أما بعد فإن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غتيا عن طاعتهم، آمنا من معصيتهم، لأنه لا تضره معصيه من عصاه، و لا تنفعه طاعه من أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، و وضعهم من الدنيا مواضعهم. فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطلقهم الصواب، و ملبسهم الإقتصاد، و مشيهم التواضع، غصّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، و وقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرّخاء، و لو لا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثواب و خوفا عن العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغروا ما دونه فى أعينهم، فهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعمون، و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معدّبون، قلوبهم محزونة، و شرورهم مأمونه، و أجسادهم نحيفه، و حاجاتهم خفيفه، و أنفسهم عفيفه، صبروا أيّاما قصيره أعقبتهم راحه طويله، تجاره مربحه يسرها لهم ربّهم، أرادتهم الدنيا فلم

ص: ١٠٧

يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها. أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً يحزنون به أنفسهم و يستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بابه فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا، و ظنّوا أنّها نصب أعينهم، و إذا مروا بابه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظنّوا أنّ زفير جهنّم و شهيقها فى أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، و أكفّهم و ركبهم و أطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى فى فكّاك رقابهم. و أمّا النهار فحلما، علماء، أبرار، أتقياء، قد براهم الخوف برى القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بالقوم من مرض، و يقول: قد خولطوا و قد خالطهم أمر عظيم، لا- يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، و من أعمالهم مشفقون، إذا زكى أحدهم خاف ممّا يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربّى أعلم منى بنفسى، أللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى أفضل ممّا يظنّون، و اغفر لى ما لا يعلمون. فمن علامه أحدهم أنّك ترى له قوه فى دين، و حزما فى لين،

و إيماناً في يقين، و حرصاً في علم، و علماً في حلم، و قصداً في غنى، و خشوعاً في عبادة، و تجملاً في فاقه، و صبراً في شدة، و طلباً في حلال و نشاطاً في هدى، و تحرّجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصّالحة و هو على وجل، يمسى و همّه الشّكر، و يصبح و همّه الذّكر، يبيت حذراً، و يصبح فرحاً: حذراً لما حذّر من الغفلة، و فرحاً بما أصاب من الفضل و الرّحمه، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ قره عينه فيما لا يزول، و زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، و القول بالعمل. تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانع نفسه، منزوراً أكله «أكله خ»، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميّته شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، و الشّرّ منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذّاكرين، و إن كان في الذّاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عمّن ظلمه، و يعطى من حرمه، و يصل من قطعه، بعيداً فحشه، لئنا قوله، غائباً منكروه، حاضرنا معروفه، مقبلاً- خيره مدبراً شرّه، في الزّلازل وقور، و في المكاره صبور، و في الرّخاء شكور لا يحيف على من يبغض، و لا يآثم فيمن يحبّ، يعترف بالحق

قبل أن يشهد عليه، لا يضيّع ما استحفظ، و لا ينسى ما ذكّر، و لا يناز بالآلقاب، و لا يضارّ بالجار، و لا يشمت بالمصائب، و لا يدخل في الباطل، و لا يخرج من الحقّ. إن صمت لم يغمّه صمته، و إن ضحك لم يعلّ صوته، و إن بغى عليه صبر حتّى يكون الله تعالى هو المذى ينتقم له، نفسه منه فى عناء و الناس منه فى راحة، أتعب نفسه لاخرته، و أراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهه، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمه، ليس تباعده بكبر و عظمه، و لا دنوّه بمكر و خديعه.

قال: فصعق همّام صعقه كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين: أما و الله لقد كنت أخافها عليه، ثمّ قال عليه السّلام: هكذا تصنع المواعظ البالغه بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: ويحك إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه، و سببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك.

## اللغة

(عزم) على الأمر يعزم من باب ضرب عزمًا و معزما و عزمانا و عزيما و عزيمة و عزمه أراد فعله و قطع عليه أوجدّ فيه فهو عازم و عزم الأمر نفسه عزم عليه و عزم على الرّجل اقسام و (الاقتصاد) ضدّ الافراط و (صغر) من باب شرف و فرح صغاره و صغرا و صغرا و صغرانا أى حقر و انحطّ قدره فهو صغير كحقير لفظا و معنا و (ثار) ثورا و ثورانا أى هاج و أثار الغبار و استثاره هيّجه.

و (تطلّع) الى و روده استشرف و (صغى) إلى الشىء كرضى مال إليه و أصغى اليه سمعه أى أماله نحوه و (حنيت) العود حنوا و حناء عطفته فانحنى و تحنّى، و حنت الناقه على ولدها حنوا عطفت و يقال لكلّ ما فيه اعوجاج من البدن كعظم اللّحى و الضلع و نحوهما



و (برى) السّيهم و العود و القلم يبريها برياً نحتها و (القداح) جمع القدح بالكسر فيهما و هو السّيهم قبل أن يراش و ينصل و (اختلط) فلان و خولط في عقله أى فسد عقله و اختلّ فهو خلط بين الخلاطه أى أحرق، و خالطه مخالطه مازجه و خالطه الدّاء خامره و (تجمل) فلان تزين و تكلف الجميل و (نزر) الشىء ككرم نزرا و نزاره و نزورا قلّ فهو نزر و نزير و منزور أى قليل.

و (اكله) فى بعض النسخ بفتح الهمزه و سكون الكاف فيكون مصدرا و فى بعضها بضمّهما و هو الرزق و الحظّ من الدّنيا فيكون اسما و (الحريز) الحصين يقال هذا حرز حريز أى حصن حصين و الحريزه من الابل التى لا تباع نفاسه و (المنابزه) و التنازب التّعابير و التداعى بالألقاب و (صعق) صعقا كسمع و صعقا بالتحريك و صعقه غشى عليه و الصعق بالتحريك أيضا شدّه الصوت و (نفث) ينفث من باب ضرب و نصر نفخ.

## الاعراب

قوله: حين خلقهم ظرف زمان، و فى بعض النسخ حيث خلقهم بدله، و قوله:

نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كألذى نزلت فى الرّخاء، اختلف الشّراح فى اعراب قوله كألذى، فقال الشّارح المعتزلى تقدير الكلام من جهة الاعراب: نزلت أنفسهم منهم فى حال البلاء نزولا كالنزول الذى نزلت منهم فى حال الرّخاء، فموضع كألذى نصب لأنّه صفة مصدر محذوف، و الذى الموصول قد حذف العايد اليه و هو الهاء فى نزلته كقولك: ضربت الذى ضربت أى ضربت الذى ضربته.

و تبعه على ذلك الشّارح البحرانى حيث قال: و الذى خلقه مصدر محذوف و الضمير العايد إليه محذوف أيضا، و التقدير: نزلت كالنزول الذى نزلته فى الرّخاء ثم احتمل وجها آخر و قال:

و يحتمل أن يكون المراد بالذى الذين فحذف التّون كما فى قوله تعالى «كألذى خاضوا» و يكون المقصود تشبيهم حال نزول أنفسهم منهم فى البلاء بالذين نزلت أنفسهم منهم فى الرّخاء.

وقال بعضهم: إنه لا- بدّ من تقدير مضاف لأنّ تشبيه الجمع بالواحد لا يصحّ، أى كلّ واحد منهم إذا نزلت فى البلاء يكون كالرجل الذى نزلت نفسه فى الرّخاء و نحوه قوله تعالى «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ».

أقول: و أنت خبير بأنّ هذه كلّها تكلفات يأبى عنها الذّوق السّليم مضافا إلى ما فى الوجه الاخر الذى احتمله البحرانى و كذلك الوجه الأخير الذى حكيناه عن بعضهم أنّ المنساق من ظاهر كلامه عليه السّلام تشبيه إحدى حالتى المتّقين بحالتهم الاخرى لا تشبيهم بغيرهم من أهل الرّخاء.

ثمّ بعد الغصّ عن ذلك و البناء على ما ذكر فلا حاجة فى تصحيح تشبيه الجمع بالمفرد إلى تأويل ما هو المفرد ظاهرا بالجمع و المصير إلى حذف النون كما تمخّله الأوّل، أو تأويل الجمع بالمفرد بالمصير إلى تقدير المضاف كما تجشّمه الاخر، لجواز تقدير موصوف الذى لفظ الرّهط و الجمع و نحوهما ممّا يكون مفردا لفظا و جمعا فى المعنى، و يكون المعنى نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالرّهط أو الجمع الذى نزلت أنفسهم منهم فى الرّخاء.

قال نجم الأئمة بعد ما قال بأنه قد يحذف نون الذين مستشهدا بقول الشاعر:

و إنّ الذى حانت بفيح دمائهم هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد

و يجوز فى هذا أن يكون مفردا وصف به مقدّر مفرد اللفظ مجموع المعنى أى و أنّ الجمع الذى و أنّ الجيش الذى كقوله تعالى «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» فحمل على اللفظ أى الجمع الذى استوقد نارا، ثمّ قال: بنورهم فحمل على المعنى و لو كان فى الايه مخفّفا من الذين لم يجز أفراد الضّمير العايد إليه و كذا قوله تعالى «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» و هذا كثير أعنى ذكر الذى مفردا موصوفا به مقدّر مفردا للفظ مجموع المعنى و أمّا حذف النون من الذين فهو قليل، انتهى.

و بعد ذلك كلّه فالأقرب عندى أن يجعل الذى مصدرًا بأن يكون حكمه حكم

ماء المصدرية كما ذهب اليه يونس و الأخش في قوله سبحانه «ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا» أي ذلك تبشير الله و كذلك قال- في قوله تعالى «وَ خُضُّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» و على هذا فيكون المعنى: نزلت أنفسهم منهم في البلاء مثل نزولها في الرخاء و هذا لا تكلف فيه أصلا.

و قوله: تجاره مبرحه، بالرفع على أنه خبر محذوف المبتدأ، أي تجارتهم تجاره مبرحه، و في بعض النسخ بالنصب على المصدر أي أتجروا تجاره.

و قوله: أميا الليل فصافون، بالنصب على الظرف، و الناصب، إما لتضمنها معنى الفعل أو الخبر كما في نحو قولك: أما اليوم فأنا ذاهب و أما إذا قلت اما في الدار فزيد، فالعامل هو أما لا غير كما في قولهم أما العبيد فذو عبيد، أي مهما ذكرت العبيد فهو ذو عبيد، هذا.

و يروى بالرفع على الابتداء فيحتاج إلى العايد في الخبر أي صافون أقدامهم فيها و قوله: تالين حال من فاعل صافون أو من الضمير المجرور بالاضافه في أقدامهم: و الأول أولى، و جملة يرتلونه حال من فاعل تالين، و في بعض النسخ يرتلونها، فالضمير عايد إلى أجزاء القرآن، و نصب أعينهم بنصب النصب على الظرفيه، و يروى بالرفع على أنه خبر انّ و المصدر بمعنى المفعول.

و قوله: يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم، تعديه الطلب بحرف الجرّ أعنى إلى لتضمينه معنى التضرع و في للظرفيه المجازيه، أي يتضرعون إليه سبحانه في فكاك رقابهم.

و أما ما قاله الشارح المعتزلي من أنّ الكلام على الحقيقه مقدر فيه حال محذوفه يتعلّق بها حرف الجرّ أي يطلبون الى الله سائلين في فكاك رقابهم لأنّ طلبت لا يتعدى بحرف الجرّ فليس بشيء لأنّ تأويل الطلب بالسؤال لا ينهض باثبات ما رامه كما لا يخفى.

و في في قوله: و قوه في دين، ظرف لغو متعلّق بقوه، و في قوله: و حزما في لين ظرف مستقرّ متعلّق بمقدّر صفه لقوله حزما، و في المعطوفات بعد ذلك في بعضها

ظرف لغو و فى بعضها ظرف مستقرّ وصف لسابقه، فتدبرّ تفهم.

## المعنى

## أشاره

اعلم أنه قد (روى أنّ صاحباً لأمير المؤمنين) أى رجلاً من أصحابه و شيعته و مواليه (يقال له همام) بالتشديد، و هو كما فى شرح المعتزلى همام بن شريح بن يزيد بن مرّه بن عمر بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد ابن عمرو بن ذهل بن سيف بن سعد العشير.

و فى البحار و الأظهر أنه همام بن عباد بن خثيم ابن أخ الزبيح بن خثيم أحد الزهاد الثمانيه كما رواه الكراچكى فى كنزه.

و كيف كان فقد (كان رجلاً عابداً) زاهداً ناسكاً (فقال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين) و اشرح لى حالهم (حتى كآنى أنظر إليهم) و ابصر بهم لأتقى آثارهم و أقتبس أنوارهم.

(فتناقل عليه السّلام عن جوابه) قال الشارح المعتزلى تناقله عليه السّلام عن الجواب لعلمه بأنّ المصلحه فى تأخير الجواب، و لعلّه كان فى مجلسه عليه السّلام من لا يحبّ أن يجيب و هو حاضر، فلما انصرف أجاب، أو لأنّه رأى أنّ تناقله عنه يزيد شوق همام إلى سماعه فيكون أنجع فى موعظته، أو أنه تناقل عنه لترتيب المعانى و نظمها فى ألفاظ مناسبة ثمّ النطق بها كما يفعله المتروى فى الخطبه و القريض.

و الأولى ما قاله الشارح البحرانى: من أنه عليه السّلام تناقل عنه لما رأى من استعداد نفسه لأثر الموعظه و خوفه عليه أن يخرج به خوف الله إلى انزعاج نفسه و صعوقها.

(ثمّ) إنه عليه السّلام بعد تناقله عن الجواب و وصف حال المتقين تفصيلاً لما رآه من المصلحه المقتضيه لترك التفصيل أجابه بجواب إجمالى و (قال) له (يا همام اتق الله و أحسن) يعنى أنّ الفرض عليك القيام بالتقوى و الأخذ بها على قدر ما حصل لك المعرفة به من معناها و حقيقتها من الكتاب و السنه، و تبين لك إجمالاً من ماهيتها كما يعرفها جميع المؤمنين، و الزائد عن ذلك غير مفروض عليك و لا يجب البحث عنه

وقد تقدّم شرح معناها و حقيقتها و بعض ما يترتب عليها من الثمرات الدنيويّه و الاخرويّه في شرح الخطبه الرّابعه و العشرين، و قد روينا هناك عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال في تفسيرها: أن لا يفقدك الله حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك، هذا.

و المراد بقوله: و أحسن هو الاحسان في العمل، يعنى أنّ اللازم عليك الأخذ بالتقوى و القيام بالحسنى من الأعمال الصّالحه.

و هذا الّذى قلنا أولى ممّا قاله الشارح البحرانى من أنّ معنى كلامه أنّه أمره بتقوى الله أى في نفسه أن يصيبيها فادح بسبب سؤاله، و أحسن أى أحسن إليها بترك تكليفها فوق طوقها.

و كيف كان فلما أمره بالتقوى و الاحسان علّله بقوله (فإنّ الله مع الذين اتّقوا و الذين هم محسنون) ترغيبا له إلى القيام بهما، و هو اقتباس من الايه الشريفه خاتمه سوره النحل، يعنى أنّه سبحانه مع الذين اتّقوا ما حرّم عليهم و أحسنوا فيما فرض عليهم أى معين لهم و ناصر لهم و هو وليّهم في الدّنيا و الاخره.

(فلم يقنع همّام بذلك القول) و لم يكتف بالاجمال (حتّى عزم عليه عليه السّلام) و أقسم و ألحّ في السّؤال.

(ف) أجاب عليه السّلام مسّئله و أنجح مأموله و (حمد الله) عزّ و جلّ (و أثنى عليه) بما هو أهله (و صلّى على النّبىّ و آله ثمّ قال أما بعد فإنّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم).

و انما مهّد هذه المقدّمه لأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم لما كان بصدد شرح حال المتقين تفصيلا حسبما اقترحه همّام و كان ربما يسبق إلى الأوهام القاصره أنّ ما يأتى به المتّقون من مزايا الأعمال و الصالحات و ما كلّفهم الله سبحانه به من محامد الخصال و القربات من أجل حاجه منه تعالى عن ذلك إليها، قدّم هذه المقدّمه تنبيها على كونه سبحانه منزّها عن ذلك، متعاليا عن صفات النقص و الحاجه في الأزّل كما في الأبد، و أنّه لم يكن غرضه تعالى من الخلق و الايجاد تكميل ذاته بجلب المنفعه و دفع المضرّه كما في ساير الصناعات البشريه يعملون الصناعات لافتقارهم إليها و استكمالهم بها بما في ذاتهم

من النقص والحاجه، و أمّا الله الحيّ القيّوم فهو الغنيّ الكامل المطلق في ذاته و صفاته و أفعاله و لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان و لا تخوّف من عواقب زمان و لا استعانه على ندّ ماثور و لا شريك مكائر و لا ضدّ منافر حسبما عرفته في الخطبه الرابعه و الستين و شرحها بما لا مزيد عليه.

و هذا معنى قوله (لأنه لا- تضرّه معصيه من عصاه و لا- تنفعه طاعه من أطاعه) و قد تقدّم في شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين أنّ غرضه من الخلق و الايجاد و من الأمر بالطاعه و الانقياد هو اىصال النفع إلى العباد و إكمالهم بالتكاليف الشرعيّه و رفعهم بالعمل بها إلى حظاير القدس و محافل الانس.

و قوله (فقسّم بينهم معاشهم و وضعهم من الدّنيا مواضعهم) تفريع على قوله:

خلق الخلق لا تقرير و تأكيد، لغناه المطلق كما قاله الشارح البحراني.

و المراد أنه تعالى أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى و قسّم بينهم معيشتهم أى ما يعيشون به في الحياه الدّنيا من أنواع الرزق و الخير و المنافع و النعماء، و وضع كلا- منهم موضعه اللاّيق بحاله من الفقر و اليسار و الغنى و الافتقار و السعه و الاقتار على ما يقتضيه حكمته البالغه و توجه المصلحه الكامله كما اشير اليه في قوله عزّ و جلّ «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» هذا.

و انما فرع عليه السلام هذه الجملة على ما سبق و عقبه بها لتكون توطئه و تمهيدا بقوله (فالمتمّتون فيها هم أهل الفضائل) يعنى أنّ معاش الخلق في الدّنيا لما كانت بحسب تقسيم الله سبحانه و اقتضاء حكمته اقتضى العنايه الالهيه و النظم الأصلح في حقّ المتّقين بمقتضى كونهم من أهل السبق و القربى أن يكون عيشتهم في الدّنيا بخلاف معاش ساير الخلق و يكون حركاتهم و سكناتهم و حالالاتهم وراء حالات أبناء الدّنيا، فاتّصفوا بالفضائل النفسانيه و تزيّنوا بمكارم الأخلاق و محامد الأوصاف التي فضلها عليه السلام بالبيان البديع و التفصيل العجيب.

اولها أنّ (منطقهم الصواب) و هو ضدّ الخطاء يعنى أنهم لا يسكتون عما ينبغى أن يقال فيكونون مفرّطين، و لا يقولون ما ينبغى أن يسكت عنه فيكونون مفرّطين

و يحتمل أن يراد به خصوص توحيد الله تعالى و تمجيده و الصّلاه على نبيّه و به فسّر في قوله سبحانه «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا».

(و) الثّاني أنّ (ملبسهم الاقتصاد) أى التوسّط بين الافراط و التفريط، و فى الاسناد توسّع يعنى أنّ لباسهم ليس بثمين جدا مثل لباس المترفين المتكبرين، و لا بذله كلباس أهل الابتدال و الخسّه و الدّنائنه بل متوسّط بين الأمرين.

(و)الثالث أنّ (مشيهم التواضع) و فى الاسناد أيضا توسّع، يعنى أنهم لا يمشون على وجه الأشر و البطر و الخيلاء لنهى الله سبحانه عن المشى على هذا الوجه فى قوله «وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» و أمره بخلافه فى قوله «وَ أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ».

و قد روى فى الكافى عن عمرو بن أبى المقدم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

فيما أوحى الله عزّ و جلّ إلى داود: كما أنّ أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون.

(و) الرابع أنهم (غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم) امثالا لأمره تعالى به فى قوله «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ» أى يغضّوا أبصارهم عما لا يحلّ لهم النظر اليه.

و فى الوسائل من الكافى عن أبى عبد الله عليه السّلام كلّ عين باكيه يوم القيامة إلاّ ثلاثه أعين: عين غصّت عن محارم الله، و عين سهرت فى طاعه الله، و عين بكت فى جوف الليل من خشيه الله.

(و) الخامس أنّهم (وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم) فى الدّنيا و الاخره الموجب لكمال القوّه النظرية و الحكمة العمليه، و أعرضوا عن الاصغاء إلى اللّغو و الأباطيل كالغيبه و الغناء و الفحش و الخناء و نحوها، و قد وصفهم الله سبحانه بذلك فى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» و فى قوله «وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا».

و السادس أنّهم (نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرّخاء) يعنى

أنهم موطنون أنفسهم على ما قدره الله في حقهم من الشده و الرخاء و السراء و الضراء و الضيق و السعه و المنحه و المحنه و محصله وصفهم بالرضاء بالقضاء.

روى فى الكافى عن ابن سنان عمن ذكره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له:

بأى شىء يعلم المؤمن بأنه مؤمن؟ قال عليه السلام: بالتسليم لله و الرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط.

و فى روايه أخرى فيه عنه عليه السلام قال: رأس طاعه الله الصبر و الرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كرهه، و لا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلا كان خيرا له فيما أحبّ أو كره.

و عن محمد بن عذافر عن أبيه عن أبى جعفر عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و آله فى بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: ما أنتم؟ فقالوا:

نحن المؤمنون يا رسول الله، قال: فما حقيقه إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله، و التفويض الى الله، و التسليم لأمر الله، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فان كنتم صادقين فلا تبوا ما لا تسكنون، و لا تجمعوا ما لا تأكلون، و اتقوا الله الذى إليه ترجعون.

(و) السابع أنه (لو لا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب) و هو إشاره إلى غايه نفرتهم عن الدنيا و فرط رغبتهم إلى الاخره لما عرفوا من عظمه وعده و وعيده، يعنى أنهم بكليتهم متوجهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شده الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلا الاجال المكتوبه و عدم بلوغها غايتها.

روى فى الوسائل من الكافى عن أبى حمزه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من عرف الله خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا.

و الثامن أنه (عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم) علما منهم بأنه سبحانه موصوف بالعظمه و الكبرياء و الجلال غالب على الأشياء كلها، قادر قاهر عليها، و أنّ كل من سواه مقهور تحت قدرته داخل ذليل فى قيد عبوديته، فهو



سبحانه عظيم السلطان عظيم الشأن وغيره أسير في ذل الامكان مفتقر اليه لا يقدر على شيء إلا باذنه.

و أشار عليه السّلام بهذا الوصف إلى شدّه يقين المتّقين و غايه توكلهم و أنّ اعتصامهم في جميع امورهم به و توكلهم عليه و أنهم لا يهابون معه ممّن سواه.

روى في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ليس شيء إلاّ - و له حدّ قال: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكّل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدّ اليقين؟ قال: ألاّ تخاف مع الله شيئاً.

و عن مفضل عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: أوحى الله عزّ و جلّ إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثمّ تكيده السماوات و الأرض و من فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، و ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلاّ قطعت أسباب السماوات من يده و أسخت الأرض من تحته و لم ابال بأى واد هلك، هذا.

و لما ذكر في الوصف السابع شدّه اشتياق المتّقين إلى الجنّه و خوفهم من العقاب أتبعه بقوله (فهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعمون و هم و النار كمن قد رآها و هم فيها معدّبون) إشارة إلى أنهم صاروا في مقام الرّجاء و الشوق إلى الثواب و قوّه اليقين بحقايق وعده سبحانه بمنزله من رأى بحسّ بصره الجنّه و سعادتها، فتنعموا فيها و التذوّا بلذائذها، و في مقام الخوف من النار و العقاب و كمال اليقين بحقايق وعيده تعالى بمنزله من شاهد النّار و شقاوتها فتعدّبوا بعذابها و تألّموا بالامها.

و محصّيه جمعهم بين مرتبتي الخوف و الرّجاء و بلوغهم فيه إلى الغايه القصوى، و هي مرتبه عين اليقين كما قال عليه السّلام مخبراً عن نفسه. لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، و هذه المرتبه أعنى مرتبه عين اليقين مقام جليل لا يبلغه إلاّ الأوحدي من النّاس.

و قد روى في الكافي عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صلّى بالنّاس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله:

كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ قَوْلِهِ وَقَالَ: إِنَّ لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ يَقِينِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَقِينِي يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَحْزَنَنِي وَأَسْهَرَ لَيْلِي وَأَظْمَأَ هُوَ أَجْرِي فَعَزَفْتَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي وَقَدْ نَصَبَ لِلْحِسَابِ وَحُشْرِ الْخَلَائِقِ لِنَدْوَى لِي وَأَنَا فِيهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ وَيَتَعَارَفُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَتَكْتُمُونَ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِّخُونَ، وَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُ زَفِيرَ النَّارِ يَدُورُ فِي مَسَامِعِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَذَا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَهُ: الزَّمْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَقَالَ الشَّابُّ: ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَرْزُقَ الشَّهَادَةَ مَعَكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَلِثْ أَنْ خَرَجَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ فَاسْتَشْهَدَ بَعْدَ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَكَانَ هُوَ الْعَاشِرَ.

وَقَدْ مَرَّ هَذَا الْحَدِيثُ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْمَاءِ وَالثَّلَاثَةِ عَشَرَ، وَرَوَيْنَاهُ هُنَا أَيْضًا لِإِقْتِضَاءِ الْمَقَامِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

وَالتَّاسِعَ أَنَّ (قُلُوبَهُمْ مَحْزُونَةٌ) لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَوْفِ.

رَوَى فِي الْكَافِي عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرْبُوزَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: صَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّاسِ الصَّبِيحَ بِالْعِرَاقِ فَلَمَّا انْصَرَفَ وَعَظَهُمْ فَبَكَى وَأَبْكَاهُمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَاهَدْتُمْ أَقْوَامًا عَلَى عَهْدِ خَلِيلِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْهُمْ لِيَصْبِحُونَ وَيَمْسُونَ شِعْثًا غَيْرًا خَمَصًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَرَكِبَ الْمَعْزَى يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَقِيَامًا، يَرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، وَيَنَاجُونَ فِي فِكَائِكَ رِقَابَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتَهُمْ مَعَ هَذَا وَهُمْ خَائِفُونَ مُشْفِقُونَ.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: صَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْفَجْرَ وَلَمْ يَزَلْ فِي مَوْضِعِهِ حَتَّى صَارَتِ الشَّمْسُ عَلَى قَدَرِ رِمْحٍ وَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكَتْ أَقْوَامًا يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سَجْدًا وَقِيَامًا يَخَالِفُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَرِكْبِهِمْ كَأَنَّ زَفِيرَ النَّارِ فِي آذَانِهِمْ، إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ مَا دَاوَا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ كَأَنَّمَا الْقَوْمُ بَاتُوا غَافِلِينَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثُمَّ قَامَ فَمَا رَأَى ضَاحِكًا حَتَّى قَبِضَ.

(و) العاشر أنّ (شروهم مأمونه) لأنّ مبدء الشرور و المفسد كلّها و رأس كلّ خطيئه هو حبّ الدّنيا، و المتّقون زاهدون فيها معرضون عنها مجانيون عن شرّها و فسادها.

(و) الحادى عشر أنّ (أجسادهم نحيفه) لا تعاب أنفسهم بالصيام و القيام و قناعتهم بالقدر الضرورى من الطعام.

(و) الثانى عشر أنّ (حاجاتهم خفيفه) لاقتصارهم من حوائج الدّنيا على ضروريّاتها و عدم طلبهم منها أكثر من البلاغ.

(و) الثالث عشر أنّ (أنفسهم عفيفه) أى مصنوعه عن المحرّمات لكسرهم سوره القوّه الشهويّه.

روى فى الوسائل من الكافى عن منصور بن حازم عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

ما من عباده أفضل عند الله من عفته فرج و بطن.

و عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: ما من عباده أفضل من عفته بطن و فرج و الرابع عشر أنّهم (صبروا أياما قصيره أعقبتهم) تلك الأيام القصيره (راحه طويله) يعنى أنّهم صبروا فى دار الدّنيا على طوارق المصائب و على مشاق الطاعات و عن لذات المعاصى بل احتملوا جميع مكاره الدّنيا و استعملوا الصبر فى جميع أهوالها فأوجب ذلك السعاده الدائمه فى الدّار الاخره.

و يدلّ على ذلك ما رواه فى الكافى عن حمزه بن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

الجّنه محفوفه بالمكاره و الصبر، فمن صبر على المكاره فى الدّنيا دخل الجّنه، و جهنّم محفوفه باللذات و الشهوات فمن أعطى نفسه لذتها و شهوتها دخل النار.

و فيه عن أبى حمزه الثمالى قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

و فيه عن العزرمى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: سيأتى على النّاس زمان لا ينال فيه الملك إلا بالقتل و التّجبر، و لا الغنى إلا بالغصب و البخل،

ولا- المحبّه إلا- باستخراج الدّين و اتباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى، و صبر على البغضه و هو يقدر على المحبّه، و صبر على الدّل و هو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بي، هذا و فى وصف أيّام الصبر بالقصر و الرّاحه بالطول تحريص و ترغيب اليه، و أكّده ذلك بقوله (تجاره مريحه) استعار لفظ التجاره لاكتسابهم الرّاحه فى مقابل الصبر، و رشح بلفظ الرّيح.

و كونها مريحه باعتبار قصر مدّه الصّبر على المكاره و طول مدّه الرّاحه و فناء الشّهوات الدنيويّه و اللذائذ التّفسائيه و بقاء السّعادات الاخرويّه مضافه إلى حساسه الاولى فى نفسها و حقارتها، و نفاسه الثّانيه و شرافتها.

و أكّد ثالثاً بقوله (يسرّها لهم ربّهم) يعنى أنّ فوزهم بتلك النّعمه العظمى و السّعاده الدّائمه قد حصل بتوفيق الله سبحانه و تأييده و لطفه، ففيه ايماء إلى توجّه العنايه الربّانيه إليهم و شمول الألفاظ الالهيه عليهم و إلى كونهم بعين رحمه الله و كرامته و الخامس عشر أنّهم (أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها) أى أرادت عجوزه الدّنيا أن تفتنهم و تغرّمهم و أن يتزوّجوا بها، فأعرضوا عنها و زهدوا فيها بما كانوا يعرفونه من حالها و أنّها قتياله غوّاله ظاهره الغرور كاسفه النّور يونق منظرها و يوبق مخبرها قد تزيّنت بغرورها و غرّت بزيتها لا تفى بأحد من أزواجها الباقيه كما لم تف بأزواجها الماضيه.

(و) السادس عشر أنّ الدّنيا (أسرّتهم ففدوا أنفسهم منها) الأشبه أن يكون المراد بقوله: أسرّتهم، هو الاشراف على الاسر، يعنى أنّهم بمقتضى المزاج الحيوانى و القوى التّفسائيه الّتى لهم كاد أن تغرّم الدّنيا فيميلوا إليها و يقعوا فى قيد اسره و سلسله رقيته، لكنّهم نظروا إليها بعين البصيره و عرفوها حقّ المعرفه و غلب عقلهم على شهوتهم فرغبوا عنها و زهدوا فيها و أعرضوا عن زبرجها و زخارفها، فالمراد بفداء أنفسهم منها هو الاعراض عن الزّخارف الدّنيويّه، فكأنّهم بذلوا تلك الزّخارف

لها وخلصوا أنفسهم منها.

وإنما أتى بالواو في قوله: أرادتهم الدنيا و لم يريدوها، و بالفاء في قوله:

و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها، لعدم الترتيب بين الجملتين المتعاطفتين في القرينه السابقه، بخلاف هذه القرينه فان الفديه مترتبه على الاسر كما لا يخفى.

و السابع عشر اتصافهم بالتهجد و قيام الليل و إليه أشار بقوله (أما الليل فصافون أقدامهم) فيها للصلاه علما منهم بما فيه من الفضل العظيم و الأجر الخطير و قد مدح الله القيام فيها و القائمين في كتابه الكريم بقوله «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».

قال الصادق عليه السلام في تفسيره: هو السَّيِّهَرُ فِي الصَّلَاةِ وَ يَقُولُهُ «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا يَحْدَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» و قال تعالى أيضا «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيْلًا».

قال الصادق عليه السلام في قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله تعالى عز و جل لا يريد به غيره.

و كفى في فضله ما رواه في الفقيه عن جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أن رجلا سأل علي بن أبي طالب عن قيام الليل بالقرآن، فقال عليه السلام ابشر:

من صَلَّى من الليل عشر ليله مخلصا ابتغاء ثواب الله قال الله لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما انبت في الليل من حبه و ورقه و شجره و عدد كل قصبه و خوص و مرعى.

و من صَلَّى تسع ليله أعطاه الله عشر دعوات مستجابات و أعطاه الله كتابه بيمينه.

و من صَلَّى ثمن ليله أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق التيه و شفّع في أهل بيته.

و من صَلَّى سبع ليله خرج من قبره يوم يبعث و وجهه كالقمر ليله البدر حتى

يمرّ على الصراط مع الامنين و من صلّى سدس ليله كتب من الأوابين و غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر.

و من صلّى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبته.

و من صلّى ربع ليله كان في أوّل الفائزين حتى يمرّ على الصراط كالريح العاصف و يدخل الجنة بلا حساب.

و من صلّى ثلث ليله لم يلق ملكا إلا غبطه لمنزلته من الله و قيل ادخل من أى أبواب الجنة شئت.

و من صلّى نصف ليله فلو اعطى ملؤ الأرض ذهباً سبعين ألف مرّه لم يعدل جزاه و كان له بذلك عند الله أفضل من سبعين رقبه يعتقها من ولد إسماعيل عليه السلام.

و من صلّى ثلثي ليله كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنه أثقل من جبل احد عشر مرّات.

و من صلّى ليله تامّه تاليا لكتاب الله راکعا و ساجدا و ذاكرا اعطى من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته امّه، و يكتب له عدد ما خلق الله من الحسنات و مثلها درجات و يثبت الثور في قبره و ينزع الاثم و الحسد من قلبه، و يجار من عذاب القبر و يعطى براءه من النار و يبعث من الامنين، و يقول الربّ لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليله ابتغاء مرضاتي اسكنوه الفردوس و له فيها مائه ألف مدينة في كلّ مدينة جميع ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين و لم يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامه و المزيد و القربه، هذا.

و لما وصف قيامهم بالصلاه في الليل أشار إلى قراءتهم و وصف قراءتهم تفصيلا بقوله (تالين لأجزاء القرآن) فإنّ البيوت التي يتلى فيها القرآن تضيء لأهل السّماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض كما روى في غير واحد من الأخبار و تكثر بركتها و تحضرها الملائكه و تهجرها الشّياطين كما رواه في الكافي عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(يرتلونه ترتيلاً) قال في مجمع البحرين: الترتيل في القرآن التآني و تبيين الحروف بحيث يتمكن السامع من عدّها.

و في الكافي عن عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً» قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بيّنه تبياناً و لا تهذّه هذّ الشّعْر، و لا تنثره نثر الرّمْل، و لكن افزعوا قلوبكم القاسيه و لا يكن همّ أحدكم آخر السّوره.

و في مجمع البحرين عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ترتيل القرآن حفظ الوقوف و بيان الحروف، و فسّر الوقوف بالوقف التامّ و هو الوقوف على كلام لا تعلق له بما بعده لا لفظاً و لا معنا، و بالحسن و هو الذي له تعلق، و فسّر الثاني بالاتيان بالصفات المعتره عند القراءه من الهمس و الجهر و الاستعلاء و الاطباق.

و عن الصّيادق عليه السّلام الترتيل أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك، و إذا مررت بابه فيها ذكر الجنه فاسأل الله الجنه، و إذا مررت بابه فيها ذكر النار فتعوّذ بالله من النار.

و قوله عليه السّلام (يحزنون به أنفسهم) أى يقرؤنه بصوت حزين.

روى في الكافي عن ابن أبي عمير عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ القرآن نزل بالحزن فاقراءوه بالحزن.

و في الوسائل من الكافي عن حفص قال: ما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السّلام و لا أرجى للناس منه، و كانت قراءته حزناً، فاذا قرء فكأنه يخاطب إنساناً.

و قوله: (و يستثيرون به دواء دائهم) الظاهر أنّ المراد بدائهم هو داء الدّنوب الموجب للحرمان من الجنّه و الدّخول في النّار، و بدوائه هو التّيدّبّر و التّفكّر الموجب لقضاء ما عليهم من الحقّ و سؤال الجنّه و طلب الرّحمه و المغفره و التّعوذ من النّار عند قراءه آيتي الوعد و الوعيد.

كما أوضحه و شرحه بقوله (فاذا مرّوا بابه فيها تشويق) إلى الجنّه (ركنوا)

أى مالوا و اشتاقوا (إليها طمعا و تطلعت) أى أشرفت (نفوسهم إليها شوقا و ظنّوا أنّها نصب أعينهم) أى أيقنوا أنّ تلك الايه أى الجنّه الموعوده بها معدّه لهم بين أيديهم و إنما جعلنا الظنّ بمعنى اليقين لما قد مرّ من اتّصافهم بعين اليقين و أنهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعمون.

(و إذا مرّوا بيايه فيها تخويف) و تحذير من النار (أصغوا) أى أمالوا (إليها مسامع قلوبهم و ظنّوا) أى علموا (أنّ زفير جهنّم و شهيقها) أى صوت توقدها (فى اصول آذانهم) أو المراد زفير أهلها و شهيقهم، و الزفير إدخال النفس و الشهيق إخراجها، و منه قيل: إنّ الزفير أول الصوت و الشهيق آخره، و الزفير من الصّيدر و الشهيق من الحلق، و كيف كان فالمراد أنهم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذبون.

و محصل المراد أنّ المتّقين يقرؤون القرآن بالترتيل و الصوت الحسن الحزين و يشتدّ رجاؤهم عند قراءة آيات الرّجا و خوفهم عند تلاوه آيات الخوف.

روى فى الوسائل عن الشيخ عن البرقى و ابن أبى عمير جميعا عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ينبغى للعبد إذا صلّى أن يرتل فى قراءته فاذا مرّ بيايه فيها ذكر الجنّه و ذكر النار سأل الله الجنّه و تعوّد بالله من النار، و إذا مرّ بيا أيها الناس و يا أيها الذين آمنوا يقول لبيك ربّنا.

و عنه عن عثمان بن عيسى عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام ينبغى لمن قرء القرآن إذا مرّ بيايه فيها مسأله أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو و يسأل العافيه من النار و من العذاب.

و فيه عن الكلينى عن الزّهرى فى حديث قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قرء مالك «ملك» يوم الدّين يكرّرها حتى يكاد أن يموت، هذا.

و لما ذكر عليه السّلام وصف قيامهم و قراءتهم أشار إلى ركوعهم بقوله (فهم حانون) أى عاطفون (على أو ساطهم) يعنى أنّهم يحنون ظهرهم فى الرّكوع أى يميلونه فى استواء من رقبتهم و من ظهرهم من غير تقويس.

و أشار إلى سجودهم بقوله (مفترشون لجباههم واه كفهم و ركبهم و أطراف أقدامهم)



أى باسطون لهذه الأعضاء السبعة فى حاله السجده على الأرض قال سبحانه «وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».

قال فى مجمع البيان روى أنّ المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا عليه السلام عن هذه الايه فقال عليه السلام: هى الأعضاء السبعة التى يسجد عليها.

وفى الوسائل عن الشيخ باسناده عن زراره قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعظم: الجبهة، واليدين، والرّكبتين، والابهامين من الرّجلين، وترغم بأنفك إرغاماً أمياً الفرض فهذه السبعة و أمياً الارغام بالأنف فسنة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله عليه السلام (يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم) إشاره إلى العلم الغائب لهم من عباداتهم الليلية، يعنى أنهم يتضرعون اليه سبحانه و يلحون فى فكاك رقابهم من النار و ادخالهم الجنة.

و الثامن عشر أتصافهم بأوصاف يطلع عليها الناظرون لهم نهاراً، و إليه أشار بقوله (و أمّا النهار فحلما علماء أبرار أتقياء) يعنى أنهم متصفون بالحلم و العلم و البرّ و التقوى.

أما الحلم فهو فضيله متوسّطه بين رذيلتى المهانه و الافراط فى الغضب، و هو من جنود العقل و يقابله السيّفه و هو من جنود الجهل، كما فى الحديث المروى فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام.

قال صدر المتألّهين فى شرح الكافى: الحلم الاناه و هو من شعب الاعتدال فى الغضب، و السفه الخفّه و الطيش، و سفه فلان رأيه إذا كان مضطرباً لا استقامه له فىكون من شعب الافراط فى الغضب ضدّ الحلم الذى من شعب الاعتدال فيه.

و قال بعض شراح الكافى: الحلم الاناه و التثبت فى الامور، و هو يحصل عن الاعتدال فى القوه الغضبيه و يمنع من الانفعال عن الواردات المكروهه المؤذيه، و من آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائله و عدم طيشها فى المؤاخذه و عدم صدور

حركات غير منتظمة منها و عدم إظهار المزيه على الغير و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا و عقلا.

أقول و يشهد بفضل هذا الوصف:

ما رواه فى الكافى عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الله يحبّ الحيّ الحليم العفيف المتعفف.

و عن سعيد بن يسار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إذا وقع بين رجلين منازعه نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت و قلت و أنت أهل لما قلت ستجزى بما قلت، و يقولان للحليم منهما: صبرت و حلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك، قال: فان رده الحليم عليه ارتفع الملكان، هذا.

و فى بعض النسخ بدل قوله عليه السّلام فحلماة: فحكماة بالكاف فيفيد اتصافهم بالحكمة و هو أيضا من جنود العقل، و يقابله الهوى و هو من جنود الجهل كما فى الحديث الذى أشرنا إليه.

قال صدر المتألهين فى شرح هذا الحديث من الكافى: الحكمة هى العلم بحقايق الأشياء كما هى بقدر الطاقة و العمل على طبقه، و الهوى الرأى الفاسد و اتباع النفس شهواتها الباطلة، و يحتمل أن يكون المراد بالحكمة ما يستعمل فى كتب الأخلاق و هو التوسط فى القوّه الفكرية بين الافراط الذى هو الجريزه و التفريط الذى هو البلاهه فيكون المراد بالهوى الجريزه بما يلزمها من الاراء الفاسده و العقائد الباطله، لأنّها تضادّ الحكمة التى بهذا المعنى، و كلا المعنيين من صفات العقل و ملكاته و مقابلاتهما من صفات الجهل و توابعه.

و أما العلم فهو أيضا من جنود العقل، و يقابله الجهل كما فى الحديث المتقدّم إليه الاشاره، و المراد بكونهم علماء كما لهم فى القوّه النظرية بالعلم النظرى الذى هو معرفه الصانع و صفاته و العلم الشرعى الذى هو معرفه تكاليفه و أحكامه.

و أما البر فقد يطلق و يراد به الصادق، و قد يطلق على الذى من عاداته الاحسان

و بهما فسّر قوله «أنه هو البرّ الرحيم» و كثيرا ما يخصّ الأبرار بالأولياء و الزّهاد و العباد و به فسّر قوله تعالى «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» أى الأولياء المطيعون فى الدنيا و قال فى مجمع البيان فى تفسير قوله «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» هو جمع البرّ المطيع لله المحسن فى أفعاله، و قال الحسن: هم المذنبين لا يؤذون الدّر و لا يرضون الشرّ و قيل: هم الذين يقضون الحقوق اللّازمه و النّافله.

و اما التقوى فالمراد به هنا الخوف، يعنى أنّهم خائفون من الله تعالى و تاركون جميع القبائح البدنيه و النفسائيه.

و أشار إلى كمال خوفهم بقوله (قد بريهم الخوف برى القداح) أى نحتهم مثل نحت السّهام و صاروا مثلها فى الدّقه و النحافه و إنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النّفس المدبّره للبدن به عن النظر فى صلاح البدن و وقوف القوّه الشّهويه و الغاذه عن أداء بدل ما يتحلّل.

و قد كان هذا الوصف أعنى كمال الخوف من الله سبحانه و نحول البدن من شدّته مأثورا عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام.

فقد روى المفيد فى الارشاد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام يصلّى فى اليوم و الليله ألف ركعه و كانت الرّيح تميله بمنزله السّنبله.

و فيه أيضا عن عبد الله بن محمّد القرشى قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا توضّأ يصفّر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذى يغشاك؟ فيقول: أ تدرّون لمن أتأهّب للقيام بين يديه.

و فيه أيضا عن سعيد بن كلثوم عن الصّادق عليه السّلام فى حديث مدح فيه علىّ بن أبى طالب بما هو أهله و أطراه إلى أن قال: و ما أشبهه من ولده و لا أهل بيته أحد أقرب شبها به فى لباسه و فقهه من علىّ بن الحسين عليهما السّلام، و لقد دخل ابنه أبو جعفر عليه فاذا هو قد بلغ من العباده ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السّهر و رمصت عيناه من البكاء و دبرت جبهته و انخرم أنفه من السّجود و ورمّت ساقاه و قدماه من

القيام فى الصلاه قال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيتك بتلك الحال البكاء فبكيت رحمه له الحديث.

و قد كان شيعتهم عليهم السلام أيضا متصفون بذلك.

كما رواه فى الوسائل من الخصال عن عمرو بن أبى المقدام عن أبيه قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام يا أبا المقدام إنما شيعه على الشاحبون الناحلون الدابلون، ذابله شفاهم خميصه بطونهم متغيره ألوانهم مصفره وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشا و استقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم كثيره دموعهم كثير دعاؤهم كثير بكاؤهم يفرح الناس و هم محزونون.

و فيه من أمالى ابن الشيخ قال: روى أنّ أمير المؤمنين خرج ذات ليله من المسجد و كانت ليله قمراء فأمّ الجبانه و لحقه جماعه يقفون أثره فوقف عليهم ثم قال: من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرّس فى وجوههم قال: فما لى لا أرى عليكم سيماء الشيعه؟ قالوا: و ما سيماء الشيعه يا أمير المؤمنين؟ قال: صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء حذب الظهور من القيام خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء عليهم غبره الخاشعين، هذا.

و لعلبه الخوف عليهم و نحول أجسادهم و انحلال أعضائهم و شحب ألوانهم من الجدد و الاجتهاد فى العباده (ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و) الحال أنه (ما بالقوم من مرض و) لتوجه نفوسهم بالملاء الأعلى، و خروج أفعالهم عن المعتاده المتعارفه بين الناس (يقول) الناظر لهم إنهم (قد خولطوا) أى اختلّ عقلهم و فسد (و) الحال أنهم ما خولطوا بل (قد خالطهم) أى ما زجهم (أمر عظيم) من الخوف فتولهاوا لأجله.

التاسع عشر أنّهم (لا يرضون من أعمالهم القليل) أى لا يقنعون بالقليل لعلمهم بشرف الغايات المقصوده من العبادات و عظم ما يترتب عليها من الثمرات، و هو العتق من النار و الدخول فى الجنه و الوصول إلى رضوان الله الذى هو أعظم اللذات و أشرف الغايات.

و لذلك أنّ أولياء الدّين و أئمة التقوى و اليقين كان همهم مقصوره على الجّد و الاجتهاد و التفرّغ للعباده.

و لقد قام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كما فى روايه الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه و اصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتى عوتب فى ذلك فقال الله تعالى «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتقى» بل لتسعد به.

و فى روايه الكافى عن أبى بصير عن الباقر عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عند عايشه ليلتها فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك و قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخر؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا عايشه ألا أكون عبدا شكورا و كان أمير المؤمنين عليه السّلام يصلّى فى اليوم و اللّيله ألف ركعه، و كذلك ولده على بن الحسين عليهما السّلام حسبما عرفت آنفا.

و روى فى الوسائل من العلل عن أبى حمزه قال: سألت مولاه لعلّى بن الحسين عليهما السّلام بعد موته فقلت: صفى لى امور علىّ بن الحسين عليهما السّلام فقالت: اطب أو اختصر؟ فقلت: بل اختصرى، قال: ما أتيت به بطعام نهارا قطّ و لا فرشت له فراشا بليل قطّ.

و روى فيه أيضا من العيون عن عبد السلام بن صالح الهروى فى حديث أنّ الرضا عليه السّلام كان ربما يصلّى فى يومه و ليلته ألف ركعه، و انما يفتل من صلاته ساعه فى صدر النهار و قبل الزّوال و عند اصفرار الشمس، فهو فى هذه الأوقات قاعد فى صلاه «مصلاه ظ» يناجى ربه.

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة فى وصف عباداتهم عليهم السّلام، و كفى فى تأكيد المداومه على العباده و التفرّغ لها بقوله سبحانه «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون».

روى فى الوسائل من العلل بسنده عن جميل بن درّاج قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: جعلت فداك ما معنى قول الله عزّ و جلّ «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون»؟ فقال: خلقهم للعباده.

و فيه عن الكليني عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السّلام قال في التوراه مكتوب يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك، و عليّ أن أسدّ فافتك و أملأ قلبك خوفا مني.

و عن عمر بن جميع عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: أفضل النّاس من عشق العباده فعانقها و أحبّها بقلبه و باشرها بجسده و تفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدّنيا على عسر أم يسر.

و عن أبي جميله قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال الله تبارك و تعالى: يا عبادى الصّديقين تنعموا بعبادتي فى الدّنيا فانّكم تنعمون بها فى الاخره.

(و) العشرون أنّهم (لا يستكثرون) من أعمالهم (الكثير) أى لا يعجبون بكثرة العمل و لا يعدّونه كثيرا و ان أتعبوا فيه أنفسهم و بلغوا غايه جهدهم، لمعرفتهم بأنّ ما أتوا به من العبادات و إن بلغت فى كثرتها غايه الغايات زهيدة قليلة فى جنب ما يترتب عليها من الثّمرات، كما أشار إليه فى الخطبه الثانيه و الخمسين بقوله:

فو الله لو حننتم حنين الوله العجال و دعوتهم بهديل الحمام و جأرتهم جوار المتبتلى الرّهبان و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد التماس القربه اليه فى ارتفاع درجه عنده أو غفران سيئه أحصتها كتبه و حفظها رسله، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه، هذا.

مع ما فى استكثار العمل من العجب الموجب لاهباطه و للوقوع فى الخزي العظيم و العذاب الأليم.

روى فى الوسائل من الخصال عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ثلاث قاصمات الظّهر: رجل استكثر عمله، و نسي ذنوبه، و أعجب برأيه.

و من الخصال عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال ابليس: إذا استمكنت من ابن آدم فى ثلاث لم ابال ما عمل فأنّه غير مقبول: إذا استكثر عمله، و نسي ذنبه، و دخله العجب.

و فيه عن الكليني عن سماعه قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: لا تستكثروا

الخير و لا تستقلّوا قليل الذنوب.

و عن الكليني عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم في حديث: قال موسى بن عمران لا بليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه قال: إذا أعجبتة نفسه، و استكثر عمله، و صغر في عينه ذنبه.

و قال: قال الله عزّ و جلّ لداود: يا داود بشرّ المذنبين و أنذر الصّديقين، قال:

كيف ابشّر المذنبين و أنذر الصّديقين؟ قال: يا داود بشرّ المذنبين أنى أقبل التوبة و أعفو عن الذّنب، و أنذر الصّديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك و لمّا ذكر عدم رضاهم بالقليل و اعجابهم بالكثير فرّع عليه قوله (فهم لأنفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون) يعنى أنّهم يتهمون أنفسهم و ينسبونها إلى التقصير في العباده.

روى في الوسائل عن الكليني عن سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسى عليه السّلام قال: قال لبعض ولده: يا بنى عليك بالجدّ و لا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عباده الله عزّ و جلّ فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته.

و عن الفضل بن يونس عن أبي الحسن عليه السّلام قال: أكثر من أن تقول: اللهم لا- تجعلني من المعارين و لا- تخرجني من التقصير، قال: قلت له: أمّا المعارون فقد عرفت إنّ الرّجل يعار الدّين ثمّ يخرج منه، فما معنى لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كلّ عمل تريد به وجه الله فكن فيه مقصّرا عند نفسك فإنّ النّاس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم و بين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله.

و عن أبي عبيده الحذاء عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: قال الله عزّ و جلّ: لا يتكلّ العاملون لى على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم أعمارهم في عباداتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جنّاتي و رفيع الدّرجات العلى في جواري و لكن برحمتي فليتّقوا «فليتّقوا ظ»، و فضلى فليرجوا، و الى حسن الظّنّ بى فليطمئنّوا و أمّا اشفاقهم من أعمالهم فخوفهم من عدم قبولها أو من عدم كونها جامعه

لشرائط الصّحّه و الكمال على الوجه الّذى يليق به تعالى فيؤاخذوا به، و قد مدح الله سبحانه المؤمنين بذلك في قوله «و الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ».

روى في الصافي من الكافي عن الصادق عليه السّلام أنّه سئل عن هذه الايه فقال:

هي اشفاقهم و رجاؤهم يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله و يرجون أن تقبل منهم.

و في مجمع البيان قال أبو عبد الله عليه السّلام: معناه خائفه أن لا يقبل منهم.

و في الوسائل من الكافي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام الرّجل يعمل العمل و هو خائف مشفق ثمّ يعمل شيئاً من البرّ فيدخله شبه العجب به فقال عليه السّلام: هو في حاله الأولى و هو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه.

الحادي و العشرون أنّه (إذا زكى أحدهم) أى وصف و مدح بما فيه من محامد الأوصاف و مكارم الأخلاق و مراقبه العبادات و مواظبه الطاعات (خاف مما يقال له) و اشمئزّ منه (فيقول أنا أعلم بنفسى) أى بعيوبها (من غيرى و ربّى أعلم منى بنفسى) و إنّما يشمئزّ و يخاف من التّركيه لكون الرّضا بها مظنّه الاعجاب بالنفس و الادلال بالعمل.

و لهذه النّكتة أيضاً نهى الله سبحانه عن تركيه النفس قال تعالى «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» أى لا تثنوا عليها بزكاء العمل و زياده الخير و الطهاره من المعاصى و الرّذائل، فأنه يعلم التّقى و غيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم.

قال في مجمع البيان: أى لا تعظّموها و لا تمدحوها بما ليس لها فأنّى أعلم بها، و قيل: معناه لا تركوها بما فيها من الخير ليكون أقرب إلى النسك و الخشوع، و أبعد من الرّيا هو أعلم بمن برّ و أطاع و أخلص العمل.

و روى في الصافي من العلل عن الصادق عليه السّلام أنّه سئل عنها قال: يقول:

لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته و صيامه و زكاته و نسكه، لأنّ الله عزّ و جل أعلم بمن اتقى منكم.

و قوله (اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون و اجعلنى أفضل مما يظنون و اغفر لى



ما لا يعلمون) أى لا تؤاخذنى بتركه المزكين التى هى مظنه الاعجاب الموجب للسخط و المؤاخذة، و اجعلنى أفضل مما يظنون فى التقوى و الورع، و اغفر لى الهفوات و الاثام التى أنت عالم بها و هى مستوره عنهم و على ما ذكرنا فهذه الجملة الدعائيه متم كلام المتقين الذى حكاه عليه السلام عنهم، يعنى إذا زكى أحدهم يخاف منه و يجيب المزكى بقوله: أنا أعلم بنفسى اه، و يدعو ربه بقوله: اللهم لا تؤاخذنى اه.

و العجب من الشارح المعتزلى حيث زعم أنّ هذه الجملة من كلام أمير المؤمنين نفسه لا حكاية عن المتقين قال: و قوله: اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، إلى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه منقول عنه عليه السلام أنه قاله لقوم مرّ عليهم و هم مختلفون فى أمره فمنهم الحامد له و منهم الذام فقال: اللهم لا تؤاخذنى اه، و معناه: اللهم إن كان ما ينسبه الذامون إلى من الأفعال الموجبه للذمّ حقا فلا تؤاخذنى بذلك، و اغفر لى ما لا يعلمونه من أفعالى، و ان كان ما يقوله الحامدون حقا فاجعلنى أفضل مما يظنونه فى، انتهى.

و الأظهر ما ذكرنا كما لا يخفى، هذا.

و لما ذكر جملة من أوصافهم الجميله أردفها بساير أوصافهم التى بها يعرفون و قال: (فمن علامه أحدهم أنك ترى له قوه فى دين) أى تراه متصلا فيه لا يؤثر فيه تشكيك المشكك و لا ينخدع بخداع الناس.

(و حزما فى لين) أى يكون لينة عن حزم و تثبت لا عن مهانه و قال الشارح البحرانى يكون له الحزم فى الامور الدنيويه و التثبت فيها ممزوجا باللين للخلق و عدم الفظاظه، و هى فضيله العدل فى المعامله مع الخلق.

(و ايمانا فى يقين) أى ايمانا مع يقين، فإنّ الايمان و هو معرفه الصانع و الرسول و التصديق بما جاء به من عند الله لما كان قابلا للشده و الضعف، فتاره يكون عن وجه التقليد و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب، و اخرى عن وجه العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل، و ثالثه عن العلم به مع العلم بأنّه لا يكون إلا كذلك و هو علم اليقين، أراد أنّ علمهم باصول العقائد علم يقين لا يتطرق إليه احتمال

و فى الكافى عن جابر قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: يا أخوا جعفى أنّ الايمان أفضل من الاسلام وإنّ اليقين أفضل من الايمان، و ما من شىء أعزّ من اليقين.

و عن علىّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن الايمان و الاسلام فقال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّما هو الاسلام و الايمان فوقه بدرجه و التقوى فوق الايمان بدرجه، و اليقين فوق التقوى بدرجه، و لم يقسّم بين الناس شىء أقلّ من اليقين، قال: قلت: فأى شىء اليقين؟ قال: التوكّل على الله و التسليم لله، و الرضا بقضاء الله، و التفويض إلى الله، قلت: فما تفسير ذلك؟ قال: هكذا قال أبو جعفر عليه السّلام.

قال بعض شراح الكافى فى شرح هذا الحديث: الاسلام هو الاقرار و الايمان إما التصديق أو التصديق مع الاقرار، و على التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجه أما على الثانى فظاهر و أما على الأوّل فلأنّ التصديق القلبى أفضل و أعلى من الاقرار اللسانى كما أنّ القلب أفضل من اللسان، و التقوى فوق الايمان بدرجه لأنّ التقوى هو التجنّب عمّا يضرّ فى الاخره و إن كان ضرره يسيرا، و اليقين فوق التقوى لأنّ التقوى قد لا يكون فى مرتبه اليقين، و هى التى أشار إليها أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله:

لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا.

(و حرصا فى علم) أى و حرصا فى طلب العلم النافع فى الاخره و الازدىاد منه (و علما فى حلم) أى علما ممزوجا بالحلم و قد مرّ توضيحه فى شرح قوله و أمّا النهار فعلماء حلماء.

(و قصدا فى غنى) يحتمل أن يكون المراد اقتصاده فى طلب المال و تحصيل الثروه، يعنى أنّه لا يجاوز الحدّ فى كسب المال و تحصيل الغنى بحيث يؤدّى إلى فوات بعض ما عليه من الفرائض كما هو المشاهد فى أبناء الدنيا، و أن يكون المراد أنّه مع غناه مقتصد فى حركاته و سكناته و مصارف ماله بل جميع أفعاله يعنى أنّ غناه لم يوجب طغيانه و خروجه عن القصد و تجاوزه عن الحدّ كما قال تعالى «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ».

(و خشوعاً في عبادته) أي خضوعاً و تذلاً في عبادته، و قد وصف الله المؤمنين بذلك في قوله «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» قال في مجمع البيان أي خاضعون متواضعون متذللون لا يدفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم و لا يلتفتون يمينا و شمالا.

و روى أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: أما الله لو خشع قلبه لخشعت جوارحه.

و في هذا دلالة على أنّ الخشوع في الصلاة يكون بالقلب و بالجوارح، فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجميع الهمة لها و الاعراض عنها سواها فلا يكون فيه غير العبادة و المعبود، و أما بالجوارح فهو غضّ البصر و الاقبال عليها و ترك الالتفات و العبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه و من على يساره.

(و تجملاً- في فاقه) أي يتعفف و يظهر الغنى في حال فقره و يترك السؤال و يستتر ما هو عليه من الفقر، و أصل التجميل هو تكلف الجميل.

و قد مدح الله سبحانه أصحاب الصفة بذلك في قوله «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً» و كانوا نحواً من أربعمائه من فقراء المهاجرين يسكنون صفه مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يستغرقون أوقاتهم بالتعلم و العبادة و كانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يظنهم الجاهل بحالهم و باطن امورهم أغنياء من التعفف أي من أجل التعفف و الامتناع من السؤال و التجميل في اللباس و الشتر لما هم عليه من الفقر و سوء الحال طلباً لرضوان الله و جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم أي تعرف حالهم بما يرى في وجوههم من علامه الفقر من رثائه الحال و صفه الوجه لا- يستلون الناس أصلاً فيكون إلحاح أي إصرار في السؤال، فهو من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع مثل قولك: ما رأيت مثله و أنت تريد أنه لا مثل له فيرى، لا أنّ له مثلاً ما رأيت.

قال في مجمع البيان في الحديث: إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده

و يكره البؤس و التباؤس، و يحبّ الحليم المتعفف من عباده و يبغض البذي السائل الملحف (١).

(و صبرا في شدّه) أى يتحمّل على شدايد الدّنيا و مكارهها و يستحقّرها بجنب ما يتصوّر من الفرحه بقاء الله و بما بشر به من عظيم الأجر للصّابرين فى كتابه المبين مضافا إلى ما فيه من التّأسي و الاتباع للسلف الصالحين من الأنبياء و المرسلين و أولياء الدّين.

روى فى الكافى عن حفص بن غياث قال: قال لى أبو عبد الله عليه السّلام: يا حفص إنّ من صبر صبر قليلا و أنّ من جزع جزع قليلا، ثمّ قال: عليك بالصبر فى جميع امورك فإنّ الله عزّ و جلّ بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم فأمره بالصبر و الرّفق فقال «و اضبر على ما يقولون و اهجزهم هجزاً جميلاً و ذرنى و المكدّبين أولى النعمه» و قال تبارك و تعالى «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه وليّ حميم و ما يلقاها إلاّ الذين صبروا و ما يلقاها إلاّ ذو حظّ عظيم» فصبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتى نالوه بالعظيم و رموه بها، فضاقت صدره فأنزل الله عزّ و جلّ «و لقد نعلم أنّك يضيّق صدرك بما يقولون فصبح بحميد ربك و كن من الساجدين» ثمّ كذبوه و رموه فحزن لذلك فأنزل الله عزّ و جلّ «قد نعلم أنّه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك و لكنّ الظالمين بايات الله ينجحون و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أودوا حتّى أتاهم نصيرنا» فألزم النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم نفسه الصبر فتعدّوا فذكروا الله تعالى و كذبوه فقال: قد صبرت فى نفسى و عرضى و لا صبر لى على ذكر إلهى فأنزل الله عزّ و جلّ «و لقد خلقنا السّماوات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيّام و ما مسنا من لغوب فما صبر على ما يقولون» فصبر النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى جميع أحواله ثمّ بشر فى عترته بالأئمه و وصفوا بالصبر فقال جلّ ثناؤه «و جعلنا منهم أئمه يهدون بأمرنا»

ص: ١٣٨

١- (١) - فى الحديث: ان الله يحب الجمال و التجمل و يبغض البؤس و التباؤس، كان المراد اظهار الفقر و الحاجه هكذا فى مجمع البحرين، و قال الفيروز آبادى: التباؤس التفافر و أن يرى تخشع الفقراء اخباتا و تضرعا، منه.



و على وجه الخفّه و السهوله لا- عن الكسل و التغافل، و ذلك ينشأ عن قوّه اليقين فيما وعد الله المتّقين من الجزاء الجميل و الأجر العظيم بخلاف أهل الرّيا فأنّه يكسل في الخلوّه و ينشط بين الناس.

كما روى في الوسایل عن الكلينيّ عن السكونيّ عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى الناس، و يكسل إذا كان وحده، و يحبّ أن يحمده في جميع اموره.

(و تحرّجا عن طمع) أى تجنّبا عنه أى لا يطمع فيما فى أيدي الناس لعلمه بأنّه من الرّذائل التّفسّاتيّه و منشأ المفساد العظيم لأنّه يورث الدّل و الاستخفاف و الحقد و الحسد و العداوه و الغيّه و ظهور الفصايح و المداهنه لأهل المعاصي و التّفاق و الرّيا و سدّ باب التّهي عن المنكر و الأمر بالمعروف و ترك التّوكّل على الله و التّضرع إليه و عدم الرّضا بقسمه إلى غير ذلك ممّا لا يحصى.

روى في الكافي عن سعدان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال قلت له: الذى يثبت الايمان فى العبد؟ قال: الورع و الذى يخرجّه منه قال: الطمع.

و عن الزّهرى قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: رأيت الخير كلّه قد اجتمع فى قطع الطمع مما فى أيدي الناس.

و فيه مرفوعا عن أبي جعفر عليه السّلام قال: بشس العبد عبد له طمع يقوده و بشس العبد عبد له رغبه تذله.

(يعمل الأعمال الصالحه و هو على وجل) أى على خوف من ردّها و عدم قبولها لعدم اقترانها بالشرائط المقتضيه للقبول كما قال تعالى «و الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ» و قد مضى توضيح ذلك فى شرح قوله عليه السّلام من هذه الخطبه: و من أعمالهم مشفقون.

(يمسى و همه الشكر و يصبح و همه الذّكر) قال الشارح البحراني أى يكون همه عند المساء الشكر على ما رزق بالنهار و ما لم يرزق، و يصبح و همه ذكر الله ليذكره الله فيرزقه من الكمالات النفسانيه و البدنيّه كما قال تعالى «فَاذْكُرُونِي»

«أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» أقول: ما ذكره (ره) قاصر عن تأديبه المراد غير واف بإفاده نكته تقييد الاهتمام بالذكر بالصباح والاهتمام بالشكر بالمساء، فالأولى أن يقال:

أما كون همّه مقصورا على الذكر في الصباح فلنؤكد استحباب الذكر فيه و يدلّ عليه ما رواه في الوسائل من مجالس الصدوق بإسناده عن عمير بن ميمون قال: رأيت الحسن بن عليّ عليهما السّلام يقعد في مجلسه حين يصلّي الفجر حتى تطلع الشمس، و سمعته يقول سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول: من صلّى الفجر ثمّ جلس في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس ستره الله من النار ستره الله من النار ستره الله من النار.

و فيه أيضا من المجالس عن أنس في حديث قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم لعثمان ابن مظعون: من صلّى الفجر في جماعه ثمّ جلس يذكر الله حتى يطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة بعد ما بين درجتين كحضر الفرس الجواد المضمّر سبعين سنه.

و فيه عن الشيخ عن ابن عمر عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام قال: سمعت أبي عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: أيما امرء جلس في مصلاه الذي صلّى فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحجاج بيت الله و غفر له.

و النكته الاخرى في ذلك أنّ الله سبحانه لما خلق النهار لتحصيل المعاش و طلب الرزق و الابتغاء من فضله كما أنّه خلق اللّيل للدّعه و السّكون و الراحة و النوم و كان للذكر عند الصباح مدخل عظيم في الرزق لا جرم كان اهتمامهم بالذكر فيه أما أن خلق النهار للرزق و المعاش فلقوله سبحانه «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ جَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» و أما أنّ الذكر في الصبح جالب للرزق.

فلما رواه في الوسائل عن الصادق عليه السّلام قال: الجلوس بعد صلاة الغداة في التعقيب و الدعاء حتى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض و فيه عن الكليني عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

لجلوس الرّجل في دبر صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من

ركوب البحر، قلت: قد يكون للرجل الحاجه يخاف فوتها فقال عليه السّلام: يدلج فيها و ليذكر الله عزّ و جلّ فانه في تعقيب ما دام على وضوءه.

و بمعناها أخبار اخر لا نطيل بروايتها.

و اما كون همّه بالشكر عند المساء، فلأدّن المساء ضدّ الصّباح و إذا كان طلب الرزق و استنزال النعمه بالذّكر في أوّل النّهار حسبما عرفت، فناسب أن يكون الشكر على النعم النّازله في النّهار في آخره كما هو واضح.

(بييت حذرا و يصبح فرحا) الظاهر عدم القصد إلى تخصيص الحذر بالبيات و الفرح بالصّباح، و إنّما المراد أنه يبيت و يصبح جامعا بين وظيفتي الخوف و الرّجا، فعبر عن الخوف بالحذر و عن الرّجا بالفرح لكونه موجبا للفرح و السرور.

و أشار إلى علتهما بقوله (حذرا لما حذر) منه (من الغفله) و التّقصير في رعايه و ظايف العبوديه، لما عرفت في شرح قوله: فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون، من عدم جواز إخراج النّفس من حدّ التّقصير في عبادته تعالى و إن بولغ فيها.

و بقوله (و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمه) أي بما وّفق له من فضل الله سبحانه و ما تفضّل به عليه من دين الاسلام و موالاه محمّد و آل محمّد عليهم السّلام و ما أتى صلى الله عليه و آله و سلّم به من شرايع الأحكام، فإنّ ذلك كلّ فضل منه عزّ و جلّ و رحمه يوفّق له من يشاء من عبادته كما قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

و يحتمل أن يكون المراد بما أصاب خصوص ما أتى به من الفروع العمليه و العبادات الشرعيه الموجهه لفضل الله و رحمته عليه في الاخره، فيكون محصل المراد بهذه الجملة سروره و فرحه بحسناته، لما فيها من رجاء الأجر و الثواب، و بالجملة السابقه مساءته و خوفه من الغفله لما فيها من الوزر و العقاب.

روى في الوسائل عن الكليني، عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:

من سرّته حسنته و ساءته سيّئته فهو مؤمن.



و عن سليمان عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئل النّبي صلّى الله عليه وآله عن خيار العباد فقال: الذين إذا احسنوا استبشروا، و إذا أسأوا استغفروا، و إذا اعطوا شكروا، و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا.

(ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحبّ) لما كان من شأن المتّقى كراهته للمعاصى و محبّته للحسنات، و من شأن نفسه الأماره بالسوء عكس ذلك أى كراهته للحسنات و محبّته للمعاصى يقول عليه السّلام إنّ نفسه إن لم تطعه و لم يتمكّن له فى إتيان العبادات و الحسنات التى تكرهها و كان ميلها و محبّتها فى السيئات لم يعطها سؤالها و لا يطاوعها فيما تريد، بل يقهرها على خلاف ما تكره و تحبّ، و محصّله أنّه يجاهد نفسه لعلمه بأنّها عدوّ له.

روى فى الوسائل عن الكليني عن أحمد بن محمّد بن خالد رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام لرجل: اجعل قلبك قرينا بزا و ولدا واصلا و اجعل علمك والدا تتبعه و اجعل نفسك عدوّا تجاهده و اجعل مالك عارياه تردّها.

و فيه عن الصّدوق قال: و من ألفاظ رسول الله صلّى الله عليه وآله: الشّديد من غلب نفسه.

و عن الصّيدوق عن المفضّل بن عمر قال قال الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام: من لم يكن له واعظ من قلبه و زاجر من نفسه و لم يكن له قرين مرشد استمكن عدوّه من عنقه.

و هذا الجهاد أعنى مجاهده النفس هو الّذى سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم بالجهاد الأكبر كما مرّ فى الحديث الّذى روينا فى شرح الخطبه الخامسه و الثمانين و مضى هنالك أيضا بعض الأخبار المناسبه لهذا المقام فليُنظر ثمّه.

(قرّه عينه فيما لا يزول) أى سروره و ابتهاجه المستلزم لقرّه عينه فى الباقيات الصالحات و السعادات الاخرويّه الباقيه.

(و زهادته فيما لا يبقى) أى زهده فى الدّنيا و زخارفها الفانيه.

(يمزج الحلم بالعلم) قد مرّ الوصف بالحلم و العلم فى قوله: و أما النهار فحلما علماء علماء، و قدّمنا هناك تفسير معناهما و لا حاجه إلى الاعاده و إنّما أعاد عليه السّلام الوصف بهما

قصدا إلى أنه قد خلط حلمه بعلمه يعني قد تزين مع علمه بالحلم و الوقار و ليس بعالم سفيه جبار.

كما قال أبو عبد الله عليه السلام في روايه الكافي: اطلبوا العلم و تزينوا معه بالحلم و الوقار و تواضعوا لمن تعلمونه العلم و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم، و لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم.

و فيه باسناده عن معاويه بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات: العلم، و الحلم، و الصمت، و للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصيه، و يظلم من دونه بالغلبه، و يظهر الظلمه.

و فيه بسند مرفوع عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال عليه السلام لا يكون السفه و الغره في قلب العالم، هذا.

و قال بعض الشارحين: معنى قوله يمزج الحلم بالعلم أنه يحلم مع العلم بفضيله الحلم لا كحلم بعض الجاهلين عن ضعف النفس و عدم المبالاة بما قيل له و فعل به، و لا بأس به.

(و) يمزج (القول بالعمل) أى يكون عمله موافقا لقوله بأن يأمر بالمعروف و يأتي به، و ينهى عن المنكر و يتناهى عنه، و يعد و ينفى بوعد لا أن يقول ما لا يفعل و يعد فيخلف فيستحق بذلك السخط العظيم و المقت الشديد قال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» و قال «فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ».

روى في الكافي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الايه قال: هم قوم و صنفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره.

(تراه قريبا أمله) لأن بعد الأمل و طوله ينشأ من حب الدنيا و نسيان الاخره، حسبما عرفته تحقيقا و تفصيلا في شرح الخطبه الثانيه و الأربعين، و المؤمن المتقى لزهده في الدنيا و نفرتة عنها و اشتياقه إلى الاخره لا يطول له الأمل البتة كما

هو ظاهر (قليلاً زلله) أى خطاه و ذنبه لما له من ملكه العدالة المانعه من ارتكاب الكبائر و إصرار الصغائر.

(خاشعاً قلبه) أى خاضعاً ذليلاً من تصوّر عظمه الربّ المتعال جلّ جلاله (قانعاً نفسه) بما قدّره الله تعالى فى حقّه راضيه بالقسم المقسوم مستغنيه عن الناس.

روى فى الكافى باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:  
من أراد أن يكون أغنى النّاس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يد غيره.

و فيه عن عمر بن أبى المقدم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: مكتوب فى التوراه يا ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان من رضى من الله بالقليل من الرّزق قبل الله منه اليسير من العمل، و من رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته و زكت مكسبته و خرج من حدّ الفجور.

و فيه عن محمّد بن عرفه عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: من لم يقنعه من الرّزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلاّ الكثير، و من كفاه من الرّزق القليل فأنه يكفيه من العمل القليل.

(منزورا اكله) أى قليلاً فإنّ الجوع و التقليل من الطعام يورث رقه القلب و صفاء الذّهن و انفاذ البصيره و ايقاد القريحه و الاستعداد للذّه المناجاه و التآثر بالذّكر و الموعظه، مضافاً إلى ما فيه من المنافع الكثيره التى أشرنا إليها فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و التاسعه و الخمسين.

و كفى فى فضله أنّ فيه تأسياً بالسلف الصالحين من الأنبياء و المرسلين و الأئمه المعصومين و أصحابهم الأكرمين حسبما عرفت فى شرح الخطبه المذكوره فليراجع ثمّه.

(سهلاً أمره) أى خفيف المؤنه لا يتكلّف لأحد و لا يكلفه فإنّ شرّ الأخوان من يتكلّف له.

(حريزاً دينه) أى محرزاً محفوظاً من تطرّق الشكوك و الشبه لرسوخه و كونه عن علم اليقين المانع من عروض الاحتمال و الخلل حسبما عرفت فى شرح قوله

و إيماناً في يقين.

(ميتة شهوته) قال الشارح البحراني لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرّم عليه و يعود إلى العفّة.

أقول روى في الكافي عن السيّد كوني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم ثلاث أخافهنّ على امتي بعدى: الضلاله بعد المعرفه، و مضلّات الفتن، و شهوه البطن و الفرج و فيه عن ميمون القداح قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ما من عباده أفضل من عفّه بطن و فرج.

و عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: أفضل العباده العفاف.

و في الوسائل عن الصدوق باسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام في وصيته لمحمّد ابن الحنفية قال: و من لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده.

(مكظوما غيظه) أى محبوسا و كظم الغيظ حبسه و تكلف الحلم عند هياج الغضب قال تعالى «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» مدحهم بهذه الصفة يعنى أنّهم يحبسون غيظهم و يتجرّعونه عند قدره.

روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن مالك بن حصين السيّد كوني قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: ما من عبد كظم غيظاً إلاّ زاده الله عزّ و جلّ عزّاً في الدّنيا و الآخرة و قد قال الله عزّ و جلّ «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» و أثابه الله مكان غيظه ذلك.

و فيه باسناده عن أبي حمزه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: ما من جرعه يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من جرعه غيظ يتجرّعها عند تردّها في قلبه إمّا بصبر و إمّا بحلم.

و عن سيف بن عميره قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السّلام يقول: من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه و عن أبي حمزه عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: من أحبّ السبيل إلى الله عزّ و جلّ جرعتان: جرعه غيظ تردّها بحلم و جرعه مصيبه تردّها بصبر.

و الأخبار فى فضله كثيره و قد عقد فى الكافى بابا عليه و ما أوردناها كافيه فى المقام.

(الخير منه مأمول) لكثرة الخيرات الصادره منه و غلبتها الموجه لأن يرجى و يؤمل منه خيره.

(و الشر منه مأمون) لملكه التقوى المانع من إقدامه على الشرور الباعثه على الأمن من شره.

(ان كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين) قال الشارح المعتزلى و البحرانى و غيرهما: يعنى أنه إن كان مع الغافلين عن ذكر الله و فى عدادهم كتب فى الذاكرين لكونه ذاكر الله بقلبه و إن لم يذكره بلسانه.

أقول: و الأظهر عندى أن الغرض به الاشاره إلى دوام ذكره، يعنى أنه مع كونه بين الغافلين و فى مجلسهم لا يغفل عن ذكره عزّ و جلّ كغفلتهم عنه، بل يداوم عليه و يكتب فى زمرة الذاكرين لعلمه بأن الذكر فى الغافلين يوجب مزيد الأجر.

و يدل عليه ما فى الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن الحسين بن مختار عن أبى عبد الله عليه السلام قال: الذاكر لله عزّ و جلّ فى الغافلين كالمقاتل فى المحاربين.

و عنه عن أبيه عن التوفلى عن السديكونى عن أبى عبد الله عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل عن الفارين، و المقاتل عن الفارين له الجئه و فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: قال: يا أبا ذر الذاكر فى الغافلين كالمقاتل فى الفارين فى سبيل الله.

و فيه من عدّه الداعى قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: من ذكر الله فى السوق مخلصا عند غفله الناس و شغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنه و غفر الله له يوم القيامة مغفره لم تخطر على قلب بشر.

(و إن كان فى الذاكرين لم يكتب من الغافلين) لعدم غفلته عن الذكر، لأنه مع عدم غفلته عنه مع كونه بين الغافلين كما عرفت آنفا فعدم غفلته عنه إذا كان فى

الذّاكِرِين بطريقِ اولى، و يجوز أن يراد به معنى آخر و هو الاشارة إلى كون ذكره عن وجه الخلوَص و القربه و عدم كتبه من الغافلِين لأجل ذلك، و أمّا غيره فربما يكتب من الغافلِين و إن كان ذاكرا لعدم كون ذكره عن وجه الاخلاص بل بقصد الرّيا كما قال تعالى فى حقّ المنافقين «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إلى الصّلاه قاموا كسالى يُراؤنَ النَّاسَ وَ لا يذكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا».

قال بعض المفسّرين: إنّما وصف الذّكر بالقلة لأنّه سبحانه لم يقبله و كلّ ما ردّه الله فهو قليل.

روى الطبرسى فى مجمع البيان عن العياشى باسناده عن مسعده بن زياد عن أبى عبد الله عليه السّلام عن آباءه عليهم السّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سئل فيم النّجاه غدا؟ قال:

النّجاه أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنّه من يخادع الله يخدعه و نفسه يخدع لو شعر، فقيل: إنّهُ فكيف يخادع الله، قال: يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتّقوا الرّيا فإنّه شرك بالله إنّ المرائى يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك و بطل أجرك و لا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل به.

فقد ظهر بذلك أنّ الذّكر المشوب بالرّيا غير مكتوب فى صحايف الحسنات بل فى صحايف السيّئات، و الذّاكر كذلك مكتوب فى الخائبين الخاسرين فضلا عن الغافلِين، هذا.

و لا يخفى حسن المقابله و المطابقه بين هذه القرينه و القرينه السابقه من كلامه عليه السّلام و هى من مقابله الثلاثه بالثلاثه.

(يعفو عمّن ظلمه و يعطى من حرمه و يصل من قطعته) هذه الصّيفات الثلاث من مكارم الأخلاق و محامد الخصال، فالاولى مندرجه تحت الشجاعه، و الثانيه مندرجه تحت السخاء، و الثالثه مندرجه تحت العفّه، و قد ورد الأخبار فى فضلها كثيرا.

منها ما رواه فى الكافى باسناده عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله فى خطبه: ألا أخبركم بخير خلاق «أخلاق خ» الدّنيا و الاخره: العفو عمّن ظلمك

و تصل من قطعك، و الاحسان إلى من أساء إليك، و إعطاء من حرمك.

و عن أبي حمزه الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الأولين و الاخرين في صعيد واحد ثم ينادى مناد أين أهل الفضل، قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون: و ما كان فضلكم؟ فيقولون: كُنّا نصل من قطعنا و نعطي من حرمنا و نعفو عن ظلمنا، قال:

فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لا يزيد الله بهن المرء إلا عزًا: الصّيفح عمّن ظلمه، و إعطاء من حرمه، و الصّله لمن قطعه.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره أوردها الكليني في باب العفو من الكافي و لا مهمّ بنا إلى الاطاله، هذا.

و أنّما خصّ العفو بمن ظلمه لقوّه الدّاعي الى الانتقام عنه و حاجه العفو حينئذ إلى مجاهدته نفسانيه كامله و كذلك إعطاء من حرمه وصله من قطعه.

قال بعض شراح الكافي: من صفات الكرام العفو عن الظلم و التّجاوز عن المسيء، و من صفات اللّئام الانتقام و طلب التّشفى و المعاقبه لدفع الغيظ و هو آفه نفسانيه تغير الجهال و النّاقصين من أجل تأثر نفوسهم عن كلّ ما يخالف هواها.

و أمّا إعطاء من حرمك فالمقصود به أنّه إذا أحسنت إلى أحد و لم يقابل إحسانك باحسان أو قابلك بالاساءه و الكفران، فلا ترغب عن احسانه بكفرانه، فإنّه إذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره و لو لم يشكرك أحد فإنّ الله يحبّ المحسنين كما نطق به الكتاب المبين، و كفى شرفا و فضلا بأن تخاطب بخطاب أين أهل الفضل يوم حشر الأولين و الاخرين.

و أمّا صله من قطعك فالمراد بها وصله بالمال و اليد و اللّسان و مراقبه أحواله بقدر الامكان لا سيما إذا كان من الأرحام حسبما عرفت في شرح الفصل الثّاني من الخطبه الثّالثه و العشرين على بسط و تفصيل.

(بعيدا فحشه) إن اريد بالفحش معناه الظاهر أى السبّ و بذاءه اللسان فلا بدّ

من صرف لفظ البعيد عن ظاهره و جعله كناية عن العدم، و إن ابقى البعد على ظاهره المفيد لاقدامه على الفحش احيانا فلا بدّ من ارتكاب التأويل فى لفظ الفحش و جعل المراد به فضول الكلام و القول القبيح الغير البالغ إلى حدّ الحرام لئلا ينافى ملكه العدالة و التقوى التي للمتقى.

و كيف كان فالفحش بمعناه الظاهر من الموبقات العظيمه، و قد حذّر منه فى الأخبار الكثيره و بشر الفحاش بالنار.

مثل ما فى الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من علامات شرك الشيطان الذى لا يشكّ فيه أن يكون فحاشا لا يبالى بما قال و لا بما قيل له.

و عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا رأيتم الرّجل لا يبالى ما قال و لا ما قيل له فأنّه لغيبه أو شرك شيطان.

و عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله حرّم الجنّه على كلّ فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل له، فإنّك إن فتشته لم تجده إلاّ لغيبه أو شرك شيطان قيل: يا رسول الله و فى الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أما تقرء قول الله عزّ و جل «و شاركوهم فى الأموال و الأَوْلادِ» قال: و سأل رجل فقيها هل فى الناس من لا يبالى ما قيل له؟ قال: من تعرّض الناس بشتمهم و هو يعلم أنّهم لا يتركونه فذلك لا يبالى ما قال و لا ما قيل له.

و عن سماعه عن أبى عبد الله عليه السّلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه.

و عن أبى عبيده عن أبى عبد الله عليه السّلام: قال: البذاء من الجفاء و الجفاء فى النار.

(لينا قوله) أى يتكلّم بالرّفق و لا يغلظ فى كلامه، فإنّ الرّفق فى القول يوجب المحبّه و يجلب الالفه و يدعو إلى الاجابه عند الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لذلك أمر الله عزّ و جل موسى و هارون عليهما السّلام عند بعثتهما إلى فرعون بأن يقولوا له قولنا لينا ليكون أسرع إلى القبول و أبعد من النّفور.

و روى فى الكافى باسناده عن عمّار السّاباطى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال كان:



أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك و حسن بشرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك و بقاء عزك.

(غائباً منكراً حاضراً معروفاً) أى مفقوداً أعماله القبيحة المحرّمه موجوداً أعماله الحسنه المتضمّنه للرّجحان الشرعى من الواجبات و المندوبات.

(مقبلاً خيره مدبراً شرّه) يعنى أنّه من الأختيار كثير الخير قليل الشرّ كما وصفه سابقاً بقوله: الخير منه مأمول و الشرّ منه مأمون.

و محصّل معناه أنّ خيره فى إقبال يزيد شيئاً فشيئاً و شرّه فى إدبار ينقص شيئاً فشيئاً إذ بقدر الزيادة فى طلب الخير يحصل التّقيصه فى جانب الشرّ لأنّ كثره أحد المتضادّين توجب بمقتضى التّضادّ قلّه الآخر كما هو ظاهر.

(فى الزّلازل و قور) يعنى أنّه فى النوازل و الشّدايد و الحوادث العظيمة الموجهه لاضطراب النّاس متّصف بشدّه الوقار و الرّزانه و الشّكينه و الثّبات كالجبل لا تحرّكه العواصف، و الوقار من جنود العقل و يقابله الخفّه و هى الطيش و العجله من جنود الجهل.

(و فى المكاره صبور و فى الرّخاء شكور) لأنّ الايمان نصفان: نصف صبر و نصف شكر كما فى الحديث المرفوع فى احياء العلوم عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و المتقى بما له من وصف التّقوى و الايمان قد أكمل بأخذهما كلا شطرى الايمان.

و إنّما كانا نصف الايمان لأنّ الايمان الكامل حسبما عرفت فيما تقدّم هو ما تضمّن العلم و العمل، و كلّ ما يلاقه العبد من الأعمال ينقسم الى ما ينفعه فى الدّنيا و الاخره و إلى ما يضرّه فيهما، و له بالاضافه إلى ما يضرّه و يكرهه طبعه حال الصبر و بالاضافه الى ما ينفعه حال الشكر.

(لا يحيف على من يبغض) أى لا يظلمه مع قوّه الدّاعى إلى الحيف و هو البغض و العداوه (و لا يآثم فيمن يحبّ) مع قيام الدّاعى إلى الاثم و هو المحبّه.

و محصّل هاتين الفقرتين أنّه لا يخرجّه الحبّ و البغض عن تكليفه الشرعى

إلى ما يخالفه كما هو شأن قضاءه السوء و امراء الجور و وظيفه أهل الهوى و العصبية.

(يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه) لأنّ ميسس الحاجه إلى الاشهاد إنّما يكون فى صوره الانكار و إنكار الحق كذب صريح مناف للتقوى و العدالة.

(لا- يضيع ما استحفظ) أى لا يضيع ما أمر الله بمحافظته من الصلوات الخمس و نحوها من الطاعات قال سبحانه «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ» و قال أيضا «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» و بشر الحافظين لها فى سورة المؤمنين بقوله «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» و فى سورة المعارج بقوله «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ».

و المراد بمحافظتها محافظه أوقاتها و حدودها و مراعات آدابها و شرايطها و مداومه عليها، و ضدّ المحافظه التهاون و الأول من جنود العقل، و الثانى من جنود الجهل كما فى حديث الكافى، و المراد بالتضييع هنا الأعمّ من الترك و التهاون و الاخلال بالحدود الموظفه.

(و لا ينسى ما ذكر) التذكّر و النسيان أمران متقابلان، و الأول من جنود العقل و الثانى من جنود الجهل.

و توضيح معناهما حسبما أوضحه بعض المحققين أنّ الادراك فينا عباره عن حصول الصوره العقليه أو الحسيه فى قوه من قوانا، و تلك القوه هى المسماة بالمدرکه، و الحفظ عباره عن وجود تلك الصوره فى قوه اخرى فوقها هى المسماة بالخزانه و الحافظه، و التذكّر عباره عن استحضار تلك الصوره مرّه اخرى من الحافظه بعد اختزانها فيها، و النسيان عباره عن زوالها عن المدرکه و الحافظه بما هى حافظه جميعا، و السهو عباره عن زوالها من المدرکه فقط لا من الحافظه.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ المراد بقوله لا ينسى ما ذكر أنّه لا ينسى المتقى ما ذكره الله سبحانه بايات كتابه الكريم من الفرائض و الأحكام و العبر و الأمثال و غيرها ممّا فيه تذكّره و ذكرى لاولى الألباب، بل يعمل بها و يداوم على ملاحظتها

و يكثر من اخطارها بباله و لا يغيبها عن نظره.

(و لا ينابز بالألقاب) لكون التّبرز منهياً عنه فى الكتاب الحكيم قال سبحانه «و لا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» أى لا يدعو بعضكم بعضاً باللقب السوء مثل قول الرّجل للرّجل يا كافر يا فاسق يا منافق بئس الشىء تسميته باسم الفسوق يعنى الكفر بعد الايمان، و النكته فى النهى عنه كونه موجبا للتباغض و العداوه و إثارة الفتن.

(و لا يضارّ بالجارّ) لوجوب كفّ الأذى عن الجار كما صرّح به فى غير واحد من الأخبار.

روى فى الوسائل عن الكلينى باسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد الله عن أبيه عليهما السّلام قال: قال: قرأت فى كتاب علىّ عليه السّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كتب بين المهاجرين و الأنصار و من لحق بهم من أهل يثرب: أنّ الجار كالنفس غير مضارّ و لا اثم و حرمة الجار على الجار كحرمة امه.

و عن عمرو بن عكرمه عن أبى عبد الله عليه السّلام فى حديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أتاه رجل من الأنصار فقال: إنى اشتريت داراً من بنى فلان و أنّ أقرب جيرانى منى جواراً من لا أرجو خيره و لا آمن شرّه، قال: فأمر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم علياً و سلمان و أبا ذر و نسيت آخر و أظنه المقداد أن ينادوا فى المسجد بأعلى صوتهم بأنه: لا ايمان لمن لم يأمن جاره بواقفه، فنادوا بها ثلاثاً ثمّ اومى بيده إلى كلّ أربعين داراً من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.

و عن أبى حمزه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: المؤمن من آمن جاره بواقفه، قلت: ما بواقفه؟ قال: ظلمه و غشمه.

و فيه عن الصدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى حديث المناهى قال: من أذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة و مأواه جهنّم و بئس المصير، و من ضيّع حقّ جاره فليس ممّناً و ما زال جبرئيل يوصينى بالجار حتّى ظننت أنه سيورثه، و ما زال يوصينى بالمماليك

حتى ظننت أنه سيجعل لهم وقتا إذا بلغوا ذلك الوقت اعتقوا، و ما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه سيجعله فريضة، و ما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار امتي لن يناموا.

(و لا- يشمت بالمصائب) لأنّ المصائب النازله إنما هي بقضاء من الله عزّ و جلّ و قدر و الشامت بسبب نزولها بغيره في معرض أن تصيبه مثلها فكيف يشمت و يفرح بمصيبه نزلت به.

روى في الكافي باسناده عن أبان بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: لا تبدى الشّماتة لأخيک فيرحمه الله و يصيّرهما بك.

و قال عليه السّلام من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدّنيا حتى يفتتن، هذا.

مضافا إلى أنّ في الشّماتة بالمؤمن كسرا لقلبه و إدخالا للحزن عليه، و هو خلاف غرض الشارع.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله و لا تسمعوهم فإنّ ذلك يحزنهم رواه في الكافي عن حفص بن عمر عن أبي عبد الله عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم (و لا يدخل في الباطل و لا يخرج من الحقّ) الأولى أن يراد بالباطل كلّما يبعد من الله تعالى، و بالحقّ كلّما يقرب منه عزّ و جلّ، فالمعنى أنه لا يخرج عن سمت الهدى إلى مسلك الضلال و الرّدى.

(إن صمت لم يغمه صمته) لأنه بمقتضى عقله و كماله يضع كلّا من الصمت و الكلام في موضعه اللّايق به و مقامه المناسب له، فلا يكون داع إلى التكلّم في مقام مقتض للصمت حتى يكون إمساكه عن التكلّم موجبا لاغتمامه.

و بعبارة اخرى الاغتمام بالصمت إنما يكون ممن تعود لسانه بالهدر أى الهذيان و فضول الكلام و اعتاد الخوض فيما لا يعنى، و أهل التقوى لعلمهم بما في الصمت من الثمرات الدنيوية و الاخرويه، و بما في الكلام من المفسد و الافات الكثيره كالخطاء و الكذب و الغيبه و النميمه و الرّيا و النفاق و الفحش و الجدل و تزكيه النفس و الخوض

فى الباطل و الفضول و التحريف و الزيادة و النقصان و إيذاء الخلق و هتك العورات إلى غير هذه من الافات اعتادوا أن لا يزيدوا فى كلامهم على قدر الحاجة، و التزموا الصمت إلا فى مقام الضروره.

و الى ذلك ينظر قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه و أنفق الفضل من ماله.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام إن كان كلامك من فضّه فأيقن أن السكوت من ذهب و قيل: أليق شىء يكون فى السجن هو اللسان، و قيل: اللسان صغير الجرم عظيم الجرم قال ابو بكر بن عياش: اجتمع أربعة ملوك: ملك الهند و ملك الصين و كسرى و قيصر فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت و لا أندم على ما لم أقل، و قال الثانى: إنى إذا تكلمت بكلمه ملكتنى و لم أملكها و إذا لم أتكلّم بها ملكتها و لم تملكنى، و قال الثالث: عجبت للمتكلّم إن رجعت عليه كلمته ضرّته و إن لم ترجع لم تنفعه، و قال الرابع: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منى على ردّ ما قلت.

و قد ورد فى مدح الصمت و ذمّ التكلم من الأخبار ما هو غير محصور.

مثل ما فى الكافى باسناده عن أحمد بن محمد بن أبى نصر قال: قال أبو الحسن عليه السلام: من علامات الفقه العلم و الحلم و الصمت إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة إنّ الصمت يكسب المحبه انه دليل على كلّ خير.

و عن الحلبي رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أمسك لسانك فانها صدقه تصدق بها على نفسك ثم قال: و لا يعرف عبد حقيقه الايمان حتى يخزن من لسانه.

و عن الحلبي أيضا رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: نجاه المؤمن من حفظ لسانه.

و عن أبى بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبو ذر يقول: يا مبتغى العلم إنّ هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شرّ فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك.

و عن عمر بن جميع عن أبى عبد الله عليه السلام: قال: كان المسيح يقول: لا تكثروا

الكلام فى غير ذكر الله فانّ الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر الله قاسيه قلوبهم و لكن لا يعلمون.

و عن الوشا قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا أراد العباده صمت قبل ذلك عشر سنين.

و عن منصور بن يونس عن أبى عبد الله عليه السلام قال: فى حكمه آل داود: على العاقل أن يكون عارفا بزمانه مقبلا على شأنه، حافظا للسانه.

إلى غير هذه ممّا لم نطل بروايتها، و قد مضى بعضها فى شرح الخطبه السابعة و السبعين.

(و إن ضحكك لم يعجل صوته) لأنّ ضحك المؤمن التّبسم و القهقهه من الشيطان كما رواه فى الوسائل من الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام.

و فيه أيضا من مجالس الشيخ عن هارون بن عمرو بن عبد العزيز عن محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبيه أبى عبد الله عن آباءه عن علىّ عليهم السّلام قال: كان ضحك النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم التّبسم، فاجتاز ذات يوم بفتيه من الأنصار و إذا هم يتحدّثون و يضحكون ملأ أفواههم، فقال صلى الله عليه و آله و سلّم: مه يا هؤلاء من غرّه منكم أمله و قصّير به فى الخير عمله فليطلع القبور و ليعتبر بالنشور و اذكروا الموت فإنّه هادم اللذات و من مجالس الصدوق بسنده عن معاويه بن عمّار عن أبى عبد الله عليه السّلام قال كان بالمدينه رجل بطال يضحك الناس فقال: قد أعيانى هذا الرجل أن اضحكه يعنى علىّ بن الحسين عليهما السلام، الحديث و فيه إن علىّ بن الحسين عليهما السلام قال: قولوا له: إنّ لله يوما يخسر فيه المبطلون.

و من عيون الأخبار عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهم السّلام قال: قال الصادق عليه السّلام: كم ممّن أكثر ضحكه لاغيا يكثر يوم القيامه بكاءه، و كم ممّن كثر بكاءه على ذنبه خائفا يكثر يوم القيامه فى الجنّه ضحكه و سروره.

(و إن بغى عليه صبر حتّى يكون الله هو الذى ينتقم له) يعنى إن ظلمه أحد

و تعدى عليه صبر على ذلك و فوض أمره إلى الله عز و جل حتى ينتقم له من الباغي لأنه تعالى قد وعد له النصره في كتابه العزيز بقوله «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيُنْصَرَّ بِهِ اللَّهُ» أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه ثم ظلم عليه لينصرته الله أي المظلوم العذبي عليه لا- محاله، وإنما يصبر المتقى على بغى الباغي و لا- يجازيه عملا- بقوله سبحانه «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» يعني إن أردتم معاقبه غيركم على وجه المجازاه و المكافاه فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به و لا تزيدوا عليه و لئن تركتم المكافاه و القصاص و جرعتم مرارته لهو أي الصبر خير و أنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب.

(نفسه منه في عناء و التماس منه في راحه) أي نفسه منه في تعب و مشقه لمجاهدته لها و مخالفته لهواها و حمله إيها على ما تكره و ردعه لها عما تحب كما عرفت في شرح قوله عليه السلام: إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، كل ذلك لعلمه بأنها أماره بالسوء و أنها له عدو مبین، و لذلك كان الناس منه في راحه، لأن ائذاء الناس من هوى الأنفس فاذا كان قاهرا لها على خلاف هواها يكون الناس مأمونين من شرها مستريحين من أذاها (أتعب نفسه لآخرته و أراح الناس من نفسه) و هذه الجملة في الحقيقه تعليل و توضيح للجملة السابقه، لأنه لما قال هناك: نفسه منه في عناء، علله هنا بأن إتعابه لنفسه إنما هو لأجل آخرته.

فقد روى في الوسائل عن الصدوق عن شعيب العرقوفى عن الصادق عليه السلام:

قال: من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا انتهى و إذا غضب و إذا رضى حرم الله جسده على النار.

و لما قال ثمه: الناس منه في راحه، أوضحه هنا بأن استراحتهم من شرور نفسه لمجاهدته لها.

كما روى في الوسائل عن الصدوق عن جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام فى وصيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم لعلى عليه السلام: قال: يا على أفضل الجهاد من أصبح لا يهّم بظلم أحد

(بعده عَمَّن تباعد عنه زهد و نزاهه) يعنى بعده عن أهل الدنيا و عن مجالسهم من باب الزَّهد و التباعد عن مكروههم و أباطيلهم.

(و دنوّه مَمَّن دنا منه لين و رحمه) أى قربه من المؤمنين من باب التعاطف و التواصل كما قال تعالى «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ».

قال فى مجمع البيان: قال الحسن: بلغ تشدّدهم على الكفّار أن كانوا يتحرّزون من ثياب المشركين حتّى لا يلتزق بشياهم، و عن أبدانهم حتّى لا تمسّ أبدانهم، و بلغ تراحمهم فيهما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلاّ صافحه و عانقه.

روى فى الكافى باسناده عن شعيب العرقوفى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول لأصحابه: اتّقوا الله و كونوا اخوه برره متحابّين فى الله متواصلين متراحمين تراوروا و تلاقوا و تذاكروا أمرنا و أحيوه.

و عن كليب الصّيداوى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: تواصلوا و تبارّوا و تراحموا و كونوا اخوه برره كما أمركم الله عزّ و جلّ.

و عن أبى المعزا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: تواصلوا و تبارّوا و تراحموا و كونوا اخوه برره كما أمركم الله عزّ و جلّ.

و عن أبى المعزا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: يحقّ على المسلمين الاجتهاد فى التواصل و التعاون على التعاطف و المواساه لأهل الحاجه و تعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّ و جلّ رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فقد ظهر بذلك أنّ تباعده و تدانيه عَمَّن تباعد عنه و دنى منه من باب المواظبه على الوظائف و الاداب الشرعيّه و أنّه (ليس تباعده بكبر و عظمه و لا دنوّه بمكر و خديعه) كما هو فعل أبناء الدّنيا و ذوى الأغراض الفاسده و من شأن أهل النفاق يخادعون الله و هو خادعهم، و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و إذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنّنا معكم إنّما نحن مستهزؤون.

(قال) الزاوى للحديث (فصعق همام صعقه) أى غشى عليه غشوه من فرع ما سمع من الموعظه البالغه كما خرّ موسى عليه السّلام صعقا أى مغشيا عليه من هول ما رأى (كانت نفسه فيها) أى مات فى تلك الغشوه و خرج روحه من بدنه



قال الشارح المعتزلي: اعلم أنّ الوجد أمر شريف قد اختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالاً، و قالت الصوفيه فيه أقوالاً.

أما الحكماء فقالوا: الوجد حاله تحدث للنفس عند انقطاع علايقها عن المحسوسات بغته إذا كان قد ورد عليها وارد مشوق، و قال بعضهم: الوجد هو اتّصال النفس بمبادئها المجرّده عند سماع ما يقتضى ذلك الاتّصال.

و أمّا الصّوفيه فقد قال بعضهم: الوجد رفع الحجاب و مشاهده المحبوب و حضور الفهم و ملاحظه الغيب و محادثه السرّ و هو فناؤك من حيث أنت أنت، و قال بعضهم: الوجد سرّ الله عند العارفين و مكاشفه من الحقّ يوجب الفناء، و الأقوال فيه متقاربه المعنى و ان اختلّ العبارة، انتهى.

و هى كلّها مخالفه لمذاق أهل الشّرع ما فيه للأخبار.

و كيف كان (فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أما و الله لقد كنت أخافها) أى تلك الصعقه التى فيها موت همّام (عليه ثم قال عليه السّلام: هكذا تصنع المواعظ البالغه بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين) لا تصنع موعظتك بك ما صنعت بهمّام (فقال:

ويحك إنّ لكلّ أجل) محتوم (وقتا) معينا (لا يعدوه) أى لا يتجاوزوه و لا يتأخّر عنه كما قال تعالى «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ» (و سببا) أى علّه معينه (لا يتجاوزوه) أى لا يتجاوز عنه إلى سبب آخر.

و محصّل الجواب أنّ كلّ انسان له أجل حتمى مقدّر و وقت معين لموته لا يتقدّم و لا يتأخّر و علّه معينه لأجله لا تبدّل و لا تتغير كما قال تعالى «و ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» و على ذلك فأنما مات همّام باستماع الموعظه البالغه لأنّه قد تمّ عمره و بلغت مدّه حياته التى قدّرت فى حقّه غايتها مع حصول السبب المعين المكتوب فى امّ الكتاب لموته و هو الانفعال بالموعظه و أما أنا فلم يكمل أيامى بعد و لم يبلغ أجلي غايته و السبب المقدّر فى حقى غير هذا السبب و هو ما أنتظره من ضربه ابن ملجم المرادى عليه اللعنه و العذاب.

و الحاصل أنّ مشيه الله و اذنه عزّ و جلّ قد تعلق بموت همّام عن سببه الذى حصل

و لم يتعلّق بعد بموتى و لم يحصل سببه، و ان شئت مزيد توضيح لذلك فعليك بالكلام الحادى و السّتين و شرحه، هذا.

و لما أجاب عليه السّلام عن اعتراض القائل نهاه عن العود إلى مثل ذلك بقوله (فمهلا لا تعد لمثلها) أى لا ترجع إلى مثل تلك الكلمه (فانما نفث الشيطان) أى نفخ و تكلم (على لسانك).

### تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه حسبما اشرت اليه سابقا مرويه فى الكافى باختلاف كثير جدّا اقتضى المقام روايتها بالسند الذى فيه و اتباعها ببيان غرايب ألفاظها فأقول و بالله التوفيق:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينى قدس الله روحه عن محمّد بن يحيى عن جعفر عن محمّد بن إسماعيل عن عبد الله بن زاهر عن الحسن بن يحيى عن قثم بن أبى قتاده الحرّانى عن عبد الله بن يونس عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

قام رجل يقال له همّام و كان عابدا ناسكا مجتهدا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يخطب، فقال يا أمير المؤمنين صف لنا صفه المؤمن كأننا ننظر إليه فقال عليه السّلام:

يا همّام المؤمن هو الكيس الفطن، بشره فى وجهه، و حزنه فى قلبه، أوسع شىء صدرا، و أدلّ شىء نفسا، زاجر عن كلّ فان، حاض عن كلّ حسن، لا حقود، و لا حسود، و لا وثّاب، و لا سبّاب، و لا عيّاب، و لا مغتاب، يكره الرّفعه، و يشنأ السمعه، طويل الغمّ، بعيد الهّمّ، كثير الصّمت، وقور، ذكور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقه، لين العريكه، رصين الوفاء، قليل الاذى، لا متأفك، و لا متهتّك، إن ضحك لم يخرق، و إن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، و استفهامه تعلم، و مراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرّحمه، لا ييخل، و لا يعجل، و لا يضجر، و لا يبطر، و لا يحيف فى حكمه، و لا يجور فى علمه، أصلب من الصلد، و مكادحته أحلى من الشهد، لا جشع، و لا هلع، و لا عنف، و لا

صلف، و لا- متكلف، و لا- متعمق، جميل المنازعه، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور، و لا يتهتك، و لا يتجبر، خالص الود، وثيق العهد، و في العقد، شفيق وصول، حليم خمول، قليل الفضول، راض عن الله عزّ و جلّ، مخالف لهواه، لا- يغلظ على من دونه، «يؤذيه خ» و لا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، و لا- ينكى الطمع قلبه، و لا- يصرف اللعب حكمه، و لا- يطلع الجاهل علمه، قوال، عمال، عالم، حازم، لا بفحاش، و لا بطياش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لا بختار، و لا بغدار، و لا يقتفى اثرا، و لا يحيف بشرا، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك سترا، و لا يكشف سرا، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيرا ذكره، و ان عاين شرا ستره، يستر العيب، و يحفظ الغيب، و يقبل العثره، و يغفر الزلّه، لا يطلع على نصح فيذره، و لا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين، رصين، تقى، نقى، زكى، رضى، يقبل العذر، و يجمل الذكر، و يحسن بالناس الظنّ، و يتهم على العيب نفسه، يحبّ في الله بفقّه و علم، و يقطع في الله بحزم و عزم، لا يخرق به فرح، و لا يطيش به مرح، مذكر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقّع له بائقه، و لا يخاف له غائله، كلّ سعى أخلص عنده من سعيه، و كلّ نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيه، شاغل بغمه، لا يثق بغير ربّه، غريب «خ ل قريب»، و حيد حزين، يحبّ في الله و يجاهد في الله ليتبع رضاه، و لا ينتقم لنفسه بنفسه، و لا يوالى في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، موازر لأهل الحقّ، عون للغريب، أب لليتيم بعل للأرمله، حفى بأهل المسكنه، مرجو لكلّ كريهه، مأمول لكلّ شدّه، هشاش، بشاش، لا بعباس، و لا بجساس، صليب، كظام، بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، و إن بخل عليه «خ ل عنه» صبر، عقل فاستحى، و قنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، و وده يعلو حسده، و عفوه يعلو حقه، لا ينطق بغير صواب، و لا يلبس إلاّ الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه في كلّ حالاته، نيته خالصه، أعماله ليس فيها غشّ و لا خديعه،

نظرة عبره، و سكوتة فكره، و كلامه حكمه، مناصحا، متبادلا، متواخيا، ناصح في السرّ و العلانيه، لا يهجر أخاه، و لا يغباه، و لا يمكر به، و لا- يأسف على ما فاتته، و لا يحزن على ما أصابه، و لا يرجو ما لا يجوز له الرّجا، و لا يفشل في الشدّه، و لا يبطر في الرّخا، يمزج العلم بالحلم، و العقل بالصبر، تراه بعيدا كسله، دائما نشاطه، قريبا أمله، قليلا زلله، متوقعا لأجله، خاشعا قلبه، ذاكرا ربّه، قانع نفسه، منفيًا جهله، سهلا أمره، حزينا لذنبه، ميتة شهوته، كظوما غيظه، صافيا خلقه، آمنا منه جاره، ضعيفا كبره، قانعا بالذي قدّر له، مينا «متيناخ» صبره، محكما أمره كثيرا ذكره، يخالط الناس ليعلم، و يصمت ليسلم، و يسأل ليفهم، و يتجر ليغتم، لا- ينصب للخير ليفخر به، و لا يتكلم ليتجبر به على من سواه، نفسه منه في عناء، و الناس منه في راحه، أتعب نفسه لاخرته فأراح الناس من نفسه، إن بغى عليه صبر حتى يكون الله الّلهى ينتصر له، بعده ممّن تباعد منه بغض و نراهه، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمه، ليس تباعده تكبرا و لا عظمه، و لا دنوّه خديعه و لا خلابه، بل يقتدى بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ.

قال: فصاح همّام صيحه ثم وقع مغشيا عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أما و الله لقد كنت أخافها عليه و قال: هكذا تصنع المواعظه «المواعظ خ» البالغه بأهلها فقال له عليه السّلام قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: إنّ لكلّ أجلا لن «لا خ» يعدوه و سببا لا يجاوزه، فمهلا لا تعد فانما نفت على لسانك شيطان.

## بيان

«الكيس» العاقل من الكيس و زان فلس خلاف الحمق و قيل: جوده القريحه و قوله: «و لا وثاب» أى ليس بخفيف من وثب و ثوبا قام بسرعه قوله: «وقور» أى كثير الوقار فى الامور الموجهه لاضطراب الناس.

قوله «لين العريكه» أى سلس مطيع منقاد و العريكه الطيبه قوله «رصين الوفاء» بالصّياد المهمله الحكم الثابت و الحفّى بحاجه صاحبه من رصنه أى أحكمه

و أكمله قوله «إن ضحكك لم يخرق» أى لم يشقّ فاه حتّى يبلغ ضحكك القهقهه قوله «إن غضب لم ينزق» أى لا- يأخذه الخفّه و الطيش عند الغضب قوله «و لا بطر» من البطر و هو الطغيان عند النعمه. و قيل التّجبر و شدّه النشاط.

قوله «أصلب من الصّيد» أى لا- يدخل قلبه ريب و لا- جرع، و الصّيد الحجر الصّلب الأملس قوله «مكادحتة» أى عمله و سعيه أحلى من العسل قوله «لا- جشع و لا- هلع» الجشع أشدّ الحرص على الطّعام و أسوئه، و الهلع أفحش الجزع قوله «و لا عنف و لا صلف» العنف وزان كتف من لا رفق له فى قوله و فعله، و العنيف مثله و الصّلف ككتف أيضا من لا يتكلّم بما يكرهه صاحبه و يمدح نفسه و لا خير عنده يقال سحاب صلف أى قليل الماء كثير الرّعد.

قوله «لا- يتهور و لا- يتهتك» التهور الوقوع فى الأمر بقّله مبالاه، و التهتك خرق السّتر و الافتضاح قوله «خمول قليل الفضول» أى خامل الذكر و قليل فضول كلامه قوله «لا يخرق الثّناء سمعه» لكون أعماله لله لا للنّاس، فلا يؤثّر فيه ثناؤهم و مدحهم.

قوله: «و لا- ينكى الطمع قلبه» أى لا يجرحه و لا يؤثّر فيه تأثير الجرح قوله «عالم حازم» فى بعض النّسخ بالحاء المهمله من الحزم و هو التّثبت فى عواقب الامور، و فى بعضها بالجيم قوله «و لا- بطيّاش» الطيش التّزق و الخفّه قوله «و لا- بختال» أى بخداع من الختل و هو المخادعه قوله «و لا يدع جناح حيف فيصلحه» أى لا يترك ظلام ظلم و اصلاحه قوله «لا يخرق به فرح» من الخرق بالخاء المعجمه و الرّاء المهمله و هو الحمق و الجهل و ضعف العقل قوله «و لا يطيش به مرح» المرح شدّه النّشاط و الفرح.

و «البائقه» التّنازله الشّديده و الشرّ و الدّاهيه و «الغائله» الفساد و الشرّ و قوله «حفى بأهل المسكنه» أى بارّ معين قوله «هشّاش بشّاش» من الهشاشه و هو طلاقه الوجه قوله «لا- يهجر أخاه» الهجر الهذيان و يحتمل أن يكون من الهجر أى الترك و المفارقة قوله «و يتجر ليغنم» أى يتجر للاخره.

قوله «و لا دنوّه خديعه و لا خلابه» الخلابه بكسر الخاء المعجمه و تخفيف اللّام الخديعه باللسان بالقول اللطيف من خلبه يخلبه من باب قتل و ضرب خدعه، و الاسم الخلابه و الفاعل خلوب كرسول.

## الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام دین است در وصف متقین.

روایت شده که مصاحبی بود از برای امیر المؤمنین علیه السلام همام نام که شخص عابدی بود پس گفت به آن حضرت که یا امیر المؤمنین وصف کن از برای من پرهیز کاران را تا این که گویا من نگاه می کنم بسوی ایشان، پس سنگینی ورزیدند و درنگ کردند آن حضرت از جواب او، و بعد از آن فرمود ای همّام پرهیز از خدا و کار نیک بکن پس بدرستی که خدای تعالی یار پرهیز کارانست و با نیکو کاران.

پس قناعت نکرد همام باین جواب تا این که سوگند داد بر حضرت در جواب گفتن پس حضرت حمد و ثنای خدا را بجا آورد و صلوات فرستاد بر پیغمبر و آل او پس گفت:

أما بعد پس بتحقیق که خداوند سبحانه ایجاد فرمود مخلوقات را وقتی که ایجاد فرمود ایشان را در حالتی که بی نیاز بود از طاعت ایشان، و ایمن بود از ضرر معصیت ایشان، از جهت این که ضرر نمی رساند او را معصیت کسی که معصیت نمود، و منفعت نمی بخشد او را اطاعت کسی که اطاعت نمود، پس قسمت فرمود در میان مخلوقات معیشتها و گذرانی ایشان را، و گذاشت ایشان را از دنیا در جایگاه ایشان که لایق شأن و مناسب حال هر یکی باشد.

پس پرهیز کاران در دنیا ایشانند أهل فضیلتها، گفتار ایشان راست و درست، و لباس ایشان حدّ وسط است، و رفتار ایشان تواضع و فروتنی است، پوشیده اند چشمهای خود را از چیزی که خدا حرام کرده برایشان، و واداشته اند گوشهای خود را بر شنیدن علم منفعت بخشنده از برای ایشان، نازل شد نفسهای ایشان از ایشان

در بلا- و شدت مثل نزول آنها در رفاه و فراخی - یعنی ایشان رضا بقضا دارند و شاکرند بطیب نفس به آن چه که در حق ایشان مقدر شده - اگر نبود أجل معینی که نوشته شده است از برای ایشان هر آینه قرار نمی گرفت روحهای ایشان در بدنهای ایشان لحظه از جهت اشتیاق ثواب و ترسیدن از عقاب.

بزرگ شد خالق تعالی در پیش نفسهای ایشان پس کوچک شد ما سوای خالق در نظر ایشان پس حال ایشان با بهشت حال کسی است با رأی العین دیده باشد او را پس در آنجا بنام و نعمت گذرانده باشد، و حال ایشان با جهنم حال کسی است که دیده باشد آنرا پس در آنجا معذب باشد - یعنی ایشان در امر بهشت و جهنم اعتقاد یقینی دارند بمنزله مشاهده -.

قلبهای ایشان غمگین و محزونست و مردم از شرهای ایشان آسوده و ایمنند، و بدنهای ایشان لا-غر و ضعیف، و حاجت و خواهشات ایشان سبک و خفیف، نفسهای ایشان با عفت است، صبر و تحمل کردند بر زحمات چند روز کوتاه که عاقبت آن راحت و آسایش دراز گردید، تجارت با منفعتی است که میسر ساخت از برای ایشان پروردگار ایشان.

خواست ایشان را دنیا پس نخواستند ایشان دنیا را، و اسیر کرد ایشان را دنیا پس دادند نفسهای خودشان از دنیا - یعنی بمقتضای شهوت و غضب جبلی انسانی که در ایشان بود نزدیک بود که ایشان مفتون دنیا باشند و اسیر شهوات نفسانیه آن شوند و لیکن ایشان بمقتضای قوه عقلانیه ترک لذایذ دنیویه کرده خودشان را از قید اسیری دنیا خلاص نمودند - اما حال ایشان در شب پس صف زندگانند پباهای خودشان در حالتی که تلاوت کنندگان باشند جزئهای قرآن را در حالتی که نیک قرائت می کنند آن را نیک قرائت کردنی، با تأنی و حفظ وقوف و أداء حروف، محزون می نمایند بسبب قراءه آن نفسهای خودشان را، و بهیجان می آورند با آن دواء درد خودشان را پس اگر بگذرند در اثنای قرائت آن بایه که در آن تشویقی باشد بسوی بهشت

اعتماد می کنند بان و مایل می شوند بسوی آن آیه از جهت طمع آن بشارت و مطلع باشد نفسهایشان بسوی آن از روی شوق و گمان کنند که آن آیه - یعنی وعده بهشت که مضمون آن آیه است - پیش چشم ایشان است.

و اگر بگذرند بایه که در آن ترساندن از عذاب باشد متوجه باشند بسوی آن با گوشهای قلبهای خودشان، و گمان می کنند که صدای افروخته شدن جهنم و شیون اهل آن در بیخهای گوشهای ایشانست، پس ایشان خم شوندگان باشند بر کمرهای خود، پهن سازندگان باشند مرپیشانیهای خود را و کفهای دست خود را و زانوهای خود را و سرهای پاهای خودشان را، تضرع می کنند بسوی خدا در وا کردن گردنهای ایشان را از زنجیر عذاب.

و اما حالت ایشان در روز پس صاحبان حلم و علمند، نیکو کارانند، پرهیز کارانند، بتحقیق که باریک کرده و کاهانده است ایشان را ترس خدا مثل باریک شدن چوب تیر تراشیده شده، نگاه می کند بسوی ایشان نگاه کننده پس گمان می کند که ایشان مریضانند و حال آنکه نیست در این جماعت مرضی، و می گوید که خبط آورده اند و حال آنکه هر آینه آمیخته بایشان امر بزرگی که اشتیاق و عشق بلقاء خدا باشد.

راضی نمی شوند در عبادات و عملهای خودشان باندک، و بسیار نمی شمارند بسیار را، پس ایشان همیشه بنفهای خود تهمت می زنند بجهت قصور در بندگی و از عبادات خود ترسنا کنند، اگر تزکیه کرده شود یکی از ایشان می ترسد از آن چیزی که در باره او گفته شده پس می گوید که: من داناترم بنفس خودم از غیر خودم و پروردگار من داناتر است از من بنفس من، با خدایا مؤاخذه مکن مرا بسبب آنچه گفتند در باره من، و بگردان مرا بهتر از آنچه گمان بردند در حق من، و بیامر از برای من گناهی را که ایشان نمی دانند.

پس از علامت یکی از ایشانست این که تو می بینی از برای او قوتی در دین، و احتیاطی در نرمی، و ایمانی در کمال یقین، و حرصی در تحصیل علم، و علمی در



غایت حلم، و میانه روی در بی نیازی، و خضوع و خشوعی در عبادت، و استغنائی در عین فقر، و صبری در حالت شدت، و طلبی در کسب حلال، و خوشحالی در هدایت، و کناره جوئی از طمع، می کند عملهای نیکو را و حال آنکه ترسناک است، روز را بشب می آورد و حال آنکه همّت او مصروف بشکر است، و شب را بصبح می رساند و حال آنکه همتش مصروف ذکر است.

بیتوته می کند در حالتی که ترسناک است، صبح می کند در حالتی که خوشحال، ترسناکی از جهت آنچه که ترسانده شده از غفلت در عبادت، و خوشحالی بجهت آن چیزی که رسیده است از فضل و رحمت، اگر دشوار بگیرد بر او نفس او در چیزی که ناخوش دارد نمی بخشد بنفس خود خواهش او را در چیزی که دوست دارد آنرا.

چشم روشنی او در نعیم آخرت جاودانیست، و زهد او در لذت دنیای فانی، مخلوط میکند حلم را بعلم، و گفتار را بکردار، می بینی او را که نزدیکست آرزوی او، اندک است لغزش او، ترسانست قلب او، قانعست نفس او، اندکست اکل او آسانست کار او، محفوظست دین او، مرده است شهوت او، فرو نشانده شده است خشم او.

خیر از او امید گرفته شده است، و شرّ از او ایمن شده، اگر در میان غافلان باشد نوشته می شود از ذکر کنندگان، و اگر در زمره ذاکران باشد نوشته نمی شود از غفلت کنندگان، عفو میکند از کسی که ظلم نماید او را، و عطا میکند بکسی که محروم نماید او را، و صله رحم بجا می آورد با کسی که قطع صله رحم او کرده است.

دور است از مردم فحش گفتن او، نرم و ملایمست گفتار او، غایب است از مردمان بدی او، حاضر است از برای ایشان نیکی او، اقبال کننده است خیر او، ادبار کننده است شرّ او.

و در شداید روزگار صاحب تمکین و وقار است، و در مصایب صبر کننده و بردبار، و در حالت وسعت شاکر، ظلم نمی کند بر کسی که دشمن دارد، و مرتکب

گناه نمی شود در باره کسی که دوست دارد، اقرار بحق میکند پیش از این که شهادت داده شود بضرر او، ضایع نمی سازد چیزی را که طلب شده در او حفظ آن، و فراموش نمی کند چیزی را که یاد آوری او شده، و نمی خواند مردم را بلقبهای بد، و ضرر نمی رساند به همسایه، و شماتت نمی کند بمصیبتها، و داخل نمی شود در امر باطل، و بیرون نمی رود از حق.

اگر ساکت شود غمگین نسازد او را سکوت او، و اگر بخندد بلند نشود آواز او، و اگر مظلوم شود صبر میکند تا این که باشد خدای تعالی او انتقام می کشد از برای او، نفس او از او در رنج و مشقت است، و مردمان از او در آسودگی و راحت، بمشقت انداخته نفس خود را از برای راحت آخرت، و راحت کرده مردمان را از شرّ نفس خود.

دوری او از کسی که دوری جسته از او از بابت زهد و پاکی است، و نزدیکی او از کسی که نزدیک شده باو از بابت ملایمت و دلسوزیست، نیست دوری جستن او بسبب کبر و بزرگی، و نه نزدیکی او بسبب مکر و خدعه.

گفت روای حدیث: پس صیحه زد همّام صیحه که بود روح او در آن صیحه، پس فرمود امیر المؤمنین علیه السّلام: آگاه باشید سوگند بخدا که هر آینه بودم می ترسیدم آن صیحه را بر او، یعنی از این جهت تناقل می کردم در جواب، پس از آن فرمود همچنین تاثیر میکند موعظه های کامل بأهلش.

پس گفت بان حضرت گوینده: پس چگونه است حال تو ای امیر المؤمنین؟ یعنی چرا به تو این تأثیر نکرد.

پس فرمود: وای بر تو از برای هر مرگی مدّت معینی است که تجاوز نمی کند از آن، پس فرمود: ترک کن این کلام را و رجوع مکن بعد از این بمثل آن، پس جز این نیست که دمیده شیطان ملعون این کلام را بر زبان تو - یعنی اعتراض به امام از إغواء شیطانست.

و هي المأه و الثالثه و التسعون من

المختار فى باب الخطب

نحمده على ما وفق له من الطاعة، و زاد عنه من المعصيه، و نسأله لمنته تماما، و بحبله اعتصاما، و نشهد أن محمدا صلى الله عليه و آله و سلم عبده و رسوله، خاض إلى رضوان الله كل غمره، و تجرع فيه كل غصه، و قد تلون له الأذنون، و تألب عليه الأقصون، و خلعت إليه العرب أعتتها، و ضربت إلى محاربتة بطون رواحلهما، حتى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدار، و أسحق المزار. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، و أحذركم أهل التفاق، فإنهم الضالون المضلون، و الزالون المزلون، يتلونون ألوانا، و يفتنون افتنانا، و يعمدونكم بكل عماد، و يرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دويّه، و صفاحهم نقيّه، يمشون الخفاء، و يدبون الضراء، و صفهم دواء، و قولهم شفاء، و فعلهم الداء العياء، حسده الرخاء، و مؤكدوا

البلاء، و مقنطوا الرجاء، لهم بكلّ طريق صريع، و إلى كلّ قلب شفيح، و لكلّ شجو دموع، يتقارضون الثناء، و يتراقبون الجزاء، إن سئلوا ألعفوا، و إن عدلوا كشفوا، و إن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكلّ حقّ باطلا، و لكلّ قائم مائلا، و لكلّ حيّ قاتلا، و لكلّ باب مفتاحا، و لكلّ ليل مصباحا، يتوصّلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، و ينفقوا به أعلامهم، يقولون فيشبهون و يصفون فيموّهون، قد هيّؤا الطريق، و أضلعوا المضيق، فهم لثمّ الشيطان، و حمّه النيران، أولئك حزب الشيطان ألا- إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون.

## اللغة

قال في محكيّ النهايه: قد تكرر في الحديث ذكر التفاق و ما تصرّف منه اسما و فعلا و هو اسم لم يعرفه العرب بالمعنى المخصوص، و هو الذي يستر كفره و يظهر ايمانه و ان كان أصله في اللغة معروفا يقال نافق ينافق منافقه و نفاقا، و هو مأخوذ من النافقاء احد جحرتى اليربوع إذا طلب من واحد هرب إلى الاخر و خرج منه، و قيل من النفق و هو السّرب الذي يستتر فيه لستره كفره انتهى.

و قال الطريحي: المنافق هو المذى يستر الكفر و يظهر غيره من النفق و هو السّرب في الأرض أى يستتر بالاسلام كما يستتر في السّرب.

و (الدّود) الطرد و الدّفع و (خاض) في الأمر دخل فيه و أصل الخوض دخول

القدم فيما كان مايعا من الماء و الطين، ثم كثر استعماله في كل دخول فيه اذى و (الغمرة) الشده و غمرات الموت شدائده، و في القاموس غمره الشىء شدته و مزدحمه و (الغصه) الشجى في الحلق و الجمع غصص و (سحق) المكان فهو سحق مثل بعد فهو بعيد لفظا و معنا قال تعالى «فَسَيَحِقُّ لِّلْأَصْحَابِ السَّعِيرِ» أى بعدا و (المزار) المكان الذى يزار منه أو فيه، و المراد هنا الأول و (زل) فلان عن الأمر أخطاه و أزله غيره أوقعه فى الخطاء.

و رجل (مفنز) ذو فنون فى القول و غيره (و يعمدونكم بكل عماد) قال الشارح المعتزلى: أى يفتحونكم و يهدونكم يقول عمده المرض يعمده أى هدّه بكل عماد أى بأمر فادح و خطب مؤلم، انتهى.

أقول: و يجوز جعل يعمدونكم بمعنى يقصدونكم و (رصدته) رسدا من باب قتل إذا قعدت له على طريقه ترقبه، و قعد فلان بالمرصد و زان جعفر و بالمرصاد بالكسر أى بطريق الارتقاب و الانتظار و (خفى) الشىء يخفى خفاء بالفتح إذا استتر و (دب) التمل دبيبا مشى مشيا رويدا و (الضراء) بالفتح و تخفيف الرءاء و المد الشجر الملتف فى الوادى و (الداء العياء) الذى أعيا الأطباء و لم ينجع فيه الدواء و (نقق) البيع نقاقا كسحاب راج و نقق السلعه تنفيقا روجها كأنفقها و (الاعلاق) جمع علق كأحبار و حبر و هو النفيس من كل شىء و (التمويه) التزيين و مؤه الشىء طلاه بفضّه أو ذهب و تحته نحاس ليزينه به.

قوله (قد هيؤا الطريق) فى بعض النسخ هيؤا بالهمزه من التهيؤ، و فى بعض بالتون من الهين و هو السهل فكأنه منقول من الواو إلى الياء، و الأصل هونوا الطريق أى سهلوها و (أضلع) الشىء أماله و جعله معوجا و ضلع الشىء ضلعا من باب تعب أعوج و (اللمه) بضم اللام و فتح الميم مخففه الجماعه و بالتشديد الصاحب و الاصحاب فى السفر و المونس يستعمل فى الواحد و الجمع و (حمه النيران) بالتشديد معظم حرّها و بالتخفيف سمّ العقرب.

من فى قوله: من الطاعه و من المعصيه بيان لما، و الضمير فى له و عنه عايد إلى ما، و قوله: خاض إلى رضوان الله إلى متعلق بمقدّر حال من فاعل خاض أى متوجّها إلى رضوانه، و الخفاء و الضراء منصوبان على الظرفيه المجازيه.

### المعنى

اعلم أنّ الخطبه السابقه لما كانت فى وصف المتّقين عقبها الرضى «قد» بهذه الخطبه التى يصف عليه السلام فيها المنافقين ملاحظه لحسن التّظيم و بديع ترتيب الكتاب، و المنافق حسبما عرفت آنفا هو الذى يبطن الكفر و يظهر الايمان كما قال الشاعر:

للمؤمنين أمور محزیه و للمنافق سرّ دونه نفي

و اطلاق المنافق بهذا المعنى هو المعروف فى الكتاب و السنه، و المستفاد من بعض الأخبار أنّه قد يطلق على الناقص الايمان.

مثل ما رواه فى الكافى فى باب أصول الكفر و أركانه عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ثلاث من كنّ فيه كان منافقا و إن صام و صلّى و زعم أنّه مسلم:

من إذا ائتمن خان، و إذا حدّث كذب، و إذا وعد أخلف إنّ الله عزّ و جلّ قال فى كتابه «إنّ الله لا يحبّ الخائنين» و قال «أنّ لعنت الله عليه إنّ كان من الكاذبين» و فى قوله عزّ و جلّ «و اذكّر فى الكتاب إسماعيل إنّّه كان صادقا الوعد و كان رسولا نبيا».

و فيه فى باب النفاق و المنافق باسناده عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السلام قال:

إنّ المنافق ينهى و لا ينتهى و يأمر بما لا يأتى، و إذا قام إلى الصلاه اعترض، قلت:

يا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و ما الاعتراض؟ قال عليه السلام: الالتفات و إذا ركع ربض، يمسى و همّه العشاء و هو مفطر، و يصبح و همّه النوم و لم يسهر، إن حدّثك كذباك و إن ائتمنته خانك، و إن غبت اغتابك، و إن وعدك أخلفك.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنَّه عليه السَّلام قبل أن يأخذ في وصف المنافقين افتتح كلامه بما جرى عادته على الافتتاح به في باب الخطاب من ثناء الله تعالى و تعظيمه و تمجيد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فقال (بحمده على ما وفق له من الطاعة و زاد عنه من المعصية) أى نحمده على ما وفقنا له من طاعاته الموصلة الى جنانه و المحصله لرضوانه، و على ما أبعدا منه من سيئاته المؤديه الى نيرانه، و الموجه لخذلانه.

و حصول هذا التوفيق منه عزَّ و جلَّ في حقه عليه السَّلام بما أفاض عليه من القوَّة العاصمه و ملكه العصمه الداعيه إلى المعروف و الزَّادعه عن المنكر.

و اما في حقِّ غيره الذين شرَّكهم (١) معه في ثنائه فبالأوامر و النواهي الوارده في الكتاب و السنه و اجتماع شرايط الطاعة و انقطاع أسباب المعصيه.

(و نسأله لمنته تماما) أى نسأل منه عزَّ و جلَّ أن يتم علينا نعمته، فإنَّه المَنَّان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال.

و المراد بنعمته التى سألت تمامها إما خصوص نعمه التوفيق المذكوره فى الجمله السابقه أو الأعمَّ منها، و الأوَّل أولى بسبق العهد، و الثانى أنسب بمقام السؤال فان قلت: نعم الله سبحانه غير متناهيه كما قال عزَّ من قائل «إِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» فكيف سألت تماميتها و هى أجلُّ عن أن تستقصى و أعظم من أن تستتم.

قلت: إن اريد بمنتته خصوص نعمه التوفيق فلا- إشكال، و يراد حينئذ بتماميتها كمالها و استمرارها إلى آخر العمر، و إن اريد الأعمَّ فيراد بتماميتها أن ينضمَّ ما أنعم به عليه فى الدُّنيا إلى نعمه الاخره أى يصل نعمه الدُّنيا بنعمه الاخره كما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى «وَأُتِيْتُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ» من أن المراد بقوله يتم نعمته أن يصل نعمه الدُّنيا بنعمه الاخره بأن يجعلهم أنبياء و ملوكا ثم ينقلهم إلى نعيم الاخره و الدَّرجات العلى من الجنَّة (و) نسأله (بجبله اعتصاما) أى تمسكا بكتابه المبين، فإنَّه حبل الله المتين

ص: ١٧٣

كما وصفه عليه السلام بذلك في الخطبه المأه و الخامسه و السبعين و كذلك وصفه رسول الله صلى الله عليه و آله أيضا به في حديث الثقلين الذي قدّمنا روايته في شرح الخطبه السادسه و الثمانين.

و استعير عنه أيضا في الكتاب العزيز في قوله «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا» على أحد تفاسيره، و وجه الاستعاره أنّ الاعتصام و التمسك بالحبل الوثيق المحكم كما أنه سبب النجاه من المهاوى و المهالك، فكذلك بالتمسك بالقرآن يحصل النجاه من الكفر و الضلال الموجب للهلاك الدائم و الخزي العظيم.

و روى الطريحي في مجمع البحرين عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: الامام منّا لا يكون إلا معصوما و ليست العصمه في ظاهر الخلقه فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟ قال عليه السلام: المعتصم بحبل الله، و حبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة.

و بما ذكرناه ظهر أنّ جعل المراد بالحبل في المتن هو القرآن أولى و أظهر من تفسيره بالدّين القويم كما في شرح البحراني، هذا.

و لما حمد الله عزّ و جلّ بما هو أهله عقبه بالشهاده بالرساله فقال (و نشهد أنّ محمّدا صلى الله عليه و آله و سلّم عبده و رسوله) قد مرّ بيان معنى العبد و أنّ مرتبه الرساله فوق مرتبه العبوديه في شرح الخطبه الاحدى و السبعين فليتذكر.

و لما شهد برسالته اتبعه بشرح حاله صلى الله عليه و آله و سلّم حين أداء الرساله فقال (خاض إلى رضوان الله كلّ غمره) استعار لفظ الغمره عن غمره الماء و هي معظمه و مزدحمه للشدائد و المكاره التي ابتلى بها حين بعثته، و الجامع للاستعاره أنّ غمره الماء كما تغمر و تغطى الخائض فيها من كلّ جانب فكذلك تلك المكاره و الشدائد حسبما تعرف كانت محيطه به صلى الله عليه و آله و سلّم من كلّ طرف، و رشح الاستعاره بذكر لفظ الخوض.

و محصل المراد أنّه صلى الله عليه و آله و سلّم تحمل كلّ مكروه توجّها إلى منتهى رضاه عزّ و جلّ (و تجرّع فيه كلّ غصّه) أى تجرّع الغصص في تحصيل رضوانه تعالى، أى ابتلعها جرعه بعد جرعه و أراد بالغصص الغموم و الهموم العارضه له من مزيد أذى المشركين



و سوء فعالهم.

(و قد تلّون له الأدنون) أى تغيّر له أقاربه من قريش ألوانا (و تألّب عليه الأقصون) أى تجمّع على حربته الأبعاد منه نسبا من أقصى البلاد(و خلعت)متوجّهه (اليه)معاشر(العرب أعنتها و ضربت إلى محاربتة بطون رواحلها)قال الشارح البحرانى:

هذان مثلان كنى بهما عن المسارعه إلى حربته لأنّ أقوى عدو الخيل إذا خلعت أعنتها و أقوى عدو الرّواحل إذا ضربت بطونها و فيه إيماة إلى أنّهم أتوه فرسانا و ركبانا مسرعين إلى حربته.

(حتى انزلت بساحته) و منزله(عداوتها)أى حربها و اطلاقها عليه من باب اطلاق اسم السبب على المسبب، أى أسرعوا إلى حربته صلّى الله عليه و آله (من أبعاد الدّار و أسحق المزار) و فيه إشاره إلى غايه عداوتهم، لأنّ الظعن إلى الحرب من مكان بعيد لا يكون إلا عن اهتمام أكيد و عناد عنيد و عداوه شديده.

قال الشارح المعتزلى: من قرء كتب السّير علم ما لاقى رسول الله صلّى الله عليه و آله فى ذات الله من المشقّه و استهزاء قريش به فى أوّل الدّعوه و رميهم إيّاه بالحجاره حتى آدموا عقبيه و صياح الصبيان به و القاء فرث الكرش على رأسه، و قتل الثوب فى عنقه، و حصره و حصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عديده محرّمه معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لو لا أنّ بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشىء القليل من الدّقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلا.

ثمّ ضربهم أصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق فى الشمس و طردهم إيّاه عن شعاب مكه حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشه و خرج صلّى الله عليه و آله مستجيرا منهم تاره بثقيف، و تاره بنى عامر، و تاره بريعه الفرس و بغيرهم.

ثمّ أجمعوا إلى قتله و الفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالأوس و الخزرج، تاركا أهله و أولاده و ما حوته يده، ناجيا بحشاشه نفسه حتى وصل إلى المدينه، فناصبوه الحرب و رموه بالمناسر و الكتائب، و ضربوا له آباط الابل.

ص: ١٧٥

و لم يزل منهم فى عناء شديد و حروب متصله حتى أكرمه الله تعالى و أيدته و نصر دينه و أظهره، انتهى.

و محصل الكلام أنه صلى الله عليه و آله قد كابد الشدائد و قاسى الهموم و تجرّع الغصص لتأسيس أساس الاسلام و تشييد قوائم الدين، هذا.

و انما مهّد عليه السّلام تلك المقدّمه أعنى مقدّمه البعثه لأنّه لما كان غرضه الأصلي من هذه الخطبه التحذير من المنافقين الذين كان همّهم فى إبطال الدّين و ترويج الباطل، أراد أن يتّبه على مزيد خبث طينتهم الموجب لمزيد الحذر منهم حيث إنهم يريدون ليطفؤا نور الله، و يبطلوا الدّين القويم الذى قد قوسى فيه هذه المكاره، و احتمل تلك المشاق الكثيره.

و قبل التحذير منهم أوصى المخاطبين بما لا- يزال يوصى به فقال (اوصيكم عباد الله بتقوى الله) و التصلّب فى الدّين (و أحذركم) من كيد (أهل النفاق) و خديعه الخائنين أى الذين أظهروا الاسلام و أبطنوا الكفر.

و الظاهر أنّ غرضه عليه السّلام منه التعريض على معاويه و عمرو بن العاص و أمثالهما من المنتحلين للاسلام، و يشعر بذلك قوله عليه السّلام فى عهده الاتى فى المتن إلى محمّد بن أبى بكر حين قلّده مصر حيث قال فيه متعرّضا على معاويه:

فانه لا سواء إمام الهدى و إمام الرّدى، و ولىّ النبىّ و عدوّ النبىّ، و لقد قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله إنى لا أخاف على امتى مؤمنا، و لا- مشركا، أمّيا المؤمن فيمنعه الله بايمانه، و أمّيا المشرك فيقمعه الله بشركه، و لكنّى أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم اللّسان، يقول ما تعرفون، و يفعل ما تنكرون.

و لما حذّر عن المنافقين اتبعه بذكر مذاهم و مثالهم تنفيرا عنهم و قال (فأنّهم الضالّون) عن الصراط المستقيم و النهج القويم (المضلّون) لغيرهم عنه بالشبه و التمويه (و الزّالون المزلّون) أى الخاطئون الموقعون لغيرهم فى الخطاء أيضا.

(يتلوّنون ألوانا) أى يتغيّرون فى أقوالهم و أفعالهم من حال إلى حال بحسب

تبدّل أهوائهم الفاسده فيلاقون كلا بوجه و لسان غير الاخر.

(و يفتنون افتنانا) أى يتشعّبون بأنحاء مختلفه فى القول و العمل على مقتضى اختلاف آرائهم الباطله.

(و يعمدونكم بكلّ عماد) أى يقصدونكم بكلّ أمر فادح ثقيل و خطب مؤلم على وجه الخدعه و الحيله.

(و يعمدونكم بكلّ عماد) أى يقصدونكم بكلّ أمر فادح ثقيل و خطب مؤلم على وجه الخدعه و الحيله.

(و يرصدونكم بكلّ مرصاد) أى يتربّونكم و يقعدون منتظرين بكلّ طريق معدّ للارتقاب، يعنى أنّهم لا- يغفلون عنكم و لا يدعون مراقبتكم و يهيئون وجوه الحيل فى اضلالكم و إصابتكم بكلّ مكروه.

(قلوبهم دويّه) أى فاسده من داء أصابها و هو الداء النفسانى الموجب لمرضها كالحقد و الحسد و العداوه و البخل و النفاق و الشكّ و الارتياب، قد وصفهم الله سبحانه أيضا بهذا الوصف حيث قال «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا».

قال الطبرسى فى تفسير الايه، إنما سمي الشكّ فى الدّين مرضا لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال، فالبدن ما لم تصبه آفه يكون صحيحا سويا، و كذلك القلب ما لم يصبه آفه من الشكّ يكون صحيحا، و قيل: المرض هو الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحقّ كما أنّه فى البدن فتور الأعضاء.

(و صفاحهم نقيّه) أى صفحات وجوههم طاهره نظيفه، و هو كناية عن اتّصاف ظاهرهم بالبشر و البشاشه و المحبّه و النصح و الصداقه خلاف ما فى باطنهم من الشرّ و الفساد و اللدد و العناد.

(يمشون) فى (الخفاء) أى مختفيا قال الشارح البحرانى: و هو كناية عن كون حركاتهم القوليّه و الفعلية فيما يريدونه فى خفاء أفهام الناس.

(و يدبّون الصّراء) و هو مثل يضرب لمن أراد أن يختل صاحبه يقال: فلان يدبّ له الصّراء إذا أراد بصاحبه سوء و أذى من حيث لا يعلم، كمن يمشى فى الشجر الملتف الساتر للاصطياد.

(وصفهم دواء و قولهم شفاء و فعلهم الداء العياء) يعنى أنّهم يتصفون ظاهرا

بأوصاف أهل الايمان أو أنهم يصفون من الطاعات والخيرات ما هو دواء الأمراض النفسانيه كالمؤمنين، و يقولون من الأقوال الحسنه و المواعظ البالغه ما هو شفاء الصّيدور كالتّاسكين و الزّاهدين، و يفعلون فعل الفاسقين الفاجرين الذي هو الدّاء الأكبر المعيب للأطباء من العلاج.

و محصّيه أنهم يتصفون ظاهرا بصفات المؤمنين، و يتكلمون بمثل كلامهم إلاّ- أنّ أفعالهم خلاف أقوالهم، و باطنهم مناف ظاهرهم كما قال تعالى في وصفهم «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» و قال أيضا «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» و في سورة آل عمران «وَ إِذَا لَقُوا قَوْمًا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

(حسده الرّخاء) أى إن رأوا لأحد سعه و رفاهيه في العيش و نعمه أنعم الله سبحانه بها عليه يحسدونه و يحزنونه به كما قال تعالى «إِنْ تَمَسَّسِيكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» (و مؤكّدوا البلاء) يعنى إذا وقع أحد في بلاء و مكروه يسعون في تأكيده و تشديده بالسّعيه و النميمه و ساير أسباب التشديد، و لا يسعون في دفعه و رفعه و اصلاحه و في بعض النسخ و مولّدوا البلاء باللّام و هو ظاهر.

(و مقنطوا الرّجاء) قال البحراني: أى إذا رجا راح أمرافى طباعهم أن يقنطوه و يؤيسوه، و هكذا شأن المنافق الكذّاب أن يبعد القريب و يقرب البعيد أقول: و يحتمل أن يكون المراد أنهم بمقتضى خبثهم الباطنى يقنطون الرّاجين من رحمه الله عزّ و جلّ و يؤيسونهم منها، و ذلك لقنوطهم في أنفسهم منها بما لهم من الغنى و الضلال كما قال تعالى «وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضُّلُوعُ» (لهم بكلّ طريق صريع) الظاهر أنّ المراد به أنّ لهم في كلّ طريق من طرق البرّ صرعى أى هلكى لاضلالهم النّاس عنها، و قال الشّارح البحراني: إنّ كناية عن كثره من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم و كنى بالطريق إمّا عن كلّ مقصد

قصدوه أو عن كل حيله احتالوها و مكر مكروه، فإنه لا بد أن يستلزم أذى و الأظهر ما قلناه.

(و إلى كل قلب شفيح) أى إلى صرف كل قلب نحوهم و عطفه إليهم و وسيله و واسطه، و هى خلاصه ألسنتهم و ملقهم و ما يظهرونه من التلطف و التؤدد و التملق أو المراد أنّ لهم إلى تحريف كل قلب و إضلاله عن الحقّ شفيح، و على أى تقدير فالمراد به التنبه على شدّه استيلائهم على القلوب و تمكّنهم من التصرف فيها بأى نحو كان.

(و لكل شجو دموع) يعنى أنّهم يسكبون دموعهم و يكون رياء عند كل محزون و مصاب تخيلا بأنهم مشاركوهم فى الحزن و الأسف و قصدهم بذلك التوصل إلى حصول أغراضهم الفاسده.

(يتقارضون الثناء) أى يثنى أحدهم على الآخر ليثنى الآخر عليه كأنه يقرض الثناء ليأخذ عوضه.

(و يتراقبون الجزاء) أى يترقب كل واحد منهم جزاء محمده و ثنائه من صاحبه إذا أثنى عليه و ينتظر أن يجزيه بمثل ثنائه أو بغيره من وجوه الجزاء.

(إن سألوا ألعفوا) أى أسروا فى سؤالهم و ألعفوا فيه (و إن عدلوا كشفوا) يعنى إن لاموا أحدا ببعض المعاييب كشفوا عيوبه عند الأجانب و الأقارب، و ربما يظهرونها عند من لا يرضى بالاظهار عنده، و ذلك لعدم كون نصحهم عن وجه الصدق و الخلوص حتى يناصحوه فى الخلوه لا فى الملاء.

(و ان حكموا أسرفوا) أى إذا ولى أحدهم ولايه أسرف فيها بالظلم و الطغيان و أفرط فى الأكل و الشرب و الانهماك فى شهوات نفسه كما فعل معاويه فى ولايه الشام.

و يحتمل أن يراد به أنهم إذا فوّض إليهم الحكم تعدّوا فيه و تجاوزوا عن الاعتدال كما صدر عن عمرو بن العاص و أبى موسى الأشعري فى قضيه التحكيم.

(قد أعدوا لكل حقّ باطلا) أى هيؤا لابطال الحقّ شبهه فاسده باطله ليموّها

بها كما اعتذر المنافق الثاني في زوى الخلافه عنه عليه السّلام بأنّ فيه دعا به، و تبعه على ذلك عمرو بن العاص اللّعين كما حكى عليه السّلام عنه في المختار الثالث و الثمانين بقوله: عجا لابن النابغه يزعم لأهل الشام إنّ فّي دعا به و إنّى امرء تلعا به.

(و لكلّ قائم مائلا) أى أعدّوا لكلّ أمر صحيح مستقيم ليس به اعوجاج ما يوجب اعوجاجه من الشّبه و التمويهات.

(و لكلّ حىّ قاتلا) يحتمل أن يراد به خصوص ذى الحياه من نوع الانسان فيراد بالقاتل معناه المعروف و أن يراد به معناه المجازى أى هيؤا لكلّ ما له قوام و ثبات من امور الدّين ما يوجب فساده و إبطاله كما قال عليه السّلام فى المختار المأه و السابع و العشرين، و انما حكم الحكمان ليحييا ما أحيى القرآن و يميتا ما أمات القرآن و إحياءه الاجتماع عليه و إماتته الافتراق عنه.

(و لكلّ باب مفتاحا) أى لكلّ باب من أبواب الضلال مفتاحا من وجوه التدبير و الحيل يفتحونه به على الناس لاضلالهم.

(و لكلّ ليل مصباحا) أى لكلّ أمر مظلم يعيب فيه رأيا يستضاء به فيه و يهتدى به إليه كما دبره ابن العاص عند ضيق الخناق على أهل الشام بصفين من رفع المصاحف على الرّماح صبيحه ليله الهرير، فأنجاهم بتلك الحيله و المكيدة عن هذه الورطه العظيمه.

(يتوصّلون إلى الطمع باليأس) لعلّ المراد أنهم يتزهدون و يظهرون اليأس و الاستغناء عما فى أيدي الناس و صلّه به إلى مطامعهم، و محصله أنهم يتركون الدنيا للدنيا و يستغنون عن الناس تزويرا.

(ليقيموا به أسواقهم و ينفقوا به أعلاقهم) شبههم فى قصدهم إلى إضلال الناس بالتاجر الذى يجلس فى السوق و يعرض متاعه على المشترين و يرغبهم إليه بحسن المعامله قصدا إلى رواج متاعه، فجعلهم بمنزله التاجر، و ما عندهم من متاع الضلال بمنزله المبيع، و من يريدون إضلاله بمنزله المشترى، و ما عنده من الهدى بمنزله الثمن .

فيكون محصّل المعنى أنهم يظهرون اليأس من الناس جلبا لقلوبهم إليهم، و توصلا به إلى ما يطمعونه منهم من الاضلال و الاغواء و غرضهم بذلك إقامه أسواقهم أى انتظام معاملتهم معهم و ترويح ما لديهم من متاع الضلال الذى يزعمون أنه متاع نفيس مع أنه خبيث خسيس.

(يقولون فيشبهون) أى يقولون قولاً فاسداً فيوقعون به الشبهه فى قلوب الخلق (و يصفون فيمؤهون) أى يصفون الباطل و يزينونه بصوره الحقّ.

(قد هينوا الطريق و أضلعوا المضيق) لعل المراد به أنهم جعلوا الطريق المؤدى إلى الضلال سهلاً هيناً لمن أرادوا اسلاكهم فيه بالخدع و التمويهات، و جعلوا المسلك الضيق معوجاً لمن أراد الخروج من ورطه الضلال بعد تورطه فيها، فسهوله الطريق بالنسبه إلى الوارد، و الضيق و الاعوجاج بالنسبه إلى الخارج.

(فهم لمه الشيطان) أى جماعته و أصحابه و أتباعه (وحمه النيران) أى معظم حرّها و قال الشارح البحرانى مستعار لمعظم شرورهم، و وجه المشابهه استلزامها للأذى البالغ و كذلك حمه التخفيف.

(اولئك حزب الشيطان) لاضلالهم الناس عن الهدى إلى الردى (ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون) اقتباس من الايه الشريفه فى سوره المجادله قال تعالى «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ» الايه.

قال الطبرسى فى تفسيره: أى استولى عليهم يعنى المنافقين و غلب عليهم لشده اتباعهم اياه فأنساهم ذكر الله حتى لا يخافون الله و لا يذكرونه، اولئك حزب الشيطان أى جنوده، ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون، يخسرون الجنّه و يحصل لهم بدلها النار.

أقول: و بعبارته أوضح أنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد و عرضوها للعذاب المخلّد بما اتّصفوا به من صفه النفاق.

روى فى الكافى باسناده عن محمّد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبى الحسن عليه السلام

أَسْأَلُهُ عَنِ مَسْأَلَةٍ فَكُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيَّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاؤْنَ النَّيَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا، لَيْسُوا مِنَ الْكَافِرِينَ وَ لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَظْهَرُونَ الْإِيمَانَ وَ يَصِيرُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَ التَّكْذِيبِ لِعَنِهِمُ اللَّهُ.

## الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرتست که وصف فرموده در آن منافقین را می فرماید:

حمد میکنم خدا را در مقابل آن چیزی که توفیق داد مر آن چیز را در طاعت و فرمانبرداری، و دفع و منع فرمود بندگان را از آن از معصیت و گردن کشی، و در خواست می کنیم از او تمام کردن مر مَنّت او را، و چنگ زدن بریسمان محکم او که عبارتست از اسلام یا قرآن.

و گواهی می دهیم این که محمّد بندهٔ پسندیده و فرستادهٔ او است، فرو رفت در هر شتاید بجهت توجّه برضای خدا، و جرعه جرعه نوشید هر غصّه در تحصیل رضای الهی و حال آنکه متغیّر و متلون الحال شدند از برای او نزدیکان و خویشان، و جمع گشتند بر عداوت او بیگانگان، و کردند طایفهٔ عرب بسوی حرب او لجامهای خود را و زدند بر شکمهای شتران بارکش خودشان بجهت رفتن بسوی جنگ او تا آنکه فرود آوردند در فضای خانه و منزل او دشمنی خودشان را از دورترین خانه و دورترین زیارتگاه وصیّت می کنم شما را ای بندگان خدا به پرهیزکاری خدا و می ترسانم شما را از اهل نفاق، پس بدرستی که منافقان گمراهان و گمراه کنندگانند، و لغزندگان و لغزانندگانند، رنگ برنگ و مختلف الحال می شوند و خلق را تفتین می کنند، قصد می کنند شما را بهر امر سنگین، و انتظار شما را می کشند در هر گذر گاهی،



قلبهای ایشان فاسد است، و صفحه‌ی روهای ایشان پاک و نظیف، راه می روند در پنهانی و حرکت می کنند در طرق اذیت و اضرار.

صفت ایشان دواء است، و گفتار ایشان شفاء است، و کردار ایشان درد بی درمان حسد کنندگان رفاہیتند، و محکم کنندگان بلا و معصیت، و مأیوس کنندگان امیدند، ایشان را است در هر راهی افتاده، و بسوی هر قلبی واسطه، و از برای هر اندوهی اشک چشمی، بقرض می دهند بیکدیگر ثنا و ستایش را، و منتظر می باشند از یکدیگر جزا و احسان را.

اگر سؤال نمایند اصرار می کنند، و اگر ملامت نمایند پرده دری می کنند، و اگر حاکم نمایند ایشان را در حکومتی اسراف می نمایند، بتحقیق که مهیا ساخته اند از برای هر حق باطلی را، و از برای هر راست کجی را، و از برای هر زنده قاتلی را، و از برای هر در کلیدی را و از برای هر شب چراغی را.

یعنی صاحبان انواع و اقسام حيله و خدعه می باشند، توصل می کنند بسوی طمع با اظهار یأس از مردم تا این که بر پا کنند بسبب اظهار یأس بازار کار خودشان را و رواج دهند متاع خود را، حرف می زنند پس مشتبه می سازند خلق را، و تعریف می کنند پس زینت می دهند و آسان می گردانند راه باطل را بجهت داخلین، و کج می کنند راه تنگ را بجهت خارجین، پس ایشان جماعت شیطانند، و چشمه آتشند ایشان دسته شیطانند، آگاه باش بدرستی دسته شیطان ایشانند زیانکاران.

## و من خطبه له علیه السلام و هی المأه و الرابعه

### اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه و جلال كبريائه ما حثير

ص: ۱۸۳

مقل العيون من عجائب قدرته، و ردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته، و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة إيمان و إيقان، و إخلاص و إذعان، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله و أعلام الهدى دارسه، و مناهج الدين طامسه، فصدع بالحق، و نصح للخلق و هدى إلى الرشد، و أمر بالقصد صلى الله عليه و آله. و اعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثا، و لم يرسلكم هملا، علم مبلغ نعمه عليكم، و أحصى إحسانه إليكم، فاستفتحوه، و استنجحوه، و اطلبوا إليه، و استمنحوه، فما قطعكم عنه حجاب، و لا- أغلق عنكم دونه باب، و إنه لبكل مكان، و فى كل حين و أوان «زمان خ»، و مع كل إنس و جان، لا يثلمه العطاء، و لا ينقصه الجباء، و لا يستنفده سائل، و لا يستقصيه نائل، و لا يلويه شخص عن شخص، و لا يلهيه صوت عن صوت، و لا- تحجزه هبه عن سلب، و لا- يشغله غضب عن رحمه، و لا- تولهه رحمه عن عقاب، و لا يجنّه البطون عن الظهور، و لا يقطع الظهور عن البطون، قرب فناى، و علا فدنى، و ظهر فبطن، و بطن فعلى، و دان و لم يدن، لم يذره الخلق باحتيال و لا استعان بهم لكلال.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنها الزّمام والقوام، فتمسّكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، تؤل بكم إلى أكنان الدّعه، و أوطان السّيعه، و معاقل الحرز، و منازل العزّ، في يوم تشخص فيه الأبصار، و تظلم له الأقطار، و تعطل فيه صروم العشار، و ينفخ في الصّور فتزهق كلّ مهجه، و تبكم كلّ لهجه، و تذللّ الشّمّ الشّوامخ، و الصّمّ الرّواسخ، فيصير صلدها سرايا رقرقا، و معهدا قاعا سملقا، فلا شفيع يشفع، و لا حميم يدفع، و لا معذره تنفع.

## اللغة

(المقل) جمع مقله كغرف و غرفه و هي شحمه العين التي تجمع سوادها و بيضها و (الهمهمه) الكلام الخفي أو صوت يسمع و لا يفهم محصوله و تردّد الزئير في الصّيدر من الهمّ و نحوه، قاله في القاموس أقول: و الزئير مأخوذ من الزئر و هو ترديد الصّوت في الجوف ثمّ مدّه، و يطلق الزئير على صوت الأسد من صدره و على كلّ صوت فيه بحح كصوت الفيله و نحوها.

و (طمست) الشىء طمسا محوته و طمس هو يتعدّى و لا يتعدّى و طمس الطريق درست و (الجانّ) اسم جمع للجنّ و أبو الجنّ و (استمنحوه) بالتّون من المنحه و هي العطيه و فى بعض النسخ بالياء يقال استمحت الرّجل طلبت عطاءه و محت الرّجل أعطيته و (الثلمه) فى الحائط و غيره الخلل و الجمع تلم كغرفه و غرف و (نفد) الشىء ينفد من باب تعب نفاذا فنى و انقطع و أنفدته أفنيته و (النائل)

العطاء كالتوال والنال و (سلبت) ثوب زيد من باب قتل أخذته و السلب بالتحريك الاختلاس و اسم لما يسلب و منه الحديث من قتل قتيلا فله سلبه.

و قوله (و لا- يجنه البطون عن الظهور و لا- يقطعه الظهور عن البطون) هكذا فى نسخه الشارح المعتزلى بتذكير الفعلين، و عليها فالبطون و الظهور مصدر بطن و ظهر، و فى بعض النسخ بتأنيثهما و على ذلك فلا بد من جعلهما جمعا للبطن و الظهر كما هو مقتضى القواعد الأدبية.

و (الدين) الجزاء و منه الحديث كما تدين تدان أى كما تجازى تجازى بما فعلت و يقال أيضا على القهر و الغلبه قال ابن الأثير: و منه الحديث كان على عليه السلام ديان هذه الامه أى قاهرهم على الطاعه و فى القاموس الدين الحساب و القهر و الغلبه و الاستعلاء و السلطان و الملك و الحكم.

و (الكلال) العجز و الاعياء و (الاكنان) جمع كن و هو الستر يستر من الحرّ و البرد قال تعالى و «مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» و (المعاقل) جمع معقل و هو الملجأ.

و (الصيروم) إمّا جمع صرمه بالكسر القطعه من الابل ما بين العشره إلى الأربعين و القطعه من السحاب و تجمع على صرم مثل سدره و سدر و إمّا جمع صرم و هى الطائفه المجتمعه من القوم ينزلون بابلهم ناحيه من الماء و يجمع على أصرام مثل حمل و أحمال، أو جمع صرماء و هى الناقه القليله اللبن، و تجمع على صرم وزان قفل و الأخير أظهر.

و (العشار) من الابل النوق أتى عليها من يوم ارسل الفحل فيها عشره شهر فرال عنها اسم المخاض و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، و الواحده عشاء، و قال الفيروز آبادى و العشاء من النوق التى مضى لحملها عشره أشهر أو ثمانية أو هى كالتفساء من النساء و الجمع عشراوات و عشار، أو العشار اسم يقع على النوق حتى تنتج بعضها و بعضها ينتظر نتاجها.

و (الشّم) جمع اشم يقول جبل اشم أى فيه شمم و ارتفاع و رجل اشم أى بأنفه ارتفاع قال فى القاموس و (رقرقان) السراب بالضم ما تفرق منه أى تحرّك

و الرّقراقه التي كان الماء يجرى في وجهها و (القاع) الأرض السهله المطمئنه قد انفرجت عنها الجبال و الاكام و (السملق) الصفصف و هي المستوى من الأرض.

## الاعراب

قوله و اطلبوا إليه، تعديده الطلب لتضمينه معنى التضرّع، و قوله: تؤل، بالجزم لوقوعه في جواب الأمر كما في نسخه الشارح المعتزلى، و في أكثر النسخ بالرفع و الظاهر أنه على الاستيناف البياني، و قوله: في يوم تشخص، متعلّق بقوله تؤل، و الفاء في قوله: فترهق، و قوله: فيصير، و قوله: فلا شفيع، كلّها فصيحه.

## المعنى

### اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه للنصح و الموعظه و الأمر بالتقوى مع التنبيه على جمله من صفات الكمال و العظمه و الجلال لله عزّ و جلّ، و افتتحها بحمده و الثناء عليه و الشهاده بالتوحيد و الرّساله فقال:

(الحمد لله الذى أظهر) فى الملك و الملكوت و الانفس و الافاق و الأرض و السماوات (من آثار سلطانه و جلال كبريائه ما حير مقل العيون) و ابصار البصائر (من عجائب قدرته) و بدايع صنعته و قد تقدّم الاشاره إلى بعضها فى شرح الخطب المسوقه لهذا الغرض و مرّ فصل واف منها فى الخطبه التسعين و شرحها فانظر ما ذا ترى.

و نسبه عجائب القدره إلى سلطانه و جلال كبريائه لأنّ الاثار العظيمه و المبدعات المحكمه المتقنه إنما يناسب صدورها بالسلطنه الالهيه و الجلال الالهى.

(و ردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته) أى دفع و منع الافكار و الزويات التى تخطر بالنفوس و توجب هممتها عن معرفه كنه صفات جماله و جلاله و يحتمل أن يراد بالهماهم نفس تلك الأفكار على سبيل الاستعاره لتردّها فى الجوف مثل تردّد الهماهم.

و كيف كان فالغرض منه التنبيه على عجز العقول و المشاعر الظاهره و الباطنه عن إدراك حقيقته و ذاته حسبما عرفته في شرح الفصل الثانی من الخطبه التسعين و في تضاعيف الشرح مرارا، و أردف الثناء عليه تعالى بالشهادة بتوحيده فقال:

(و أشهد أن لا إله إلا الله) و قد مضى الكلام في تحقيق معناها و الأخبار الواردة في فضلها بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثانی من الخطبه الثانيه، و وصفها هنا بأوصاف أربعه:

أحدها كونها (شهاده ايمان) أى يطابق القول فيها للعقد القلبي.

(و) ثانيها كونها شهاده (ايقان) أى صادرة عن علم اليقين لا عن وجه التقليد و لا تكون كذلك إلا باعتقاد أن لا إله إلا هو مع اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون ذلك المعتقد إلا كذلك.

(و) ثالثها أن تكون عن (اخلاص) أى جعلها خالصا عن شوب غيره من الرّيا و نحوه و قال الشّارح البحراني: هي أن يحذف عن ذلك المعتقد كلّ أمر عن درجه الاعتبار و لا- يلاحظ معه غيره، انتهى و قد مرّ له معنى آخر في الأخبار المتقدمه في شرح الخطبه الثانيه من أنّ إخلاصها أن حجزه لا إله إلا الله عمّا حرّم الله.

(و) رابعها أن تكون متلبسه ب (اذعان) و انقياد لما هو من توابعها و مقتضياتها من التكاليف و الأحكام.

و أردفها بالشهادة بالرسالة لما عرفت في الأخبار المتقدمه في شرح الخطبه الثانيه من فضل المقارنه بينهما فقال:

(و أشهد أنّ محمّدا عبده) المرتضى (و رسوله) المصطفى (أرسله) إلى الخلق بالهدى و دين الحقّ على حين فتره من الرّسل و طول هجعه من الامم و انتفاض من المبرم (و) الحال أنّ (أعلام الهدى دارسه) استعارها للأنبياء و المرسلين و أولياء الدّين الذين يهتدى بأنوارهم في سلوك سبيل الله كما يهتدى بالأعلام في الطّرق، و دروسها بما كانت من الفتره بعد عيسى إلى بعثه صلّى الله عليه و آله و سلّم (و مناهج الدّين طامسه) أى طرق المعارف الحقهّ الالهيه مندرسه منمحيه بطول المدّه و بعد العهد و غلبه الغفله.

(فصدع بالحق) امثالاً لما كان مأموراً به بقوله عزّ وجلّ «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» و أصل الصّدع عباره عن كسر الرّجاجة و شقّها و تفريقها، فاستعير عنه للبيان الواضح و التبليغ الكامل، و الجامع التّأثر.

و قد قيل فى تفسير الايه: أنّ معناها ابن الأمر إبانه لا تمنحى كما لا يلتئم كسر الرّجاجة، و قيل: أفرق بين الحقّ و الباطل، و قيل: شقّ جماعاتهم بالتّوحيد أو بالقرآن.

(و نصح للخلق) بصرفهم عن الرّدى إلى الهدى و ردهم عن الجحيم إلى النعيم (و هدى إلى الرّشد) أى إلى الصّواب و السّداد فى القول و العمل (و أمر بالقصد) أى بالعدل فى الامور المصون عن الافراط و التفريط، و يحتمل أن يكون المراد به قصد السبيل الموصل إلى الحقّ أى الصّراط المستقيم (صلّى الله عليه و آله) و سلّم ثمّ نبّه المخاطبين على عدم كونه تعالى فى خلقهم و ايجادهم لاغياً عابثاً فقال (و اعلموا عباد الله أنّه لم يخلقكم عبثاً) تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، و انما خلقكم للمعرفه و العبوديّة كما قال «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعبّدون».

(و لم يرسلكم هملاً) أى لم يترككم سدى مهملين كالبهائم و الأنعام، و إنّما كلّفكم بالتكاليف و الأحكام (علم مبلغ نعمه) و مقدارها كمّاً و كيفاً (عليكم و أحصى إحسانه) و فضله (إليكم) ليلوكم أ تشكرونه أم تكفرون و من شكر فأنما يشكر لنفسه و من كفر فأنه غنىّ كريم (فاستفتحوه) أى اطلبوا منه فتح أبواب النّعم (و استنجحوه) أى اطلبوا منه نجاح عوائد المزيد و القسم (و اطلبوا) منه متضرّعين (إليه) أن يصرف عنكم ما لا يصرفه أحد غيره من عذاب النّار و سخط الجنّار.

(و استمنحوه) أى اطلبوا منه أن يعطيكم ما لا يعطيه أحد غيره من فوز الجنان و رضى الرّحمن، و طلب ذلك كلّه منه سبحانه إنّما هو بالقيام بمراسم الحمد و الشكر و بالمواظبه على وظيف الطّاعات و القربات التى بها يستعدّ لافاضه الرّحمه و نزول الخيرات، هذا.

وَلَمَّا أَمَرَهُم بِالطَّلَبِ وَالسُّؤَالَ أَرَدَفَهُ بِمَا يَشَوِّقُهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَيُرَغِّبُهُمْ إِلَيْهِ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى انْتِهَاءِ جَمِيعِ السُّؤَالَاتِ وَالطَّلَبَاتِ إِلَيْهِ وَ  
عَدَمِ رَادَعٍ وَمَانِعٍ مِنْ وَصُولِهَا إِلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ:

(فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْ حِجَابٍ وَلَا اغْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٍ) يَعْنِي أَنَّ بَابَهُ مَفْتُوحٌ لِمَنْ دَعَاهُ وَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ مَانِعٌ وَلَا بَابٌ  
مَغْلَقٌ يَمْنَعُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ وَ مِنْ عَرْضِ الْحَوَائِجِ وَ الْمَقَاصِدِ عَلَيْهِ كَسَائِرِ الْمَلُوكِ وَ السِّبْلَاتِينَ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حِجَابًا وَ بَوَابًا،  
لَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الْأَجْسَامِ وَ صِفَاتِ النَّقْصِ وَ الْإِمْكَانِ وَ اللَّهِ تَعَالَى مُوصُوفٌ بِالْعِظْمَةِ وَ الْجَلَالِ مَنْزَعٌ عَنِ الْحَيِّزِ وَ الْمَكَانِ فَلَا  
يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَابٌ أَوْ عِنْدَهُ حِجَابٌ كَمَا أَفْصَحَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

(وَ أَنَّهُ لِبِكَلِّ مَكَانٍ) بِالْعِلْمِ وَ الْإِحَاطَةِ لَا بِالْحَيِّزِ وَ الْحَوَايِهِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ وَ إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِي الْقُرْبِ وَ الْبَعْدِ  
سَوَاءً، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَرِيبٌ وَ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَ لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَ لَا يَحِيطُ بِهِ مَكَانٌ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَحْجُبُ عَنْهُ  
أَخْبَارُ سَائِرِ الْأَمْكَانَةِ وَ الْمَكَانِيَّاتِ.

يُوضِحُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ قَالَ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْعُجَّاءِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ مَا  
كَانَ يَحَاوِرُهُ: ذَكَرْتَ اللَّهَ فَأَحَلَّتْ عَلَيَّ غَايِبٌ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَلْكَ كَيْفَ يَكُونُ غَائِبًا مِنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ وَ  
الْيَهُمُ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَ يَرَى أَشْخَاصَهُمْ وَ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعُجَّاءِ أَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَلَيْسَ  
إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ وَ إِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَكُونُ فِي السَّمَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا  
وَصَفَتِ الْمَخْلُوقَ الَّذِي إِذَا انْتَقَلَ عَنْ مَكَانٍ اشْتَغَلَ بِهِ مَكَانٌ وَ خَلَا مِنْهُ مَكَانٌ فَلَا يَدْرِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ مَا حَدَثَ فِي  
الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَأَمَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ فَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ وَ لَا يَشْتَغَلُ بِهِ مَكَانٌ وَ لَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبُ  
مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ.

وَ قَدْ مَرَّ هَذَا الْحَدِيثُ فِي شَرْحِ الْفَصْلِ السَّادِسِ مِنَ الْخُطْبَةِ الْأُولَى وَ مَرَّ تَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِي تَنْزُّهِهِ سَبْحَانَهُ مِنَ الْمَكَانِ فِي شَرْحِ  
الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنْهَا فَلْيَرِاجِعْ ثَمَّ



فإن هناك مطالب نفيسه.

و لما تبه على عدم خلوّ الأمكنه منه عزّ و جلّ أردفه بالتبته على عدم خلوّ الأزمنه منه فقال:

(و فى كلّ حين و زمان) بالعلم و الاحاطه أيضا لا- بمعنى ظرفيته له، لأنّ الكون فيه بمعنى الظرفيه مستلزم للحدوث المنافى للوجوب، فالواجب الأوّل تعالى منزّه عن ذلك، و قد تقدّم مزيد تحقيق لذلك فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين (و مع كلّ إنس و جانّ) لا معنيه بالاقتران بل بمعنى كونه عالما بهم شاهدا عليهم غير غايب عنهم كما قال عزّ من قائل «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و قد مرّ مزيد تحقيق لهذا المعنى فى شرح الفصل الخامس و السادس من الخطبه الاولى، هذا.

و لما شوّق المخاطبين إلى الطلب و السؤال بالتنبيه على عموم علمه بحالات السائلين و حاجات الطالبين و عدم خفاء شىء منها عليه أكد تشويقهم بالتنبيه على سعه جوده فقال:

(لا- يتلمه العطاء و لا- ينقصه الجباء) أى لا يوجب كثره عطائه و مزيد جبائه خلا و نقصا فى خزانه كرمه و بحر جوده، و ذلك لعدم تناهى مقدوراته.

و يوضح ذلك ما فى الحديث المروى فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

إنّ الله عزّ و جلّ يقول: فلو أنّ أهل سماواتى و أهل أرضى أمّلوا جميعا ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكى مثل عضو ذرّه، و كيف ينتقص ملكك أنا قيمه، فيا بؤسا للقانطين من رحمتى، و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى.

و بذلك الحديث أيضا اتّضح معنى قوله (لا يستنفده سائل و لا يستقصيه نائل) أى لا ينفى جوده سائل و إن بلغ الغايه فى طلبه و سؤاله، و كذا لا يبلغ القصوى و الغايه عطاؤه و نواله بل لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداق البحار من فلزّ اللّجين و العقيان و نثاره الدّر و حصيد المرجان ما أثر ذلك فى جوده و لا

أنفد سعه ما عنده، و لكان عنده من ذخاير الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام، لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين، و لا يبخله إلحاح الملحين حسبما مرّ في الخطبه التسعين.

(و لا يلويه) أى لا يصرفه (شخص عن شخص و لا يلهيه) أى لا يشغله (صوت عن صوت) لأنّ الصّرف و اللّهُو يستلزمان الغفله عن أمر و الفطنه لغيره بعد الغفله عنه و هما من عوارض المزاج الحيوانى و توابع الامكان.

(و لا تحجزه هبه عن سلب) أى لا يمنعه البذل و الانعام عن سلب المال و أخذه قال الشّارح المعتزلى: أى ليس كالقادرين منّا فإنّ الواحد منّا يصرفه اهتمامه بعطيّه عن سلب مال عمرو و حال ما يكون مهتمّا بتلك العطيّه لأنّ اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الآخر، انتهى.

أقول: و محصّيه أنّه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، و يحتمل أن يراد به أنّه تعالى لا يمنعه هبته لأحد و إنعامه عليه عن سلب نعمه اخرى عنه كالواحد منّا إذا وهب يمنعه هبته عن سلبه، لاستلزام الهبه فينا التلطف و العطف، و استلزام السلب فينا الغيظ و الغضب، و هما أمران متضادّان لا- يمكن اجتماعهما فى شخص واحد فى حاله واحده، فلا- يكون الواهب حال ما هو واهب سالبا و بالعكس، و أمّا الواجب تعالى فلمّا لم يكن منشأ هبته و سلبه العطف و الغضب لكونهما من عوارض المزاج الحيوانى و تنزّهه عنها جاز أنّصافه بهما معا.

و هذان الاحتمالان يأتیان فى قوله (و لا- يشغله غضب عن رحمه) و المراد بهما غايتهما، أى العقاب و الاحسان لا- معناهما المعروف المستلزم للحدوث و النقصان.

و أمّا قوله (و لا- تولهه رحمه عن عقاب) فقد قال الشارح المعتزلى أى لا يحدث الرّحمه لمستحقها عنده ولها و هو التخيير و التردّد و يصرفه عن عقاب المستحقّ، و ذلك لأنّ الواحد منّا إذا رحم انسانا حدث عنده رقه خصوصا إذا توالى منه الرّحمه لقوم متعدّدين فانه يصير الرّحمه كالملكه عنده فلا يطبق فى تلك الحال أن ينتقم

و البارى سبحانه بخلاف ذلك، لأنه ليس بذى مزاج سبحانه، هذا.

و قوله (و لا يجنّه البطون عن الظهور) قد تقدّم ممّا فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و الخطبه الرابعه و الستين ما هو كاف فى شرح معنى هذه الفقره و ما يتلوها من الفقرات الاتيه إلى قوله: و بطن فعلم.

و أقول هنا مزيدا للتوضيح: إنّ الغرض بهذه الجملات جميعا التنبيه على كمال الحق المتعال عزّ و جلّ و على تنزّهه من صفات المخلوقين، فإنّ البطون فى الخلق مانع من الظهور، و الظهور من البطون، و القرب من البعد، و البعد من القرب، و العلوّ من الدنوّ، و الدنوّ من العلوّ لكون كلّ من هذه الصّيفات بمعناه المعروف مضادا للاخر، فلا يمكن اتّصاف شخص واحد بهما معا فى حاله واحده و لا اجتماعهما فى محلّ واحد على ما هو مقتضى التّضادّ.

أمّا الله الحىّ القيوم جلّ جلاله فيتّصف بهما جميعا بمعنى آخر وراء ذلك المعنى المعروف، فهو تعالى ظاهر باطن قريب بعيد عال دان.

و على ذلك فلا يجنّه البطون عن الظهور، أى لا يستره خفاؤه بذاته عن ظهوره باياته، أو لا يستره اختفاؤه عن الأبصار عن ظهوره للعقول و البصائر، أو لا يحجبه خفاؤه عن الأبصار و الأوهام بذاته عن قهره و غلبته للأشياء بسلطانه و قدرته.

و محصّله أنّه ليس بطونه بلطافه أو اجتنان، و لا ظهوره برؤيه و عيان حتّى يكون اتّصافه بأحدهما حاجبا و مانعا عن الاخر كما فى المخلوق.

و على ما فى بعض النسخ من روايه لا تجنّه بصيغه التّأنيث، فالمراد أنّه لا تستره بواطن الأشياء عن ظواهرها أى لا تحجب علمه بطونها عن ظهورها، لأنّ علمه ببواطن الأشياء ليس على وجه الاستبطان و الغور فيها، و لا علمه بظواهر الأشياء من أجل كونه فوقها حتّى تحجبه البطون عن الظهور و الظهور عن البطون كما فىنا.

و يحتمل أن يكون المراد أنّه تعالى حين ما هو عالم بالباطن عالم بالظاهر لكمال علمه و عموم إحاطته، و ليس كالمخلوق حين علمه بأحدهما يغفل عن الاخر لتقصان علمه و قصوره.

(و) بذلك كله ظهر أيضا معنى قوله: (لا يقطع الظهور عن البطون) وأما قوله (قرب فنأى) فالمراد به أنه قرب من الخلق بالعلم و الاحاطه و بالرّحمه و الافاضه، و بعد عنهم بالذّات و الحقيقه و ليس قربه قريبا مكائتيا حتّى ينافى لبعده، و لا بعده بعدا مكائتيا بتراخى مسافه حتّى ينافى لقربه.

(و علا فدنا) أى علا بحوله و قدرته و غلبته و سلطانه و دنا بطوله و فضله و مننه و احسانه كما مرّ التصريح به منه عليه السّلام فى الخطبه الثّانيه و الثمانين، و يجوز أن يراد علوّه على الأشياء بجلاله و عزّته و دنوّه منها بعلمه و احاطته، و أن يراد بالعلوّ العلوّ بالعليه و بالدنوّ قربه من الأشياء قرب العله من معلولها، و هذا هو الأولى بالاراده هنا و أنسب بعطفه الدنوّ على العلوّ بالفاء المفيده لتفريعه عليه فافهم جيّدا و قد مضى تحقيق ذلك فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين.

(و ظهر فبطن) أى ظهر على الأشياء بسلطانه و عظمته، و بطن فى الأشياء بعلمه و معرفته (و بطن فعلمن) أى خفى بذاته و كنهه و ظهر باثاره و آياته، و هاتان الفقرتان تأكيدتان للفقرتين المتقدمتين، فأنه لتميّا تبه فيهما على عدم حجب بطونه عن ظهوره و ظهوره عن بطونه تبه هنا على ما يستلزمه عدم الحجب و هو اتّصافه بهما معا روى فى الكافى فى باب الفرق بين المعانى الّتى تحت أسماء الله تعالى و أسماء المخلوقين عن علىّ بن محمّد مرسلا عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: قال:

و أمّا الظاهر فليس من أجل أنّه علا- الأشياء بركوب فوقها و قعود عليها و تستمّ لذراها، و لكن ذلك لقهره و غلبته الأشياء و قدرته عليها، كقول الرّجل ظهرت على أعدائى و أظهرنى الله على خصمى، يخبر عن الفلج و الغلبه فهكذا ظهور الله على الأشياء، و وجه آخر أنّه الظاهر لمن أراه و لا يخفى عليه شىء و أنّه مدبّر لكلّ ما برء فأى ظاهر أظهر و أوضح من الله تبارك و تعالى، لأنّك لا تعدم صنعه حيثما توجّهت و فيك من آثاره ما يغنيك، و الظاهر ممّا البارز بنفسه و المعلوم بحده فقد جمعنا الاسم و لم يجمعنا المعنى.

و أما الباطن فليس على معنى الاستبطان فى الأشياء بأن يغور فيها، و لكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما و حفظا و تدبيرا كقول القائل أبطنته يعنى خبرته و علمت مكتوم سرّه، و الباطن من الغايب فى الشىء المستتر و قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

(و) أمّا قوله (دان و لم يدن) فأراد به أنّه جزى العباد بأعمالهم إن خيرا فخييرا و إن شرا فشيّرا، و لم يجز، أو أنّه حاسب و لم يحاسب، أو أنّه استعلا عليهم و لم يستعل عليه، أو أنّه تسلط على كلّ ما سواه و لم يسلط عليه، أو أنّه ملك جميع الخلايق و لم يملك، أو أنّه قهر الكلّ و غلبهم بافتقار الكلّ إليه و استغنائه عنهم و لم يقهر عليه.

قال الرضا عليه السلام فى الحديث الذى قدّمناه آنفا:

و أما القاهر فأنّه ليس على معنى علاج و نصب «و تصلّب خ» و احتيال و مداراه و مكر كما يقهر العباد بعضهم بعضا و المقهور منهم يعود قاهرا و القاهر يكون مقهورا، و لكن ذلك من الله عزّ و جلّ على أنّ جميع ما خلق ملبس به الدّل لفاعله و قلّه الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفه عين أن يقول له كن فيكون، و القاهر منّا على ما ذكرت و وصفت فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

(لم يذرء الخلق باحتيال) أى لم يخلقهم باستخراج وجوه الحيل و إجماله الرأى و الفكر فى استخراجها كما هو شأن البشر فى صنعهم، و ذلك لأنّ الفكره و الحركة القلبيه مختصّه بذوى الضمائر، و جلال البارى تعالى شأنه منزّه عنه و إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

(و لا- استعان بهم لكلال) أى لعجز و اعياء، لأنّ منشأ الاعياء تنهى القوه الجسميه المخصوصه بذوى الأجسام، و طلب العون و الحاجه إلى المعين من ضعف القدره، و إذ لا ضعف و لا عجز لكمال ذاته سبحانه قوه و قدره فلا يتصوّر فى حقه الاستعانه.

و لما فرغ من تمجيد الحقّ المتعال بما هو أهله و تنزيهه عن صفات النقص

و الافتقار أردفه بالايضاء بما لا يزال يوصى به فقال:

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام) للانسان المانع له عن تقم الممالك الجاذب إلى أقوم المسالك و الصارف له عن الزدى إلى الهدى و عن الجحيم إلى النعيم كما أن الزمام للخيل مانع لها عن اقتحام الهلكات و تورط الورطات (و) هي أيضا (القوام) أى قوام الدين و نظام و وظائف الشرع المبين.

(فتمسكوا بوئانقها) أى بعريها الوثيقه و حبالها المحكمه من الطاعات و القربات التى هى جزؤها.

(و اعتصموا بحقايقها) أى باصولها الثابته الموافق للواقع و المطابقه لغرض الشارع.

و أشار إلى ثمره التمسك و الاعتصام بها بقوله (تؤل بكم) أى ترجعكم و تقودكم (إلى أكنان الدعه) و مواطن الزاحه متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا، و دانيه عليهم ظلالها و ذلت قطوفها تذليلا.

(و أوطان السعه) أى جنه عرضها السموات و الأرض مع عيش سعيد و أكل رغيد، فالداخل فيها فى عيشه راضيه فى جنه عاليه قطوفها دانيه كلوا و اشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخاليه.

(و معاقل الحرز) المانع من عذاب النار و من غضب الجبار و ظلّ ذى ثلاث شعب لا ظليل و لا يغنى من اللهب.

(و منازل العزّ) أى حظاير القدس و مجالس الانس مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين من الساده الأبرار و القاده الأخيار فى جنات تجرى من تحتها الأنهار، و إذا رأيت ثم رأيت نعيما و ملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر و استبرق و حلّوا أساور من فضّه و سقيهم ربهم شرابا طهورا، إن هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا و لما أوصى بالتقوى و أمر بالتمسك و الاعتصام بها و رغب فيها بالتنبيه على مالها من المنفعه العظيمه و هى إرجاعها إلى جنّه النعيم أكد ذلك الترغيب بانجائها

من الهول العظيم و أشار إلى ذلك بقوله.

(فى يوم) أى اعتصموا بالتقوى تول بكم إلى مساكن الأمن و العزّ و السعه و الراحة فى يوم القيامة و ما أعظم شدايدها و أهوالها، و قد زلزلت الأرض فيها زلزالها و أخرجت الارض أنقالها و قال الانسان ما لها.

(تشخص فيه الأبصار و تظلم له الأقطار) أما شخوص الأبصار فى ذلك اليوم فهو نصّ الكتاب الكريم قال تعالى فى سوره إبراهيم «وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ أَسْوَابُهُمْ».

قال الطبرسى: معناه إنما يؤخر عقابهم إلى يوم القيامة و هو اليوم الذى تكون الابصار فيه شاخصه عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى فى ذلك اليوم و لا تطرف، و قيل تشخص أبصارهم إلى إجابته الداعى حين يدعوهم، و قيل: تبقى أبصارهم مفتوحه لا تنطبق للتحير و الرعب.

مهطعين أى مسرعين، و قيل: يريد دائمى النظر إلى ما يرون لا يطفون.

مقنعي رؤسهم، أى رافعي رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الزجل مكان قدمه من شدّه رفع الرأس، و ذلك من هول يوم القيامة.

لا يرتدّ إليهم طرفهم، أى لا يرجع إليهم أعينهم و لا يطبقونها و لا يغمضونها، و إنما هو نظر دائم.

و أما ظلمه الاقطار فقد اشير إليها و إلى ما تقدّم أيضا فى قوله تعالى «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصِيرُ وَ حَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ».

فى الصّافى عن القمى قال: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف و قرء بفتح الزاء و هو لغه، أو من البريق من شدّه شخوصه، و خسف القمر ذهب ضوءه و نوره، و جمع الشّمس و القمر قال الطبرسى: أى جمع بينهما فى ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراهما كلّ أحد بغير نور و ضياء.

و فى الصّافى من الاحتجاج عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه سئل عن قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ»

«الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» وقيل له: فأين الناس يومئذ؟ فقال: فى الظلمه دون المحشر.

(و تعطل فيه صرور العشار) قد مرّ تفسيرهما فى بيان اللغه، و قد صرّح بتعطيلها و اشير إلى ظلمه الأقطار كليهما فى قوله تعالى «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ» قال أمين الاسلام الطبرسى: أخبر الله سبحانه عن القيامه و شدائدها فقال: إذا الشمس كوّرت، أى ذهب ضوءها و نورها فاضلمت و اضمحلت، و إذا النجوم انكدرت، أى تساقطت و تناثرت، و إذا الجبال سيّرت، عن وجه الأرض فصارت هباء منبّثا، و إذا العشار عطلت، أى التوق الحوامل التى أتت عليها عشره أشهر، و هو أنفس مال عند العرب تركت هملا بلا راع، هذا.

و لما ذكر جملة من أوصاف يوم القيامه و أهويلها تحذيرا منها أردفها بذكر نفخ الصور الذى هو من أشراط الساعه و علاماتها الداله على قربها تهويلا به أيضا فقال:

(و ينفخ فى الصور) و قد مضى شرح وصفه و تفصيل كيفيه النفخ فيه فى شرح الفصل الثالث من الخطبه الثانيه و الثمانين بما لا مزيد عليه.

و أراد به النفعه الاولى كما يدلّ عليه قوله: (فتزهق كلّ مهجه و تبكم كلّ لهجه) أى تضمحلّ و تهلك كلّ قلب و تخرس كلّ لسان، و هو كناية عن هلاك العموم، و قد اشير إليه فى قوله تعالى «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ».

و يدلّ عليه أيضا قوله (و تذللّ الشّم الشّوامخ) أى الجبال الرّاسيات الشّامخات العاليات (و الصّم الرّواسخ) أى الثابتات المحكمات الرّاسيات و أراد بذلتها دكّ بعضها بعضا من هيبة جلاله عزّ و جلّ و مخوف سلطنته.

و قد اشير إلى ذلك فى قوله تعالى «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» قال السيّد المحدّث الجزائرى: إنّ النفخه الاولى التى هى للهلاك تأتى



النَّاسِ بَغْتَهُ وَهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَطَلَبَ مَعَايِشَهُمْ، فَإِذَا سَمِعُوا صَوْتَ الصَّيْرِ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ وَ أَكْبَادُهُمْ مِنْ شِدَّتِهِ فَيَمُوتُوا دَفْعَهُ وَاحِدَةً، فَيَبْقَى الْجِبَارُ جَلَّ جَلَالُهُ فَيَأْمُرُ عَاصِفَهُ فَتَقَطُّعُ الْجِبَالُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَ تَلْقِيهَا فِي الْبَحَارِ، وَ تَفُورُ مِيَاهُ الْبَحَارِ وَ كَلَّمَا فِي الْأَرْضِ وَ تَسْطِطُ الْأَرْضُ كُلَّهَا لِلْحِسَابِ، فَلَا- يَبْقَى جَبَلٌ وَ لَا شَجَرٌ وَ لَا بَحْرٌ وَ لَا وَهْدَةٌ وَ لَا تَلْعَةٌ، فَتَكُونُ أَرْضًا بِيضًا حَتَّى أَنَّهُ رَوَى لَوْ وَضَعْتَ بِيضَهُ فِي الْمَشْرِقِ رَأَيْتَ فِي الْمَغْرِبِ.

وَ إِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ (فَيَصِيرُ صَلْدًا سَرَابًا رَقْرَقًا) أَي يَصِيرُ صَلْبًا مِثْلَ السَّرَابِ الْمَتَرِّقِ الْمَتَحَرِّكَ.

(وَ مَعَهَا قَاعًا سَمَلِقًا) أَي مَا كَانَ مِنْهَا مَعَهَا لِلنَّاسِ وَ مَنَزَلًا لَهُمْ أَرْضًا خَالِيَةً صَفْصَفًا مَسْتَوِيَةً لَيْسَ لِلْجَبَلِ فِيهَا أَثَرٌ.

وَ قَدْ أَشِيرَ إِلَى هَذَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا» وَ فِي قَوْلِهِ «وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا» وَ قَوْلِهِ «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا» وَ قَدْ مَضَى تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَ جَمَلَهُ مِمَّا يَنْفَعُ فِي هَذَا الْمَقَامِ فِي شَرْحِ الْفَصْلِ الثَّلَاثِ مِنَ الْخُطْبَةِ الْمَاءِ وَ الثَّامِنَةِ، هَذَا.

وَ لَمَّا ذَكَرَ جَمَلَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ أَفْزَاعِهَا وَ شِدَائِدِهَا رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ (فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ وَ لَا حَمِيمَ يَدْفَعُ وَ لَا مَعْذِرَةَ تَنْفَعُ) تَنْبِيْهُهَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنْ أَهْوَالِهَا وَ لَا مَنَاجَا تَرْغِيْبًا بِهِ عَلَى مَلَازِمَةِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ مِنْ سَوْقِ هَذَا الْفَصْلِ وَ النَّتِيْجَةُ لِمَهْيِدِ تِلْكَ الْمَقْدَمَاتِ لِأَنَّهَا الْمَعَاذُ وَ الْمَلَاذُ وَ الْمَلْجَأُ وَ الْمَنَاجَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ الْقَائِدَةِ لِالْخِذِّ بِهَا وَ الْمَلَازِمِ عَلَيْهَا إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَ أَوْطَانِ الشَّعَةِ وَ غُرَفَاتِ الْجَنَانِ وَ مَنَازِلِ الرِّضْوَانِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» وَ قَدْ أَشِيرَ إِلَى عَدَمِ الشَّفِيعِ وَ الْحَمِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَ أُرْلِقَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ بُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» إِلَى قَوْلِهِ حِكَايَةَ عَنِ الْغَاوِينَ «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»

قال أمين الاسلام الطبرسي: أى لا ينفع المال و البنون أحدا إذ لا يتهيأ لذى مال أن يفتدى من شدائد ذلك اليوم به، و لا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئا من معاصيه إلا من أتى الله بقلب سليم من الشرك و الشك.

و روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو القلب الذى سلم من حب الدنيا، و يؤيده قول النبى صلى الله عليه و آله: حب الدنيا رأس كل خطيئه.

و ازلفت الجنة للمتقين أى قربت لهم ليدخلوها، و برزت الجحيم للغاوين.

أى أظهرت و كشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق و الصواب.

ثم أظهر الغاؤون الحسره فقالوا: فما لنا من شافعين يشفعون لنا و يسألون فى أمرنا، و لا صديق حميم أى ذى قرابه يهّمه أمرنا أى ما لنا شفيح من الأبعاد و لا صديق من الأقارب، و ذلك حين يشفع الملائكه و النبيون و المؤمنون.

و اشير إلى عدم نفع المعذره فى سوره الزوم بقوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا ينفع الظالمين اعتذارهم لعدم تمكنهم من الاعتذار، و لو اعتذروا لم يقبل عذرهم و لا يطلب منهم الاعتاب و الرجوع إلى الحق، و فى سوره المؤمن «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَا لَّهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَا لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» أى ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم و إن تابوا لم ينفعهم التوبه.

قال الطبرسي: و انما نفى أن ينفعهم المعذره فى الاخره مع كونها نافعه فى دار الدنيا، لأن الاخره دار الالجا إلى العمل و الملجأ غير محمود على العمل الذى الجأ اليه، و لهم اللعنه و البعد من الرحمه، و لهم سوء الدار جهنم و بسس القرار، نعوذ بالله من غضب الجبار.

## بشاره

اعلم أنّ ظاهر قوله: فلا شفيح يشفع و لا حميم يدفع، عموم انتفاء الانتفاع بالشفيح و الحميم يوم القيامه على ما هو مقتضى القاعده الاصوليه المقرره من إفاده النكره فى سياق النفي للعموم، لكن الأدله القاطعه من الكتاب و السنه قد قامت

على التخصيص أمّا القرابه فقد ورد فى الأخبار الكثيره المستفيضه أنّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامه إلا سبب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نسبه.

و أمّا الشفاعة فلا خلاف بين علماء الاسلام بل صار من ضرورى دين سيد الأنام أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يشفع يوم القيامه لامته بل لسائر الامم أيضا.

و إنّما الخلاف فى أنّ الشفاعة هل هى لطلب مزيد الأجر و جلب زياده المنفعه فمختصّه بالمؤمنين المطيعين المستحقين للثواب فقط، أو لدفع مضرّه العقوبه أيضا فتعمّ المجرمين المستحقين للعقاب.

فأكثر العامه على عدم اختصاصها بأحد الفريقين، و ذهب الخوارج و الوعيديه من المعتزله إلى اختصاصها بالفرقه الاولى.

و الذى ذهب إليه أصحابنا الاماميه رضوان الله عليهم من دون خلاف بينهم هو عدم الاختصاص، و قالوا: إنه تنال الشفاعة للمذنبين من الشيعة و لو كان من أهل الكباير و الذى دلت عليه أخبارهم أيضا عدم اختصاص الشفيع برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بل الأئمه الهداه من ذريته و كذا ابنته الصيديقه الكبرى سلام الله عليها و عليهم ترى أيضا شفعاء دار البقاء بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ علماء الشيعة و الصالحين منهم أيضا يشفعون.

إذا عرفت ذلك فلا بأس بايراد بعض الايات و الأخبار الوارده فى هذا الباب فأقول:

قال أمين الاسلام فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» معناه يقيمك ربك مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون و الآخرون، و هو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى و تشفع فتشفع.

و قد أجمع المفسرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعة، و هو المقام الذى يشفع فيه للناس، و هو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه و يجتمع تحته الأنبياء و الملائكه فيكون أول شافع و أول مشفع.

و قال عليّ بن إبراهيم فى تفسير هذه الايه:

حدّثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن سماعه عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته

عن شفاعه النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم يوم القيامة قال يلجم الناس يوم القيامة بالعرق فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم عليه السلام يشفع لنا، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول: إن لي ذنبا وخطيئة فعليكم بنوح عليه السلام، فيأتون نوحا فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه حتى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن و يخز ساجدا فيمكث ما شاء الله فيقول الله:

ارفع رأسك و اشفع تشفع و سل تعط، و ذلك قول الله عزّ و جل «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً».

و روى علي بن إبراهيم أيضا عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن معاوية و هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي و أمي و عمي و أخ كان لي في الجاهلية.

و في الصافي عن العياشي عن أحدهما عليهما السلام في هذه الآية قال: هي الشفاعة.

و فيه عن روضه الواعظين عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قال: هو المقام الذي أشفع لأمّتي.

قال و قال صَلَّى اللهُ عليه وآله إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبار من أمّتي فيشفعني الله فيهم، و الله لا تشفّعت فيمن أذى ذريتي و قال الطبرسي في قوله تعالى «و لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» إنه لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن رضيه الله و ارتضاه و أذن له في الشفاعة مثل الملائكة و الأنبياء و الأولياء، و يجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له فيكون مثل قوله «و لا يشفعون إلا لمن ارتضى» و إنما قال سبحانه ذلك، لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى و هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فحكم الله ببطلان اعتقاداتهم.

و في تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية قال: لا يشفع أحد من أنبياء الله و رسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فإن الله قد أذن له الشفاعة من قبل يوم القيامة و الشفاعة له صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم و للأئمة من ولده، ثم بعد ذلك للأئبياء صلوات

اللّٰه عليهم و على محمّد و آله قال: حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمّار عن أبي العبّاس المكّبر قال:

دخل مولى لامرأه عليّ بن الحسين عليهما السّلام على أبي جعفر عليه السّلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر تغتّبون الناس و تقولون شفاعة محمّد شفاعة محمّد، فغضب أبو جعفر عليه السّلام حتّى تربد وجهه ثمّ قال: ويحك يا أبا أيمن أغرّك أن عفّ بطنك و فرجك أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمّد صلّى اللّٰه عليه و آله و يلّك فهل يشفع إلّا لمن وجبت له النّار، ثمّ قال: ما أحد من الأولين و الآخرين إلّا و هو محتاج إلى شفاعة محمّد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم يوم القيامة ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم الشفاعة في أمّته و لنا شفاعة في شيعتنا، و لشيعتنا شفاعة في أهاليهم، ثمّ قال عليه السّلام: و إنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعه و مضر، و إنّ المؤمن ليشفع حتّى لخادمه و يقول: يا ربّ حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ و البرد.

و قال الطبرسيّ في قوله عزّ و جلّ «لا يملكون الشّفاعة إلّا من اتّخذ عند الرّحمن عهداً» أي لا يقدرّون على الشفاعة فلا يشفعون و لا يشفع لهم حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض، لأنّ تلك الشفاعة على وجهين: أحدهما أن يشفع للغير، و الآخر أن يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه، فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعتهم لغيرهم و لا شفاعة لهم لغيرهم، ثمّ استثنى سبحانه فقال: «إلّا من اتّخذ عند الرّحمن عهداً»، أي لا يملك الشفاعة إلّا هؤلاء، و قيل: لا يشفع إلّا لهؤلاء و العهد هو الايمان و الاقرار بوحدانيّة اللّٰه تعالى و تصديق أنبيائه، و قيل: هو شهادته أن لا إله إلّا اللّٰه و أن يتبرّء إلى اللّٰه من الحول و القوّه و لا يرجو إلّا اللّٰه.

و في الصافيّ من الكافي عن الصادق عليه السّلام إلّا من دان اللّٰه بولايه أمير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام من بعده فهو العهد عند اللّٰه.

و فيه من الجوامع عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم أنه قال لأصحابه ذات يوم:

أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساءً عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذاك؟ قال: يقول: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدي من الخير، وأنني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع وضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الله عهد فيدخلون الجنة.

وقال الطبرسي في قوله تعالى «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَّا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» في الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي و صديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقى في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وقال و روى العياشي عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس:

فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرهه فنكون من المؤمنين، وفي روايه اخرى حتى يقول عدونا.

و عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سباً بتيه: يا رب خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد، فيشفع فيه.

و في الصافي من المحاسن عن الصادق عليه السلام الشافعون الأئمة والصديق من المؤمنين، والله لنشفعن من المذنبين في شيعتنا حتى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك:

فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

و فيه من الكافي عن الباقر عليه السلام وإن الشفاعة لمقبوله ولا تقبل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع في جاره وما له حسنه فيقول: يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافي عنك فيدخله

اللّٰهُ الْجَنَّةُ وَ مَالِهِ حَسَنُهُ، وَ إِنَّ أَدْنَى الْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةُ لِيَشْفَعَهُ لثَلَاثِينَ إِنْسَانًا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ وَ لِنَقْتَصِرَ بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْكَرَامَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ أَنْ يَثْبِتَنَا عَلَى الْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَ أَنْ يَخْرِجَنَا مِنْهَا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَى بِمَوْلَاهُ أَيْمَنَهُ الْهُدَى، وَ أَنْ لَا يَحْرِمَنَا مِنْ شَفَاعَتِهِمُ الْكِبْرَى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ وَ لَا يَدْفَعُ صَدِيقٌ حَمِيمٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، إِنَّهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

## الترجمه

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار است در حمد و ثنای الهی و وصیت به تقوی و پرهیزکاری می فرماید:

سپاس خدا راست آن چنان خدائی که آشکار کرد از آثار پادشاهی خود و بزرگی بزرگواری خود آن چیزی را که متحیر گردانید دیدهای عقلها را از مقدورات عجیبه خود، و دفع نمود خطورات فکرهای نفسها را از شناسائی حقیقت صفت خود و شهادت می دهم باین که معبود بحقی نیست مگر خدا شهادتی از روی اعتقاد جازم ثابت خالص از شوب ریا ملازم طاعات و عبادات، و شهادت می دهم که محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله و سلم بنده خالص اوست و پیغمبر اوست فرستاد او را در حالتی که نشانهای هدایت مندرس بود، و راههای دین محو شده بود، پس آشکار کرد حق را و نصیحت کرد خلق را و هدایت نمود براه راست، و امر نمود بعدل و قسط، صلوات خدا بر او و بر اولاد او باد.

و بدانید ای بندگان خدا که بتحقیق خدا خلق نفرموده شما را عبث و بی فایده و رها نکرده شما را سر خود، دانسته است مقدار نعمتهای خود را بر شما، و شمرده است انعام خود را بر شما، پس طلب فتح و نصرت کنید از او و طلب فوز بمقصود نمائید از او، و متوجه شوید بسوی او در مطالب، و طلب بخشش او کنید، پس

نبریده است شما را از او پرده، و بسته نشده است از شما نزد او هیچ دری، و بدرستی که او در هر مکان و در هر وقت و زمان حاضر، و با هر انسان و جانّ مصاحب.

صدمه نمی رساند کرم او را بخشش و عطا، و نقصان نمی رساند خزانه احسان او را کرم او، و تمام نمی نماید بحر عطای او را هیچ سؤال کننده، و پایان نمی رساند نعمتهای او را هیچ عطیة، پیچیده نمی نماید او را شخصی از شخصی، و مشغول نمی گرداند او را آوازی از آوازی، و مانع نمی شود او را بخششی از ربودنی، و رو گردان نمی سازد او را غضبی از رحمتی، و حیران نمی گرداند او را رأفتی از عذابی، و پنهان نمی دارد پنهانی ذات او از آشکاری آثار او، و منقطع نمی سازد ظهور آثار او از خفاء ذات او، نزدیک شد بمخلوقات با علم و قیومیت پس دور شد از ایشان بحسب ذات، و بلند شد بهمه چیز با استیلا و سلطنت پس نزدیک شد بایشان با علم و احاطه و ظاهر شد پس از کثرت ظهور خفا بهم رساند، و مخفی گشت پس در خفایش آشکار گردید، و لنعم ما قیل:

از همه کان بی نیاز و بر همه مشفق و ز همه عالم نهران و بر همه پیدا

و جزا داد بهمۀ عباد و جزا داده نشد، و خلق نفرمود خلق را با جولان فکر و تدبیر، و طلب اعانت نجست از ایشان بجهت عجز و ضعفی.

وصیت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری خدا پس بدرستی که آن تقوی افساریست مانع از دخول هلاکتها، و قوام دین شما با اوست، پس بچسبید بریسمانهای محکم او، و چنک بزیند بحقیقتهای آن یعنی اعتقادات حقۀ یقینیه که راجع می سازد شما را بمکان های راحت و وطنهای با وسعت و حصارهای محکم و منزلهای عزت در روزی که شاخص می شود در آن دیدها، و تاریک می شود بسبب شدت آن روز اطراف عالم، و معطل و بی صاحب می ماند در آن روز شتران کم شیر که از مدت حمل او ده ماه گذشته باشد و نزدیک بزائیدن شود.

و دمیده شود در صور اسرافیل پس مضمحل و هلاک می شود هر قلب، و لال می شود



هر زبان، و دلیل می شود کوههای بلند بالا و سنگهای سخت محکم پس می گردد سنگهای صلب آنها مثل سراب متحرک، و قرارگاههای آنها زمین خالی هموار بی بلند و پست، پس نباشد شفيعی که شفاعت نماید، و نه خویشی که دفع عذاب کند و نه عذری که منفعت بخشد.

## و من کلام له علیه السلام و هو الماء و الخامس

### اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

بعثه حين لا علم قائم، و لا منار ساطع، و لا منهج واضح. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، و أحذركم الدنيا فإنها دار شخوص، و محلّه تنغيص، ساكنها ظاعن، و قاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السيفينه بأهلها، تقصفها العواصف في لجج البحار، فمنهم الغرق الوبق، و منهم التاجي على متون الأمواج، تحفزه الرياح بأذيالها، و تحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرک، و ما نجى منها فإلى مهلك. عباد الله الان فاعملوا و الألسن مطلقه، و الأبدان صحيحة، و الأعضاء لدنه، و المنقلب فسيح، و المجال عريض، قبل إرهاب الفوت، و حلول الموت، فحققوا عليكم نزوله، و لا تنتظروا قدومه.

ص: ٢٠٧

(العلم) محرّكه ما ينصب في الطريق ليهتدى به و يقال أيضا للجبل أو الجبل المرتفع و الجمع أعلام و (المنار) موضع النور و المسرجه كالمناره و أصلها منوره و جمعه مناور و ذو المنار أبرهه تبع بن الزّایش لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى به إذا رجع.

و (سطع) الشىء من باب منع سطوعا ارتفع و (شخص) من باب منع أيضا شخوصا خرج من موضع إلى غيره و (نغص) الرّجل من باب فرح لم يتمّ مراده، و البعير لم يتمّ شربه و أنغص الله عليه العيش و نغصه كدره فتنغصت معيشته تكدّرت.

و (قصفه) يقصفه قصفا كسره، و فى بعض النسخ تصفّقها بدل تقصفها من الصّفق و هو الضّرب يسمع له صوت، و منه صفق يده على يده صفقا و صفقه أى ضرب يده على يده، و ذلك عند وجوب البيع.

و (اللّجج) جمع لّجه و هى معظم البحر و (غرق) غرقا من باب فرح فهو غرق و (وبق) من باب وعد و وجل و ورث و بوقا و موبقا هلك فهو وبق و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه و بالترّمح طعنه و عن الأمر أزعجه و أعجله و حفز اللّيل النّهار ساقه و (اللّدن) و اللّدنه اللّين من كلّ شىء و الجمع لدان ولدن بالضمّ، و الفعل لدن من باب كرم لدانه ولدونه أى لان و (رهقه) من باب فرح غشيه و لحقه أو دنا منه سواء أخذه أو لم يأخذه، و الارهاق أن يحمل الانسان على ما لا يطيقه.

## الاعراب

جملة تحفزه فى محلّ التّصب على الحال من التّاجى، و قوله: فالى مهلك

متعلّقى بمقدّر خبر ما، و قوله: الاين، منصوب على الظرف مقدّم على عامله و هو قوله: فاعلموا، و جمله: و الألسن مطلقه، مع الجملاى الأربى الألىه فى موضع النصب حال من فاعل فاعلموا، و قوله: قبل ارهاق الفوت، يجوز تعلّقه بعريض و بقوله فاعلموا، و الأؤل أقرب لفظا، و الألى أنسب معنا.

## المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه للوصيه بالتقوى و التنفير من الدنبا بذكر معايبها المنفره عنها و للأمر بالأعمال الصالحه و المبادره إليها قبل لحوق الفوت و نزول الموت، و قبل أن يشرع فى الغرض افتتح بذكر بعثه الرسول صلّى الله عليه و آله لكونها أعظم ما منّ الله به على عباده حيث إنّها مبدء جميع الالاء و التعماء فى الآخرة، و منشأ السعاده الدائمه فقال عليه السلام:

(بعثه حين لا-علم) من أعلام الدين (قائم) و استعاره للأنبياء و المرسلين لأنّه يستدلّ بهم فى سلوك طريق الآخرة كما يستدلّ بالأعلام فى طرق الدنيا (ولا-منار) للشّرع المبين (ساطع) استعاره لأولياء الدين و قاده اليقين لأنّه يهتدى بهم و يقتبس من علومهم و أنوارهم فى ظلمات الجهاله كما يهتدى بالمنار فى وړطات الضلاله.

و أشار بعدم سطوع المنار و قيام العلم إلى خلق الأرض من الرّسل و الحجج و انقطاع الوحى حين بعثه صلّى الله عليه و آله، لأنّه كان زمان فتره كما قال عليه السّلام فى الخطبه الثامنه و الثمانين: أرسله على حين فتره من الرّسل و طول هجعه من الامم «إلى قوله» و الدنيا كاسفه النور ظاهره الغرور، و قد مضى فى شرحها ما ينفعك المراجعه إليه فى هذا المقام.

(و لا منهج) لليقين (واضح) و أشار به إلى اندراس نهج الحقّ و انطماس طريق السّلوكة إلى الله و كون الناس فى خبط و ضلاله و غفله و جهاله.

ثم شرع بالوصية بالتقوى والتحذير من الدنيا فقال (اوصيكم عباد الله بتقوى الله) فانها اليوم الحرز والجنة وغدا الطريق إلى الجنة (و أحذركم الدنيا فانها) ظل زائل وضوء آفل و سناد مائل (دار شخص) و ارتحال (و محله تنغيص) و تكدير لتكدر عيشه بالالام و الأسقام (ساكنها ظاعن) مرتحل (و قاطنها بائن) مفترق يعنى ان الساكن فيها ليس بساكن فى الحقيقه، و المقيم بها منتقل عنها البتة و ذلك لما بينا فى تضاعيف شرح الخطب السابقه أنها فى الحقيقه سفر الاخره و هى الوطن الأصلي للانسان فهو من أول يوم خرج من بطن امه و وضع قدمه فى هذه النشأه دائما فى حركه و ازياى و ازداف و انتقال و ينقضى عمره شيئا فشيئا يبعد من المبدأ و يقرب من المنتهى فسكونها نفس زوالها، و اقامتها نفس ارتحالها، و بقاؤها عين انتقالها و وجودها حدوثها، و تجددها فناؤها، فانها عند ذوى العقول كفىء الظل، بينا تراه سابغا حتى قلص، و زايدا حتى نقص.

ثم ضرب للدنيا و أهلها مثلا- عجيبا بقوله (تميد بأهلها ميدان السد فينه بأهلها) حال كونها (تقصفها) القواصف و تصفقاها (العواصف) من الرياح (فى لجج البحار) الغامرات المتلاطمه التيار المتراكمه الزخار، و هو من تشبيه المركب بالمركب على حد قول الشاعر:

و كأن أجرام النجوم طوالعا درر نشرن على بساط أزرق

شبه عليه السدلام الدنيا بالسد فينه التى فى اللجج حال كونها تضربها الرياح الشديده العاصفه و شبه أهل الدنيا بأهل السفينه، و شبه تقلباتها بأهلها بالهموم و الأحزان و الغموم و المحن بميدان السفينه و اضطرابها بأهلها، و شبه الأمراض و الالام و العلل و الأسقام و نحوها من الابتلاءات الدنيويّه الموجهه للهموم و الغموم بالرياح العاصفه الموجهه لاضطراب السد فينه، و وجه الشبه أن راكبي السد فينه فى لجج البحار الغامره عند هبوب الرياح العاصفه و الزرع القاصفه كما لا ينفكون من عزل القلق و غصص الجرض، فكذلك أهل الدنيا لا ينفكون من مقاسات الشدائد و ألم المضض.

و أيضا (ف) كما أنّ راكبي السفينه بعد ما انكسرت بالقواصف على قسمين:

قسم (منهم الغرق الوبق) الهالك في غمار البحر (و) قسم (منهم الناجي) من الغرق على بعض أخشاب السفينه و ألواحها (على متون الأمواج) المتلاطمه المتراكمه (تحفزه) و تدفعه (الرياح) العاصفه و الزّعاع القاصفه (بأذيالها) من جنب إلى جنب (و) تحمله على أهوالها) و تسوقه من رفع إلى خفض و من خفض إلى رفع.

فكذلك أهل الدّنيا ينقسم إلى قسمين: أحدهما الهالك عاجلا بغمرات الالام و طوارق الأوجاع و الأسقام، و الثّاني النّاجي من الهلاك بعد مكابده تعب الأمراض و مقاساه مراره العلل.

و أيضا (ف) كما أنّ (ما غرق منها) أي من السفينه و أراد به الغريق من أهلها مجازا (فليس بمستدرک) أي ممكن التدارك (و ما نجى منها) أي النّاجي من أهلها (ف) عاقبته (إلى مهلك) أي إلى الهلاك و إن عاش يسيرا.

فكذلك أهل الدّنيا من مات منهم لا يتدارك و لا يعود، و من حصل له البرء و الشفاء من مرضه و نجا من الموت عاجلا فماله إليه لا محاله آجلا و إن تراخى أجله قليلا.

و الغرض من هذه التشبيّهات كلّها التّنفير عن الدّنيا و التّنبيه على قرب زوالها و تكدّر عيشها و مراره حياتها ليرغب بذلك كلّه إلى العمل للدّار الاخره، و لذلك فرّع عليه قوله:

(عباد الله الاين فاعملوا) أي بادروا العمل و استقربوا الأجل و لا يغترّكم طول الأمل (و الألسن مطلقه) متمكنه من التّكلم بما هو فرضها من القراءه و الذّكر و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و نحوها قبل ثقلها و اعتقالها بالمرض الحاييل بينها و بين منطقتها كما في حاله الاحتضار.

(و الأبدان صحيحه) مقتدره على الاتيان بالتكاليف الشرعيه قبل سقمها و عجزها منها.

(و الأعضاء) و الجوارح (لدنه) لينه ببضاضه الشّباب و غضاره الصّحّه قادره على

القيام بالطاعات و الحسنات قبل يبسها بنوازل السقم و عجزها بحوانى الهرم.

(و المنقلب فسيح) أى محلّ الانقلاب و التصرف و سبع، لأنّ الخناق مهمل و الروح مرسل فى راحه الاجساد و باحه الاحتشاد.

(و المجال عريض) لانفساح الحوبه و إمكان تدارك الذنوب بالتوبه قبل الضنك و الضيق و الزوع و الزهوق.

و (قبل إرهاق الفوت) و قدوم الغائب المنتظر (و حلول الموت) و أخذه العزيز المقتر.

(فحقّقوا عليكم نزوله) و لا تستبطّوه (و لا تنتظروا قدومه) و لا تسوّفوه، و هو أمر بالاستعداد للموت و المبادرة الى أخذ الزاد له و لما بعده يقول: إنّ الموت قد أظلكم و أشرف عليكم فكأنّه قد أدر ككم و نزل إلى ساحتكم فلا يغزّنكم الأمل و لا يطولنّ بكم الأمد، فبادروا إلى الصّالحات و استبقوا الخيرات و سارعوا إلى مغفره من ربّكم و جنّه عرضها الأرض و السموات، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممّن لا يغزه الامال، و لا تلهيه الامتّيات، أنّه الموقّق و المعين.

## الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در اشارت به بعثت و وصيت بتقوى و تحذير از دنيا مى فرمايد:

مبعوث فرمود حضرت پروردگار رسول مختار را در زمانى كه نبود هيچ علمى بر پا، و نه مناره بلند، و نه راهى روشن وصيت مى كنم شما را اى بنندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى خدا، و مى ترسانم شما را از دنياى بيوفا، پس بدرستى كه آن دنيا خانه رحلت است و محله كدورت، ساكن او كوچ كننده است، و مقيم او جدا شونده، مضطرب مى شود بأهل خود مثل اضطراب كشتى در حالتى كه سخت بوزد به آن كشتى تند بادها در گردابهاى درياها، پس

بعضی از اهل آن کشتی غرق و هلاک شونده باشد، و بعضی دیگر نجات یابنده بر بالای موجها در حالتی که براند او را بادهای با دامنه‌های خود، و بر دارد او را به جاهای هولناک دریا، پس کسی که غرق شده از آن کشتی درک نمی شود، و کسی که نجات یافته از آن پس عاقبت کار او بهلاکت است.

ای بندگان خدا پس مواظب عمل باشید این زمان در حالتی که زبانها سلامت است، و بدنها صحیح است، و عضوها تر و تازه، و مکان تصرف وسیع است و مجال عبادت فراخ، پیش از احاطه وفات و حلول ممات، پس محقق انکارید بخودتان حلول آن را، و منتظر نباشید بقدم و آمدن آن.

## و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و السادسة

### اشاره

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ أَرِدْ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَهُ قَطُّ، وَ لَقَدْ وَاسَيْتَهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَهُ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَ لَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَ لَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرْتَهَا عَلَى وَجْهِي، وَ لَقَدْ وَلَّيْتُ غَسْلَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَ الْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْنِيَّةُ، مَلَأَ يَهْبِطُ، وَ مَلَأَ يَعْرَجُ، وَ مَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ، يَصْلُونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِينَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقَّ بِهِ مَنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا، فَاغْفِدُوا

ص: ۲۱۳

على بصائرکم، و لتصدق نياتکم فى جهاد عدوکم، فوالذى لا إله إلا هو إني لعلی جاده الحق، و إنهم لعلی مزله الباطل، أقول ما تسمعون، و أستغفر الله لى و لکم.

## اللغة

(المستحفظون) بصيغه المفعول من استحفظه الشىء أى أودعه عنده و طلب منه أن يحفظه فهو مستحفظ و ذاك مستحفظ و (واسيته) من المواساه يقال واسيته و آسيته و بالهمزه أفصح و (نكص) عن الشىء نكوصا من باب قعد أحجم عنه، و نكص على عقبه رجع قال تعالى «فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ».

و (التجده) البأس و الشده و الشجاعه و (النفس) بسكون الفاء الدّم و بالتحريك واحد الأنفاس و (فناء) الدار و زان كساء ما اتسع أمامها أو ما امتدّ من جوانبها و الجمع أفنيه و فنى و (الضجيج) الصّياح عند المكروه و الجزع و (الهيئمه) بفتح الهاء الصّوت الخفى و قيل الكلام الخفى لا يفهم و (الضريح) القبر أو الشقّ وسطه و الأول هو المراد هنا و (المزله) الموضع الذى تزلّ فيه قدم الانسان كالمزلفه

## الاعراب

الواو فى قوله: و لقد فى المواضع الخمسه كلّها للقسم و المقسم به محذوف و اللّام جواب القسم، قوله: نجده، منصوب على المفعول له و العامل واسيته قال الشّارح المعتزلى: منصوب على المصدر و العامل محذوف و الأوّل أظهر.

و قوله: ملاء يهبط و ملاء يعرج، مرفوعان بالابتداء و لا يضّرّ كونهما: نكرتين لتضمّن الفايده العظيمه، و جمله و ما فارقت، فى محلّ النصب على الحال من فاعل يهبط و يعرج، و جمله يصلّون استينافيه بياتيه و تحتمل الانتصاب محلاً على الحال



من هينمه أى ما فارقت سمعى هينمتهم حالكونهم يصلون، و الأول أولى لاحتياج الثانى إلى نوع تكلف و قوله: حيا و ميتا،  
حالان من الضمير المجرور فى به و الفاء فى قوله: فانفذوا، فصيحه

## المعنى

## اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه لبيان جمله من مناقبه الجميله و خصائصه المختصّه به المفيد لمزيد اختصاصه برسول الله  
صلّى الله عليه و آله و سلّم و قربه منه استدلالا بذلك على أنه أحقّ و أولى بالخلافه و القيام مقامه صلّى الله عليه و آله و أنه  
على الحقّ و غيره على الباطل، و غرضه منه تنبيه المخاطبين على وجوب إطاعته فيما يأمرهم به من جهاد الأعداء المبطلين.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّه ذكر خمسا من فضائله و صدرّ كلا بالقسم البارّ تأكيدا للغرض المسوق له الكلام و تنبيها على أنّ  
اتّصافه بها جميعا حقّ لا يعتريه ريب و لا يدانيه شكّ.

اولها ما أشار إليه بقوله (و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله ائى لم أردّ على الله و لا على رسوله  
ساعه قطّ) المراد بالمستحفظون خيار الصحابه المطلعون على أسرار رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و سيرته و معجزاته و  
كراماته و عهوده و موثيقه و الملاحم الواقعه فى زمانه صلّى الله عليه و آله و سلّم و نحو ذلك ممّا يتعلّق به صلّى الله عليه و آله  
و سلّم، فى نفسه و فى أوصيائه و أتباعه من الأمور المعظمه التى يهتمّ بها فى الشريعة و لها مدخل فى قوام أركان الدّين و إعلاء  
لواء الشرع المبين الذين كلّفوا بحفظ ذلك كلّهم و امروا بأن يبلغوها و يؤدّوها فى مقام الضروره و الحاجه.

و إنّما خصّ علم ما ذكره بهؤلاء مع عدم اختصاصه بهم لأنّ هؤلاء بمقتضى تصلّبهم فى الدّين لا يكتمون الشهاده و لا يغيرونها و  
لا يبدّلونها فى مقام الحاجه للأغراض الدّنيويّه الفاسده كما كتّمها جمع منهم مثل زيد بن أرقم و أنس بن مالك و نظرائهم.

كما روى فى البحار من الخصال و الأمالى عن جابر الجعفى عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال:

خطبنا على بن أبى طالب عليه الصلاه و السلام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن قدام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم منهم انس بن مالك و البراء بن عازب الأنصارى و الأشعث بن قيس الكندى و خالد بن يزيد البجلي ثم أقبل بوجهه على أنس بن مالك فقال:

يا أنس إن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من كنت مولاه فهذا على مولاه ثم لم تشهد لى اليوم بالولايه فلا أماتك الله حتى يتليك ببرص لا تغطيه العمامه و أما أنت يا أشعث فإن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يقول: من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ثم لم تشهد لى اليوم بالولايه فلا أماتك الله حتى يذهب بكر يمتيك.

و أما أنت يا خالد بن يزيد إن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ثم لم تشهد لى اليوم بالولايه فلا أماتك الله إلا ميتة جاهليته.

و أما أنت يا براء بن عازب إن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ثم لم تشهد لى بالولايه فلا أماتك الله إلا حيث هاجرت منه.

قال جابر بن عبد الله الأنصارى:

و الله لقد رأيت أنس بن مالك قد ابتلى ببرص يغطيه بالعمامه فما يستتره.

و لقد رأيت الأشعث بن قيس و قد ذهبت كريمته و هو يقول: الحمد لله الذى جعل دعاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بالعمى فى الدنيا و لم يدع على بالعذاب فى الآخرة فأعذب.

و أما خالد بن يزيد فإنه مات فأراد أهله أن يدفنه و حفر له فى منزله فسمعت بذلك كنده فجاءت بالخيل و الابل فعقرتها على باب منزله فمات ميتة جاهليه.

و أما البراء بن عازب فإنه ولّاه معاويه اليمن فمات بها و منها كان هاجر.

فقد ظهر بذلك أنّ المستحفظين هم المكلفون بحفظ الامور المهمّة المعتمد بها في أمر الدين، و أنّ تخصيصهم بالعلم لعدم كتمانهم لما حملوه لو رجع الخاطئون اليهم.

و اما أنّه عليه السّلام ما ردّ على الله و رسوله أبدا فهو معلوم محقق لا خفاء فيه بل من ضروريّات المذهب لملكه العصمه المانع من مخالفته لله و لرسوله صلّى الله عليه و آله.

و قال الشّارح المعتزلي: و الظاهر أنّه يرمز في قوله عليه السّلام: لم أردّ على الله و لا على رسوله ساعه قط، إلى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبيه عند سطر كتاب الصّيلح، فإنّ بعض الصحابه أنكر ذلك، و قال: يا رسول الله ألسنا المسلمين؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: بلى قال: أ و ليسوا الكافرين؟ قال: بلى، قال: فكيف نعطي الدّنيه من دنيانا و الله لو أجد أعوانا لم أعط الدّنيه أبدا، فقال أبو بكر لهذا القائل: ويحك الزم غرزه (1) فو الله إنّ الله لرسول الله و إنّ الله لا يضيعه، ثمّ قال له: أ قال لك أنّه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال: فسيدخلها، فلما فتح النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم مكّه و أخذ مفاتيح الكعبه دعاه فقال: هذا الذي وعدتم به.

قال الشّارح: و اعلم أنّ هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، و النّاس كلّهم رووه و ليس عندي بقبيح و لا بمستهجر أن يكون سؤال هذا الشخص رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد و التماسا لطمأنينه النّفس. فقد قال الله تعالى لخليله إبراهيم «أ و لم تؤمن قال بلى و لكنّ ليطمئنّ قلبى».

و قد كانت الصحابه يراجع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في الامور و تسأله عما يثبتهم عليها و تقول له أ هذا منك أم من الله.

و أمّا قول أبى بكر له: الزم غرزه فو الله أنّه لرسول الله صلّى الله عليه و آله، فإنّما هو تأكيد و تثبيت على عقيدته التي في قلبه، و لا يدلّ ذلك على الشك فقد قال الله تعالى لنبية صلّى الله عليه و آله «و لو لا أنّ تبثناك لقد كدت تركزن إليهم شيئا قليلا» و كلّ أحد لا يستغنى عن زياده اليقين و الطمأنينه.

ص: ٢١٧

قال: وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذا القصة، كقوله: دعنى أضرب عنق أبى سفيان، وقوله: دعنى أضرب عنق عبد الله ابن أبى، وقوله: دعنى أضرب عنق حاطب بن أبى بلتعه، ونهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن التسرع إلى ذلك وجذبه ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله حين قام على جنازه ابن سلول يصلى وقوله: تستغفر لرأس المنافقين.

وليس فى ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه وإنما كان الرجل مطبوعا على الشده والشراسه والخشونه و كان يقول ما يقول على مقتضى السجيه التى طبع عليها، وعلى أى حال كان فلقد نال الاسلام بولايته وخلافته خيرا كثيرا، انتهى.

أقول: مراد الشارح بهذا الرجل الذى حكى عنه هذه الأباطيل هو عمر بن الخطاب، وإنما ترك التصريح باسمه ملاحظه لجانبه، ولقد عكس فى شرح قوله عليه السلام:

فصيرها فى حوزة خشناء، من الخطبه الثالثه وقال هناك: قال عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تقل لنا ستدخلونها فى ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبى بكر وحتى قال له أبو بكر: الزم بغرزه فوالله إنه لرسول الله صلى الله عليه وآله، انتهى.

فصرح باسمه وطوى عن تحصيل مقاله وفضول كلامه استكراها واستهجانا لما صدر منه من الرد والمخالفة وإساءه الأدب على رسول الله صلى الله عليه وآله واستحياء منه عليه السلام.

ولكن غير خفى على المنصف البعيد عن العصبية والهوى أن شناعه ما صدر من هذا الرجل لا يمكن أن يتدارك بالستر والكتمان والابهام عن اسمه تاره والاجمال عن هديانه اخرى، ونعم ما قيل:

و لن يصلح العطار ما أفسد الدهر

فلقد صدر منه من القول الشنيع القبيح ما هو أشد وأعظم من ذلك، وهو ما قاله لرسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه الذى مات فيه لما قال صلى الله عليه وآله: اتئوني بكتف ودواه اكتب لكم كتابا لا تصلوا بعده أبدا، فقال عمر: إن الرجل ليهجر.

و فى البحار من المجلد الثانى من صحيح مسلم فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَهْجُرُ.

و أما ما اعتذر به الشارح عن مثالبه بأنه ليس بقبيح أن يكون سؤال هذا الرجل على سبيل الاسترشاد و التماسا لطمأنينه النفس.

ففيه أنه لو كان غرضه الاسترشاد دون الاعتراض لا كتفى بما سمعه من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ أَمْسَكَ عَنْ فَضُولِ كَلَامِهِ وَ لَمْ يَغْضَبْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى يَشْكُو إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّعْرِيفَ وَ الِاعْتِرَاضَ كَمَا عَلِمَ عَدَمَ جَوَازِ قِيَاسِ سْؤَالِهِ بِسْؤَالِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامِ الَّذِى كَانَ غَرْضُهُ مِنْهُ الطَّمَأْنِينَةَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ بِقَوْلِهِ: بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى، وَ سَتَعْرِفُ مَزِيدَ تَوْضِيحِهِ بِمَا نَحْكِيهِ مِنَ الْبَحَارِ فِي التَّنْبِيهِ الْآتِي.

و أما سؤال ساير الصحابه عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ فِي الْأُمُورِ وَ قَوْلِهِمْ لَهُ: أَمْ هَذَا مِنَ اللَّهِ أَوْ مِنْكَ.

ففيه أن سؤالهم ذلك أيضا كان ناشيا عن جهالتهم، لأنهم لو كانوا معتقدين بما أنزل الله في حقه من قوله: وَ مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وَ مَدْعُونِ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَ يَفْعَلُهُ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ أذِنَ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّؤَالِ، وَ لَسَلَّمُوا فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ تَسْلِيمًا.

و أما التمثيل على نفي الشك عن عمر بقوله تعالى «وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا».

ففيه أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَامَتِ الْأَدَلَّةُ الْقَاطِعَةُ مِنَ الْعَقْلِ وَ النُّقْلِ عَلَى عَصَمَتِهِ وَ عَلَى رَسُوخِهِ فِي الدِّينِ، وَ الْإِيهَ وَ إِنْ كَانَ الْخُطَابُ فِيهَا ظَاهِرًا مَتَوَجِّهًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أُمَّتَهُ مِنْ قَبِيلِ آيَاكَ أَعْنَى وَ اسْمَعَى يَا جَارِهِ.

و على إبقائه على ظاهره فالمراد بتثبيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هُوَ تَثْبِيتهُ بِالنَّبُوهِ وَ الْعَصْمَةِ وَ الْأُلْفَافِ الْخَفِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، لَمَا قَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَعْصُومًا، وَ أَمَّا عَمْرُ فَأَيُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَاكَا فِي الدِّينِ حَتَّى يَقَالَ إِنَّ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ لَهُ: فَوَ اللَّهُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ لِأَجْلِ الشُّكِّ بَلْ لِتَثْبِيتهِ عَلَى عَقِيدَتِهِ، فَافْهَمْ جَيِّدًا.

و اما دنس جذبہ بثوب رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ حين إرادته الصّلاه على ابن سلول فلا يطهره التّيل و لا الرّسّ.

إذ فيه من القباحه و المخالفه و الاعتراض و سوء الأدب و التّعريض ما لا مزيد عليه.

مضافا إلى قوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين أ كان رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و العیاذ باللہ جاهلا بتكليفه الشرعی فعلمه عمر، و قد كان معالم الدّین منه ظهرت و أحكام الشّرع المبین منه اخذت، و هو صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم شارعها و صادعها.

و قيامه على جنازه ابن سلول و صلاته عليه إمّا من جهه أداء حقّ ولده و هو عبد اللہ بن عبد اللہ بن أبی سلول فلقد كان مؤمنا.

و إمّا من جهه أنّه صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم صلی عليه لا ترخّما له بل دعا عليه بالنار و العذاب و لم يكن به بأس.

و أمّا استغفاره صلی اللہ علیہ و آلہ فلكونه صلی اللہ علیہ و آلہ، مخيرا بين الاستغفار و عدم الاستغفار.

و يوضح ما ذكرته ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلبي عن أبي عبد اللہ عليه السّلام قال: لَمّا مات عبد اللہ بن أبی سلول حضر النّبیّ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم جنازته فقال عمر لرسول اللہ: يا رسول اللہ أ لم ينهك اللہ أن تقوم على قبره؟ فسكت فقال: يا رسول اللہ أ لم ينهك اللہ أن تقوم على قبره؟ فقال له:

ويلك و ما يدريك ما قلت إنني قلت: اللهم احش جوفه نارا و املاء قبره نارا و اصله نارا، قال أبو عبد اللہ صلوات اللہ عليه: فأبدى من رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم ما كان يكره.

و في الصافي من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» أنّها نزلت لَمّا رجع رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ إلى المدينة و مرض عبد اللہ بن أبی و كان ابنه عبد اللہ مؤمنا فجاء إلى النّبیّ صلی اللہ علیہ و آلہ و أبوه وجود بنفسه فقال: يا رسول اللہ بأبي أنت و امي إن لم تأت أبی كان ذلك عارا علينا، فدخل عليه رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلّم و المنافقون عنده، فقال ابنه عبد اللہ بن عبد اللہ: يا رسول اللہ استغفر له، فاستغفر له، فقال عمر: أ لم ينهك يا رسول اللہ أن

تصلى عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعاد عليه، فقال له: ويلك إني خيرت إن الله يقول استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، الايه.

فلما مات عبد الله جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت و أمي يا رسول الله أ رأيت تحضر جنازته فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام على قبره فقال له عمر: يا رسول الله أ ولم ينهك الله أن تصلى على أحد منهم مات أبدا و أن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلك و هل تدري ما قلت، إنما قلت: اللهم احش قبره نارا و جوفه نارا و اصله النار، فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن يحب.

و فى الصافى عن العياشى عن الباقر عليه السلام أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لابن عبد الله بن أبى اذا فرغت من أيبك فأعلمنى، و كان قد توفى فأتاه فأعلمه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعليه للقيام فقال له عمر: أ ليس قد قال الله تعالى: و لا- تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره، فقال صلى الله عليه وآله له: ويلك أ و يحك إنما أقول: اللهم املاء قبره نارا و املاء جوفه نارا، و اصله يوم القيامة نارا و فى روايه اخرى أنه أخذ بيد ابنه فى الجنازه فمضى فتصدى له عمر ثم قال: أما نهاك ربك عن هذا أن تصلى على أحد منهم مات أبدا أو تقوم على قبره؟ فلم يجبه، فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ما قاله أولا، فقال النبى صلى الله عليه وآله عند ذلك: ما رأيتنا صلينا له على جنازه و لا قمنا له على قبر.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن ابنه رجل من المؤمنين و كان يحق علينا أداء حقه، فقال عمر:

أعوذ بالله من سخط الله و سخطك يا رسول الله.

قال فى الصافى بعد ايراد هذه الروايات:

أقول: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيبا كريما كما قال الله عزّ و جلّ: فيستحيى منكم و الله لا يستحيى من الحق، فكان يكره أن يفتضح رجل من أصحابه ممن يظهر الايمان، و كان يدعو على المنافق و يورى أنه يدعو له، و هذا معنى قوله صلى الله عليه وآله لعمر: ما رأيتنا صلينا له على جنازه و لا قمنا له على قبر، و كذا معنى قوله فى حديث القمى: خيرت فاخترت، فورى عليه السلام باختيار الاستغفار

و أمّا قوله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم فيه: فاستغفر له فلعله استغفر لابنه لَمّا سأل لأبيه الاستغفار و كان يعلم أنه من أصحاب الجحيم، و يدلّ على ما قلنا قوله: فبدا من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم ما لم يكن يحبّ، انتهى.

فقد اتّضح بما ذكرنا كلّ الوضوح نكته قيام رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله على قبر ابن سلول و صلواته عليه، و علّه ما صدر منه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم من الاستغفار.

و مع الغضّ عن ذلك أيضا فهو صَلَّى اللهُ عليه و آله أعلم بعلم ما يقول و يفعل، و بوجوه المصالح الكامنه فيما يأتي و يأمر به، فلا- حقّ للجلف الجافى ابن حنتمه و أمثاله من الأوغاد الطعام أن يعترضوا على سيّد الأنام و رسول الملك العلّام عليه و آله آلاف التحية و الاكرام.

و أما ما اعتذر به الشارح المعتزلى أخيرا من أنّ الرّجل كان مطبوعا على الشدّه و الشراسه و الخشونه و كان يقول ما يقول على مقتضى سجيّته التي طبع عليها.

فقد تقدّم جوابه فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الشقشقيه.

و محضّيل ما قلناه هناك إنّ خشونه سجيّته و جفاوه طبيعته إن كانت بالغه إلى مرتبه لم يبق له معها اختيار فى الامساک عن فضول كلامه و سقطات لسانه و الكفّ عن هجره و هذيانه، فيتوجه عليه أنّ من كان كذلك يعدّ فى زمره المجانين فكيف يصلح لامامه الأمه و خلفه النبوه.

و إن لم تكن بالغه إلى تلك المرتبه فذلك الاعتذار لا يدفع عنه العار و الشنار كما لم يدفع عن ابليس استحقاق النار و سخط الجبار، و لم يرفع عنه لؤم الاستكبار حين استكبر بمقتضى الجبله الناريه و اعتذر به فى قوله: خلقتنى من نار و خلقتة من طين، بل استحقّ اللعنه و الابعاد إلى يوم الدّين و خلّد فى الجحيم أبد الابدین.

و أما قول الشارح و على أىّ حال كان فلقد نال الاسلام بولايته و خلافته خيرا كثيرا.

فيه أنه هب أنّ إنهاض الجيوش و بعث العساكر و فتح بعض البلاد كان فى زمان



خلافته و بأمره، و لكن إذا كان أصل الخلافه باطله حسبما عرفته فى تضاعيف الشرح مرارا فأى ثمر اخروى له فى هذه الخيرات النائله منه إلى الاسلام على فرض تسليمها لأنه عزّ و جلّ إنّما يتقبّل من المتّقين، بل كلّ ما صدر منه فى أيام ولايته و خلافته و مخالفته لله و لرسوله كان عليه وزرا و وبالا دون أن يكون له ثوابا و نوالا

كمطعمه الزّمان ممّا زنت بهجرت مثلا للخائن المتصدّق

فقال لها أهل البصيره و التّقيك الويل لا تزنى و لا تتصدّق

بل لو قيست سيئه من سيئاته و هى غضب الخلافه من آل بيت الرّسول و إحراقه لباب ابنته البتول و ما كان بأمره من كسر ضلعها و سقوط جنينها، و ما نشأت من تلك الشجره الملعونه الخبيثه و ثمرته من أعظم الظّلم فى وقعه الطّف الذى لا يتصوّر ظلم فوقه، إلى سيئات جميع الامّه لرجحت عليها فضلا عن ساير جرايمه و بدعائه و محدثاته التى بقيت على صفحات الأيام، و استمرت إلى يوم القيامه و القيام، فليحملنّ أوزارها كامله و من أوزار الذين بها يعملون، و سيعلم الذين ظلمو آل محمّد حقّهم أى منقلب ينقلبون.

الثانيه ما أشار إليه بقوله (و لقد واسيته فى المواطن التى تنكص) و ترجع (فيها الأبطال) و الأنجاد (و تتأخّر فيها الأقدام) من أجل (نجده) و شجاعه (أكرمنى الله بها) و جعلها مخصوصه بى و آثرنى بها على غيرى.

قال الشّارح المعتزلى: و هذا يعنى المواساه ممّا اختصّ عليه السّلام بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم احد و فرّ الناس و ثبت معه يوم حنين و فرّ الناس، و ثبت تحت رايته يوم خيبر حتّى فتحها و فرّ من كان بعث من قبله.

أقول: أول مواساته عليه و آله آلاف التحية و الثناء مبينه على فراش خاتم الأنبياء حتى باهى الله به ملائكه السماء، فوهب نفسه لله تعالى و بذلها لنبيه المصطفى و بات على فراشه لينجو به من كيد الأعداء، و يتمّ له بذلك السلامه و البقاء، و ينتظم له به الغرض فى الدّعاء إلى الحنيفيه البيضاء، فكان ذلك سبب نجاه النبىّ صلّى الله عليه و آله و بقائه و حقن دمه حتى صدع بأمر ربّه.

و لولاه عليه السّلام لما تمّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم التبليغ و الأداء و لا استدام له العمر و البقاء و لظفر به الحسده و الأعداء فلما أصبحوا و عرفوا تفرّقوا عنه و انصرفوا و قد ضلّت لهم الحيل و انقطع بهم الأمل و انتقض ما بنوه من التدبير و خابت لهم الظنون.

و كان بذلك انتظام الايمان و إرغام الشيطان و خذلان أهل الكفر و العدوان، و هذه منقبه لم يشركه عليه السّلام فيها أحد من أهل الاسلام و قد انزل فيه محكم التبيان و هو قول الله «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» و أما مواساته له صلّى الله عليه وآله و سلّم في مواطن جهاده، و مواطن جدّه و اجتهاده، و مقامات جداله بالسنة الاسنه و جلاده، فهو فوق حدّ الاحصاء، متجاوز عن حدّ العدو الاستقصاء.

منها غزوه بدر التي هدّت قوى الشرك، و قذفت طواغيته في قلب الهلك، و دوّخت مرده الكفار، و سقتهم كاسات الدّمار و البوار، و نقلتهم من القلب إلى النار.

فيومها اليوم الذي لم يأت الدّهر بمثله، و أفاض الله فيه من أحسن فضله، أنزل فيه الملائكة لتأييد رسوله تفضيلا له على جميع رسله، و حباه من علوّ القدر ما لم ينله أحد من قبله، و أشرب صنديد قريش كاس أسره و قتله، و جبرئيل ينادى أقدم حيزوم لاظهار دينه على الدّين كلّ، و أمير المؤمنين كان فارس تلك الملحمة فما تعدّ الأسد الغضاب بشسع نعله، و مسعر تلك الحرب العوان ينصب على الأعداء انصباب السحاب و وبه، و نار سطوته و نجدته تتسعر تسعر النار في دقيق الغضا و جزله.

و قد عرفت في شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين أنّ نصف القتلى في تلك الوقعه و كانوا سبعين رجلا كان قتيله باشر بنفسه قتله من دون شركه غيره له.

و منها غزوه أحد قال في كشف الغمّه في حديث عمران بن حصين قال:

لَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ جَاءَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَقَلِّدًا بِسَيْفِهِ حَتَّى

قام بين يديه فرفع رأسه إليه و قال صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ له: ما لك لم تفرّ مع النَّاس؟ فقال:

يا رسول الله أرجع كافراً بعد إسلامي فأشار إلى قوم انحدروا من الجبل، فحمل عليهم فهزمهم فجاء جبرئيل، و قال: يا رسول الله قد عجبت الملائكة من حسن مواساه عليّ لك بنفسه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ: ما يمنعه من ذلك و هو منّي و أنا منه فقال جبرئيل: و أنا منكما.

و فيه عن زيد بن وهب قال: قلت لابن مسعود: انهزم النَّاس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ حتّى لم يبق معه إلا عليّ عليه السّلام و أبو دجانة و سهل؟ قال: انهزم النَّاس إلا عليّ وحده، و تاب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله نفر كان أولهم عاصم بن ثابت و أبو دجانة و سهل بن حنيف، و لحقهم طلحة بن عبيد الله، فقلت له: فأين كان أبو بكر و عمر؟ قال: كانا فيمن تنحّى، فقلت: فأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثالثه من الوقعة فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله: لقد ذهبت فيها عريضه، قلت: فأين كنت؟ قال: فيمن تنحّى، قلت: فمن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم بن ثابت و سهل بن حنيف، قلت:

إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب، قال: إن تعجب منه فقد تعجبت منه الملائكة أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم و هو يعرج إلى السّماء: لا سيف إلا ذو الفقار لا فتى إلا عليّ، فقلنا: و من أين علم أنّ جبرئيل قال ذلك؟ قال: سمع النَّاس التّداء بذلك و أخبرهم به النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ.

قال كاشف الغمه: و روى عن عكرمه قال: سمعت عليّاً يقول: لما انهزم النَّاس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ يوم احد لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي و كنت أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أراه فقلت: ما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ ليفرّ و ما رأيت في القتلى و أظنه رفع من بيننا إلى السّماء، فكسرت جفن سيفي و قلت:

لاقاتلنّ به حتّى اقتل، و حملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سَلَّمَ و قد وقع مغشياً عليه، فنظر إليّ و قال: ما فعل النَّاس يا عليّ؟ قلت: كفروا يا رسول الله و ولّوا الدّبر و أسلموك، فنظر إلى كتفيه قد أقبلت فقال: ردّهم عنّي، فحملت

عليهم أضرِبهم يميناً و شمالاً حتّى فزوا فقال صلّى الله عليه وآله: أما تسمع مديحك في السّماء إنّ ملكاً اسمه رضوان ينادى: لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ، فبكيت سروراً و حمدت الله على نعمته.

قال: و قد ذكر أهل السّير قتلى احد من المشركين و كان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السّلام و انصرف المشركون إلى مكّه و انصرف النّبى صلّى الله عليه وآله إلى المدينة فاستقبلته فاطمه و معها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، و لحقه أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد خضب الدّم يده إلى كتفه و معه ذو الفقار، فناوله فاطمه و قال: خذى هذا السّيف فقد صدقنى اليوم و قال عليه السّلام:

أفطم هاك السّيف غير ذميم فلست برعديد و لا بمليم(١)

أميطى دماء الكفر عنه فأنه سقا آل عبد الدّار كاس حميم

لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد و طاعه ربّ بالعباد عليم

و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: خذيه يا فاطمه فقد أدّى بعلك ما عليه، و قد قتل الله صنديد قريش بيده.

و منها غزوه الأحزاب المعروفه بغزاه خندق قال المفيد في الارشاد: و قد روى قيس بن الرّبيع قال: حدّثنا أبو هارون العبدي عن ربيعه السّدي قال: أتيت حذيفه بن اليمان فقلت يا أبا عبد الله إنّنا لتحدّث عن عليّ عليه السّلام و مناقبه فيقول لنا أهل البصره: إنّكم لتفرطون في عليّ عليه السّلام، فهل أنت تحدّثني بحديث فيه قال حذيفه: يا ربيعه و ما تسألني عن عليّ فو الذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم في كفّه الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم الناس هذا، و وضع عمل عليّ عليه السّلام في الكفّه الأخرى لرجح عمل عليّ عليه السّلام على جميع أعمالهم، فقال ربيعه: هذا الذي لا يقام و لا يقعد، فقال حذيفه: يا لكع و كيف لا يحمل و أين كان أبو بكر و عمر و حذيفه و جميع أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم يوم عمرو بن عبدود و قد دعا إلى المبارزه فأحجم الناس كلّهم ما خلا

ص: ٢٢٤

١- (١) - الرعديد الجبان، المليم الذي يلائم علي ما يصدر منه، ك.

عليًا عليه السّلام، فأنّه برز إليه وقتله الله على يده، و الذى نفس حذيفه بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من عمل أصحاب  
محمّد صلّى الله عليه وآله و سلم إلى يوم القيامة قال فى كشف الغمّة: رأيت فى بعض الكتب أنّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله قال  
حين بارز عليّ عمرو بن عبدود: خرج الاسلام كلّه إلى الشرك كلّه.

قال: و روى أنّ عبد الله بن مسعود كان يقرأ: و كفى الله المؤمنين القتال بعليّ و كان الله قويًا عزيزًا.

قال: و فى قتل عمرو يقول حسان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد بيتغى بجنوب يثرب غاره لم تنظر

فلقد وجدت سيوفنا مشهوره و لقد وجدت جيانا لم تقصر

و لقد رأيت غداه بدر عصبه ضربوك ضربا غير ضرب المحشر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمه يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال: و لما بلغ شعر حسان بنى عامر أجابه فتى منهم فقال يردّ عليه فخره:

كذبتم و بيت الله لا تقتلوننا و لكن بسيف الهاشميين فافخروا

بسيف ابن عبد الله أحمد فى الوغا بكفّ عليّ نلتم ذاك فاقصروا

فلم تقتلوا عمرو بن ودّ و لا ابنه و لكنه الكفّ الجسور الغضنفر

عليّ الذى فى الفخر طال بناؤه فلا تكثروا الدّعوى علينا فتحقروا

ببدر خرجتم للبراز فردّكم شيوخ قريش جهره و تأخّروا

فلما أتاهم حمزه و عبيده و جاء عليّ بالمهند يخطر

فقالوا نعم أكفاء صدق و أقبوا إليهم سراعا إذ بغوا و تجبّروا

فجال عليّ جوله هاشميّه فدمّرهم لما عتوا و تكبّروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا و ليس لكم فخر يعدّ و يذكر

و منها غزوه وادى الرّمل و تسمى غزوه ذات السلسله.

و قد كان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السّلام خاصه بعد أن كان فيها من غيره من الافساد ما كان، و فيها نزل على النّبىّ صلّى

اللّٰه عليه وآله و سلّم سورہ و العاديات فتضمّنت ذكر ما

ص: ۲۲۷

فعله أمير المؤمنين فيها.

قال المفيد: روى عن أم سلمة قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعا من منامه فقلت له: الله جارك قال: صدقت والله جارى لكن هذا جبرئيل يخبرني أنّ علينا قادم، ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليا عليه السلام فقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له عليه السلام: اركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحا وانصرف إلى منزله، وتسلم المسلمون الغنائم «إلى أن قال» ثم قال صلى الله عليه وآله له: يا علي لو لا أنني أشفق أن تقول فيك طوايف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بملاء منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك.

و منها غزوه الحديبية.

و فيها أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول الله حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال: لتنتهين يا معاشر قريش أو ليعثن الله عليكم رجلا امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب رقابكم على الدين، فقال بعض من حضر: يا رسول الله أبو بكر ذلك الرجل؟ قال: لا، قال: فعمر، قال:

لا، ولكنه خاصف النعل في الحجره، فتبادر الناس إلى الحجره ينظرون من الرجل فاذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رواه المفيد في الارشاد، و رواه في كشف الغمه و صحيح الترمذى نحوه.

و منها غزوه خيبر قال المفيد: ثم تلت الحديبية خيبر و كان الفتح فيها لأمر المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب فظهر من فضله في هذه الغزاه ما أجمع عليه نقله الزواه و تفرّد فيها مناقب لم يشركه فيها أحد من الناس.

و قال كاشف الغمه: قال ابن طلحه: و تلخيص المقصد فيها على ما ذكره أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب السير النبويّه يرفعه بسنده عن ابن الأكوع قال:

ص: ٢٢٨

بعث النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم أبا بكر برايته و كانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع و لم يكن فتح و قد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب فكان كذلك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: لا عطينَ الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح الله على يديه ليس بفزار، قال سلمه: فدعا عليًا و هو أرمد فتغل في عينيه ثم قال: خذ هذه الزايه فامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج يهروول و أنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم(١) من حجاره تحت الحصن، فاطلع عليه يهودي من الحصن فقال:

من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي: علوتم حصننا و ما انزل على موسى أو كما قال، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

و منها فتح مكه.

قال المفيد ره: و فيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السّلام، في قتل من قتل من أعداء الله بمكه و إخافه من أخاف و معونه رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم على تطهير المسجد من الأصنام و شدّه بأسه في الله و قطع الأرحام في طاعه الله عزّ و جلّ أوّل دليل على تخصيصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسبما قدمناه.

و منها غزوه حنين.

فاستظهر فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم الكثره الجمع، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم و معه عشره آلاف من المسلمين فظنّ أكثرهم أنهم لن يغلبوا لما شاهدوا من كثره جمعهم و عددهم و عدّتهم و أعجب أبا بكر الكثره يومئذ فقال لن تغلب اليوم من قلّه فكان الأمر بخلاف ما ظنّوه و عانهم(٢) أبو بكر.

فلما التقوا لم يلبثوا و انهزموا بأجمعهم فلم يبق مع النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم إلا تسعه من بنى هاشم و عاشرهم أيمن بن أم أيمن، و قتل رحمه الله و ثبت التسعه الهاشميون رئيسهم أمير المؤمنين عليه السّلام و رجعوا بعد ذلك و تلاحقوا و كانت الكثره لهم على المشركين فأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثره «و يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْكُمْ كَثْرَتَكُمْ»

ص: ٢٢٩

١- (١) - الرضم و الرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنيه، منه.

٢- (٢) - اى اصابهم بعين يعنى چشم زخم زد، منه.



«فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْرِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» يريد علياً عليه السلام و من ثبت معه من بنى هاشم.

قال كاشف الغمّه بعد شرح هذه الغزوه: فانظر إلى مفاخر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاه و مناقبه، و جل بفكر ك في بدائع فضله و عجايبه، و احكم فيها برأى صحيح الرأى صابيه، و أعجب من ثباته حين فرّ الشجاع على أعقابه، و لم ينظر في الأمر و عواقبه، و اعلم أنه عليه السلام أحقّ بالصّحبه حين لم ير مفارقه صاحبه، و تيقن أنه إذا حمّ الحمام لم ينتفع المرء بغير أهله و أقاربه، فاذا صحّ ذلك عندك بدلايله و بيناته، و عرفته بشواهد و علاماته، فاقطع أنّ ثبات من ثبت من نتایج ثباته، و أنّهم كانوا أتباعاً له في حروبه و مقاماته، و أنّ رجوع من رجع من هزيمته فأنما كان عند ما بان لهم من النصر و أماراته.

قال الشارح الفقير: هذا قليل من كثير و يسير من جم غفير من مناقبه و مفاخره و مجاهداته و مواساته لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أوردته باقتضاء المقام و شرحاً لمعنى قوله عليه السلام: و لقد واسيته في المواطن التي تنكص فيها الأبطال و تتأخر فيها الأقدام و كم له عليه السلام من الاثار و المناقب و الأخبار التي لا تستر، و المفاخر و الفضائل و المجاهدات المثبتة في كتب التواريخ و السير، و كم له من المزايا و الخلال و البلاء المذكور في النزال، و لا صدرت منه عليه السلام، هذه الأفعال إلا عن نجده و شجاعه تذللّ لها الأبطال، و تقلّ لديها الأهوال، و لا تقوم بوصفها الأقلام و الأقوال، و لا يحتاج في اثباتها إلى تجسّم الاستدلال، و على الجملة و التفصيل فمقام بأسه و نجدته لا ينال و ما ذا بعد الحقّ إلا الضلال.

الثالث ما أشار إليه بقوله (و لقد قبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنّ رأسه لعلى صدرى) قيل: لعلّه عليه السلام أسنده صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى صدره عند اشتداد مرضه، و قيل: أنّه كان رأسه على ركبته فيكون رأسه صلّى الله عليه و آله، في صدره عند اكبابه عليه، و الأول أظهر.

و يؤيده ما في البحار عن أمالي الشيخ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال كنت:

عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ وَكَانَ رَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَالْعَبَّاسُ يَذِبُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاغْمَى عَلَيْهِ اِغْمَاءً ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَهُ فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ أَقْبِلْ وَصِيَّتِي وَاضْمَنْ دِينِي وَعِدَاتِي، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ وَلَيْسَ فِي مَالِي وَفَاءٌ لِدِينِكَ وَعِدَاتِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلَاثًا يَعِيدُهُ عَلَيْهِ وَالْعَبَّاسُ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَجِيبُهُ بِمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

قال: فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لأقولنَّها لمن يقبلها ولا يقول يا عباس مثل مقالتك، فقال: يا علي اقبل وصيَّتي وضمِّن ديني وعاتي.

قال: فخنقنتني العبره وارتج جسدي ونظرت إلى رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يذهب ويجيء في حجري فقطرت دموعي على وجهه ولم اقدر أن اجيبه، ثم ثني فقال:

اقبل وصيَّتي وضمِّن ديني وعاتي قال: قلت: نعم بأبي وامي قال: اجلسني، فأجلسته فكان ظهره في صدري فقال: يا علي أنت أخي في الدنيا والاخره، ووصيَّتي وخليفتي في أهلي.

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا بلال هلمَّ سيفي ودرعي وبلغلي وارجها ولبجامها ومنتقتي التي أشدَّ بها علي درعي، فجاء بلال بهذه الأشياء فوقف بالبعله بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا علي قم فاقبض، فقال: قمت وقام العباس فجلس مكاني فقامت فقبضت ذلك، فقال: انطلق به إلى منزلك، فانطلقت ثم جئت فقامت بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائما فنظر إليَّ ثم عمد إلى خاتمه فنزعه ثم دفعه إليَّ فقال: هاك يا علي هذا لك في الدنيا والاخره والبيت غاص من بني هاشم والمسلمين.

فقال: يا بني هاشم يا معشر المسلمين لا تخالفوا عليا فتضلُّوا ولا تحسدوه فتكفروا، يا عباس قم من مكان علي عليه السلام، فقال: تقيم الشيخ وتجلس الغلام؟ فأعادها ثلاث مرَّات فقام العباس فنهض مغضبا وجلست مكاني.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا عباس يا عمَّ رسول الله لا اخرج من الدنيا وأنا ساخط عليك فيدخلك سخطي عليك النار فرجع وجلس.

و من الامالي أيضا عنه عليه السلام في حديث قال:

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا عَلِيَّ أَجْلَسْنِي، فَأَجْلَسْتَهُ وَاسْتَدْتَهُ إِلَى صَدْرِي قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيثْقَلُ ضَعْفًا وَهُوَ يَقُولُ يَسْمَعُ أَهْلَ الْبَيْتِ أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ: إِنَّ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقْضِي دِينِي وَيَنْجِزُ وَعْدِي، يَا بَنِي هَاشِمٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا تَبْغُضُوا عَلِيًّا وَلا تَخَالَفُوا عَنْ أَمْرِهِ فَتَضَلُّوا، وَلا تَحْسُدُوهُ وَتَرْغَبُوا عَنْهُ فَتَكْفُرُوا، أَضْجَعْنِي يَا عَلِيَّ فَأَضْجَعْتَهُ، الْحَدِيثُ.

و فِي الْبَحَارِ مِنَ الْأَمْالِي أَيْضًا بِاسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

دَخَلْتُ عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي حَجَرٍ رَجُلٌ أَحْسَنَ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْخَلْقِ وَالنَّبِيِّ نَائِمًا، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الرَّجُلُ: ادْنُ إِلَيَّ ابْنَ عَمِّكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي، فَدَنَوْتُ مِنْهُمَا فَقَامَ الرَّجُلُ وَجَلَسْتُ مَكَانَهُ وَوَضَعْتُ رَأْسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرٍ كَمَا كَانَ فِي حَجَرِ الرَّجُلِ، فَمَكَثْتُ سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ رَأْسِي فِي حَجْرِهِ؟ فَقُلْتُ: لَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْكَ دَعَانِي إِلَيْكَ ثُمَّ قَالَ: ادْنُ إِلَيَّ ابْنَ عَمِّكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي ثُمَّ قَامَ فَجَلَسْتُ مَكَانَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَهَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ؟ قُلْتُ: لَا بِأَبِي وَآمِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ذَاكَ جِبْرِئِيلُ كَانَ يَحْدِثُنِي حَتَّى خَفَّ عَنِّي وَجَعِي وَنَمْتُ وَرَأْسِي فِي حَجْرِهِ.

**و أما كيفية وفاته صلوات الله وسلامه عليه وآله**

**إشاره**

ففي البحار من امالي الصدوق باسناده عن ابن عباس قال:

لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ، قَامَ إِلَيْهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَقَالَ لَهُ:

فِدَاكَ أَبِي وَآمِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يَغْسِلُكَ مِنَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِأَنَّهُ لَا يَهْمُ بَعْضُ مِنْ أَعْضَائِي إِلَّا أَعَانَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ: فِدَاكَ أَبِي وَآمِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يَصَلِّيُ عَلَيْكَ مِنَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ

ص: ٢٣٢

منك؟ قال: منه رحمك الله.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: يا ابن أبي طالب إذا رأيت روحى قد فارقت جسدى فاغسلنى و اتق غسلى و كفىنى فى طمرى هذين أو فى بياض مصر حبره و برديمان، و لا تغال فى كفىنى و احملونى حتى تضعونى على شفير قبرى، فأول من يصلى على الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل فى جنود من الملائكة لا يحصى عددهم إلا- الله جل و عز ثم الحافون بالعرش ثم سكان أهل سماء فسماء ثم جل أهل بيتى و نسائى الأقربون فالأقربون يؤمون ايماء و يسلمون تسليما لا- يؤذونى بصوت نادبه «نائه خ» و لا- مرته ثم قال: يا بلال هلم على بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله متعصبا بعمامته متوكئا على قوسه حتى صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

معاشر أصحابى أئى نبي كنت لكم؟ أ لم اجاهد بين أظهركم؟ أ لم تكسر رباعيتى؟ أ لم يعفر جينى؟ أ لم تسل الدماء على حرّ وجهى حتى كفت (1) لحيتى؟ أ لم اكابد الشده و الجهد مع جهّال قومى؟ أ لم أربط حجر المجاعه على بطنى؟! قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و لقد كنت لله صابرا، و عن منكر بلاء الله ناھيا، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء.

قال صلى الله عليه وآله: و أنتم فجزاكم الله ثم قال: إنّ ربى عزّ و جلّ حكم و اقسام أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أئى رجل منكم كانت له قبل محمّد مظلّمه إلاّ قام فليقتص منه فالقصاص فى دار الدنيا أحبّ إلى من القصاص فى دار الاخره على رءوس الملائكة و الأنبياء.

فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له: سواده بن قيس فقال له: فداك أبى و امى يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك الغضباء و بيدك القضيب المشوق، فرفعت القضيب و أنت تريد الرّاحله فأصاب بطنى فلا أدرى عمدا أو خطأ.

ص: ٢٣٣

١- (١) - أى أحاطت، بحار.

فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: معاذ الله أن أكون تعمّدت، ثم قال: يا بلال قم إلى منزل فاطمه فائتني بالقضيب الممشوق.

فخرج بلال وهو ينادى فى سكك المدينة: معاشر الناس من ذا الذى يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة فهذا محمّد صَلَّى اللهُ عليه وآله يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

و طرق بلال الباب على فاطمه عليها السّلام وهو يقول: يا فاطمه قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق فأقبلت فاطمه عليها السّلام وهى تقول: يا بلال وما يصنع والدى بالقضيب وليس هذا يوم القضيب، فقال بلال: يا فاطمه أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر وهو يودّع أهل الدّين والدّنيا، فصاحت فاطمه عليها السّلام وقالت: و اغماه لغمك يا أبتاه من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب، ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتّى ناوله رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله بأبى أنت و أمى فقال: فاقصص منى حتى ترضى، فقال الشيخ: فاكشف لى عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه فقال الشيخ: بأبى أنت و أمى يا رسول الله أ تأذن لى أن أضع فمى على بطنك؟ فأذن له فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم من النار.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم، يا سواده بن قيس أ تعفو أم تقتصّ؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله، فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفى عن محمّد نبيك.

ثمّ قام رسول الله فدخل بيت أم سلمه وهو يقول، ربّ سلّم امه محمّد من النار و يسرّ عليهم الحساب، فقالت أم سلمه: يا رسول الله ما لى أراك مغموما متغيّر اللون فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: نعتت إلى نفسى هذه الساعه فسلام لك فى الدّنيا فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمّد أبدا، فقالت أم سلمه: واحزنانه حزنا لا تدركه الندامه عليك يا محمّد ثمّ قال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: ادع لى حبيبه قلبى وقزه عيني فاطمه، فجاءت فاطمه وهى تقول:

نفسى لنفسك الفداء و وجهى لوجهك الوفاء يا أبتاه ألا تكلمنى كلمه فانى أنظر إليك و أراك مفارق الدّنيا و أرى عساكر الموت تغشاك شديدا.

فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم لها: يا بنيه إننى مفارقك فسلام عليك منى، قالت: يا أبتاه فأين

الملتقى يوم القيامة؟ قال صَلَّى اللهُ عليه وآله: عند الحساب، قالت: فان لم ألقك عند الحساب؟ قال: عند الشفاعة لأمّتي، قالت: فان لم ألقك عند الشفاعة لأمتك؟ قال: عند الصراط جبرئيل عن يميني و ميكائيل عن يساري و الملائكة خلفي و قدّامي ينادون ربّ سلم امه محمّد من النار و يسّر عليهم الحساب، قالت فاطمه: فأين والدتي خديجه؟ قال: في قصر له أربعة أبواب إلى الجنة.

ثمّ اغمى على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم فدخل بلال و هو يقول: الصّلاه رحمك الله، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم و صَلَّى بالنّاس و خفّف الصّلاه.

ثمّ قال: ادعوا لي عليّ بن أبي طالب و اسامه بن زيد، فجاء فوضع صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم يده على عاتق عليّ و الاخرى على اسامه ثمّ قال: انطلقا بي إلى فاطمه، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فاذا الحسن و الحسين يبكيان و يصطرخان و هما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء و وجوهنا لوجهك الوفاء.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله: من هذان يا عليّ؟ فقال عليه السّلام: ابناك الحسن و الحسين، فعانقهما و قبلهما و كان الحسن عليه السّلام أشدّ بكاء فقال صَلَّى اللهُ عليه وآله: كفّ يا حسن فقد شققت على رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم.

فنزل ملك الموت قال: السلام عليك يا رسول الله قال: و عليك السّلام يا ملك الموت لي إياك حاجه، قال: و ما حاجتك يا نبيّ الله؟ قال: حاجتي أن لا تقبض روعي حتى يجيئني جبرئيل فتسلم عليّ و اسلم عليه.

فخرج ملك الموت و هو يقول: يا محمّدا، فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال:

يا ملك الموت قبضت روح محمّد؟ قال: لا يا جبرئيل سألتني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه و يسلم عليك، فقال جبرئيل: يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتّحه لروح محمّد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم أما ترى الحور العين قد تزّين لروح محمّد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم.

ثمّ نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم فقال: و عليك السلام يا جبرئيل ادن مني حبيبي جبرئيل، فدنا منه، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصيه الله في روح محمّد، و كان جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت

آخذ بروحه، فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَظَرَ إِلَى جِبْرِئِيلَ فَقَالَ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَخَذَلْنِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَانْهَم مَيِّتُونَ، كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.

فروى عن ابن عباس أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْمَرَضِ كَانَ يَقُولُ: ادْعُوا إِلَى حَبِيبِي فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُ رَجُلٌ بَعْدَ رَجُلٍ فَيَعْرُضُ عَنْهُ فَقِيلَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ امْضِي إِلَى عَلِيٍّ فَمَا نَرَى رَسُولَ اللَّهِ يَرِيدُ غَيْرَ عَلِيٍّ، فَبَعَثَ فَاطِمَةَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا دَخَلَ فَتَحَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَيْنَيْهِ وَتَهَلَّلَ وَجْهَهُ ثُمَّ قَالَ: إِلَيَّ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ فَمَا زَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدِينُهُ حَتَّى أَخَذَهُ بِيَدِهِ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ اغْمَى عَلَيْهِ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَصِيحَانِ وَيَبْكِيَانِ حَتَّى وَقَعَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يَنْحِيَهُمَا عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاقَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا عَلِيُّ دَعْنِي أَشْمَهُمَا وَيَشْمَانِي وَأَتَرَوُدَ مِنْهُمَا وَيَتَرَوُدَانِ مِنِّي أَمَا أَنْهُمَا سَيُظْلَمَانِ بَعْدِي وَيُقْتَلَانِ ظُلْمًا فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلِيٌّ مِنْ يَظْلَمُهُمَا يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا.

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى عَلِيٍّ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ تَحْتَ ثَوْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَوَضَعَ فَاةً عَلَى فِيهِ وَجَعَلَ يَنْجِيهِ مَنَاجَاهَ طَوِيلَهُ حَتَّى خَرَجَتْ رُوحَهُ الطَّيِّبَةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَانسَلَّ عَلِيٌّ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ وَقَالَ: اعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ فِي نَبِيِّكُمْ فَقَدْ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالضَّجَّةِ وَالْبَكَاءِ فَقِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الَّذِي نَاجَاكَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَدْخَلَكَ تَحْتَ ثِيَابِهِ؟ فَقَالَ: عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ كُلِّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ قَالَ الشَّارِحُ عَفَى اللَّهُ عَنْهُ: مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قِصَّةِ سِوَاةٍ مَنَافٍ لِلْأَصُولِ الْمُحْكَمَةِ وَالْأَدْلَةَ الْقَاطِعَةَ الْعَقْلِيَّةَ وَالنَّقْلِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى كَوْنِ الْأَنْبِيَاءِ مَعْصُومِينَ مِنَ السَّهْوِ وَالْخَطَاةِ وَالنَّسْيَانِ كَعَصْمَتِهِمْ مِنَ الْمَعَاصِي مَطْلَقًا حَسْبَمَا عَرَفْتَهُ تَفْصِيلًا فِي شَرْحِ الْفَصْلِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْخُطْبَةِ الْأُولَى، فَلَا بَدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَنَافِي الْعِصْمَةَ أَوْ رَدَّهُ لِمُخَالَفَتِهِ لِأَصُولِ مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ، وَلَعَلَّ الصَّدُوقَ رَوَاهُ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ مِنْ تَجْوِيزِهِ السَّهْوِ عَلَى النَّبِيِّ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْفَقِيهِ وَغَيْرِهِ.

و فِي كَشْفِ الْغَمِّهِ مِنْ كِتَابِ أَبِي إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيِّ قَالَ:

دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَقُلَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى الْأَجَلَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَدْ حَضَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ذَلِكَ فَالِي مَا الْمُنْقَلَبُ؟

قال صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: إلى الصدره المنتهى و الجنه المأوى و إلى الرفيق الأعلى و الكاس الأوفى و العيش المهني، قال أبو بكر: فمن يلي غسلك؟ قال: رجال أهل بيتي الأذنى فأذنى قال: ففيم نكفئك؟ قال: في ثيابي هذه التي عليّ أو في حلّه يمانيه أو في بياض مصر قال: كيف الصلاه عليك؟ فارتجت الأرض بالبكاء.

فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: مهلا عفى الله عنكم إذا غسلت فكفنت فضعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعه فان الله تبارك و تعالي أول من يصلي عليّ ثم يأذن الملائكه في الصلاه عليّ، فأول من ينزل جبرئيل ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت عليهم السلام في جنود كثير من الملائكه بأجمعها، ثم ادخلوا عليّ زمرة زمرة فصلوا عليّ و سلموا تسليما و لا تؤذوني بتركيه (1) و لا-رئه، وليبدأ بالصلاه عليّ الأذنى فالأذنى من أهل بيتي، ثم النساء، ثم الصبيان زمرا.

قال أبو بكر: فمن يدخل قبرك؟ قال: الأذنى فالأذنى من أهل بيتي مع ملائكه لا ترونهم، قوموا فأدوا عني إلى من ورائكم فقلت للحارث بن مرّه: من حدّثك بهذا الحديث؟ قال: عبد الله بن مسعود عن عليّ عليه السلام قال: كان جبرئيل ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه في كل يوم و ليله فيقول: السلام عليك إنّ ربك يقرؤك السلام فيقول: كيف تجددك و هو أعلم بك و لكنه أراد أن يزيدك كرامه و شرفا إلى ما أعطاك على الخلق و أراد أن يكون عياده المريض سنه في امتك.

فيقول له النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم إن كان وجعا: يا جبرئيل أجدني وجعا، فقال له جبرئيل اعلم يا محمّد أنّ الله لم يشدد عليك و ما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، و لكنه أحبّ

ص: ٢٣٧

١- (١) - اي بذكر ما يعدونه من الفضائل و ليس منها كما كانت عاده العرب من الذكر بالحميه و العصبيه و أمثالها أو مطلقا فان الدّعا في تلك الحال أفضل، هكذا في البحار أقول: و يؤيده ما رواه ابن شهر آشوب من الكافي قال: اجتمعت نسوه بنى هاشم و جعل يذكرن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله فقالت فاطمه: اتركن التعداد و عليكن بالدّعاء (منه).



أن يسمع صوتك و دعاءك حتى تلقاه مستوجبا للدرجة و الثواب الذى أعد لك و الكرامه و الفضيله على الخلق.

و إن قال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أجدنى مريحا فى عافيه قال له: فاحمد الله على ذلك فإنه يحب أن تحمده و تشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيرا فإنه يحب أن يحمد و يزيد من شكر.

قال: و أنه نزل عليه فى الوقت الذى كان ينزل فيه فعرفنا حسه فقال على عليه السلام فخرج من كان فى البيت غيرى، فقال له جبرئيل: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام و يسألك و هو أعلم بك كيف تجدك؟ فقال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أجدنى ميتا، قال له جبرئيل: يا محمد ابشر فإن الله إنما أراد أن يبلغك بما تجد ما أعد لك من الكرامه قال له النبي صلى الله عليه و آله: إن ملك الموت استأذن على فأذنت له فدخل و استنظرته مجيئك فقال له جبرئيل: يا محمد إن ربك إليك مشتاق فما استأذن ملك الموت على أحد قبلك و لا يستأذن على أحد بعدك فقال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم: لا تبرح يا جبرئيل حتى يعود.

ثم أذن للنساء فدخلن عليه فقال لابنته: ادنى منى يا فاطمه فأكبت عليه فجاجها فرفعت رأسها فعيناها تهملان دموعا، فقال لها: ادنى منى فدنت منه فأكبت عليه فجاجها فرفعت رأسها و هى تضحك.

فتعجبنا لما رأينا، فسألناها فأخبرتنا أنه نعى إليها نفسه فبكت فقال لها يا بتيه لا تجزعى فأنى سألت الله أن يجعلك أول أهل بيتى لحاقا بى فأخبرنى أنه قد استجاب لى فضحكت قال: ثم دعا النبي صلى الله عليه و آله و سلم الحسن و الحسين عليهما السلام فقبلهما و شمهما و جعل يترشفهما و عينا تهملان.

قال الشارح عفى الله عنه: و لقد كنت عند نقلى هذه الروايه للثعلبى كاد أن يشرح قلبى بالسكاكين مما تضمّنه صدرها من شنيع فعل أبى بكر و إصراره فى سؤال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و من أجله و غسله و دفنه و كفنه و منقلبه فى هذه الحال من شدّه

مرضه و ضعفه، و قد أحاطت به غمرات الالام، و غشيته طوارق الأوجاع و الأسقام، و كيف تمالك نفسه و لم تخنقه عبرته و بالغ في السؤال حتى ارتجت الأرض بالبكاء و ألجأ رسول الله صلى الله عليه و آله إلى ردهه بقوله: مهلاء فيا لله ما أقل حياء الرجل و أسوء أدبه و أقسى قلبه و أقبح فعله.

و في البحار من المناقب عن سهل بن أبي صالح عن ابن عباس أنه اغمى على النبي صلى الله عليه و آله في مرضه فمدقّ بابه، فقالت فاطمه: من ذا؟ قال: أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله أ تاذنون لي في الدخول عليه؟ فأجابت امض رحمك الله لحاجتك فرسول الله عنك مشغول.

فمضى ثم رجع فمدقّ الباب و قال: غريب يستأذن على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أ تاذنون للغرباء؟ فأفاق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من غشيته و قال: يا فاطمه أ تدرين من هذا قالت: لا يا رسول الله، قال: هذا مفترق الجماعات و منقض «منغص» اللذات، هذا ملك الموت ما استأذن و الله على أحد قبلي و لا يستأذن على أحد بعدى، استأذن علي لكرامتي على الله ائذني له فقالت: ادخل رحمك الله، فدخل كريح هفافة و قال: السلام على أهل بيت رسول الله، فأوصى النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى علي عليه السلام بالصبر عن الدنيا و بحفظ فاطمه و بجمع القرآن و بقضاء دينه و بغسله و أن يعمل حول قبره حايط و بحفظ الحسن و الحسين.

و في كشف الغمه عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبي الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه علي عليه السلام فقال: ما حاجتك؟ قال: اريد الدخول على رسول الله فقال علي: لست تصل إليه فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنه لا بدّ من الدخول عليه، فدخل علي عليه السلام فاستأذن النبي صلى الله عليه و آله و سلم فاذن له فدخل فجلس عند رأس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم قال: يا نبي الله إني رسول الله إليك، قال: و أيّ رسل الله أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني إليك يخيرك بين لقائه و الرجوع إلى الدنيا، فقال له النبي صلى الله عليه و آله و سلم فامهلني حتى ينزل جبرئيل فأستشيره.

و نزل جبرئيل فقال: يا رسول الله الاخره خير لك من الاولى و لسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال عليه السلام لقاء ربي خير لي فامض لما امرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أخرج الى السماء «ربي خ» و أهبط، قال ملك الموت:

لقد صارت نفسه في موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمد هذا آخر هبوطي إلى الدنيا إنما كنت أنت حاجتي فيها.

و في البحار من كتاب اعلام الورى قال الصادق عليه السلام: قال جبرئيل: يا محمد هذا آخر نزولي إلى الدنيا إنما كنت أنت حاجتي منها، قال: و صاحت فاطمه و صاح المسلمون و يضعون التراب على رؤوسهم و مات صلى الله عليه و آله و سلم لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة، و روى أيضا لاثني عشر ليلة من ربيع الأول صلى الله عليه و آله و سلم تسليما كثيرا.

الرابعة ما أشار إليه بقوله (و لقد سألت نفسه في كفى فأمرتها على وجهي) قال الشارح البحراني: أراد بنفسه دمه يقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قاء وقت موته دما يسيرا و إن عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه، و لا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخضه ص دم الرسول كما روى أن أبا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه و آله و سلم حين حجه فقال صلى الله عليه و آله و سلم إذا لا ينجع بطنك، انتهى كلامه، و مثله الشارح المعتزلي.

أقول: أما طهاره دم النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلا ريب فيها كما قال الشاعر:

فان تفق الأنام و أنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

و يشهد بها آية التطهير فان قلت: لو كان طاهرا لم حذر النبي صلى الله عليه و آله و سلم أبا سعيد الخدرى من شربه كما رواه في البحار من تفسير الامام في حديث طويل قال فيه:

و أما الدم فان رسول الله صلى الله عليه و آله احتجم مره فدفع الدم الخارج منه إلى أبي سعيد الخدرى و قال له: غيبه، فذهب فشربه فقال صلى الله عليه و آله له: ما صنعت به؟ قال له: شربته يا رسول الله، قال: أ لم أقل لك غيبه؟ فقال له: غيبته في وعاء حريز، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إياك:

و أن تعود لمثل هذا، ثم اعلم أن الله قد حرّم على النار لحمك و دمك لما اختلط بلحمي و دمي.

قلت: لعلّ تحذيره عن شربه لأجل حرمة لا لأجل النجاسة.

و أما حمل النفس في قوله عليه السلام: و لقد سألت نفسه بمعنى الدّم فلا يخفى بعده بل ضعفه، و الأقوى عندي أن يراد بالنفس نفسه النّياطقه القدسيّه التي هي مبدء الفكر و الذّكر و العلم و الحلم و النّباهه، و لها خاصيّة الحكمة و التّزاهه، فيكون محصّل المراد بالكلام أنّ روحه الطيبه الكامله التي هي المصداق الحقيقي لقوله: قل الزّوج من أمر ربّي، و المقصود الأصلي بقوله: و نفخت فيه من روحي، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها على وجهي.

و لعلّ هذا مراد من قال إنّ المراد بسيلان النّفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس، هذا.

و أنّما مسح بها على وجهه إما تيمّنا أو لحكمه عظيمه لا نعرفها.

و انما فعل عليه السّلام ذلك بوصيّة منه صلّى الله عليه و آله و سلّم كما رواه في البحار من مناقب ابن شهر آشوب قال: و من طريقه أهل البيت عليهم السّلام أنّ عائشه دعت أباهما فأعرض عنه و دعت حفصه أباهما فأعرض عنه و دعت أم سلمه عليًا فواجه طويلا ثم اغمى عليه فجاء الحسن و الحسين عليهما السّلام يصيحان و يبكيان حتّى وقعا على رسول الله صلّى الله عليه و آله و أراد عليّ عليه السّلام أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم قال: يا عليّ دعهما أشمّهما و يشمّاني و أتزوّد منهما و يتزوّدان منّي.

ثمّ جذب عليّا عليه السّلام تحت ثوبه و وضع فاه على فيه و جعل يناجيه، فلمّا حضره الموت قال له: ضع رأسى يا على في حجرك فقد جاء أمر الله فاذا فاضت نفسى فتناولها بيدك و امسح بها وجهك ثمّ وجّهنى إلى القبلة و تولّ أمرى و صلّ عليّ أوّل النّاس و لا تفارقنى حتّى توارينى في رمسى و استعن بالله عزّ و جلّ.

و أخذ عليّ برأسه فوضعه في حجره فاغمى عليه فبكت فاطمه فأومى إليها بالدنوّ منه، فأسرّ إليها شيئًا تهلّل وجهها - القصّه -.

ثم قضى صلى الله عليه وآله ومدّ أمير المؤمنين عليه السّلام يده اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثم وجهه ومدّ عليه ازاره واستقبل بالنظر في أمره.

و في البحار من كتاب اعلام الورى قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثم وجهه و غمّضه و مدّ عليه ازاره و اشتغل بالنظر في أمره.

الخامسة ما أشار إليه بقوله (و لقد وليت) أى باشرت (غسله صلى الله عليه وآله وسلم و الملائكة أعوانى) باطنا، و الفضل بن عباس يعينه ظاهرا و كان مباشرته بغسله صلى الله عليه وآله أيضا بوصيته صلى الله عليه وآله وسلم.

كما يدل عليه ما رواه في البحار من المناقب عن أبان بن بطة قال يزيد بن بلال قال علىّ عليه السّلام: أوصى النبي ألا يغسله أحد غيرى فإنه لا يرى عورتى أحد إلا طمست عيناه، قال: فما تناولت عضوا إلا كأنما يقبله معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله.

و روى أنه لمّا أراد علىّ عليه السّلام غسله استدعا الفضل بن عباس ليعينه و كان مشدود العينين و قد أمره علىّ عليه السّلام بذلك إشفافا عليه من العمى، و فى هذا المعنى قال العبدى:

من ولى غسل النبي و من لفقه من بعد فى الكفن

و قال آخر:

غسله إمام صدق طاهر من دنس الشرك و أسباب الغير

فأورث الله عليا علمه و كان من بعد إليه يفتقر

و فى البحار من كتاب الطرف لابن طاوس نقلا من كتاب الوصية للشيخ عيسى بن المستفاد الضّير عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على أضمنت دينى تقضيه عني؟ قال: نعم. قال: اللهم فاشهد، ثم قال: يا على تغسلنى و لا يغسلنى غيرك فيعمى بصره، قال علىّ عليه السّلام و لم يا رسول الله؟ قال: كذلك قال جبرئيل عن ربّى أنه لا يرى عورتى غيرك إلا عمى

ص: ٢٤٢

بصره، قال عليّ عليه السّلام فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و ملك الموت و إسماعيل صاحب السماء الدّنيا، قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شيء منّي فأنّه لا يحلّ له و لا لغيره من الرّجال و النساء النظر إلى عورتى، و هى حرام عليهم، فاذا فرغت من غسلى فضعنى على لوح و أفرغ عليّ من بثرى بثر غرس أربعين دلوا مفتّحه الأبواب أو قال أربعين قربه شككت أنا فى ذلك ثمّ ضع يدك يا على على صدرى و احضر معك فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتى ثمّ تفهّم عند ذلك تفهّم ما كان و ما هو كائن إنشاء الله.

و من كتاب فقه الرضا و قال جعفر عليه السّلام: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أوصى إلى عليّ أن لا يغسلنى غيرك، فقال عليّ عليه السّلام: يا رسول الله من يناولنى الماء و أنك رجل ثقيل لا استطيع أن اقلّبك؟ فقال: جبرئيل معك يعاونك و يناولك الفضل الماء، و قل له فليغطّ عينه فأنّه لا يرى أحد عورتى غيرك إلّا انفقات عيناه، قال: كان الفضل يناوله الماء و جبرئيل يعاونه و عليّ يغسله.

و قوله (فضجّت الدّار و الأفيه ملاء يهبط و ملاء يعرج) نسبه الضجيج إلى الدار و الأفيه من التوسّع، و الاسناد إلى المكان، و المراد به ضجيج الملائكة النازلين فيهما حين موته صلّى الله عليه و آله و سلّم و بكاؤهم عليه مثل ضجيج ساير الحاضرين لديه.

و يشهد بذلك ما فى البحار من كتاب الطرف لابن طاوس فى الحديث الذى قدّمنا روايته آنفا و فيه بعد قوله صلّى الله عليه و آله تفهّم ما كان و ما هو كائن: أقبلت يا عليّ؟ قال: نعم قال: اللهمّ فاشهد.

قال: يا عليّ ما أنت صانع لو قد تأمر القوم عليك بعدى و تقدّموا عليك و بعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعه ثمّ لبيت بثوبك تقاد كما يقاد الشّارد من الابل مذموما مخذولا محزونا مهموما و بعد ذلك ينزل بهذه الدّل.

قال: فلمّا سمعت فاطمه ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم صرخت و بكت، فبكى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لبكائها و قال: يا بتيه لا تبكين و لا تؤذين جلساءك من الملائكة، هذا جبرئيل

بكى لبكائك و ميكائيل و صاحب سرّ الله إسرائيل، يا بنيه لا تبكين فقد بكيت السماوات و الأرض لبكائك.

فقال عليّ عليه السّلام: يا رسول الله انقاد للقوم و أصبر على ما أصابني من غير بيعه لهم ما لم اصب أعوانا لم اناجز القوم، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: اللهم اشهد.

و فيه من الكتاب المذكور أيضا من كتاب الوصيّة لعيسى الصّيرير عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال:

لمّا كانت اللّيلة التي قبض النبيّ صلّى الله عليه و آله في صبيحتها دعى عليا و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام و اغلق عليه و عليهم الباب، و قال: يا فاطمه و أدناها منه فناجها من اللّيل طويلا، فلمّا طال ذلك خرج عليّ و معه الحسن و الحسين و أقاموا بالباب و الناس خلف الباب و نساء النبيّ ينظرون إلى عليّ و معه ابناه.

فقال عايشه: لأمر ما أخرجك منه رسول الله صلّى الله عليه و آله و خلا بابنته دونك في هذه السّاعة؟ فقال عليّ عليه السّلام قد عرفت الذي خلا- بها و أرادها له و هو بعض ما كنت فيه و أبوك و صاحبه ممّا قد سمّاه، فوجمت أن تردّ عليه كلمه قال عليّ عليه السّلام: فما لبثت أن نادتنى فاطمه عليها السّلام فدخلت على النبيّ صلّى الله عليه و آله و هو يوجد بنفسه فبكيت و لم أملك نفسي حين رأته بتلك الحال يوجد بنفسه.

فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم لى: ما يبكيك يا على ليس هذا أو ان البكاء فقد حان الفراق بيني و بينك فاستودعك الله يا أخى فقد اختار لى ربّى ما عنده، و إنما بكائي و غمّي و حزني عليك و على هذه - أى فاطمه أن تضيع بعدى، فقد أجمع القوم على ظلمكم و قد استودعكم الله و قبلكم منى و ديعه يا عليّ قد أوصيت فاطمه ابنتى بأشياء و أمرتها أن تلقىها إليك فأنفذها فهي الصّادقه المصدّقه.

ثمّ ضمها إليه و قبيل رأسها و قال: فداك أبوك يا فاطمه، فعلا صوتها بالبكاء ثمّ ضمها إليه و قال: و الله لينتقمنّ الله ربّى و ليغضبنّ لغضبك، فالويل ثمّ الويل للظالمين ثمّ بكى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

و قال عليّ عليه السّلام: فوالله لقد حسبت بضعه منّي قد ذهبت لبكائه صلّى الله عليه وآله حتّى هملت عيناه مثل المطر حتّى بلّت دموعه لحيته و ملاءه كانت عليه و هو يلتزم فاطمه لا يفارقها و رأسه على صدرى و أنا مسنده و الحسن و الحسين يقبلان قدميه و بيكيان بأعلى أصواتهما قال عليّ عليه السّلام: فلو قلت إنّ جبرئيل فى البيت لصدقت لأنّى كنت اسمع بكاء و نغمه لا أعرفها و كنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا أشكّ فيها، لأنّ جبرئيل لم يكن فى مثل تلك الليله يفارق النّبى صلّى الله عليه و آله، و لقد رأيت بكاء منها أحسب أنّ السماوات و الأرضين قد بكت لها.

ثمّ قال لها: يا بتيه الله خليفتى عليكم و هو خير خليفه.

و الذى بعثنى بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله و ما حوله من الملائكة و السماوات و الأرضون و ما بينهما.

يا فاطمه و الذى بعثنى بالحقّ لقد حرّمت الجنّه على الخلايق حتّى أدخلها و أنّك لأوّل خلق الله يدخلها بعدى كاسيه حاله ناعمه، يا فاطمه هنيئا لك.

و الذى بعثنى بالحقّ إنّك لسيدته من يدخلها من النساء، و الذى بعثنى بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفره لا يبقى ملك مقرب و لا نبى مرسل إلاّ صعق، فينادى إليها أن يا جهنّم يقول لك الجبار اسكنى بعزى و استقرى حتّى تجوز فاطمه بنت محمّد إلى الجنان لا يغشها قتر و لا ذلّه.

و الذى بعثنى بالحقّ ليدخلنّ حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك و لتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله فى المقام الشريف و لواء الحمد مع عليّ بن أبى طالب يكسى إذا كسيت و يحبى إذا حببت.

و الذى بعثنى بالحقّ لأقومنّ لخصومه أعدائك و ليندمنّ قوم أخذوا حقّك و قطعوا مودّتك و كذبوا علينا و ليختلجنّ دونى فأقول: امتى امتى، فيقال: أنّهم بدلوا بعدك و صاروا إلى السّعير.

قال الشارح عفى الله عنه: و إنّما أوردت هذه الرّوايه بتمامها و طولها مع كون موضع الحاجه منها بعضها كأكثر الأخبار المتقدّمه فى شرح هذه الخطبه،



لكونها متضمّنه مثل ساير ما تقدّم للغرض الذى سوق هذه الخطبه لأجله مؤكّده له، و هو إفاده مزيد اختصاصه عليه السّلام برسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم و قرباه منه، على أنا أحيينا أن يكون شرح هذه الخطبه متكفلا لجمل أخبار وفاه الرّسول صلّى الله عليه وآله.

و قوله (و ما فارقت سمعى هينمه منهم) أى لم يغب أصواتهم عن سمعى و لم تخف علىّ، و يدلّ عليه عموم الأخبار المفيده لكونه محدثا يسمع صوت الملك و لا يرى شخصه، و قد تقدّمت جمله منها فى التنبيه الثانى من شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين.

و يدلّ عليه خصوصا بل يدلّ على رؤيته عليه السّلام لهم أيضا فى تلك الحال ما رواه فى البحار من كتاب بصائر الدّرجات عن أحمد بن محمّد و أحمد بن اسحاق عن القاسم بن يحيى عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

لما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم هبط جبرئيل و معه الملائكه و الرّوح الذين كانوا يهبطون فى ليله القدر، قال: ففتح لأمير المؤمنين بصره فرآهم فى منتهى السماوات إلى الأرض يغسلون النّبىّ معه و يصلّون عليه معه و يحفرون له، و الله ما حفر له غيرهم حتى إذا وضع فى قبره نزلوا مع من نزل، فوضعه فتكلّم، و فتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى عليه السّلام و سمعهم يقولون لا نالوه جهدا و انما هو صاحبنا بعدك إلا أنه ليس يعايننا ببصره بعد مرّتنا هذه.

حتى إذا مات أمير المؤمنين عليه السّلام رأى الحسن و الحسين عليهما السّلام مثل ذلك الذى رأى و رأى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلم يعين الملائكه مثل الذى صنعوا بالنّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلم.

حتى إذا مات الحسن عليه السّلام رأى منه الحسين مثل ذلك و رأى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و عليا عليه السّلام يعينان الملائكه.

حتى إذا مات الحسين عليه السّلام رأى علىّ بن الحسين عليهما السّلام منه مثل ذلك و رأى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلم و عليا و الحسن عليهما السّلام يعينون الملائكه.

حتى إذا مات علىّ بن الحسين عليهما السّلام رأى محمّد بن علىّ مثل ذلك و رأى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و عليا و الحسن و الحسين عليهم السّلام يعينون الملائكه.

حتى إذا مات محمد بن عليّ عليهما السّلام رأى جعفر عليه السّلام مثل ذلك و رأى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و عليا و الحسن و الحسين و عليّ بن الحسين عليهم السّلام يعنون الملائكة.

حتّى إذا مات جعفر عليه السّلام رأى موسى عليه السّلام منه مثل ذلك، هكذا يجرى إلى آخر و قوله (يصلّون عليه) صريح فى صلاه الملائكة، و قد مرّ فى شرح قوله عليه السّلام:

و لقد قبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى روايه الأمالى إنّ أوّل من يصلّى عليه هو الله سبحانه ثمّ الملائكة، ثمّ المسلمون.

و روى فى الكافى بسنده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لما قبض النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم صلّت عليه الملائكة و المهاجرون و الأنصار فوجا فوجا و قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول فى صحّته و سلامته: إنّما انزلت هذه الايه عليّ فى الصّلاه بعد قبض الله لى: إنّ الله و ملائكته يصلّون على النّبىّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما.

و فى البحار من الاحتجاج و فى روايه سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسى أنّه قال:

أتيت عليّا عليه السّلام و هو يغسل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد كان أوصى أن لا يغسله غير عليّ عليه السّلام و أخبر عنه أنّه لا يريد أن يقبّب منه عضو إلاّ قلب له، و قد قال أمير المؤمنين لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من يعيننى على غسلك يا رسول الله؟ قال: جبرئيل.

فلما غسّله و كفّنه أدخلنى و أدخل أبا ذر و المقداد و فاطمه و حسنا و حسينا عليهم السّلام فتقدّم و صففنا خلفه و صلّى عليه، و عايشه فى الحجره لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها ثمّ ادخل عشره عشره من المهاجرين و الأنصار فيصلّون و يخرجون، حتى لم يبق أحد من المهاجرين و الأنصار إلاّ صلّى عليه، الخبر.

و من كتاب اعلام الورى قال أبان: و حدّثنى أبو مريم عن أبى جعفر عليه السّلام قال قال الناس: كيف الصلاه عليه؟ فقال عليّ عليه السّلام: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إمامنا حيا و ميتا فدخل عليه عشره عشره فصلّوا عليه يوم الاثنين و ليله الثلاثاء حتّى صلّى عليه كبيرهم و صغيرهم و ذكرهم و انثاهم و ضواحي المدينة بغير إمام.

و من المناقب قال أبو جعفر عليه السّلام قال الناس: كيف الصلاه؟ فقال عليّ عليه السّلام إن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم إمام حيا و ميتا فدخل عليه عشره عشره فصلّوا عليه يوم الاثنين و ليله الثلاثاء حتى الصّباح و يوم الثلاثاء حتى صلّى عليه الأقرباء و الخواص، و لم يحضر أهل السقيفه و كان عليّ عليه السّلام أنفذ اليهم بريده، و إنّما تمّت بيعتهم بعد دفنه و من المناقب و سئل الباقر عليه السّلام كيف كانت الصّلاه على النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم؟ فقال لما غسله أمير المؤمنين و كفّنه و سجّاه و ادخل عليه عشره فداروا حوله، ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السّلام في وسطهم فقال: إنّ الله و ملائكته، الايه فيقول القوم مثل ما يقول حتى صلّى عليه أهل المدينة و أهل العوالي.

قال المحدّث العلامة المجلسي (قد) بعد إيراد هذه الأخبار في البحار:

يظهر من مجموعها أنّ الصّلاه الحقيقيه هي التي كان أمير المؤمنين عليه السّلام صلّاها أوّلا مع الستة المذكورين في خبر سليم، و لم يدخل في ذلك سوى الخواص من أهل بيته و أصحابه لئلا يتقدّم أحد من لصوص الخلافه في الصلاه أو يحضر أحد من هؤلاء المنافقين فيها، ثمّ كان يدخل عشره عشره من الصحاب فيقرأ الايه و يدعون و يخرجون من غير صلاه.

و قوله (حتى و اريناه في ضريحه) روى في البحار من المناقب قال: و اختلفوا أين يدفن فقال بعضهم: في البقيع، و قال آخرون: في صحن المسجد، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ الله لم يقبض نبيا إلّا في أطهر البقاع فينبغي أن يدفن في البقعه التي قبض فيها، فاتّفقت الجماعه على قوله و دفن في حجرته.

و من فقه الرضا عليه السّلام و قال جعفر عليه السّلام فلما أن فرغ من غسله و كفّنه أتاه العباس فقال: يا عليّ إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم في بقيع المصلّى و أن يؤمّمهم رجل منهم، فخرج عليّ عليه السّلام إلى الناس فقال: يا أيها الناس أما تعلمون أنّ رسول الله إمامنا حيا و ميتا و هل تعلمون أنه صلّى الله عليه وآله و سلّم لعن من جعل القبور مصلّى، و لعن من جعل مع الله إلها و لعن من كسر رباعيته و شقّ لثته، قال: فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت قال: و إنى أدفن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم في البقعه التي قبض فيها، الحديث.

و من أعلام الورى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و خاض المسلمون فى موضع دفنه صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال علىّ عليه السّلام: إنّ الله لم يقبض نبيا فى مكان إلاّ و ارتضاه لرمسه فيه، و إنى دافنه فى حجرته التى قبض فيها، فرضى المسلمون بذلك.

فلما صلّى المسلمون عليه أنفذ العباس إلى أبى عبيده بن الجراح و كان يحفر لأهل مكه و يضرح، و أنفذ إلى زيد بن سهل أبى طلحه و كان يحفر لأهل المدينة و يلحد فاستدعاهما و قال: اللهم خر لنبيك، فوجد أبو طلحه فقيل له: احفر لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فحفر له لحدا و دخل أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و العباس و الفضل و اسامه بن زيد ليتولّوا دفن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علىّ إنا نذكرك الله و حقّنا اليوم من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أن يذهب ادخل مّا رجلا يكون لنا حظّ به من مواره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقال ليدخل أوس بن خولى رجل من بنى عوف بن الخزرج و كان بدريا، فدخل البيت و قال له علىّ عليه السّلام: انزل القبر فنزل، و وضع علىّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على يديه ثمّ ولاه فى حفرتة، ثمّ قال له: اخرج فخرج، و نزل علىّ عليه السّلام فكشف عن وجهه و وضع خدّه على الأرض موجّها إلى القبلة على يمينه ثمّ وضع عليه اللبن و أهال عليه التراب.

و من الدّيون المنسوب إليه عليه السّلام فى رثائه صلوات الله و سلامه عليه و آله:

أ من بعد تكفين النّبى و دفنه بأثوابه آسى على هالك ثوى

رزئنا رسول الله فينا فلن نرى بذاك عديلا ما حيننا من الرّدى

و كان لنا كالحصن من دون أهله له معقل حرز حرز من الرّدى

و كنا بمرآه نرى الثور و الهدى صباحا مساء راح فينا أو اغتدى

لقد غشيتنا ظلمه بعد موته نهارا فقد زادت على ظلمه الدّجى

فيا خير من ضمّ الجوانح و الحشا و يا خير ميت ضمّه التراب و الثرى

كأنّ امور الناس بعدك ضمّنت سفينه موج حين فى البحر قد سما

و ضاق فضاء الأرض عنهم برجه لفقده رسول الله إذ قيل قد مضى

فقد نزلت بالمسلمين مصيبه كصدع الصفا لا شعب للصدع فى الصفا

فلن يستقلّ الناس تلك مصيبه و لم يجبر العظم الذي منهم و هى

و فى كلّ وقت للصلاه يهيجه بلال و يدعو باسمه كلّما دعا

و يطلب أقوام مواريث هالك و فينا مواريث النبوه و الهدى

و قالت فاطمه عليها السلام فى رثائه صلّى الله عليه و آله أيضا:

إذا اشتدّ شوقى زرت قبرك باكيا أنوح و أشكو لا أراك مجاوبى

فيا ساكن الصّحراء علّمتنى البكا و ذكرك أنسانى جميع المصائب

فان كنت عنى فى التراب مغنيا فما كنت عن قلب الحزين بغائب

و لها صلوات الله و سلامه عليها أيضا:

إذا مات يوما ميت قلّ ذكره و ذكر أبى قد مات و الله أزيد

تذكرت لَمّا فرق الموت بيننا فعزيت نفسى بالنبى محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم

فقلت لها إنّ الممات سبيلنا و من لم يمت فى يومه مات فى غد

و لها أيضا ما اشتهر فى الألسنه و الأفواه:

ما ذا على من شَمّ تربه أحمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

صبّت علىّ مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا

هذا، و لَمّا مهّد عليه السّلام المقدمات المفيده لمزيد اختصاصه برسول الله صلّى الله عليه و آله و قربه منه فى حال حياته و حين

مماته حسبما عرفته تفصيلا تحقيقا فرّع على ذلك قوله:

(فمن ذا أحقّ به منى حيا و ميتا) و هو استفهام على سبيل الإنكار و الإبطال يقتضى أنّ ما بعده غير واقع و أنّ مدّعيه كاذب فيفيد

كونه أولى به فى حياته و أحقّ بالخلافه و الوصايه بعد موته، و هو حقّ لا ريب فيه على رغم الناصب الجاحد و المبغض المعاند.

(فانفذوا) أى أسرعوا إلى قتال عدوّكم مستقرّين (على بصائرکم) و عقايدكم الحقّه (و لتصدق نياتكم فى جهاد عدوّكم) أى

أنهضوا إلى عدوّكم بنيات صادقه و قلوب طاهره سالمه من اعتراض الشك و الرّيب و الشبهه و لا يوسوسنكم

الشيطان بكونهم من أهل القبلة و الاسلام غير جاز قتلهم و قتالهم، لأنكم اتباع الامام الحقّ و هم تابعوا الامام الباطل (فو)الله(الذى لا- إله الا- هو إني لعلى جاده الحقّ و أنهم لعلى مزله الباطل) كما يشهد به النبوى المعروف بين الفريقين: على مع الحقّ و الحقّ مع علىّ.

و لا- يخفى حسن المقابله بين جاده الحقّ و بين مزله الباطل كما لا- يخفى لطف إضافه الجاده إلى الحقّ و إضافه المزله إلى الباطل، لأنّ طريق الحقّ لما كان واضحا جليا ثابتا بالبينه و البرهان يوصل سالكها إلى منزل الزلفى و جنّات النعيم و طريق الباطل لما كان تمويها و تدليسا مخالفا للواقع يزلّ فيه قدم سالكه و يزلق فيهوى إلى دركات الجحيم.

(أقول ما تسمعون) من قول حقّ و كلام صدق (و أستغفر الله لى و لكم).

### تنبيهان: - الاول

روى الشارح المعتزلى فى شرح هذه الخطبه من قصه وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله ما هو ظاهر بل نصّ فى الطعن على المتخلفين المنتحلين للخلافه و على المتعصّيين لهم السالكين لطريقتهم من العامه العمياء أحببت أن أذكر ملخص ما أورده مما يطعن به عليهم فأقول:

قال الشارح: قد روى من قصه وفاه رسول الله عليه السلام أنه عرضت له الشكاه التي عرضت فى أواخر من سنه إحدى عشره للهجره فجهّز جيش اسامه بن زيد بالمسير إلى البلقاء حيث أصيب زيد و جعفر من الروم.

و خرج صلى الله عليه و آله فى تلك الليله إلى البقيع و قال: إني قد امرت بالاستغفار عليهم فقال صلى الله عليه و آله: يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ثم استغفر لأهل البقيع طويلا.

ثم انصرف إلى بيته، فخطب الناس فى غده و أعلمهم بموته ثم نزل فصلّى

بالناس صلاه حفيقه، ثم دخل بيت ام سلمه.

ثم انتقل إلى بيت عايشه يعلله النساء و الرجال، أميا النساء فأزواجه و بنته، و أما الرجال فعلى عليه السلام و العباس و الحسن و الحسين و كانا غلامين يومئذ و كان الفضل بن العباس يدخل احيانا إليهم.

ثم حدث الاختلاف بين المسلمين أيام مرضه.

فأول ذلك التنازع الواقع يوم قال: ايتوني بدواه و قرطاس، و تلى ذلك حديث التخلف عن جيش اسامه، ثم اشتد به المرض و كان عند خفه مرضه يصلى بالناس بنفسه، فلما اشتد به المرض أمر أبا بكر أن يصلى بالناس.

و قد اختلف في صلاته بهم فالشيعة تزعم أنه لم يصل بهم إلا صلاه واحده و هى الصلاه التى خرج رسول الله صلى الله عليه و آله فيها يتهادى بين على و الفضل فقام فى المحراب مقامه و تأخر أبو بكر، و الصحيح عندى و هو الأكثر الأشهر أنها لم تكن آخر الصلاه فى حياته بالناس جماعه و أنّ أبا بكر صلى بالناس بعد ذلك يومين.

ثم مات صلى الله عليه و آله فممن قائل يقول توفى لليلتين بقيتا من شهر صفر و هو الذى تقوله الشيعة، و الأكثرون أنه توفى فى شهر ربيع الأول بعد مضي أيام منه، و قد اختلفت الروايه فى موته فأنكر عمر ذلك و قال: إنه لم يمّت و إنه غاب و إنه سيعود فثناه أبو بكر هذا القول و تلى عليه الايات المتضمنه أنه سيموت، فرجع إلى قوله و صلوا عليه ارسالا لا يؤمهم أحد، و قيل: إنّ عليا عليه السلام أشار بذلك فقبلوه و أنا أعجب من ذلك لأنّ الصلاه عليه كانت بعد بيعه أبى بكر فما الذى منع من أن يتقدم أبو بكر فيصلى عليه إماما و تنازعوا فى تلحيده و تضريحه فأرسل العباس عمّه إلى أبى عبيده بن الجراح و كان يحفر لأهل مكه و يضرح على عادتهم رجلا و أرسل إلى أبى طلحه الأنصارى و كان يلحد لأهل المدينه على عادتهم، رجلا و قال: اللهم اختر لنيك، فجاء أبو طلحه فلحد له و ادخل فى اللحد و تنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمضى على الناس أن ينزلوا معه و قال: لا ينزل

قبره غيرى و غير العباس، ثم اذن فى نزول الفضل و اسامه بن زيد مولاهم ثم ضجت الأنصار و سألت أن ينزل منها رجل فى قبره فانزلوا أوس بن خولى و كان بدريا.

فأما الغسل فإن عليا تولاه بيده و كان الفضل يصب عليه الماء، انتهى ما أهمنا نقله من كلامه و وجوه الطعن فى تلك القضيئه على ما صدر من أهل الخلافه غير خفيه على الفطن العارف إلا أنا نبتة على بعضها لكونها أشد تشنعا و طعنا.

أولها ما أشار إليه الشارح بقوله: فأول ذلك التنازع الواقع يوم قال ايتونى بدواه و قرطاس، فقد روت العامه و الخاصه أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أراد فى مرضه أن يكتب لامته كتابا لئلا يضلوا بعده و لا يختلفوا، فطلب دواه و كتفا أو نحو ذلك فمنع عمر من احضار ذلك و قال: إنه ليهجر، أو ما يؤدى هذا المعنى، و قد وصفه الله سبحانه بأنه لا ينطق عن الهوى و أن كلامه ليس إلا - و حيا يوحى، و كثر اختلافهم و ارتفعت أصواتهم حتى تسأم و تزجر فقال بعضهم: احضروا ما طلب، و قال بعضهم: القول ما قاله عمر، و قد قال الله سبحانه «و ما كان لمؤمنٍ و لا مؤمنه إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيره من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضللا مبينا» و قال تعالى «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما» روى فى البحار من كتاب الطرايف للسيد على بن طاوس رضى الله عنه أنه قال: من أعظم طرايف المسلمين أنهم شهدوا جميعا أن نبيهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتابا لا يضلون بعده أبدا، و أن عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب و سبب ضلال من ضل من أمته و سبب اختلافهم و سفك الدماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشريعة و هلاك اثنين و سبعين فرقه من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من يخلد فى النار منهم، و مع هذا كله فإن أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذى قد شهدوا عليه بهذه الأحوال فى الخلافه و عظموه و كفروا بعد ذلك من يطعن فيه و هم من جمله الطاعنين، و ضلّوا من يذمه و هم من جمله الضالين،



و تبرءوا ممن يقترح ذكره و هم من جمله المقبحين فمن روايتهم فى ذلك ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين فى الحديث الرابع من المتفق عليه فى صحته من مسند عبد الله بن عباس قال: لما احتضر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و فى بيته رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر بن الخطاب: إن النبى قد غلبه الوجد و عندكم القرآن حسبكم كتاب ربكم.

و فى روايه ابن عمر من غير كتاب الحميدى قال عمر: إن الرجل ليهجر.

و فى كتاب الحميدى قالوا ما شأنه هجر.

و فى المجلد الثانى من صحيح مسلم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله يهجر.

قال الحميدى: فاختلف الحاضرون عند النبى صلى الله عليه و آله فبعضهم يقول: القول ما قاله النبى صلى الله عليه و آله فقربوا إليه كتابا يكتب لكم، و منهم من يقول: القول ما قاله عمر.

فلما اكثروا اللفظ «اللغظ» و الاختلاط قال النبى صلى الله عليه و آله: قوموا عني فلا ينبغي عندى التنازع، فكان ابن عباس يبكى حتى يبلى دموعه الحصى و يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس.

قال راوى الحديث فقلت: يا ابن عباس و ما يوم الخميس؟ فذكره عبد الله بن عباس يوم منع رسول الله من ذلك الكتاب، و كان يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بين كتابه.

و ثانيها حديث التخلف عن جيش اسامه، فإن أبا بكر و عمر و عثمان كانوا من جيشه، و قد كرر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما اشتد مرضه الأمر بتجهيز جيشه و لعن المتخلف عنه فتأخروا عنه و اشتغلوا بعقد البيعه فى سقيفه بنى ساعده و خالفوا أمره، و شملهم اللعن و ظهر أنهم لا يصلحون للخلافه.

قال أصحابنا: و لو تنزلنا عن هذا المقام و قلنا بما ادعاه بعضهم من عدم كون أبى بكر من الجيش نقول: لا خلاف أن عمر منهم، و قد منعه أبو بكر من النفوذ معهم، و هذا كالأول فى كونه معصيه و مخالفه لرسول الله صلى الله عليه و آله،

اما أنّهم كانوا من جيش اسامه، فقد رواه علم الهدى فى الشافى بطرق كثيره من العامه.

قال ره: إنّ كون أبى بكر فى جيش أسامه قد ذكره أصحاب السير و التواريخ.

قال: و قد روى البلاذرى فى تاريخه و هو معروف ثقه كثير الضبط و برىء من مماثله الشيعة: إنّ أبى بكر و عمر كانا معا فى جيش اسامه و اورد روايات اخر من أراد الاطلاع عليها فعليه بالمراجعه إلى الكتاب المذكور، و ستطلع عليه ممّا نحكيه عن المفيد فى الارشاد فى الطعن الاتى.

و أما تخلفهم عن الجيش فلا ينازع فيه أحد.

و أما أنّ ذلك قاذح فى خلافتهم و موجب للطعن عليهم، فلاستحقاقهم بسبب التخلف للعن الصيرىح من الله و من رسوله، و الملعون لا يصلح للامامه.

أمّا اللعن من الله فانهم لما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بعد تأكيده و تكريره آذوه فيدخلون فى عموم قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» و قوله «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و أمّا لعن رسول الله صلى الله عليه و آله فلما رواه الشهرستانى فى كتاب الملل و النحل عند ذكر الاختلافات الواقعه فى مرض النبى صلى الله عليه و آله: الخلاف الثانى أنه قال جهّزوا جيش اسامه لعن الله من تخلف عن جيش اسامه، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره و اسامه قد برز من المدينه، و قال قوم: قد اشتدّ مرض النبى فلا تسع قلوبنا لمفارقتة و الحال هذه، فنصبر حتى نبصر أى شىء يكون من أمره.

و ثالثها صلاه أبى بكر بالناس و عدم إقرار رسول الله صلى الله عليه و آله عليها دليل على عدم قابليته للامامه فى الصلاه فكيف بامامه الاّمه؟! قال المفيد فى كتاب الارشاد فى قصه وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

و استمرّ به المرض فى بيت عايشه أيّاما و ثقل فجاء بلال عند صلاه الصبح و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مغمور بالمرض فنادى: الصلاه رحمكم الله، فاوذن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بنداثة فقال: يصلى بالناس بعضهم فأتى مشغول بنفسى فقالت عايشه: مروا أبى بكر،

وقالت حفصه: مروا عمر، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين سمع كلامهما و رأى حرص كل واحد منهما على التنويه بأبيها و افتنانهما بذلك و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: اكففن فانكزن صويحبات يوسف ثم قام عليه السلام مبادرا خوفا من تقدم أحد الرجلين، و قد كان أمرهما بالخروج مع اسامه و لم يك عنده أنهما قد تخلفا، فلما سمع من عايشه و حفصه ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره، فبدر لكف الفتنة و إزاله الشبهه فقام عليه الصلاة و السلام و أنه لا يستقل على الأرض من الضعف، فأخذ بيده علي بن أبي طالب و الفضل بن العباس فاعتمد عليهما و رجلاه تخطان الأرض من الضعف.

فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأوما إليه بيده أن تأخر عنه، فتأخر أبو بكر، و قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكبّر و ابتداء الصلاة التي كان قد ابتدأها و لم بين على ما مضى من أفعاله، فلما سلم انصرف إلى منزله.

و استدعا أبا بكر و عمر و جماعه ممن حضر بالمسجد من المسلمين ثم قال:

ألم أمركم أن تنفذوا جيش اسامه؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: فلم تأخرتم عن أمرى؟ قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لاجدّد بك عهدا، و قال عمر: يا رسول الله إني لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفذوا جيش اسامه يكررها ثلاث مرات.

ثم اغمى عليه من التعب الذي لحقه و الأسف الذي ملكه فمكث هنيهة مغمى عليه، و بكى المسلمون و ارتفع النحيب من أزواجه و ولده و ساء المسلمين و جميع من حضر من المسلمين، فأفاق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فنظر إليهم.

ثم قال: ايتوني بدواه و كتف لأكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده أبدا، ثم اغمى عليه فقام بعض من حضره يلتمس دواه و كتفا فقال له عمر: ارجع فإنه يهجر فرجع و ندم من حضر على ما كان منهم من التضجيع (1) في احضار الدّواه و الكتف و تلاوموا بينهم و قالوا: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف رسول

ص: ٢٥٦

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فلما أفلق قال بعضهم: أ لا نأتيك بدواه و كتف يا رسول اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: أ بعد الذى قلتى؟ لا، و لكنى اوصيكم بأهل بيتى خيرا و أعرض بوجهه عن القوم فنهضوا، انتهى ما أهّمنا نقله من كلامه رضى اللّٰهُ عنه.

و قد ذكرناه بطوله لأنّه قد ثبت أنه ثقة مقبول الكلام عند العامه و الخاصه لا مغمز فيه لأحد و لا يطعن بالعصبيّه و الهوى.

ثمّ أقول: يا اولى الأبصار انظروا بنظر الانصاف و الاعتبار إلى سوء حركات هؤلاء الأوغاد الأشرار كيف آذوا رسول اللّٰهُ فى تلك الحال و قد استولت عليه غمرات الأمراض و الالام و طوارق الأوجاع و الأسقام، و لم يتركوه و حاله ليستريح فى فراشه و يشغل بنفسه، حتى ألجئوه إلى الخروج إلى المسجد و رجلاه يخطان الأرض و كابدوه الغصص بالتخلف عن الجيش و نسبه إلى الهذيان عند طلب الكتف و الدواه لعنهم اللّٰهُ و أبعدهم و عذبهم عذابا أليما.

رابعها إنكار عمر لموته صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و بلوغه فى الجهل إلى حيث لم يعلم بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت و أنه يجوز الموت عليه و أنّه اسوه الأنبياء فى ذلك، فقال: و اللّٰهُ ما مات حتّى يقطع أيدي رجال و أرجلهم، فقال له أبو بكر أما سمعت قول اللّٰهُ عزّ و جلّ «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و قوله تعالى «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ».

قال: فلما سمعت ذلك أيقنت بوفاته و سقطت إلى الأرض و علمت أنه قد مات فمن بلغ من غايه الجهل إلى هذه المرتبه كيف يليق بالخلافه الكليه و الرياسه الإلهيه؟!

## الثانى

لما كان هذه الخطبه الشريفه التى نحن فى شرحها مسوقه لذكر مناقبه

و خصائصه الجميله المخصوصه به المفيده لكونه أحقّ و أولى بالخلافه و الامامه من غيره، أحببت أن اورد روايه متضمنه لجلّ كراماته و بيناته التي لم يشركه فيها أحد تأكيدا للغرض المسوق له الخطبه الشريفه و تكميلا له و هو:

ما رواه فى البحار من الخصال عن القطان و السنان و الدقاق و المكتب و الوراق جميعا عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن سليمان بن حكيم عن ثور بن يزيد عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النّبىّ محمّد صلّى الله عليه و آله أنه ليس فيهم رجل له منقبه إلاّ و قد شركته فيها و فضلته، و لى سبعون منقبه لم يشركنى فيها أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرنى بهنّ فقال عليه السّلام:

إنّ أول منقبه لى أنّى لم اشرك بالله طرفه عين و لم أعبد اللّات و العزّى و الثانيه أنّى لم أشرب الخمر قطّ.

و الثالثه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله استوهبنى من أبى فى صباى فكنت أكيله و شريبه و مونسه و محدّثه.

و الرابعه أنّى أوّل الناس ايمانا و اسلاما.

و الخامسه: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: يا على أنت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنه لا نبىّ بعدى و السادسه أنّى كنت آخر الناس عهدا برسول الله صلّى الله عليه و آله و وليته فى حفرة.

و السابعه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أنا منى على فراشه حيث ذهب إلى الغار و سجّانى ببرده فلما جاء المشركون ظنّونى محمّدا فأيقظونى و قالوا: ما فعل صاحبك فقلت: ذهب فى حاجته، فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه.

و أما الثامنه فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم علّمنى ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، و لم يعلم ذلك أحدا غيرى.

و أما التاسعه فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لى: يا علىّ إذا حشر الله عزّ و جلّ الأوّلين و الاخرين نصب لى منبرا فوق منابر النّبیین و نصب لك منبرا فوق منابر الوصيّين

فترتقى عليه و أما العاشره فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لا اعطى فى القيامه شيئا إلا سألت لك مثله.

و أما الحاديه عشره فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: أنت أخى و أنا أخوك يدك فى يدي حتى ندخل الجنّه.

و أما الثانيه عشره فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يا علىّ مثلك فى امتى كمثل سفينه نوح من ركبها نجى و من تخلف عنها غرق.

و أما الثالثه عشره فانّ رسول الله صلى الله عليه و آله عمّنى بعمامه نفسه بيده و دعى لى بدعوات النصّر على أعداء الله فهزمتهم باذن الله عزّ و جلّ.

و أما الرابعه عشره فانّ رسول الله صلى الله عليه و آله أمرنى أن امسح يدي على ضرع شاه قد يبس ضرعها فقلت: يا رسول الله بل امسح أنت، فقال: يا علىّ فعلك فعلى، فمسحت عليها يدي فدرّ علىّ من لبنها فسقيت رسول الله صلى الله عليه و آله شربه، ثم أتت عجوز فشكت الظماء فسقيتها فقال رسول الله: انى سألت الله عزّ و جلّ أن يبارك فى يدك ففعل و أما الخامسه عشره فانّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أوصى إلىّ و قال: يا علىّ لا يلى غسلى غيرك، و لا يوارى عورتى غيرك، فأنه إن رأى عورتى غيرك تفقأت عيناه، فقلت له: كيف لى بتقليبك يا رسول الله؟ فقال: إنك ستعان، فو الله ما أردت أن اقلب عضوا من أعضائه إلا قلب لى.

و أما السادسه عشره فأتى أردت أن أجزده عليه السلام فنوديت: يا أخ «وصىّ خ» محمّد لا تجزده فغسلته و القميص عليه، فلا و الله الذى أكرمه بالنّبوه و خصّه بالرساله ما رأيت له عوره خصّنى الله بذلك من بين أصحابه.

و أما السابعه عشره فانّ الله عزّ و جلّ زوّجنى فاطمه و قد كان خطبها أبو بكر و عمر، فزوّجنى الله من فوق سبع سماواته فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هنيئا لك يا علىّ فانّ الله عزّ و جلّ قد زوّجك فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه و هى بضعه منى فقلت: يا رسول الله أ و لست منك؟ قال: بلى يا علىّ أنت منى و أنا منك كيميى من شمالى لا أستغنى عنك

و أما الثامنه عشره فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: يا على أنت صاحب لواء الحمد فى الاخره و أنت يوم القيامه أقرب الخلايق منى مجلسا يبسط لى و يبسط لك فأكون فى زمرة النبیین و تكون فى زمرة الوصیین، و يوضع على رأسك تاج الثور و اكليل الكرامه يحف بك سبعون ألف ملك حتى يفرغ الله عزّ و جلّ من حساب الخلايق و أما التاسعه عشره فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال لى: ستقاتل التياكثين و القاسطين و المارقين فمن قاتلك منهم فان لك بكل رجل منهم شفاعة فى مائه ألف من شيعتك فقلت يا رسول الله فمن الناكثون؟ قال: طلحه و الزبير سيياعانك بالحجاز و ينكثانك بالعراق فاذا فعلا ذلك فحاربهما فان فى قتالهما طهاره لأهل الأرض، قلت: فمن القاسطون؟ قال: معاويه و أصحابه، قلت: فمن المارقون؟ قال: أصحاب ذو الثديه و هم يمرقون من الدين كما يمرق السيهم من الرميّه فاقتلهم فان فى قتلهم فرجا لأهل الأرض و عذابا مؤجلا عليهم و ذخرا لك عند الله عزّ و جلّ يوم القيامه.

و أما العشرون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: مثلك فى امتى مثل باب حطه فى بنى إسرائيل فمن دخل فى ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عزّ و جلّ و أما الحاديه و العشرون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: أنا مدينه العلم و على بابها و لن يدخل المدينه إلا من بابها، ثم قال: يا على إنك سترعى ذمتى و تقاتل على سنتى و تخالفك امتى.

و أما الثانيه و العشرون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن الله تبارك و تعالى خلق ابنى الحسن و الحسين من نور ألقاه إليك و إلى فاطمه، و هما يهتران كما يهتر القرطان إذا كانا فى الأذنين، و نورهما متضاعف على نور الشهداء سبعين ألف ضعف، يا على إن الله عزّ و جلّ قد وعدنى أن يكرمهما كرامه لا يكرم بها أحدا ما خلا النبیین و المرسلين.

و أما الثالثه و العشرون فان رسول الله صلى الله عليه و آله أعطانى خاتمه فى حياته و درعه و منطقه و قلادنى سيفه و أصحابه كلهم حضور و عمى العباس حاضر، فخصنى الله

عزّ و جلّ بذلك دونهم.

و أما الرابعه و العشرون فإنّ الله عزّ و جلّ أنزل على رسوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَصَدُّوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدْقَهُ» فكان لى دينار فبعته بعشره دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله اصدق قبل ذلك بدرهم، و والله ما فعل هذا أحد من أصحابه قبلى و لا بعدى، فأنزل الله عزّ و جلّ «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» الايه فهل تكون التّوبه إلا من ذنب كان و أما الخامسه و العشرون فأتى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: الجنّه محرّمه على الأنبياء حتّى أدخلها أنا و هى محرّمه على الأوصياء حتى تدخلها أنت، يا على إنّ الله تبارك و تعالى بشرنى فيك ببشرى لم يبشر بها نبيا قبلى بشرنى بأنك سيّد الأوصياء و أنّ ابنك الحسن و الحسين سيّد شباب أهل الجنه يوم القيامه.

و أما السادسه و العشرون فإنّ جعفرأ أخى الطيار فى الجنّه مع الملائكه المزيّن بالجناحين من درّ و ياقوت و زبرجد.

و أما السابعه و العشرون فعمى حمزه سيّد الشهداء.

و أما الثامنه و العشرون فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ الله تعالى وعدنى فيك وعدا لن يخلفه، جعلنى نبيا و جعلك وصيا، و ستلقى من امتى من بعدى ما لقى موسى من فرعون فاصبر و احتسب حتى تلقانى، فاوالى من والاك و اعادى من عاذاك و أما التاسعه و العشرون فأتى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: يا على أنت صاحب الحوض لا يملكه غيرك و سيأتيك قوم فيستسقونك فتقول: لا و لا مثل ذره، فينصرفون مسودّه و جوههم و سترد عليك شيعتى و شيعتك فتقول روّوا رواء مرويين فيردون مبيّضه و جوههم.

و أما الثلاثون فأتى سمعته صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: يحشر امتى يوم القيامه على خمس رايات: فأول رايه ترد على رايه فرعون هذه الامه و هو معاويه، و الثانيه مع سامرى هذه الامه عمرو بن العاص، و الثالثه مع جاثليق هذه الامه و هو أبو موسى الأشعري و الرابعه مع أبى الأعور السلمى، و أما الخامسه فمعك يا على تحتها المؤمنون و أنت

ص: ٢٤١



إمامهم، ثم يقول الله تبارك و تعالی للأربعة: ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمه، و هم شيعتى و من والانى و قاتل معى الفئه الباغيه و الناكثه عن الصراط، و باب الرّحمه هم شيعتى، فينادى هولاء أ لم نكن معكم؟ قالوا: بلى و لكنكم فتنتم أنفسكم و تربصتم و ارتبتم و غرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله و غرتكم بالله الغرور، فاليوم لا يؤخذ منكم فديه و لا من الذين كفروا ماؤيكم النار هى موليكم و بس المصير ثم ترد امتى و شيعتى فيروون من حوض محمّد صلى الله عليه و آله و بيدي عصا عوسج اطرد بها أعدائى طرد غريبه الابل.

و أما الحاديه و الثلاثون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: لو لا- أن يقول فيك الغالون من امتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاء من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون.

و أما الثانيه و الثلاثون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يقول: إنّ الله تبارك و تعالی نصرنى بالرّعب فسألته أن ينصرك بمثله فجعل لك من ذلك مثل الذى جعله لى.

و أما الثالثه و الثلاثون فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم التقم اذنى و علّمنى ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة فساق الله عزّ و جلّ ذلك إلى لسان نبيّه.

و أما الرابعه و الثلاثون فإنّ النصارى ادّعوا أمراً فأنزل الله عزّ و جلّ «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» فكانت نفسى نفس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و النساء فاطمه و الأبناء الحسن و الحسين، ثم ندم القوم فسألوا الاعفاء فأعفاهم، و الذى أنزل التوراه على موسى و الفرقان على محمّد لو باهلوا لمسخوا قرده و خنازير.

و أما الخامسه و الثلاثون فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و جهنى يوم بدر فقال:

ايتنى بكفّ حصياه مجموعه فى مكان واحد، فأخذتها ثم شممتها فاذا هى طيبه تفوح منها رايحه المسك، فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين و تلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس و حصاه من المشرق و حصاه من المغرب و حصاه من تحت العرش مع كلّ حصاه مائه ألف ملك مددا لنا، لم يكرم الله عزّ و جلّ بهذه الفضيله أحدا قبل و لا بعد.

و أما السادسة و الثلاثون فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ويل لقاتلك انه أشقى من ثمود و من عاقر الناقة و إن عرش الرحمن ليهتر لقتلك فابشر يا على فانك فى زمره الصديقين و الشهداء و الصالحين.

و أما السابعة و الثلاثون فان الله تبارك و تعالى قد خصني من بين أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم بعلم الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و الخاص و العام، و ذلك مما من الله به على و على رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و قال لى الرسول: يا على إن الله عز و جل أمرنى أن ادنيك و لا أقصيك(1) و اعلمك و لا أجفوك و حق على أن اطيع ربي و حق عليك أن تعي.

و أما الثامنة و الثلاثون فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعثنى بعثا و دعا لى بدعوات و اطلعنى على ما يجرى بعده، فحزن لذلك بعض أصحابه صلى الله عليه و آله و قال: لو قدر محمد أن يجعل ابن عمه نبيا لجعله، فشرفى الله بالاطلاع على ذلك على لسان نبيه.

و أما التاسعة و الثلاثون فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: كذب من زعم أنه يحبني و يبغض عليا، لا يجتمع حبي و حبه إلا- فى قلب مؤمن، إن الله عز و جل جعل أهل حبي و حبيك يا على فى أول زمره السابقين إلى الجنة، و جعل أهل بغضى و بغضك فى أول الضالين من امتى إلى النار.

و أما الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و جهنى فى بعض الغزوات إلى ركي فاذا ليس فيه ماء، فرجعت إليه فأخبرته، فقال: أ فيه طين؟ فقلت: نعم فقال: ايتنى منه، فأتيت منه بطين فتكلم فيه ثم قال: ألقه فى الركي فألقيته فاذا الماء قد نبع حتى امتلأ- جوانب الركي، فجت إليه فأخبرته فقال لى وفتت يا على و ببركتك نبع الماء، فهذه المنقبة خاصه لى من دون أصحاب النبي.

و أما الحادية و الاربعون فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ابشر يا على فان جبرئيل عليه السلام أتانى فقال لى: يا محمد إن الله تبارك و تعالى نظر إلى أصحابك فوجد ابن عمك و ختنك على ابنتك فاطمه خير أصحابك، فجعله وصيك و المؤدى عنك.

ص: ٢٤٣

و أما الثانيه و الاربعون فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ابشر يا على فان منزلتك في الجنة مواجه منزلى، و أنت معى فى الرفيق الأعلى فى أعلى عليين، قلت: يا رسول الله و ما أعلى عليون؟ فقال: قلبه من درّه بيضاء لها سبعون ألف مصراع مسكن لى و لك يا على.

و أما الثالثه و الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله قال: إن الله عزّ و جلّ رسخ حبى فى قلوب المؤمنين، و كذلك رسخ حبك يا على فى قلوب المؤمنين و رسخ بغضى و بغضك فى قلوب المنافقين، فلا يحبك إلا مؤمن تقى، و لا يبغضك إلا منافق كافر.

و أما الرابعه و الأربعون فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لن يبغضك من العرب إلا دعى، و لا من العجم إلا شقى، و لا من النساء إلا سلققيه.

و أما الخامسه و الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دعانى و أنا رمد العين فتفل فى عيني و قال: اللهم اجعل حرّها فى بردها و بردها فى حرّها، فو الله ما اشتكت عيني إلى هذه الساعه.

و أما السادسه و الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمر أصحابه و عمومته بسدّ الأبواب و فتح بابى بأمر الله عزّ و جلّ، فليس لأحد منقبه مثل منقبتي.

و أما السابعه و الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمرنى فى وصيته بقضاء ديونه و عاداته، فقلت: يا رسول الله قد علمت أنه ليس عندى مال، فقال: سيعينك الله فما أردت أمرا من قضاء ديونه و عاداته إلا يسره الله لى حتى قضيت ديونه و عاداته و أحصيت ذلك فبلغ ثمانين ألفا و بقى بقيه فأوصيت الحسن أن يقضيها.

و أما الثامنه و الاربعون فان رسول الله صلى الله عليه و آله أتانى فى منزلى و لم يكن طعمنا منذ ثلاثه أيام فقال: يا على هل عندك من شىء؟ فقلت: و الذى أكرمك بالكرامه و اصطفاك بالرساله ما طعمت و زوجتى و ابنى منذ ثلاثه أيام فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: يا فاطمه ادخلى البيت و انظرى هل تجدى شىئا، فقالت: خرجت الساعه فقلت: يا رسول الله أدخله أنا؟ فقال: ادخل باسم الله، فدخلت فاذا بطبق موضوع

عليه رطب و جفنه من ثريد، فحملتها إلى رسول الله فقال صلى الله عليه وآله: يا على رأيت الرسول الذى حمل هذا الطعام؟ فقلت: نعم، فقال: صفه لى، فقلت: من بين أحمر و أخضر و أصفر، فقال صلى الله عليه وآله و سلم: تلك خطط جناح جبرئيل مكلله بالدرّ و الياقوت، فأكلنا من الثريد حتى شبعنا فما رأى إلا خدش أيدينا و أصابعنا، فخصّنى الله عزّ و جلّ بذلك من بين أصحابه «الصحابه».

و أما التاسعه و الاربعون فإنّ الله تبارك و تعالى خصّ نبيّه بالنّبوه، و خصّنى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بالوصيّه، فمن أحبّنى فهو سعيد يحشر فى زمرة الأنبياء عليهم السّلام.

و أما الخمسون فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعث ببراءه مع أبى بكر، فلمّا مضى أتى جبرئيل فقال: يا محمّد لا يؤدّى عنك إلا أنت أو رجل منك، فوجّهنى على ناقته الغضباء، فلحقته بذى الحليفه فأخذتها منه، فخصّنى الله عزّ و جلّ بذلك منه.

و أما الحاديه و الخمسون فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أقامنى للنّاس كافّه يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه، فبعدا و سحقا للقوم الظالمين.

و أما الثانيه و الخمسون فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: يا على ألا اعلمك كلمات علّمنيّه جبرئيل؟ فقلت: بلى، قال: قل «يا رازق المقلّين و يا راحم المساكين و يا أسمع السّامعين و يا أبصر الناظرين و يا أرحم الرّاحمين ارحمنى و ارزقنى».

و أما الثالثه و الخمسون فإنّ الله تبارك و تعالى لن يذهب بالدنيا حتّى يقوم منّا القائم يقتل و لا يقبل الجزيه و يكسر الصليب و الأصنام و يضع الحرب أوزارها، و يدعو إلى أخذ المال فيقسمه بالسّويه و يعدل فى الرّعيه.

و أما الرابعه و الخمسون فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يا علىّ سيلعنك بنو اميّه و يردّ عليهم ملك بكلّ لعنه ألف لعنه، فاذا قام القائم عليه السّلام لعنهم أربعين سنه.

و أما الخامسه و الخمسون سمعت أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: سيفتنن فيك طوايف من امّتى فتقول: إنّ رسول الله لم يخلف شيئا فبما ذا أوصى عليّنا، أو ليس كتاب ربّى أفضل الأشياء بعد الله عزّ و جلّ، و الذى بعثنى بالحقّ لأن لم تجمععه باتقان

لم يجمع أبدا، فخصني الله عزّ وجلّ بذلك من دون الصحابه.

و أما السادسة و الخمسون فإنّ الله تبارك و تعالى خصّني بما خصّ به أوليائه و أهل طاعته، و جعلني وارث محمّد صلّى الله عليه و آله فمن ساءه ساءه، و من سرّه سرّه، و أومى بيده نحو المدينه.

و أما السابعة و الخمسون فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان في بعض الغزوات ففقد الماء فقال لي: يا عليّ قم إلى هذه الصّخره و قل: أنا رسول الله انفجرت إلىّ ماء، فو الله الذي أكرمه بالنّبوه لقد أبلغتها الرّساله فاطلع منها مثل ثدى البقر فسال من كلّ ثدى منها ماء، فلما رأيت ذلك أسرع إلى النّبى صلّى الله عليه و آله فأخبرته فقال: انطلق يا عليّ فخذ من الماء، فجاء القوم حتّى ملاؤا قربهم و أدواتهم و سقوا دوابهم و شربوا و توضّوا، فخصني الله عزّ وجلّ بذلك من دون الصحابه.

و أما الثامنه و الخمسون فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أمرني في بعض غزواته و قد نفذ الماء و قال: يا عليّ ايت بثور، فأتيته به فوضع يده اليمنى و يدي معها في الثور، فقال: انبع، فنبع الماء من بين أصابعنا.

و أما التاسعه و الخمسون فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و جهني إلى خيبر، فلما أتيته وجدت الباب مغلقا فزعزعته شديدا فقلعته و رميت به أربعين خطوه فدخلت، فبرز إلىّ مرحب فحمل إلىّ و حملت عليه و سقيت الأرض دمه، و قد كان وجه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين و أما الستون فإنّي قتلت عمرو بن عبدود و كان يعدّ بألف رجل.

و أما الحاديه و الستون فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: يا عليّ مثلك في امتي مثل قل هو الله أحد، فمن أحبّك بقلبه فكأنما قرء ثلث القرآن، و من أحبّك بقلبه و أعانك بلسانه فكأنما قرء ثلثي القرآن، و من أحبّك بقلبه و لسانه و نصرّك بيده فكأنما قرء القرآن كلّه.

و أما الثانيه و الستون فإنّي كنت مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في جميع المواطن

و الحروب و كانت رايته معى.

و أما الثالثه و الستون فأتى لم أفتر من الزحف قط، و لم يبارزنى أحد إلا سقيت الأرض من دمه.

و أما الرابعه و الستون فأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اتى بطير مشوى من الجنه فدعى الله عز و جل أن يدخل عليه أحب الخلق إليه، فوقنى الله تعالى للدخول عليه حتى أكلت معه من ذلك الطير.

و أما الخامسه و الستون فأتى كنت اصلى فى المسجد فجاء سائل فسأل و أنا راعع فناولته خاتمى من اصبعى، فأنزل الله تبارك و تعالى «إِنَّمَا وَثِقُكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

و أما السادسه و الستون فأن الله تبارك و تعالى ردّ على الشمس مرتين و لم يردّها على أحد من امه محمّد صلى الله عليه و آله غيرى.

و أما السابعه و الستون فأن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر أن ادعى بامرہ المؤمنین فى حياته و بعد موته، و لم يطلق ذلك لأحد غيرى و أما الثامنه و الستون فأن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: يا على إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين سيد الأنبياء؟ فأقوم، ثم ينادى أين سيد الأوصياء فتقوم و يأتينى رضوان بمفاتيح الجنه و يأتينى مالك بمقاليد النار فيقولان: إن الله جلّ جلاله أمرنا أن ندفعها إليك و يأمرك أن تدفعها إلى على بن أبى طالب، فتكون يا على قسيم الجنه و النار.

و أما التاسعه و السبعون فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لولاك ما عرف المنافقون من المؤمنين.

و أما السبعون فأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نام و نومنى و زوجتى فاطمه و ابنتى الحسن و الحسين و ألقى علينا عباءه قطواتيه فأنزل الله تبارك و تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» و قال جبرئيل: أنا منكم يا محمّد فكان سادسنا جبرئيل.

از جمله خطب شریفه آن امام مبین است در ذکر مزید اختصاص خود بحضرت رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، و اولویت خود بخلاف می فرماید:

و البته دانسته اند مطلعان بأسرار رسالت که مامور بحفظ آن بودند از صحابه محمد صلی الله علیه و آله این که بدرستی من ردّ نموده ام بر خدای تعالی و بر رسول او هر ساعتی فرمایش آنها را، و بتحقیق مواسات نمودم من با آن بزرگوار بنفس خودم در مواردی که پس برمیگشتند در آنها شجاعان، و تأخیر می نمودند در آنها قدمها بجهت سطوت و شجاعتی که گرامی داشته بود خدای تعالی مرا بان.

و بتحقیق که قبض شد روح پر فتوح حضرت رسالت صلی الله علیه و آله و سلم در حالتی که سر مبارک او بالای سینه من بود، و بتحقیق که سیلان نمود نفس نفیس آن بر گزیده پروردگار در دست من، پس کشیدم من آن را بر روی خودم.

و بتحقیق مباشر شدم غسل آن سید ابرار را صلی الله علیه و آله و سلم در حالتی که ملائکه معین من بودند، پس ناله نمود خانه و اطراف خانه، جماعتی هبوط می کردند و جماعتی عروج می نمودند، و مفارقت نکرد قوه سامعه من از صوت ایشان، نماز می کردند بر آن تا این که دفن کردیم و پنهان نمودیم آن برگزیده ناس را در قبر خود پس کیست که اولی باشد بأواز من در حالت زندگی او و در حالت مردگی او؟ پس بشتابید بر بصیرتهای خودتان و باید که با صدق رفتار نمائید در جهاد دشمن خودتان.

پس قسم پروردگاری که نیست معبود بحقی غیر از او، بدرستی که من بر راه راست حقم و بدرستی که ایشان بر محل لغزش باطلند، می گویم آن چیزی را که می شنوید و طلب مغفرت میکنم از پروردگار عزّ و جلّ از برای خود و از برای شما.

## اشاره

و التسعون من المختار في باب الخطب

و شرحها في فصول ثلاثه:

## الفصل الاول

### اشاره

يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، و معاصي العباد في الخلوات، و اختلاف النينان في البحار الغامرات، و تلاطم الماء بالرياح العاصفات، و أشهد أنّ محمّدا صلّى الله عليه و آله نجيب الله و سفير وحيه، و رسول رحمته. أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله العذى ابتداء خلقكم، و إليه يكون معادكم، و به نجاح طلبتكم، و إليه منتهى رغبتكم، و نحوه قصد سبيلكم، و إليه مرامى مفزعكم، فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، و بصر عمى أفئدتكم، و شفاء مرض أجسادكم، و صلاح فساد صدوركم و ظهور دنس أنفسكم، و جلاء غشاء أبصاركم، و أمن فرع جاشكم، و ضياء سواد ظلمتكم.

ص: ٢٦٩



فاجعلوا طاعه الله شعارا دون دثاركم، و دخيلا- دون شعاركم، و لطيفا بين أضلاعكم، و أميرا فوق أموركم، و منهلا- لحين ورودكم، و شفيعا لدرك طلبتكم، و جنّه ليوم فزعكم، و مصاييح لبطن قبوركم، و سكنا لطول وحشتكم، و نفسا لكرب مواطنكم. فإنّ طاعه الله حرز من متالف مكنفته، و مخاوف متوقّعه، و أوار نيران موقده، فمن أخذ بالتّقوى غربت «عزبت خ» عنه الشّدايد بعد دنوّها، و احلّولت له الامور بعد مرارتها، و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، و أسهلت له الصّعباب بعد انصابها، و هطلت عليه الكرامه بعد قحوطها، و تحدّبت عليه الرّحمه بعد نفورها، و تفجّرت عليه النّعم بعد نضوبها، و وبلت عليه البركه بعد إرذاذها. فاتّقوا الله الّذى نفعكم بموعظته، و وعظكم برسالته، و امتنّ عليكم بنعمته، فعَيّدوا أنفسكم لعبادته، و اخرجوا إليه من حقّ طاعته.

## اللغه

(عجّ) عَجًا من باب ضرب و عجيجا أيضا رفع صوته بالتّليه، و منه الحديث أفضل الأعمال إلى الله العجّ و الثّجّ، فالعجّ رفع الصّوت فى التّليه، و الثّجّ إساله الدّماء من الدّبح و النحر فى الأضحى.

و (التّينان) جمع نون و هو الحوت قال تعالى «وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا»

و نهر (غامر) أى كثير الماء يغمر من يدخله أى يغطيه و يستره، و غمره البحر من باب نصر أى إذا علاه و غطاه و (الطلبه) بكسر الّام ما طلبته.

و (غشاء) أبصاركم فى بعض النسخ بالغين المعجمه و المدّ وزان كساء و هو الغطاء قال تعالى «فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» أى جعلنا على أبصارهم غشاوه و غطاء و فى بعضها بالعين المهمله و القصر سوء البصر بالليل و النهار مصدر عشى يقال عشى عشى من باب تعب ضعف بصره فهو أعشى و المرأه عشواء، و (الجاش) القلب.

و (الشّعار) الثّوب الملاصق للبدن و هو الذى يلي شعر الجسد و (الدّثار) ما فوق الشّعار من الثياب و (دخله) الرّجل و دخله و دخيلته و دخيله نيتته و مذهبه و خلدته و (المنهل) المشرب و الشرب و الموضع الذى فيه المشرب و (الطلبه) بكسر الّام كالطلب محرّكه اسم من طالبه بحقه مطالبه، و قال الشارح المعتزلى: الطلبه ما طلبته من شىء فيكون اسم عين.

و (النفس) محرّكه اسم وضع موضع المصدر الحقيقى من نفس تنفيسا و نفسا أى فرّج تفريجا و (الاور) بضمّ الهمزه وزان غراب حرّ النار و الشّمس و العطش و اللهب و (هطل) السّماء تهطل من باب ضرب امطرت هطلا و هو بالفتح تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر و المطر الضعيف الدائم و (نضب) الماء نضوبا غار و (وبلت) السماء تبل امطرت وابلا و هو المطر الشديد الضخم القطر و (ارذّت) السماء بتشديد الذال المعجمه أمطرت رذاذا، و هو بالفتح كسحاب المطر الضّعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار.

## الاعراب

الباء فى قوله: بالزّياح سببیه و نحوه منصوب بنزع الخافض، و الفاء فى قوله فانّ تقوى الله للتعليل، و فى قوله: فاجعلوا فصيحته.

اعلم أنّ الغرض الأصلي من هذا الفصل من الخطبه الشريفه هو النصح و الموعظه و الوصيه بالتقوى و الطاعه و الترغيب عليهما بالتنبيه على عظم ما يترتب عليهما من الثمرات و المنافع المرغبه، وصدّر الفصل باقتضاء صناعه البلاغه و رعايه براعه الاستهلال بذكر إحاطه علمه بجزئيات الموجودات تنبيها به على أنه عزّ و جلّ لا يخفى عليه طاعه المطيعين و معصيه المذنبين فقال عليه السلام:

(يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات) أى صياحها فيها بالتسبيح و رفع أصواتها إلى عزّ جنابه تبارك و تعالى بالتّقدّيس و تضرّعها إليه سبحانه فى إنجاح طلباتها و تنفيس كرباتها و سؤالها منه لدفع شدايدها.

و فيه حثّ للمخاطبين على الطلب و السؤال و التضرّع و الابتهاال و الانابه إليه عزّ و علا- على كلّ حال، لأنهم أولى بذلك من الحيوانات العجم.

و يشهد بذلك الحديث الذى قدّمناه: أفضل الأعمال إلى الله العجّ و الثجّ.

و فى حديث آخر مروىّ فى الوسائل من الكافى عن حريز رفعه قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله لَمَّا أحرم أتاه جبرئيل فقال له: مر أصحابك بالعجّ و الثجّ، و العجّ رفع الصّوت بالتلييه، و الثجّ نحر البدن.

و فى الكافى فى كتاب الدّعاء باسناده عن حنان بن سدّير عن أبيه قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: أىّ العباده أفضل؟ قال: ما من شىء أفضل عند الله عزّ و جلّ من أن يسأل و يطلب ممّا عنده، و ما أحد أبغض إلى الله عزّ و جلّ ممّن يستكبر عن عباده و لا يسأل ما عنده.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال سمعته يقول: ادع و لا تقل قد فرغ من الأمر، فإنّ الدّعاء هو العباده إنّ الله عزّ و جلّ يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» و قال:

«أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ».

وفيه بسنده عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لى: يا ميسر ادع و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجلّ منزله لا تنال إلاّ بمسأله، و لو أنّ عبدا سدّ فاه و لم يسأل لم يعط شيئا فاسأل تعط، يا ميسر إنه ليس من باب يقرع إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه.

(و) يعلم (معاصى العباد فى الخلوات) بمقتضى عموم علمه بالسّرّ و الخفّيات و ما تحت الثرى و فوق الأرضين و السّماوات، و فيه تحذير للسّامعين عن ارتكاب الخطيئات و حتّ لهم عن الازعاج من السيئات و تخصيصها بها لكون الخلوّه مظنّه الوقوع فى المعصيه بعدم وجود الرّادع و الحاجز.

(و اختلاف النّينان فى البحار الغامرات) أى تردّدها فيها و سبحها فى البحر صعودا و هبوطا طولا و عرضا (و تلاطم الماء بالرّياح العاصفات) أى اضطراب ماء البحار و تراكم أمواجها بالرّياح الشّديده الهبوب، ثمّ عقّب بالشّهاده بالرّساله فقال:

(و أشهد أنّ محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم نجيب الله) أى الكريم الحسيب أفضل الناس حسبا و نسبا شرفه الله تعالى بهذا الوصف الشامخ و اختاره به من خلقه.

(و سفير وحيه و رسول رحمته) كما قال عزّ من قائل «و ما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» أى نعمه عليهم لأنّ ما بعث به سبب لصلاح معاشهم و معادهم موجب للسّيعاده الدائمه و كونه رحمه للكفّار أمنهم به من الخسف و المسخ و عذاب الاستيصال قال فى مجمع البيان: قال ابن عباس: رحمه للبرّ و الفاجر و المؤمن و الكافر فهو رحمه للمؤمن فى الدنيا و الاخره و رحمه للكافر بأن عوفى ممّا أصاب الامم من الخسف و المسخ.

قال: و روى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لجبرئيل عليه السّلام لما نزلت هذه الايه: هل أصابك من هذه الرّحمه شيء؟ قال: نعم إنّى كنت أخشى عاقبه الأمر فامنت بكّ لما أثنى الله علىّ بقوله «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» و قيل: إنّ الوجه فى أنّه نعمه على الكافر أنّه عرّضه للايمان و الثّواب الدائم و هداه و إنّ لم يهتد كمن قدّم

الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه وإن لم يقبل.

(أما بعد فأتى أوصيكم) عباد الله (ب) ما لا أزال أوصيكم به أعني (تقوى الله الذى ابتداء خلقكم) و فى الاتيان بهذه الجملة و ما يتلوها من الجملات الوصفية تعظيم لشأنه عزّ و جلّ و تأكيد للغرض المسوق له الكلام، لأنّ العلم باتّصافه بهذه الصفات يوجب مزيد الملازمه بالتقوى و المواظبه على أوامره و نواهيه عزّ و تعالى.

و المراد بهذه الجملة أنّ الله الذى حباكم خلعه الخلقه و أخرجكم من العدم و أفاض عليكم نعمه الوجود الّتى هى أصل جميع النعم صغيرها و كبيرها و جليلها و حقيرها أخرى بأن يخشى منه و يتقى و لا يقابل نعمه العظام بالكفران و آلائه الجسام بالتمرد و الطغيان.

(و إليه يكون معادكم) أى عودكم و رجوعكم يوم حشركم و نشركم، فإنّ الكلّ إليه راجعون فيجازيهم بما كانوا يعملون، و أما الذين اتّقوا، فأولئك هم الفائزون و أما الذين ظلموا فلا ينفع معذرتهم و لا هم يستعتبون كما قال عزّ من قائل: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

(و به نجاح طلبتكم و إليه منتهى رغبتكم) أى الظفر بمطالبكم و قضاء مقاصدكم و نيل حوائجكم، فإنه تعالى قاضى حوائج السائلين و منجح طلبات الرّاعبين، و من كان هذا شأنه يجب أن يطاع و يعبد لا أن يعصى لحكمه و يتمرد.

(و نحوه قصد سبيلكم) لأنّه منتهى سير السالكين و غايه مراد المرّيدين، فلا بدّ من سلوك صراطه المستقيم المؤدّى إلى قربه و زلفاه، و هو صراط الملازمين لطاعته و تقواه و أما غيرهم فإنّهم عن الصراط لناكبون، و عن لقائه محرومون.

(و إليه مرامى مفزعكم) يعنى إذا دهمكم الخوف و الفرع ترميكم الأفرع نحوه، لأنه يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء عنه إذا ناداه.

و فى الحديث ليس وراء الله مرمى، قال الطريحي: أى مقصد ترمى إليه الامال و يوجه نحوه الرّجاء، تشبيها بالهدف الّتى ترمى إليها السّهام، و إذا كان شأنه العزيز أنّه إذا فاجاكم الفرع فاليه تضرّعون، و إذا مسّكم الضرّ فاليه تجأرون، فلا بدّ

من أن يطاع ولا يعصى و يذكر ولا ينسى.

ثم لَمَّا وصف الله عزّ و علا- بأوصاف توجب منه الاتّقاء أردفه بالتنبيه على منافع التّقوى و الثمرات المترتبه عليها في الدّين و الدّنيا لمزيد الحثّ و الترغيب إليها فقال:

(فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم) يعنى أنّها رافعه للأمراض القلبيه و الرّزائل النّفسانيه الموبقه من البخل و الحسد و النفاق و العداوه و البغضاء و غيرها، لأنّها مضادّه لها كما أنّ الدّواء ضدّ الدّاء (و بصر عمى افندتكم) بيان ذلك أنّ حصول وصف العمى للأعمى لَمَّا كان موجبا لعجزه عن إدراكه للمحسوسات، و سببا لضلاله عن الطريق، فكذلك حصول هذا الوصف للأفتده الناشى من اتّباع الهوى و الانهماك في الشهوات، موجب لقصورها عن إدراك المعقولات، و عن الاهتدا إلى الصراط المستقيم.

و كما أنّ بحسّ البصر يرتفع عمى الأبصار الظاهره و يحصل إدراك المحسوسات فكذلك بالتقوى يرتفع عمى الأفتده و يتمكّن من إدراك المعقولات و يهتدى إلى الصراط المستقيم، لكونها مانعه من متابعه الهوى و انهماك الشهوات الموجبين لعمائها، و هذا معنى كونها بصرا لعمى أبصار الأفتده.

روى في الصافي في تفسير قوله تعالى «أَفَلَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتُكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» من التوحيد و الخصال عن السجّاد عليه السّلام أنّ للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه و دنياه، و عينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعد خيرا فتح الله له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما الغيب و أمر آخرته، و إذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه.

و فيه من الكافي عن الصادق عليه السّلام إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة أعين: عينان في الرّأس، و عينان في القلب، ألا- و إنّ الخليق كلّهم كذلك إلّا أنّ الله عزّ و جلّ فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم.

(و شفاء مرض أجسادكم) هذا وارد مورد الغالب، لأنّ عمده سبب المرض هو

الشعب و البطنه و أهل التقوى لكونه متصفا بقله الأكل و قناعته بالحلال حسبما عرفت فى الخطبه المأه و الثانيه و التسعين و شرحها يسلم جسده غالبا من الأمراض و الأسقام.

و يرشد إلى ذلك ما رواه المحدث الجزائرى فى زهر الربيع أنّ حكيمنا نصرانيا دخل على الصادق عليه السلام فقال: أ فى كتاب ربكم أم فى سننه نبيكم شىء من الطب؟ فقال: أما فى كتاب ربنا فقولته تعالى «كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا» و أما فى سننه نبينا: الاسراف فى الاكل رأس كل داء و الحميه منه أصل كل دواء.

و فيه أيضا عنه عليه السلام أنه لو سئل أهل القبور عن السبب و العله فى موتهم لقال اكثرهم: التخمه.

و فيه أيضا قال: و روى أنّ المؤمن ياكل فى معاء واحد و الكافر يا كل فى سبعة أمعاء.

و قد تقدم فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و التاسعه و الخمسين فصل واف فى فوايد الجوع و آفات الشعب فليراجع ثمه.

(و صلاح فساد صدوركم) لأن فساد الصدور و هو كونها ساقطه عن الاعتبار خاليه عن المنفعه إنّما ينشأ من طريان ما يفسدها من الغلّ و الحقد و الحسد و نحوها من الوسوس النفسانيه عليها، و بالتقوى يرتفع هذه كلها و يحصل صلاحها، و به يظهر أيضا معنى قوله:

(و طهور دنس أنفسكم) لأن هذه الطوارى أيضا أوساخ موجه لتدنس النفوس بها، و التقوى مطهره لذلك الدنس و الوسخ.

(و جلاء غشاء أبصاركم) يعنى أنّ التقوى تجلو و تكشف غطاء أبصار البصاير و تستعدّد بذلك لادراك المعقولات، كما أنّ الباصره إذا ارتفع حجابها و انجلى غشاوتها تصلح لادراك المبصرات.

(و أمن فرع جاشكم) إذ بها تحصل قوه القلب فى الدنيا، و هى أمان من أفزاع يوم القيامه و أخاويها كما قال تعالى فى سوره الأعراف «فَمَنِ اتَّقَى وَ أَصْلَحَ»

«فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» و في سورة النمل «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» و في سورة الأنبياء «لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (و ضياء سواد ظلمتكم) الظاهر أن المراد بالظلمه هو ظلمه القلوب الحاصله لها من اكتساب الاثام و انهماك الشهوات، فإن المعاصي توجب ظلمه القلب و اسوداد الوجه، و بالتقوى و الطاعه يحصل له نور و ضياء و استعداد لقبول الافاضات الالهيه، هذا.

و لا يخفى ما في هذه الفقره و ما تقدمت عليها من الفقرات السبع من حسن المطابقه و لطفها.

و لما أوصى بالتقوى و رغب فيها بالتنبيه على ما يترتب عليها من الثمرات العظيمه أكد ذلك بالأمر بملازمه الطاعه المحصله لها و بالغ في المواظبه عليها فقال:

(فاجعلوا طاعه الله شعارا دون دثاركم) أى بمنزله الشعار الملاصق للبدن لا الدثار الذى فوق الشعار، و هو إشاره إلى المواظبه عليها باطنا لا ظاهرا فقط، و أكد استبطانها بقوله:

(و دخيلا دون شعاركم) أى داخلا فى باطنكم تحت الشعار، و بقوله (و لطيفا بين أضلاعكم) و هو غايه المبالغه فى ادخالها فى الباطن، و أكد دلالة عليه من سابقه و الغرض منه جعلها مكنونا فى الخلد متمكنا فى القلوب.

و قوله: (و أميرا فوق اموركم) أى يكون ورودكم و صدوركم فى اموركم الدنيويه بأمره و نهيه كساير الامراء بالنسبه إلى الرعيه.

(و منهلا لحين ورودكم) أى مشربا تشربون من صفوها و عذبها حين الورد يوم القيامه كما قال عز من قائل «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا».

(و شفيعا لدرك طلبتكم) أى واسطه و وسيله لادراك مطالبكم الدنيويه و الاخرويه



إذ بالتقوى والطاعة يحصل الاستعداد لدركها كما قال تعالى «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ» فقد دلّ قوله: يجعل له مخرجا، على أنها حصن حصين و حرز حريز بها يحصل النجاة من الشدائد والوقايه من المكاره، وقوله: ويرزقه من حيث لا- يحتسب على أنها كنز كاف بها يدرك المطالب ويفاز بالمارب، وقوله: و من يتوكل على الله فهو حسبه، على أنه تعالى كاف لمن توكل عليه و اكتفاه، قادر على إنجاح ما يبتغيه و يتمناه (و جنه ليوم فزعكم) أى وقايه يوم القيامة من النار و غضب الجبار كما قال تعالى «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا».

و مصايح لبطون قبوركم) فإنّ القبر بيت الظلمه، و العمل الصالح يضىء قبر صاحبه كما يضىء المصباح الظلمه على ما جاء فى الخبر.

(و سكننا لطول وحشتكم) أى فى القبور فإنها بيت الغربه و الوحده و الوحشه و الأعمال الصالحه كما ورد فى أخبار كثيره تتصوّر فى صور حسنه يستأنس بها صاحبها و يسكن إليها و يطيب بها نفسه و يرفع عنه وحشه القبر.

روى فى الكافى بسنده عن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما من موضع قبر إلا و هو ينطق كل يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب أنا بيت البلا أنا بيت الدود.

قال عليه السلام: فاذا دخله عبد مؤمن قال مرحبا و أهلا أما و الله لقد كنت احبّك و أنت تمشى على ظهري فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلك.

قال: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنّه.

قال: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئا قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئا قطّ أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الذى كنت عليه و عملك الصالح الذى كنت تعمله قال: ثم يؤخذ روحه فتوضع فى الجنّه حيث رأى منزله ثم يقال له: نم قرير العين فلا تزال نفحه من الجنّه يصيب جسده و يجد لذتها و طيبها حتى يبعث.

و فى البحار من المحاسن باسناده عن أبى بصير عن أحدهما عليها السلام قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه فى قبره ستّة صور فيهنّ صورته أحسنهنّ وجهها وأبهاهنّ هيئته وأطيبهنّ ريحا وأنظهنّ صورته.

قال: فيقف صورته عن يمينه و أخرى عن يساره و أخرى بين يديه و أخرى خلفه و أخرى عند رجله، و تقف التّى هى أحسنهنّ فوق «رأسه ظ»، فان اتى عن يمينه منعتة التّى عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ قال: فتقول أحسنهنّ صورته: و من أنتم جزاكم الله خيرا؟ فتقول التّى عن يساره: أنا الزكاه، و تقول التّى بين يديه: أنا الصّيام، و تقول التّى خلفه: أنا الحجّ و العمره، و تقول التّى عند رجله: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت فأنت أحسننا وجهها و أطيبنا ريحا و أبهانا هيئه؟ فتقول: أنا الولايه لال محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

(و نفسا لكرب مواطنكم) أى سعه و روحا لكرب منازل الاخره و مواقف القيامة (فانّ طاعه الله حرز من متالف مكتتفه) أى عوده من المهالك المحيطه (و مخاوف متوقّعه) أى مخاوف الاخره المنتظره الوقوع (و آوار نيران موقده) أراد به حرّ نار الجحيم.

(فمن أخذ بالتقوى) و عمل صالحا (غربت) أى بعدت و غابت (عنه الشّدائد بعد دنوّها) أى شدايد الاخره و أهاوليلها، و يجوز أن يراد بها الأعمّ لأنّ المتقى بقناعته و خفّه مؤنته و اعتزاله من مخالطه أبناء الدّنيا و مجالستهم سالم غالبا من المحنّ و الشدايد و ايداء أبناء النّوع.

(و احلّولت له الامور بعد مرارتها) أى صارت الأمرار الدّنيويه و الاخرويه حلولا له، أمّا الدّنيويه كضيق العيش و الجوع و الفقر و العرى و ما ضاهاها فلما له من الرّضا بالقضاء، و أمّا الاخرويه كمشاقّ الطاعات و العبادات فلكونها أحلى و ألذّ عنده من كلّ شىء و إن كان مرّا فى ذوقه فى مبدء السلوك، و ذلك لما له من علم اليقين بأنّ هذه المشقّه القليله توجب راحه طويله، و تلك المراره اليسيره تجلب لذّه دائمه.

(و انفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها) أى انكشفت عنه أمواج الفتن الدنيويه بعد تراكمها و كثرتها، و ذلك لأنّ الاخذ بالتقوى لكونه بمعزل من الدنيا و أهلها سالم من الفتن و المحن التى ابتلى بها أهلها.

(و أسهلت له الصّعب بعد انصباها) أى صارت الامور الصعبه و المشاق النفسانيه سهله له بعد ايقاعها اياه فى النصب و التعب، و ذلك لما عرفت أنّها من أنّ المتقى لمعرفته بعظم ما يترتب على طاعته و تقواه من الثمرات الاخويه يسهل عليه كلّ خطب و يهون له الشدائد(و هطلت عليه الكرامه بعد قحوطها)شبه كرامه الله سبحانه الشامله للمتقى بالمطر العظيم القطر المتتابع على سبيل الاستعاره المكنيه، و إثبات الهطل تخييل و القحوط ترشيح. و نظيرها الفقرتان المتقدمتان فانهما أيضا من قبيل الاستعاره المكنيه التخيليه الترشيحيه.

و المراد أنّ أهل التقوى انصبت عليه و تابعت فى حقه كرامه الله العزيز عزّ و جلّ بسبب اتصافه بالتقوى بعد احتباسها و منعها عنه، و ذلك قبل أن يستعدّ بالتقوى لها و يشهد بذلك أى بافاضه كرامته على المتقى صريحا نصّ قوله سبحانه «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

(و تحدت عليه الرحمه بعد نفورها) أى تعطف على الرحمه الالهيه بعد ما كانت نافرّه عنه حين ما لم يكن متصفا بالتقوى و مستعدا لها، و هذه الفقره أيضا مثل سوابقها حيث شبه الرحمه بالناقه العاطفه على ولدها على سبيل الاستعاره بالكنايه و أثبت التحدّب تخيلا و النفور ترشيحا.

(و تفجرت عليه النعم بعد نضوبها) إمّا استعاره مكنيه مثل ما مرّت تشبيها للنعم بالينابيع الجاريه المنفجره، فيكون ذكر التفجّر و النضوب تخيلا و ترشيحا، أى انفجرت عليه ينابيع النعم بعد اغوارها.

و يجوز أن يراد بالتفجّر التابع بعلاقه الملازمه فيكون مجازا مرسلا، و النعم قرينه التجوز أو اريد بالتفجّر الافاضه و الجامع التابع و الدوام فيكون استعاره تبعيه و على هذين الاحتمالين فيراد بالنضوب الفقدان مجازا لا يخفى على المتدبّر أنّ هذين الاحتمالين يأتيان أيضا فى بعض القران المتقدمه كالقرينه المتأخره أعنى قوله:

(و وبلت عليه البركه بعد ارذاذها) فيجوز أن تكون الاستعاره بالكنايه بأن يشبه البركه بالمطر الشديد العظيم القطر و الوبل و الارذاذ تخييل و ترشيح، و أن تكون استعاره تبعيه بأن يستعار الوبل للفيض الكثير و الجامع الكثره، و أن يكون مجازا مرسلا و يراد بالوبل النزول، و على التقديرين فيراد بالارذاذ القله و الضعف مجازا.

ثم بعد التنبيه على جمله من ثمرات التقوى و المنافع العظيمة المترتبة عليها عاد إلى الأمر بها تأكيدا و تقويه لما قدم فقال:

(فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته) و هي ما وعظكم بها في كتابه المبين و لسان نبيه الأمين و هداكم بها إلى الجنه و أنقذكم بها من النار و أي منفعه أعظم من هذه و أنفع.

(و وعظكم برسالته) التي بعث بها رسله و لم يبق عذر لعاذر بعد مواعظهم البليغه في ترك التقوى و الطاعه.

(و امتنّ عليكم بنعمته) الغير المحصاه التي لا يجوز للعاقل أن يقابلها بالكفران و يكافئها بترك التقوى و الطاعه و العصيان.

(فعبّدوا أنفسكم لعبادته) أي ذلّوها لحمل أثقال العباده.

(و اخرجوا إليه من حقّ طاعته) أي من طاعته التي هو حق عليكم و ثابت في ذمتكم، أو من طاعته التي حقيق به عزّ و جلّ أي اخرجوا إليه من كمال طاعته التي يليق بحضرته.

## الترجمه

میدانند خداوند تبارک و تعالی صدای وحشیان را در بیابانها، و معصیتهای بندگان را در مکان خلوت، و تردد ماهیان را در دریاها، و تلاطم آب دریاها را با بادهای تند و زنده، و شهادت می دهم باین که محمد مصطفی صلوات الله و سلامه علیه و آله بنده نجیب خداست و ایلچی وحی او و پیغمبر رحمت اوست.

اما پس از ثنای خدا پس بدرستی که من وصیت میکنم شما را بتقوی و پرهیزکاری خداوندی که ایجاد فرموده خلقت شما را و بسوی اوست بازگشت شما

و با عنایت اوست رسیدن مطالب شما و بطرف اوست قصد راه شما و بسوی اوست نشانگاه فزع و خوف شما پس بدرستی که تقوی دوی درد قلبهای شماست، و چشم کوری دل‌های شما، و شفای ناخوشی بدن‌های شما، و صلاح فساد سینهای شما، و پاکیزگی کثافت نفس‌های شماست، و جلای پرده‌های بصرهای شما، و خاطر جمعی خوف قلبهای شما، و روشنی سیاهی تاریکی قلب شما است.

پس بگردانید طاعت و عبادت پروردگار را لباس باطنی خودتان نه لباس ظاهری و داخل در باطن خود نه شعار ظاهری، و چیزی لطیف در میان دنده‌های خودتان، و امیر حکمران بالای جمیع کارهای خودتان و محل آب خور از برای زمان ورود آن، و واسطه از برای درک مطالب خودتان، و سپر از برای روز فزع خود و چراغها از برای بطون قبرهای خود، و مایه انس از برای طول وحشت خود، و فرج و راحت از برای اندوه و محنت موطن خودتان.

پس بدرستی که طاعت خدا حرز است، از مهلکه های محیطه و از محلّهای خوفی که متوقعست و از حرارت آتشیهای روشن شده، پس کسی که اخذ نمود تقوی را غایب شد از آن شدتها بعد از نزدیکی آنها باو، و شیرین شد از برای او کارها بعد از تلخی آنها، و منکشف شد از او موجها بعد از تراکم و تلاطم آنها، و آسان شد از برای او کارهای صعب بعد از مشقت انداختن آنها، و بارید باو باران های کرامت بعد از قحطی آن، و برگشت با مهربانی بر او رحمت خدا بعد از رمیدن آن، و منفجر شد بر او چشمهای نعمتها بعد از نایابی آنها، و بارید باو باران برکت با شدت بعد از ضعف و قلت آن.

پس پرهیز نمائید از خدا چنان خداوندی که نفع بخشید بشما با موعظه بالغه خود، و موعظه فرمود بشما با رسالت رسولان خود، و منت گذاشت بر شما با نعمت فراوان خود، پس ذلیل نمائید نفس‌های خودتان را با بار عبادت او، و خارج شوید بسوی او از حق اطاعت او که لایق حضرت او است.

ثم إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، و اصطنعه على عينه، و أصفاه خيره خلقه، و أقام دعائمه على محبته، أذلّ الاديان بعزّته، و وضع الملل برفعه، و أهان أعدائه بكرامته، و خذل محادّيه بنصره، و هدم أركان الضلاله بركنه، و سقى من عطش من حياضه، و أتاق الحياض بمواتحه. ثم جعله لا انفصام لعروته، و لا فكّ لحلقته، و لا انهدام لاساسه و لا زوال لدعائمه، و لا انقلاع لشجرتة، و لا انقطاع لمدّته، و لا عفاء لشرايعه، و لا جدّ لفروعه، و لا ضنك لطرقة، و لا وعوده لسهولته و لا سواد لوضحه، و لا- عوج لانتصابه، و لا عصي في عوده، و لا وعت لفجّه، و لا انطفاء لمصايحه، و لا مراره لحلاوته. فهو دعائم أساخ في الحقّ أسناخها، و ثبت لها أساسها، و ينابيع غزرت عيونها، و مصايح شبت نيرانها، و منار اقتدى بها سفارها، و أعلام قصد بها فجاجها، و مناهل روى بها وراذها، جعل الله فيه منتهى رضوانه، و ذروه دعائمه، و سنام طاعته.

فهو عند الله وثيق الاركان، رفيع البيان، منير البرهان، مضىء النيران، عزيز السلطان، مشرف المنار، معوز المثار، فشرّفوه، و أدوا إليه حقّه، و ضعوه مواضعه.

## اللغه

(اصطنعه على عينه) افتعال من الصنع و الصنع اتّخاذ الخير لصاحبه كذا فى مجمع البيان، و قيل: من الصنيعه و هى العطيّه و الاحسان و الكرامه يقال اصطنعتك لنفسى اخترتك لأمر أستكفيكه و اصطنع خاتماً أمر أن يصنع له قال تعالى فى سورة طه مخاطباً لموسى عليه السلام «وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اِذْ هَبْ اَنْتَ وَ اَخُوكَ بِآيَاتِي وَ لَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي».

و قال الشارح المعتزلى: اصطنعه على عينه كلمه يقال لما يشتدّ الاهتمام به، تقول للصانع: اصنع لى خاتماً على عيني، أى اصنعه صنعه كالصنعه التى تصنعها و أنا حاضر اشاهدها.

و قال الرّمخسرى فى الكشف فى تفسير قوله تعالى «وَ لَتُضَيِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي» لتربى و يحسن إليك و أنا مراعيك و راقبك كما يرمى الرّجل الشىء بعينه إذا اعتنى به، و تقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلاّ تخالف به عن مرادى و (الخيره) بفتح الياء و زان عنبه كالخيره بسكونها اسم من اخترت الرّجل أى فضلته على غيره و (الدّعائم) جمع الدّعامة بالكسر عماد البيت و الخشب المنصوب للتعريش و (حادّه) محادّه عادّه و غاضبه و خالفه مأخوذ من الحدد و هو الغضب قال تعالى «يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ».

و (تنق) الحوض من باب فرح امتلاً ماء و أتاقت الحياض ملاًها و (المواتح) جمع الماتح و هو الذى يستقى بالدلو من المتح و هو الاستقاء يقال متحت الدلو

أى استخرجتها و (عروه) الكوز مقبضه و (الجذ) بالذال المعجمه القطع أو القطع المستأصل، و فى بعض النسخ بالحاء المهمله و هو القطع و فى بعضها بالجيم و الذال المهمله و هو القطع أيضا و الفعل فى الجميع كمدّ.

و(وعث) الطريق و عوثة من باب قرب و تعب إذا شقّ على السالك فهو وعث و قيل: الوعث رمل دقيق تغيب فيه الأقدام فهو شاق، ثم استعير لكلّ أمر شاقّ من تعب و أثم و غير ذلك، و منه و عثاء السفر أى شدّه النصب و التعب.

و (الوضح) محرّكه بياض الصبح و القمر و محجّه الطريق و (العصل) محرّكه الاعوجاج فى صلابه و منه العصال بالكسر و هو السهم المعوّج و (الفج) الطريق الواسع بين الجبلين و (ساخت) قوائمه فى الأرض أى غابت و ساخت بهم الأرض أى خسفت و يعدى بالهمزه فيقال: أساخه الله و (الينبوع) العين ينبع منه الماء أى يخرج و قيل: الجدول الكثير الماء و هو أنسب و (غزر) الماء بضمّ الزاء المعجمه غزاره كثر فهو غزير و (شبت نيرانها) بضمّ الشين بالبناء على المفعول أى اوقدت و (ورّادها) جمع وارد قال الشارح المعتزلى: و روى روّادها جمع رائد و هو الذى يسبق القوم فيرتاد لهم الماء و الكلاء و (ذروه) الشىء بالكسر و الضمّ أعلاه و (سنام) بالفتح وزان سحاب أيضا أعلاه و (عوز) الشىء عوزا من باب تعب عزّ فلم يوجد، و عزت الشىء أعوزه من باب قال احتجت إليه فلم أجده، و أعوزنى مثل أعجزنى وزنا و معنى، و أعوز الرّجل إعوازا افتقر، و أعوزه الدّهر أفقره و (ثار) الغبار يثور ثورا و ثورانا هاج، و ثار به الناس أى وثبوا عليه، و فلان أثار الفتنة أى هيجها، و المثار مصدر أو اسم للمكان.

## الإعراب

قوله: على عينه ظرف مستقرّ حال من فاعل اصطنع، و قوله: على محبّه يحتمل أن يكون ظرف لغو متعلّق بقوله أقام فالضمير راجع إلى الله، و أن يكون ظرفا مستقرّا حالا من فاعل أقام أو من الضمير فى دعائه، فالضمير فيه على الأوّل



أيضا راجع إلى الله، و على الثاني فيعود إلى الاسلام، و يجوز جعل على بمعنى اللام للتعليل كما فى قوله تعالى «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» و على هذا فايضا ظرف لغو و الضمير يصح عوده إلى الله و إلى الاسلام فتدبر، و الباء فى قوله: بعزته للسبب، و قوله: ثم جعله لا انفصام لعروته المفعول الثاني لجعل محذوف و جملة لا انفصام لعروته صفه له.

## المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما أوصى فى الفصل السابق بالتقوى و الطاعة أرفده بهذا الفصل المتضمن لشرف الاسلام و فضايله لكونهما من شئونه فقال:

(ثم إن هذا الاسلام دين الله) أى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام و هو التوحيد و التدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم كما قال تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» و قال «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى من يطلب غيره دينا يدين به لن يقبل منه بل يعاقب عليه و هو من الهالكين فى الآخرة، و فيه دلالة على أن الدين و الاسلام واحد و هما عبارتان عن معبر واحد، و هو التسليم و الانقياد بما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

و هو (الذى اصطفاه) الله و اختاره من بين ساير الأديان (لنفسه) أى لأن يكون طريقا إلى معرفته و طاعته مؤديا إلى جنته.

(و اصطنعه على عينه) أى اتخذته صنعه و اختاره حالكونه مراعى حافظا له مراقبا عليه مشاهدا آياه، و يجوز جعل العين مجازا فى العلم فيكون المعنى أنه اصطنعه و أسس قواعده على ما ينبغى و على علم منه به أى حالكونه عالما بدقايقه و نكاته أو بشرفه و فضله.

و يحتمل أن يكون معنى اصطنعه أنه طلب صنعه أى أنه أمر بصنعه و القيام به حالكونه بمرئى منه أى كالمصنوع المشاهد له، و ذلك أن من صنع لغيره شيئا و هو ينظر إليه صنعه كما يحب و لا يتهيا له خلافه أو أنه أمر بأن يصنع أى بصنعه

و صنيعته أى بكرامته و الاتيان به على وجه الكمال.

و على هذا الاحتمال فالصانع له أى المأمور بالصنعه و الصنع و الصنيعه المكلفون المطلوب منهم الاسلام.

و هذا نظير ما قاله المفسرون فى قوله تعالى «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» على قراءه لتصنع بلفظ الأمر مبنيًا للمفعول. إنَّ المعنى ليصنعك غيرك أى لتربى و تغذى و يحسن إليك بمرئى منى أى يجرى امرك على ما اريد من الرفاهه.

(و أصفاه خيره خلقه) أى آثر و اختار للبعثه به خيره خلقه محمداً صلى الله عليه و آله و سلم، أو جعل خيره خلقه خالصا لتبليغه دون غيره.

(و أقام دعائمه على محبته) أى أثبت أركان الاسلام فوق محبته تعالى، فإنَّ من أحبه سبحانه أسلم له، أو أنه قام دعائمه حالكونه تعالى محبًا له أو حال كون الاسلام محبوبا له تعالى، أو لأجل حبه إياه، أو لأجل محبوبيته عنده على الاحتمالات المتقدمه فى الاعراب.

ثمَّ المراد بدعائمه إما مطلق أركانه التى يأتى تفصيلها منه عليه السلام فى أوائل باب المختار من حكمه و هو الأنسب.

أو خصوص ما اشير إليه فى الحديث المروى فى البحار من أمالى الصدوق بسنده عن المفضل عن الصادق عليه السلام قال: بنى الاسلام على خمس دعائم: على الصلاه، و الزكاه، و الصوم، و الحج، و ولايه أمير المؤمنين و الأئمه من ولده صلوات الله عليهم (أذل الأديان بعزته) أراد بذلتها نسخها أو المراد ذلَّ أهلها على حذف المضاف و يحتملها قوله (و وضع الملل برفعه) و يصدق هاتين القرينتين صريحا قوله تعالى «أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ».

(و أهان أعداءه بكرامته) أى أهان أعداء الاسلام و هم اليهود و النصارى و المشركون و كلَّ من عانده و لم يتدين به من أهل الملل المتقدمه، و إهانتهم بالقتل و الاستيصال و أخذ الجزيه و الذلَّ و الصغار.

(و خذل محاديه بنصره) أى ترك نصره المخالفين ل لاسلام المحاديين له و أخزاهم

بنصرته للاسلام و أهله.

(و هدم أركان الضلاله بركنه) ركن الشىء جانبه الذى يستند إليه و يقوم به، فاستعار أركان الضلاله للعقائد المضله أو رؤساء أهل الضلاله أو الأصنام، و أراد بركنه أصوله و قواعده أو النبى أو كلمه التوحيد.

(و سقى من عطش من حياضه) المراد بمن عطش الجاهل بقواعد الاسلام المبتغى له، و بالحياض النبى و الأئمه سلام الله عليهم المملوون بمياه العلوم الحقه، أو الأعمّ الشامل للعلماء الراشدين أيضا و يسقيه هدايته له إلى الاستفاده و أخذ علوم الدين عنهم عليهم السلام.

(و أتاق الحياض بمواتحه) أى ملأ صدور اولى العلم عليهم السلام من زلال المعارف الحقه و العلوم الدينيه بوساطه المبلغين من الله تعالى من الملائكه و روح القدس و الالهامات الالهيه. و إن اريد بالحياض الأعمّ الشامل للعلماء فيعمّم المواتح للأئمه لأنهم يستفيدون من علومهم عليهم السلام و يستضيئون بأنوارهم عليهم السلام و قيل هنا: معان اخر، و الأظهر ما قلناه.

(ثم جعله) وثيقا (لا- انفصام لعروته) كما قال تعالى «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصام لها».

قال أمين الاسلام الطبرسى «قد» قد ظهر الايمان من الكفر و الحق من الباطل، فمن يكفر بما خالف أمر الله و يصدق بالله و بما جاءت به رسله فقد تمسك و اعتصم بالعصمه الوثيقه و عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهه، لا انفصام لها أى لا انقطاع لها كما لا ينقطع من تمسك بالعروه كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالايمان، و محصيه له أنّ من اعتصم بعروه الاسلام فهى تؤديه إلى غايه مقصده من رضاء الحقّ و رضوانه و نزول غرفات جنانه لأنها وثيقه لا ينقطع و لا تنفصم.

(و) جعله محكما(لا فكّ لحلقته)قال الشارح البحرانى: كناية عن عدم انقهار أهله و جماعته.

(و) مشيداً (لا- انهدام لأساسه) قال البحراني: استعار لفظ الأساس للكتاب و السّينه الّذين هما أساس الاسلام، و لفظ الانهدام لاضمحلالهما انتهى، و لا بأس به، و قد يفسّر في بعض الروايات بالولايه.

و هو ما رواه في البحار من أمالي الشيخ باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: لما قضى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مناسكه من حجّه الوداع ركب راحلته و أنشأ يقول: لا يدخل الجنّه إلّا- من كان مسلماً، فقام اليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله و ما الاسلام؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: الاسلام عريان و لباسه التقوى، و زينته الحياء، و ملاكه (1) الورع و كماله الدّين، و ثمرته العمل، و لكلّ شىء أساس و أساس الاسلام حبنا أهل البيت.

(و) ثابتاً (لا- زوال لدعائمه) قال البحراني: استعار لفظ الدّعائم لعلمائه أو للكتاب و السنه و قوانينهما، و أراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء أو عدم القوانين الشرعيه، انتهى.

و الأولى أن يراد بالدّعائم ما يأتي تفصيلها منه عليه السّلام في أوائل باب المختار من حكمه عليه السّلام و هو ثالث أبواب النّهج.

(و) راسخاً (لا انقلاع لشجرتة) الظاهر أنّه من قبيل اضافه المشبّه به على المشبّه كما في لجين الماء، و المراد أنّ الاسلام كشجره ثابتة أصلها ثابت و فرعها في السماء كما اشير اليه في قوله مثل كلمه طيبه «كشجره طيبه» الايه.

قال الطبرسي: قال ابن عبّاس: هي كلمه التوحيد شهاده أن لا إله إلاّ الله كشجره زاكيه ناميه راسخه اصولها في الأرض عاليه أغصانها، و ثمارها في السماء، و أراد به المبالغه في الرّفعه و الأصل سافل و الفرع عال إلاّ أنه يتوصّل من الأصل إلى الفرع.

قال: و قيل: أنّه سبحانه شبّه الايمان بالنخله لثبات الايمان في قلب المؤمن كثبات النخله في منبتها، و شبّه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخله،

ص: ٢٨٩

و شَبَّه ما يكسبه المؤمنون من بركة الايمان و ثوابه في كل وقت و حين بما ينال من ثمره النخله في اوقات السنه كلها من الرطب و التمر.

و في البحار من علل الشرائع باسناده عن معمر بن قتاده عن أنس بن مالك في حديث قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال حبيبي جبرئيل عليه السّلام: إنّ مثل هذا الدّين كمثل شجره ثابتة الايمان أصلها، و الصّلاه، عروقتها، و الزّكاه ماؤها، و الصّوم سعفها، و حسن الخلق ورقها، و الكفّ عن المحارم ثمرها، فلا تكمل شجره إلاّ بالثمر كذلك الايمان لا يكمل إلاّ بالكفّ عن المحارم.

(و) متماديا (لا انقطاع لمدّته) لاستمراره و بقاءه إلى يوم القيامة.

(و) جديدا (لا عفاء لشرايعه) أي لا اندراس لما شرع الله منه لعباده و لا انمحاء لطرقه و شعبه التي يذهب بسالكها إلى حظاير القدس و محافل الانس (و) زاكيا (لا جدّ لفروعه) أي لا ينقطع ما يتفرّع عليه من الأحكام التي يستنبطها المجتهدون بأفكارهم السليمة من الكتاب و السنه، و يحتمل أن يراد بها ما يتفرّع عليه من الثمرات و المنافع الدنيويّه و الاخرويّه.

(و) وسيعا (لا ضنك لطرقه) أي لا ضيق لمسالكه بحيث يشقّ على السّالكين سلوكه، و المراد أنها مله سمحه سهله ليس فيها ثقل على المكلّفين كما كان في الملل السّابقه.

قال تعالى «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ».

قال أمين الاسلام الطبرسي: معناه يبيح لهم المستلذات الحسنه و يحرم عليهم القبائح و ما تعافه الأنفس، و قيل: يحلّ لهم ما اكتسبوه من وجه طيب و يحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث، و قيل: يحلّ لهم ما حرّمه عليهم رهبانيّهم و أحبارهم و ما كان يحرمه أهل الجاهليه من البحائر و السوائب و غيرها، و يحرم عليهم الميتة و الدّم و لحم الخنزير و ما ذكر معها.

و يضع عنهم إصْرهم أي ثقلهم شبّه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد

بالثقل، و ذلك إن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم و جعل توبه هذه الآمه الندم بالقلب حرمه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و الاغلال التي كانت عليهم قيل: يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبه و قرض ما يصيبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلك من تحريم السب و تحريم العروق و الشحوم و قطع الأعضاء الخاطئه و وجوب القصاص دون الذيه انتهى.

و قيل: الاصر الثقل الذي يأصر حامله أي يحبسه في مكانه لفرط ثقله.

و قال الرمخشري: هو مثل لثقل تكليفهم و صعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحه توبتهم، و كذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الأشياء الشاقه نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الديه، و قطع الأعضاء الخاطئه، و قرض موضع النجاسه من الجلد و الثوب و إحراق الغنائم، و تحريم العروق في اللحم و تحريم السب.

و عن عطا كانت بنو اسرائيل إذا قامت تصلى لبسوا المسوح و غلوا أيديهم إلى الأعناق، و ربما ثقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسله و أوثقها إلى الساريه يحبس نفسه على العباده.

(و) سهلا (لا و عوثة لسهولته) يعنى أنه على حد الاعتدال من السهوله، و ليس سهلا مفرطا كالوعث من الطريق يتعسر سلوكه و يشق المشى فيه لرسوب الأقدام.

(و) واضحا (لا سواد لوضحه) يعنى أن بياضه لا يشوبه الظلام كما قال النبي صلى الله عليه و آله:

بعث اليكم بالحنيفه السمحه السهله البيضاء، و بياضه كناية عن صفائه عن كدر الباطل.

(و) مستقيما (لا- عوج لانتصابه) أي لا- اعوجاج لقيامه كما قال تعالى «قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و المراد أنه صراط مستقيم مؤد لسالكه إلى الجنه، و رضوان الله تعالى ليس فيه عوج و لا أمت.

(و) مستويا (لا عصل في عوده) و هو أيضا كناية عن استقامته و ادائه إلى الحق.

(و) يسيرا (لا و عث لفجه) أراد بالفج مطلق الطريق مجازا من إطلاق المقيد

على المطلق و يمكن إرادته المعنى الحقيقي و يكون النظر فى التشبيه إلى أنه الجادّه الوسطى بين طرفى الافراط و التفريط، كما أنّ الفجّ هو الطريق الواسع بين الجبلين.

(و) مضيئا (لا انطفاء لمصايحه) الظاهر أنّ المراد بمصايحه أئمة الدّين و أعلام اليقين الذينهم مصايح الدّجى و منار الهدى، و أراد بعدم انطفائها عدم خلوّ الأرض منهم عليهم السّلام.

(و) حلوا (لا مراره لحلاوته) لأنه أحلى و ألذّ فى أذواق المتدّينين من كلّ حلوا، و لذيد لا يشوبه مراره مشقّه التكليف.

كما قال الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»:

لذّه ما فى النداء أزال تعب العباده و العناء.

(فهو دعائم أساخ فى الحقّ أسناخها) يعنى أنّ الاسلام دعائم العبوديّة فلا ينافى حملها عليه هنا لما تقدّم سابقا من إضافتها إليه فى قوله: أقام دعائمه على محبّته، و قوله: ولا زوال لدعائمه، نظرا إلى أنّ ظهور الاضافه فى التغير.

وجه عدم المنافاه أنّ الغرض فيما سبق تشبيه الاسلام و الدّين بالبيت فأثبت له الدّعائم على سبيل الاستعاره المكّيّه التخيليه، فهو لا ينافى كون الاسلام نفسه أيضا دعائم لكن للعبوديّة.

و يمكن دفع المنافاه بوجه آخر و هو أنّا قد بيّنا فيما سبق أنّ المراد بدعائم الاسلام إمّا الدعائم الّتى يأتى تفصيلها منه عليه السّلام فى باب المختار من حكمه أو خصوص العبادات الخمس أعنى الصلاه و الزّكاه و الصّوم و الحجّ و الولايه حسبما اشير إليه فى الحديث الذى روينا من البحار و فى أحاديث كثيره غيره تركنا ذكرها، و على أىّ تقدير فلما كان قوام الاسلام بتلك الدّعائم و ثباته عليها حتّى أنّه بدونها لا ينتفع بشىء من أجزائه فجعله نفس تلك الدّعائم مبالغه من باب زيد عدل.

و يوضح ذلك ما فى البحار من الكافى عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: الصّلاه عمود دينكم.

و فى الكافى أيضا باسناده عن عبيد بن زراره عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مثل الصَّيْلَةِ مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طناب ولا وتد ولا غشاء.

و أما قوله: أساخ في الحق أسناخها، فمعناه أنه تعالى أثبت اصولها في الحق يعني أنه بناء محكم بنى على الحق و ثبت قوائمه عليه دون الباطل كما قال تعالى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» أي ذلك الدين المستقيم الحق.

(و ثبت لها أساسها) أي أحكم لهذه الدعائم أبنيتها.

(و ينابيع غزرت عيونها) يعني جداول و أنهار كثيرة ماء عيونها التي تجريان منها، و الظاهر أنه من التشبيه البليغ، و المراد أن الاسلام بما تضمنه من الأحكام الكثيره الاسلاميه بمنزله ينابيع وصفها ما ذكر، و وجه الشبه أن ينابيع منبع مادّه حياه الأبدان و الأحكام الاسلاميه منشأ مادّه حياه الأرواح، إذ بامتثالها يحصل القرب من الله المحصل لحياه الأبد.

و في وصف المشبه به بغزاره العيون إشارة إلى ملاحظه ذلك الوصف في جانب المشبه أيضا لأن الأحكام الاسلاميه صادرة عن صدر النبوه و صدور الأئمة التي هي معادن العلوم الالهيه و عيونها، و كفى بها كثرة و غزاره.

(و مصابيح شبت نيرانها) و هو أيضا من التشبيه البليغ، يعني أن الاسلام بما فيه من الطاعات و العبادات التي من وظائفه مثل المصابيح الموقده النيران المشتعله التي هي في غايه الاضاءه، و وجه الشبه أن المصابيح التي وصفها ذلك كما أنها ترفع الظلام المحسوسه، فكذلك الطاعات الموظفه في دين الاسلام إذا اقيست عليها تنور القلوب و تجلو ظلمتها المعقوله.

(و منار اقتدى بها سفارها) يعني أنه بما فيه من الأدله الساطعه و البراهين القاطعه التي يستدل بها العلماء في المقاصد، مثل منائر يهتدى بها المسافرون في الفلوات، و إضافه سفار إلى ضمير المنار من التوسع.

و مثله قوله (و أعلام قصد بها فجاجها) أي مثل أعلام قصد بنصب تلك الأعلام



(و مناهل روى بها ورّادها) يعنى أنّه بما فيه من العلوم الاسلاميّة النقليّة و العقليّة بمنزله مشارب تروى بمائها العطاش الواردون إليها.

(جعل الله فيه منتهى رضوانه) أى غايه رضاه لكونه أتمّ الوسایل و أكملها فى الايصال إلى قربه و زلفاه كما اشير إليه فى قوله «أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» و قوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ».

(و ذروه دعائمه) الظاهر أنّ المراد بالدعائم العبادات التى بنيت عليها بيت العبوديّة، و لما كان دين الاسلام أشرف الأديان و أفضلها تكون العبادات الموظفه فيه أفضل العبادات و أعلاها، و إضافه الدعائم إلى الله من باب التّشريف و التّكريم باعتبار أنّها مجعولات له سبحانه أو من أجل كونها مطلوبه له تعالى.

و به يظهر أيضا معنى قوله (و سنام طاعته) و يستفاد من بعض الأخبار أنّ ذروه الاسلام و سنامه هو خصوص الجهاد.

و هو ما رواه فى البحار من الكافى باسناده عن سليمان بن خالد عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ألا اخبرك بأصل الاسلام و فرعه و ذروه سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: أمّا أصله فالصّلاه، و فرعه الرّكاه، و ذروه سنامه الجهاد.

قال المحدث العلامة المجلسى: الاضافه فى ذروه سنامه بياتيه أو لاميه إذ للسّنام الذى هو ذروه البعير ذروه أيضا هو أرفع أجزاءه، و إنما صارت الصلاه أصل الاسلام لأنه بدونها لا يثبت على ساق، و الرّكاه فرعه لأنه بدونها لا تتمّ، و الجهاد ذروه سنامه لأنه سبب لعلّوه و ارتفاعه، و قيل: لأنه فوق كل برّ كما ورد فى الخبر و كيف كان (فهو عند الله وثيق الأركان) لابتناؤه على أدلّه محكمه و اصول متقنه (رفيع البنيان) كناية عن علوّ شأنه و رفعه قدره على سائر الأديان.

(منير البرهان) أى الدليل الدّال على حقيته من الايات و المعجزات الباهره منير واضح.

(مضى النيران) كناية عن كون أنواره أى العلوم و الحكم الثاقبه التى فيه فى غايه

(عزیز السلطان) یرید أنّ حجّته قویّه أو أنّ سلطنته غالبه علی سایر الأديان كما قال تعالی «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ».

(مشرف المنار) آی مرتفع المناره قال الشارح البحرانی: و کنی به عن علوّ قدر علمائه و أئمتّه و انتشار فضلهم و الهدایه بهم.

(معوز المثار) قیل: آی یعجز الناس از عاجه و إثارتہ لقوّتہ و ثباتہ و متانتہ و قال البحرانی: آی یعجز الخلق إثارہ دفائنه و استخراج ما فيه من كنوز الحكمة و لا یمكنهم استقصاؤها، و فی بعض النسخ معوز المثل آی یعجز الخلق عن الاتیان بمثله، و فی بعضها معوز المنال آی یعجزون عن النيل و الوصول إلى نکاتہ و دقائقه و أسرارہ.

(فشرّفوه) آی عظیموه و عدّوه شریفا و اعتقدوه كذلك (و اتّبعوه و أدّوا إليه حقّه) آی ما یحقّه من الاتّباع الكامل (و ضعوه مواضعه) أراد به الکفّ عن تغییر أحكامه و العلم بمرتبته و مقداره الذی جعله الله له، أو العمل بجمیع ما تضمّنه من الأوامر و النواهی، و فقنا الله لذلك بجاه محمّد و آله سلام الله علیه و علیهم.

## الترجمه

فصل ثانی از این خطبه شریفه در وصف اسلام است و ذکر فضایل آن می فرماید:

پس بدرستی این اسلام دین خداست که پسند فرموده آنرا از برای خودش و برگزیده آنرا در حالتی که عالمست بفضیلت آن، و خالص گردانیده باو بهترین خلق خود را که پیغمبر آخر الزّمان صلّی الله علیه و آله باشد، و بر پا داشته ستونهای آن را بر بالای محبّت خود، ذلیل نموده دینها را بسبب عزیزی آن، و پست فرموده ملتّها را بجهت بلندی آن، و خوار نموده دشمنهای خود را بجهت گرامی داشتن آن، و ذلیل کرده معاندین خود را با یاری کردن آن، و خراب کرده ارکان ضلالت و گمراهی را با رکن آن، و سیراب فرموده تشنگان را از حوضهای آن، و پر کرده حوضها را

با آب کشندگان آن.

پس گردانیده آن را که گسیخته نمی شود جای دستگیر آن، و فک نمی شود حلقه آن، و خرابی نیست اساس آن را و زوال نیست ستونهای آن را، و بر کندگی نیست درخت آن را، و انقطاع نیست مدّت او را، و اندراس نیست شریعتهای او را و بریدگی نیست شاخهای او را، و تنگی نیست راههای آنرا، و دشواری نیست از برای سهولت آن، و سیاهی نیست از برای سفیدی آن، و کجی نیست از برای استقامت آن و اعوجاج نیست از برای چوب آن، و صعوبت نیست از برای راههای آن، و خاموشی نیست چراغهای آن را، و تلخی نیست شیرینی آنرا.

پس آن اسلام ستونهایست که ثابت و محکم کرده خدا در حقّ اصلهای آنها را، و بغایت مستحکم نموده از برای آنها بنیانهای آنها را، و نهرهای پر آبیست که زیاده است آبهای چشمهای آنها، و چراغهایست که فروخته شده آتشیهای آنها و مناره هائیت که هدایت یافته با آنها مسافران آنها، و علمهایست که قصد کرده شده با آنها راه روندگان گدوکههای آنها، و سرچشمه هائیت که سیراب شده با آنها واردین به آنها، گردانیده است خداوند تبارک و تعالی در او غایت رضای خود را، و بلندتر ستونهای خود را، و کوهان طاعت خود را.

پس او است در نزد خدا که محکم است رکنهای آن، و بلند است بنائی آن نورانی است دلیل آن، روشن است آتشیهای آن، عزیز است سلطنت آن، بلند است مناره آن، نایبست معارضه گری آن، پس مشرف و گرامی دارید او را، و تبعیت نمائید بان، و ادا کنید با او حقّ او را و بگذارید او را جائی که لایق او است.

ص: ۲۹۶

النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم ونبذ من فضائل القرآن

ثم إنَّ الله بعث محمداً صَلَّى الله عليه وآله حين دنا من الدُّنيا الانقطاع، و أقبل من الآخره الاطّلاع، و أظلمت بهجتها بعد إشراق، و قامت بأهلها على ساق، و خشن منها مهاده، و أزف منها قياده، في انقطاع من مدّتها، و اقتراب من أشراطها، و تصرّم من أهلها، و انفصام من حلقتها، و انتشار من سببها، و عفاء من أعلامها، و تكشّف من عوراتها، و قصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته، و كرامه لامته، و ربيعا لاهل زمانه، و رفعه لاعوانه، و شرفا لأنصاره. ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحها، و سراجا لا يخبو توقّده و بحرا لا يدرك قعره، و منهاجا لا يضلّ نهجه، و شعاعا لا يظلم ضوئه و فرقانا لا يخمد برهانه، و بنيانا لا تهدم أركانه، و شفاء لا تخشى أسقامه و عزّا لا تهزم أنصاره، و حقّا لا تخذل أعوانه. فهو معدن الايمان و بحبوحته، و ينابيع العلم و بحوره، و رياض العدل و غدرانه و أنافى الاسلام و بنيانه، و أوديه الحقّ و غيطانه، و بحر

لا- ينزفه المستنزفون «المنتزفون خ ل»، و عيون لا- ينضبها الماتحون، و مناهل لا- يغيضها الواردون و منازل لا- يضلّ نهجها المسافرون، و أعلام لا يعمى عنها السّارين، و آكام لا يجوز عنها القاصدون. جعله الله ريًا لعطش العلماء، و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاجّ لطرق الصّالحاء، و دواء ليس معه «بعده خ ل» داء، و نورا ليس معه ظلمه و جبلا وثيقا عروته، و معقلا منيعا ذروته، و عزّا لمن تولّاه، و سلما لمن دخله، و هدى لمن اتّتم به، و عذرا لمن انتحلّه، و برهانا لمن تكلم به، و شاهدا لمن خصم به، و فلجا لمن حاجّ به، و حاملا- لمن حمّله، و مطيّه لمن أعمله، و آيه لمن توسّم، و جنّه لمن استلام، و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى.

## اللغة

(الاطلاع) الاشراف من موضع عال و (الساق) الشدّه قال تعالى «وَ التَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» أى اتّصلت آخر شدّه الدّنيا بأوّل شدّه الاخره و (المهاد) بالكسر كالمهد موضع يهتّب للصبى و الفراش و (قاد) الرّجل الفرس قودا من باب قال و قيادا بالكسر و هو نقيض السّوق قال الخليل: القود أن يكون الرّجل أمام الدّابه آخذها بقيادها، و السّوق أن يكون خلفها، فان قادها لنفسه قيل: اقتادها، و المقود بالكسر الحبل يقاد به، و القياد مثله مثل لحاف و ملحف.

و (العوره) السوءه و كلّ أمر يستحى منه و (الطول) الامتداد يقول طال الشىء

طولا- بالضمّ امتدّ و خلاف العرض، و فى بعض النسخ من طولها وزان عنب و هو جبل تشدّ به قائمه الدّابه أو تشدّ و تمسك طرفه و ترسلها ترعى، و طال طولك و طيلك و طيالك أى عمرك أو مكثك أو غيبتك.

(و منهاجا لا يضلّ نهجه) المنهاج و النهج وزان فلس الطريق الواضح، و نهج الطريق نهجا من باب منع سلكه، و يضلّ من باب الافعال و فى بعض النسخ بصيغه المجرد.

و (الغدران) جمع الغدير و هو النهر و (الأثافي) بفتح الهمزة و تشديد الياء كاثاف جمع الانفيه بالضمّ و بالكسر و هو الحجر يوضع عليه القدر و الأثافي الأحجار الموضع عليها القدر على شكل مثلث و (نضب) الماء نضوبا من باب قعد غار فى الأرض و ينضب بالكسر من باب ضرب لغه.

و (غاض) الماء غيضا من باب سار نضب و قلّ، و غاضه الله بتعدّى و لا يتعدّى فالماء مغيض قال الشارح المعتزلى و روى لا يغيضها بالضمّ على قول من قال أغضت الماء و هى لغه غير مشهوره.

و (الأ-كمه) بالتحريك التلّ، و قيل: شرفه كالزّابيه و هو ما اجتمع من الحجاره فى مكان واحد، و ربّما غلظ و الجمع اكم و اكمام مثل قصبه و قصب و قصبات و جمع الاكم اكام مثل جبل و جبال، و جمع الاكام اكم بضمّتين مثل كتاب و كتب و جمع الاكم أكام مثل عنق و أعناق هكذا قال الفيومى.

و (المحجّه) بالفتح جادّه الطريق و (الفلج) بالضمّ اسم من الفلج و هو الظفر و الفوز و فلج بحجّته أثبتها، و أفلج الله حجّته أظهرها و (وعى) الحديث وعيا من باب وعد حفظه و جمعه و تدبّره.

## الاعراب

قوله: فى انقطاع من مدّتها ظرف لغو متعلّق بقوله أزف و فى بمعنى مع و يحتمل أن يكون ظرفا مستقرا متعلّقا بمقدّر حالا من قياد، و قوله: نورا بدل من الكتاب، وقوله: و منهاجا لا يضلّ نهجهان كان من باب الافعال فنهجه منصوب على

المفعول و الفاعل ضمير مستكن راجع إلى منهاجا، و إن كان بصيغه المجزّد فهو مرفوع على الفاعل و اسناد الفعل اليه من المجاز العقلي أو المصدر بمعنى الفاعل فمجاز لغويّ و الاسناد حينئذ على حقيقته.

## المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لَمّا ذكر في الفصل السّابق فضل الاسلام و شرفه أردفه بهذا الفصل و أشار فيه إلى بعثه من جاء بالاسلام، و شرح حال زمان البعثه تنبيهاً بذلك على عظم ما ترتّب على بعثه صلّى الله عليه و آله و سلّم من الفوائد العظيمة، ثمّ عقّب بذكر أعظم نعمه أنعم الله به على عباده ببعثه و هو تنزيل الكتاب العزيز و ذلك قوله:

(ثمّ إن الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم) بالهدى و دين الحقّ (حين دنا من الدّنيا الانقطاع و أقبل من الاخره الاطلاع) الظاهر أنّ المراد به قرب انقطاع دنيا كلّ امّه و إقبال آخرتهم بحضور موتهم حسبما عرفت تفصيله في شرح قوله: أمّا بعد فإنّ الدّنيا قد أدبرت و آذنت بوداع و أنّ الاخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع، من الخطبه الثامنه و العشرين.

و يحتمل أن يراد به قرب زوالها بالكليه و إشراف الاخره و القيامه الكبرى بناء على أنّ ما مرّ من عمر الدّنيا أكثر ممّا بقى، و يعضده بعض الأخبار.

مثل ما رواه في البحار من البرسى في مشارق الأنوار عن الثمالى عن علىّ ابن الحسين عليهما السّلام قال: إنّ الله خلق محمّدا و عليّا و الطيّبين من ذريّتهما من نور عظمته و أقامهم أشباحا قبل المخلوقات، ثمّ قال الظنّ إنّ الله لم يخلق خلقا سواكم بلى و الله لقد خلق الله ألف ألف آدم و ألف ألف عالم و أنت و الله في آخر تلك العوالم.

و فيه أيضا من جامع الأخبار قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ موسى سأل ربّه عزّ و جلّ أن يعزّفه بدء الدّنيا منذكم خلقت فأوحى الله عزّ و جلّ إلى موسى تسألنى عن غوامض علمى فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدّنيا منذ مائه ألف ألف عام عشر مرات و كانت خرابا خمسين ألف عام، ثمّ بدت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقى

و يعبدون غيرى خمسين ألف عام، ثم امتهم كلهم فى ساعه واحده، ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام، ثم بدت فى عمارتها فمكثت عامه خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها بحرا فمكث البحر خمسين ألف عام لا شىء مجاجا من الدنيا يشرب، ثم خلقت دابته و سلطتها على ذلك البحر فشربه بنفس واحد، ثم خلقت خلقا أصغر من الزنبور و أكبر من البقّ فسَلَطت ذلك الخلق على هذه الدابّه فلدغها و قتلها، فمكثت الدنيا خرابا خمسين ألف عام، ثم بدت فى عمارتها فمكثت خمسين ألف سنه، ثم جعلت الدنيا كلها آجام القصب و خلقت السلاحف و سلطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق منها شىء، ثم أهلكتها فى ساعه واحده فمكثت الدنيا خرابا خمسين ألف عام، ثم بدت فى عمارتها فمكثت عامه خمسين ألف عام، ثم خلقت ثلاثين آدم ثلاثين ألف سنه من آدم إلى آدم ألف سنه، فأفنيتهم كلهم بقضائى و قدرى، ثم خلقت فيها ألف ألف مدينه من الفضه البيضاء، و خلقت فى كل مدينه مائه ألف ألف قصر من الذهب الأحمر، فملئت المدن خردلا عند الهواء يومئذ الذّ من الشهد و أحلى من العسل و أبيض من الثلج، ثم خلقت طيرا أعمى و جعلت طعامه فى كل ألف سنه حبه من الخردل أكلها كلها حتى فنيت، ثم خرّبتها فمكثت خرابا خمسين ألف عام ثم بدت فى عمارتها فمكثت عامه خمسين ألف عام، ثم خلقت أباك آدم بيدي يوم الجمعة وقت الظهر و لم أخلق من الطين غيره، و أخرجت من صلبه النبىّ محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و هذان الخبران كما ترى يعضدان ما ذكرناه من كون الغابر من الدنيا أكثر من الباقى.

لكن العلامه المجلسى «قد» قال فى المجلّد التاسع من البحار بعد ايراد روايه البرسى: لا أعتمد على ما تفرد بنقله، و قال فى المجلّد الرابع عشر بعد روايه الخبر الثانى من جامع الأخبار: هذه من روايات المخالفين أوردها صاحب الجامع فأوردتها و لم أعتمد عليها.

فعلى ذلك لا يمكن التعويل عليهما مع منافاتهما لما رواه المحدثّ الجزائرى



فى الأنوار عن ابن طائوس «ره» أنّ عمر الدّنيا مائة ألف سنة يكون منها عشرون ألف سنة ملك جميع أهل الدّنيا، و يكون ثمانون ألف سنة منها مدّه ملك آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأولى ردّ علم ذلك إلى الله و الرّاسخون فى العلم عليهم السّلام هذا.

و قوله (و أظلمت بهجتها بعد اشراق) أراد به أنّه سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم على حين فتره من الرّسل بعد ما كانت الدّنيا مبتهجة بوجودهم مشرقه مضيئه بأنوار هدايتهم، فأظلمت بهجتها أى ذهب حسنّها و نضارتها بطول زمان الفتره و تمادى مدّه الغفله و الضلاله.

(و قامت بأهلها على ساق) قد مضى تحقيق معنى هذه الجملة فى شرح الخطبه المأه و الثامنه و الثلاثين فليراجع ثمّه و محصّل المراد بلوغها حين بعثته إلى غايه الشدّه بأهلها لما كانت عليه العرب حينئذ من ضيق العيش و الضّر و الحروب و القتل و الغاره و إثاره الفتن و تهيج الشرور و المفاسد كما قال عليه السّلام فى الخطبه السّادسه و العشرين: إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين و أمينا على التنزيل، و أنتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون بين حجاره خشن و حيات صمّ، تشربون الكدر، و تأكلون الجشب، و تسفكون دمائكم و تقطعون أرحامكم آه.

(و خشن منها مهاده) كناية عن عدم الاستقرار بها و فقدان طيب العيش و الرّاحة، لأنّ ذلك إنّما يتمّ بانتظام الشرائع و ثبات قوانين العدل و يرتفع بارفعالها.

(و أرف منها قياده) أى قرب منها اقتياد أهلها و تعريضهم بالهلاك و الفناء، أو انقيادها بنفسها للعدم و الرّوال، و الثانى أظهر بملاحظه الظروف التى بعدها أعنى قوله.

(فى انقطاع من مدّتها) و انخراطها فى سلك العدم.

(و اقتراب من أشراتها) أى آياتها و علاماتها الدّالّه على زوالها، و المراد بها أشراف السّاعه التى اشير إليها فى قوله تعالى «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السّاعه أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» و قوله «إِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسّاعه فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا» و قوله «يَوْمَ تَأْتِي السّماءُ بِدُخانٍ مُّبِينٍ يَغشى النَّاسَ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ».

وَأَمَّا جَعْلُهَا مِنْ أَشْرَاطِ الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لَوُقُوعِهَا فِي الدُّنْيَا مَعَ أَنَّهَا كَمَا تَدَلُّ عَلَى قُرْبِ الْقِيَامَةِ تَدَلُّ عَلَى انْقِطَاعِ الدُّنْيَا وَتَمَامِهَا، فَتَكُونُ أَشْرَاطًا لِهَٰمَا مَعًا، وَمَضَى تَفْصِيلُ هَذِهِ الْأَشْرَاطِ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْمَاءِ وَالتَّاسِعَةِ وَالثَّمَانِينَ.

وَرَوَى فِي الصَّافِي فِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَوَّلُ الْآيَاتِ الدَّخَانُ وَنَزُولُ عَيْسَى وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنِ ابْنِ تَسْوِيقِ النَّاسِ إِلَى الْمَحْشَرِ.

وَفِي الْبَحَارِ مِنْ مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّابَّةُ، وَالدَّجَالُ، وَالدَّخَانُ، وَخَوِيصُهُ أَحَدُكُمْ أَي مَوْتُهُ، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ يَعْنِي الْقِيَامَةَ.

(وَتَصَرَّمَ مِنْ أَهْلِهَا) أَي انْقِطَاعُ مِنْهُمْ (وَانْفِصَامُ مِنْ حَلْقَتِهَا) أَي انْكَسَارُ وَانْدِرَاسُ مِنْ نِظَامِ أَهْلِهَا وَاجْتِمَاعُهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَالدِّينِ (وَانتِشَارُ مِنْ سَبَبِهَا) أَي تَفَرَّقَ مِنْ حَبْلِهَا وَرَبَقَتِهَا الْمَشْدُودَةَ بِهَا رِقَابِ أَهْلِهَا وَهُوَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ.

(وَإِعْفَاءُ مِنْ أَعْلَامِهَا) أَي دُرُوسُ مِنْهَا وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ فَقْدَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَهْتَدِي بِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ وَاسْتِنْضَاءُ بِأَنْوَارِهِمْ فِي بَوَادِي الضَّلَالَةِ.

(وَإِتْكَشُّفُ مِنْ عَوْرَاتِهَا) أَي ظُهُورُ مِنْ مَعَايِبِهَا وَمَسَاوِيهَا الَّتِي كَانَتْ مُسْتَوْرَةً بِحِجَابِ الشَّرَائِعِ وَاسْتَارِ الْإِسْلَامِ.

(وَإِقْصَرُ مِنْ طَوْلِهَا) أَي مِنْ تَمَادِيهَا وَامْتِدَادِهَا أَوِ الْمَرَادُ قِصْرُ عَمْرِهَا عَلَى رَوَايَةِ طَوْلِ بَكْسَرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ.

وَإِعْدِيدُ هَذِهِ الْحَالَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا النَّاسُ حِينَ بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَرَحَهَا وَبَسَطَهَا تَذْكِيرًا لِلْمُخَاطَبِينَ بِأَنَّ بَعَثَهُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَاتِ أَعْظَمُ مِنْ مَنْ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، لِيُؤَدَّ السَّامِعُونَ بِتَذْكَرِهِ وَذِكْرِهِ وَظَايِفِ شُكْرِ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْعَظْمَى، وَيُقِيمُوا بِمِرَاسِمِ حَمْدِهِ حَيْثُ أَنْقَذَهُمْ بِبَعَثِهِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ وَرَطَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَأَنْجَاهُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالْوَبَالِ.

(جَعَلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ) أَي تَبْلِيغًا لَهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ» أَي إِلَّا أَدَاءَ الرِّسَالَةِ وَبَيَانَ الشَّرِيعَةِ أَوْ كِفَايَةَ لَهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ

تعالى فى وصف القرآن «هذا بلاغٌ للناسِ ولِيُنذِرُوا بِهِ» أى موعظه بالغه كافيه، و على المعنيين فلا بد من جعل المصدر بمعنى الفاعل أى جعله عزّ و جلّ مبلّغا للرساله أو كافيا لها أى غير محتاج معه إلى رسول آخر، و لذلك كان صلّى الله عليه و آله خاتم النبوه.

(و كرامه لامته) أى أكرمهم عزّ و جلّ بجعله رسولا لهم و جعلهم امّه له صلّى الله عليه و آله و فضّلهم بذلك على ساير الامم.

(و ربعا لأهل زمانه) تشبيهه بالزبيح إمّا من أجل ابتهاجهم بهجه جماله و بديع مثاله كما يبتهج الناس بالزبيح و نصراته و طراوته، أو من أجل أنّ أهل زمانه قد خرجوا بوجوده الشريف من ضنك المعيشه إلى الرخا و السعه، كما أنّ الناس يخرجون فى الزبيح من جذب الشتاء و ضيق عيشها إلى الدعه و الرفاهه.

(و رفعه لأعوانه و شرفا لأنصاره) يحتمل رجوع الضميرين الى الله كما فى الفقره الاولى و إلى محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم كما فى الفقرتين الأخيرتين، و على أىّ تقدير فالمراد بالأعوان و الأنصار المسلمون إمّا كونهم أنصارا له صلّى الله عليه و آله و سلّم فواضح، و أمّا جعلهم أنصارا و عوننا لله عزّ و جلّ على الاحتمال الأول فلكونهم أنصار دين الله و أعوان رسوله، أضافهما إليه تعالى تشريفا و تكريما.

و كيف كان فقد شرف الله تعالى المسلمين و رفع شأنهم فى الدّنيا و الاخره بمتابعتهم لرسوله و معاونتهم له و سلّطهم على محادّيه و جاحديه لعنهم الله تعالى و عدّ بهم عذابا أليما، هذا.

و لما ذكر بعثه النبى صلّى الله عليه و آله و أشار إلى بعض فوايد بعثه أردفه بذكر أعظم معجزات النبوه و هو الكتاب العزيز، و أشار إلى جملة من أوصافه و مزاياه تنبئها على علوّ قدره و عزّه شأنه فقال:

(ثمّ أنزل عليه الكتاب) و عدّ به اثنين و أربعين منقبه.

أولها كونه (نورا لا تطفى مصابيحها) أمّا أنّه نور فلاهتداء الناس به من ظلمات الجهل كما يهتدى بالنور المحسوس فى ظلمه الليل قال تعالى «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» و أمّا مصابيحها فاستعاره لطرق الاهتداء و فنون العلوم الّتى تضمّنها القرآن.

(و) الثانيه كونه (سراجا لا يخبو توقده) أمّا أنه سراجا فلما مرّ آنفا، و أمّا، أنه لا يخبو توقده فالمراد به عدم انقطاع اهتداء الناس به و استضاءتهم بنوره.

(و) الثالثه كونه (بحرا لا يدرك قعره) استعاره البحر له باعتبار اشتماله على النكات البديعه و الأسرار الخفيّه و دقائق العلوم التي لا يدركها بعد الهمم و لا ينالها غوص الفطن كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق.

(و) الرابعه كونه (منهاجا لا يضلّ نهجه) أى طريقا واضحا مستقيما إلى الحقّ لا يضلّ سالكه أو لا يضلّ سلوكه.

(و) الخامسه كونه (شعاعا لا يظلم ضوءه) أى حقّا لا يدانيه شكّ و ريب أى لا يشوبه ظلمه الباطل فيغطيه و يستره كما قال تعالى «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» و قال «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ».

قال الطبرسى: قيل: إنّ الباطل الشيطان و معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقّا أو يزيد فيه باطلا، و قيل: لا يأتيه الباطل من جهه من الجهات فلا تناقض فى ألفاظه.

و لا كذب فى اخباره و لا يعارض و لا يزداد فيه و لا يغيّر بل هو محفوظ حجه على المكلفين إلى يوم القيامة، و يؤيّده قوله تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

(و) السادسه كونه (فرقانا لا- يخمد برهانه) أى فارقا بين الحقّ و الباطل و فاصلا بينهما لا ينتفى براهينه الجليه و بيناته التي بها يفرق بينهما كما قال تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ» و قال «هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ».

(و) السابعه كونه (بينا لا- تهدم أركانه) شبهه ببيان مرصوص و ثيق الأركان فاستعار له لفظه و الجامع انتظام الاجزاء و اتصال بعضها ببعض، و قوله: لا تهدم أركانه، ترشيح للاستعاره، و فيه إشاره إلى أنّ البينان الوثيق كما أنّه مأمون من التّهافت و الهدم و الانفراج فكذلك الكتاب العزيز محفوظ من طرق النقص و الخلل و الاندراس.

(و) الثامنه كونه (شفاء لا تخشى أسقامه) يعنى أنّه شفاء للأبدان و الأرواح.

أمّا الأبدان فبال تجربه و العيان مضافا إلى الأحاديث الواردة فى خواصّ أكثر الايات المفيده للاستشفاء و التعويذ بها.

مثل ما فى الكافى باسناده عن السكونى عن أبى عبد الله عن آباءه عليهم السلام قال:

شكى رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعا فى صدره فقال: استشف بالقرآن فإن الله عزّ وجلّ يقول: «وَ شِفَاءٌ لِّمَا  
فِي الصُّدُورِ».

و عن سلمه بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من لم يبرءه الحمد لم يبرءه شىء.

و عن إبراهيم مهزم عن رجل سمع أبا الحسن عليه السلام يقول: من قرء آيه الكرسي عند منامه لم يخف الفالج انشاء الله، و من  
قرءها فى دبر كلّ فريضة لم يضربه ذو حمة.

و فى مجمع البيان من كتاب العياشى باسناده أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر بن عبد الله الأنصارى: ألا اعلمك  
أفضل سورة أنزلها الله فى كتابه؟ قال: فقال له جابر:

بلى بأبى أنت و أمى يا رسول الله علّمنيها، قال: فعلمه الحمد أمّ الكتاب، ثم قال:

يا جابر ألا اخبرك عنها؟ قال: بلى بأبى أنت و أمى فأخبرنى، فقال: هى شفاء من كلّ داء إلا السام، و السام الموت، إلى غير هذه  
مما لا حاجة إلى ايرادها.

و أمّا الأرواح فلاّنه بما تضمّنه من فنون العلوم شفاء لأمراض الجهل.

فقد ظهر بذلك كونه شفاء للأبدان من الأوجاع و الأسقام، و شفاء للقلوب من كلّ شك و ريب و شبهه، و يصدق ذلك قوله  
تعالى فى سورة السجده «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ» و فى سورة بنى اسرائيل «وَ نُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا».

قال أمين الاسلام الطبرسى وجه الشفاء فيه من وجوه:

منها ما فيه من البيان الذى يزيل عمى الجهل و حيره الشكّ.

و منها ما فيه من النظم و التأليف و الفصاحة البالغه حدّ الاعجاز الذى يدلّ على صدق النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو من  
هذه الجهة شفاء من الجهل و الشكّ و العمى فى الدين و يكون شفاء للقلوب.

و منها أنّه يتبرّك به و بقرآته و يستعان به على دفع العلل و الأسقام و يدفع الله به كثيرا من المكاره و المضارّ على ما يقتضيه  
الحكمه.

و منها ما فيه من أدله التوحيد و العدل و بيان الشرائع فهو شفاء للناس فى دنياهم

و آخرتهم، و رحمه للمؤمنين أى نعمه لهم، و إنما خصّهم بذلك لأنهم المنتفعون به، انتهى.

فقد تحصّل من ذلك أنّه شفاء لا يخاف أن يعقب سقما، لأنّ الكمالات النفسانيه الحاصله من قراءته و تفكّره و تدبّر آياته تصير ملكات راسخه لا تتبدّل بأضدادها و لا تتغيّر.

(و) التاسعه كونه (عزا لا تهزم أنصاره) أى لا تغلب و لا تقهر.

(و) العاشره كونه (حقّا لا تخذل أعوانه) و المراد بأعوانه و أنصاره هم المسلمون العارفون بحقّه العاملون بأحكامه و عدم هزمهم و خذلانهم نصّ قوله تعالى «لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا».

قال فى مجمع البيان فيه أقوال:

أحدها أنّ المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا و لا ظهورا.

وقيل: لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا- بالحجّه و إن جاز أن يغلبوهم بالقوّه، لكن المؤمنين منصورون بالدلاله و الحجّه.

وقيل: لن يجعل لهم فى الاخره عليهم سبيلا لأنّه مذكور عقيب قوله «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» بين الله سبحانه أنّه إن يثبت لهم سبيل على المؤمنين فى الدّنيا بالقتل و القهر و النهب و الاسر و غير ذلك من وجوه الغلبه فلن يجعل لهم يوم القيامه عليهم سبيلا.

و الحاديه عشر ما أشار إليه بقوله (فهو معدن الايمان و بحبوحته).

أمّا أنّه معدن الايمان، فلأنّ المعدن عباره عن منبت الجواهر من ذهب و فضّه و نحوهما، و لما كان الايمان بالله و رسوله جوهرًا نفيسا لا جوهر أنفس منه و لا أعلى عند ذوى العقول، و كان يستفاد من القرآن و يستخرج منه جعله معدنا له.

و أمّا أنّه بحبوحته و وسطه فلأنّ الايمان بجميع أجزائه و شرايطه و مراسمه يدور عليه، فهو بمنزله القطب و المركز لدائرته الايمان كما هو ظاهر.

(و) الثانيه عشر أنّه (ينابيع العلم و بحوره)

أما أنه ينابيع العلم فلا تَنّ العلوم بجميع أقسامه منه تفيض كالعيون الجارية منها الماء.

و أما أنه بحوره فلاحتوائه بفنون العلم كاحتواء البحر بمعظم الماء (و) الثالثه عشر أنه (رياض العدل و غدرانه).

أما كونه رياض العدل فلا تَنّ الرياض عباره عن مجامع النَّبات و الزَّهر و الرِّياحين التي تبتهج النفوس بخضرتها و نضرتها، و تستلذّ الطباع بحسنها و بهجتها كما قال تعالى «حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ» فشبهه التكاليف الشرعيه المجموعه عن وجه العدل و الحكمه بالزَّهر و النبات الحسن لا يجابها لده الأبد و جعل الكتاب العزيز رياضاً لها لاجتماعها فيه و استنباطها منه.

و أما كونه غدران العدل فلا تَنّ الغدير عباره عن مجمع الماء فشبهه الأحكام العديّه بالماء لما فيها من حياه الأرواح كما أنّ بالماء حياه الأبدان و جعله غديراً لجامعيته لها.

(و) الرابعه عشر أنه (أثافي الاسلام و بنيانه) لما قد عرفت من أنّ الأثافي عباره عن الأحجار التي عليها القدر، فجعله أثافي للاسلام لاستقراره و ثباته عليه مثل استقرار القدر على الأثافي.

و بهذا الاعتبار أيضا جعل الصلاه و الزَّكاه و الولايه أثافيه في حديث البحار من الكافي عن الصادق عليه السلام قال: أثافي الاسلام ثلاثه: الصلاه، و الزَّكاه، و الولايه لا تصحّ واحده منهنّ إلا بصاحبها.

قال العلامة المجلسي: و إنّما اقتصر عليها لأنها أهمّ الأجزاء و يدلّ على اشتراط قبول كلّ منها بالآخرين، و لا ريب في كون الولايه شرطاً لصحّه الآخرين.

(و) الخامسه عشر أنه (أوديه الحقّ و غيطانه) يعنى أنّ طالب الحقّ إنّما يجده في هذه الأوديه و الأراضى المطمئنه قال الشارح البحراني: و اللفظان مستعاران باعتبار كونه معدنا للحقّ و مظنه له، كما أنّ الأوديه و الغيطان مظانّ الكلاء و الماء.

(و) السادسه عشر أنه (بحر لا ينزفه المستنزفون) أى لا ينزحه كلّه و لا يفنيه

المستقون، و هو إشاره إلى عدم انتهاء العلوم المستفاده منه، فإنّ فيه علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة حسبما عرفت في شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى.

(و) السابعه عشر أنّه (عيون لا ينضبها الماتحون) أي لا يغيرها المستقون.

(و) الثامنه عشر أنّه (مناهل لا يغيضها الواردون) أي مشارب لا ينقص مائها الواردون على كثره ورودهم عليها.

(و) التاسعه عشر أنّه (منازل لا يضلّ نهجها المسافرون) يعني أنّه منازل السالكين إلى الله لا يضلّ مسافروه منهاج تلك المنازل لكونه واضحا جليّا و جادّه مستقيمه (و) العشرون أنّه (أعلام لا يعمى عنها السائرون) لاستنارتها و اضاءتها.

(و) الحاديه و العشرون أنّه (آكام لا يجوز عنها القاصدون) قال الشّارح البحراني: استعار لفظ الاعلام و الاكام للأدله و الامارات فيه على طريق إلى معرفته و احكامه باعتبار كونها هاديه إليها كما تهدي الأعلام و الجبال على الطّرق.

و الثانيه و العشرون أنّه (جعله الله تعالى ريًا لعطش العلماء) شبّه شدّه اشتياق نفوس العلماء و حرصهم على المعارف الحقّه الالهيه بعطش العطاش، و حيث إنّ الكتاب العزيز كان رافعا لغللهم جعله مرويًا لهم كما يروى الماء الغليل.

(و) الثالثه و العشرون أنّه جعله سبحانه (ربيعا لقلوب الفقهاء) لابتهاج قلوبهم به و استلذاذهم منه كما يبتهج الناس بالربيع.

(و) الرابعه و العشرون أنّه جعله (محاجّ لطرق الصلحاء) أي جواد واضحه مستقيمه لا عوج فيها و لا خفاء، لأنّه يهدي للتي هي أقوم.

(و) الخامسه و العشرون أنّه جعله (دواء ليس معه داء) حسبما عرفته في شرح قوله: و شفاء لا تخشى أسقامه.

(و) السادسه و العشرون أنّه جعله (نورا ليس معه ظلمه) أي حقّا لا يشوبه باطل حسبما عرفته في شرح قوله، و شعاعا لا يظلم نوره.



و فى الكافى باسناده عن أبى جميله قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: كان فى وصّيه أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه: إنّ هذا القرآن هدىّ النهار و نور اللّيل المظلم على ما كان من جهد و فاقه.

و فيه عن طلحه بن زيد عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره فإنّ التّفكّر حياه قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظّلمات بالنور.

(و) السابعة و العشرون أنّه جعله (حبلا و ثقيا عروته) لا يخشى من انفصامه من تمسك به و اتّبع بأحكامه نجا و من تركه هلك.

(و) الثامنة و العشرون أنّه جعله (معقلا- منيعا ذرّواته) أى ملجأ و حصنا حصينا يمنع الملتجى إليه من أن يناله المكروه و سوء العذاب.

(و) التاسعة و العشرون أنّه جعله (عزّا لمن تولّاه) يعنى من اتّخذة ولّيا و ألّقى إليه أزمّه اموره و عمل بأوامره و نواهيه فهو عزّه له فى الدارين.

(و) الثلاثون أنّه جعله عزّ و جلّ (سلما لمن دخله) قال الشارح البحرانى أى أمنا، و دخوله الخوض فى تدبّر مقاصده و اقتباسها و بذلك الاعتبار يكون مأمنا من عذاب الله و من الوقوع فى الشبهات التى هى مهاوى الهلاك، و قيل: استعار لفظ السّلم باعتبار عدم اذاه لمن دخله فهو كالمسالمة له.

(و) الحادية و الثلاثون أنّه جعله (هدى لمن اتّتم به) و هو واضح كما قال تعالى «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ».

(و) الثانية و الثلاثون أنّه جعله (عذرا لمن انتحلّه) و لعلّ المراد كونه عذرا منجيا من العذاب يوم القيامة لمن دان به و جعله نحلته و قيل: إنّ المراد أنّ من انتسب اليه بأن جعل نفسه من أهل القرآن و افتخر بذلك كان القرآن نفسه عذرا له، لعلوّ شأنه، و ما ذكرناه أقرب.

(و) الثالثة و الثلاثون أنّه جعله (برهانا لمن تكلم به) أى حجّه واضحة و بيانا جليا لمن احتجّ به.

(و) الرابعه و الثلاثون أنه جعله (شاهدا لمن خاصم به) أى دليلا محكما للمستدل.

(و) الخامسه و الثلاثون أنه جعله (فلجأ لمن حاج به) أى ظفرا و فوزا للمخاصم يعنى أن من خاصم و احتجّ به فاز بمقصده و غلب خصمه.

روى فى البحار من كنز الفوائد باسناده عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يا معشر الشّيعه خاصموا بسوره إنّا أنزلناه فى ليله القدر تفلجوا، فو الله إنّها لحجّه الله تبارك و تعالى على الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و إنّها لسيدّه دينكم و إنّها لغايه علمنا، يا معشر الشّيعه خاصموا بحم و الكتاب المبين فأنّها لولاه الأمر خاصه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

(و) السادسه و الثلاثون أنه جعله (حاملا- لمن حملة) يعنى أن من حمل القرآن و حفظه و عمل به و اتّبع أحكامه حملة القرآن إلى دار القدس و غرفات الجنان.

روى فى الكافى باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله:

يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا الله عزّ و جلّ فيما حملكم من كتابه فانى مسؤل و انكم مسؤلون، إنى مسؤل عن تبليغ الرّساله، و أما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله و ستّى.

و فيه عن السكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: حملة القرآن عرفاء أهل الجنّه و المجتهدون قرّاد أهل الجنّه و الرّسل سادات أهل الجنّه.

و عن عمرو بن جميع عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

إنّ أحقّ النّاس بالتخشّع فى السّرّ و العلانيه لحامل القرآن، و إنّ أحقّ النّاس فى السّرّ و العلانيه بالصلاه و الصّوم لحامل القرآن، ثمّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله و لا تعزّز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به و لا- تزين به للنّاس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنّما ادرجت النّبوه بين جنبيه و لكنّه لا- يوحى إليه، و من جمع القرآن فنوله لا يجهل مع من يجهل عليه و لا يغضب فيمن يغضب عليه و لا يحدّ فيمن

يحدّ عليه و لكنّه يعفو و يصفح و يغفر و يحلم لتعظيم القرآن، و من اوتى القرآن فظنّ أنّ أحدا من الناس اوتى أفضل ممّا اوتى فقد عظّم ما حقرّ الله، و حقرّ ما عظّم الله.

(و) السابعة و الثلاثون أنّه جعله (مطيّه لمن أعمله) أى مركبا سريع السّير يبلغ بمن أعمله إلى منزله و مقصده، و هو حظاير القدس و مجالس الانس، و المراد باعماله هو حفظه و المواظبه عليه و عدم الغفله عنه.

روى فى الكافى باسناده عن ابن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

إنّ الرّجل إذا كان يعلم السّوره ثمّ نسيها و تركها و دخل الجنّه أشرفت عليه من فوق فى أحسن صورته فتقول: تعرفنى؟ فيقول: لا، فتقول: أنا سوره كذا و كذا لم تعمل بى و تركتنى أما و الله لو عملت بى لبلغت بك هذه الدرجه، و أشارت بيدها إلى فوقها.

و عن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: إنّ علىّ دينا كثيرا و قد دخلنى شىء ما كاد القرآن يتفلّت منى، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: القرآن القرآن إنّ الايه من القرآن و السّوره لتجىء يوم القيامة حتّى تصعد ألف درجه يعنى فى الجنّه، فتقول: لو حفظتنى لبلغت بك ههنا.

و عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: من نسى سوره من القرآن مثّلت له فى صورته حسنه و درجه رفيعه فى الجنّه، فاذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لى، فيقول: أما تعرفنى أنا سوره كذا و كذا و لو لم تنسى لرفعتك إلى هذا.

(و) الثامنه و الثلاثون أنّه جعله (آيه لمن توسّم) أى دلالة للمتفكر المعبر و علامه يستدلّ بها المتفرّس، و أصل التوسّم هو النظر فى السمه أى العلامه الداله قال تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» أى دلالات للمتفكرين المعبرين.

قال فى مجمع البيان: و قد صحّ عن النّبى صلّى الله عليه و آله أنّه قال: اتّقوا فراسه المؤمن و أنّه ينظر بنور الله، و قال: إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسّم ثمّ قرء هذه الايه.

(و) التاسعه و الثلاثون أنّه جعله (جنّه لمن استلام) أى وقايه و سلاحا لطالب

الدَّرْعِ وَالسَّلَاحِ، وَ الْمَرَادُ كَوْنَهُ وَقَايَهُ لِقَارِئِهِ مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَا الْآخِرَةُ فَوَاضِحَةٌ، لِأَنَّهُ يُوجِبُ النِّجَاحَ مِنَ النَّارِ وَالْخَلَاصَ مِنَ غَضَبِ الْجِبَارِ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَأَمَّا الدُّنْيَا فَيَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ وَقَايَهُ مِنْ مَكَارِهَا صَرِيحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.

قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: قَالَ الْكَلْبِيُّ: وَ هُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَ النَّضْرُ بْنُ الْحَرِثِ وَ أَبُو جَهْلٍ وَ أُمُّ جَمِيلٍ أَمْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ، حَجَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَ كَانُوا يَأْتُونَهُ وَ يَمْرُونَ بِهِ وَ لَا يَرُونَهُ.

وَ فِي الصَّافِيٍّ مِنْ قَرَبِ الْإِسْنَادِ عَنِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّ جَمِيلٍ أَمْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ أَتَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حِينَ نَزَلَتْ سُورَةُ تَبَّتْ وَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَبُو بَكْرٌ بْنُ أَبِي قَحْفَاهُ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ جَمِيلٍ مَنخَفُضَةٌ أَوْ مَغْضُوبَةٌ تَرِيدُكَ وَ مَعَهَا حَجَرٌ تَرِيدُ أَنْ تَرْمِيَكَ بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: إِنَّهَا لَا تَرَانِي، فَقَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبِكَ؟ قَالَ: حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ: لَقَدْ جِئْتَهُ وَ لَوْ أَرَاهُ لَرَمَيْتَهُ فَأَنَّهُ هَجَانِي وَ اللَّاتُ وَ الْعَزَى إِنِّي لَشَاعِرَةٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: لَا، ضَرَبَ اللَّهُ بَيْنِي وَ بَيْنَهَا حِجَابًا مَسْتُورًا.

وَ أَمَا سَائِرُ النَّاسِ فَيَشْهَدُ بِكَوْنِهِ جَنَّةَ لَهُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ.

مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نَبَاتَةَ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ وَ أَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ مِنْ حَرْزٍ أَوْ غُرْقٍ أَوْ سَرَقٍ أَوْ إِفْلَاتٍ دَابَهُ مِنْ صَاحِبِهَا أَوْ آبَقٍ إِلَّا وَ هُوَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَمَّا يُؤْمِنُ مِنَ الْحَرَقِ وَ الْغُرْقِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ «اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»...

«وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» - إِلَى قَوْلِهِ «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» فَمَنْ قَرَأَهَا فَقَدْ أَمِنَ مِنَ الْحَرَقِ وَ الْغُرْقِ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَجُلٌ وَ اضْطَرَمَّتِ النَّارُ فِي بَيْوتِ جِيرَانِهِ وَ بَيْتِهِ فَلَمْ يَصِبْهُ شَيْءٌ.

ثم قام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت عليّ و أنا منها على وجل فقال: اقرأ في أذنها اليمنى «وَلَهُ أَشْيَلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» فقرأها فذلت له دابته.

وقام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن أرضي أرض مسبعة إن السباع تغشى منزلي ولا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: اقرأ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» فقرأهما الرجل فاجتنبته السباع.

ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن في بطني ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم ولا دينار ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيره في بطنك فتبرء باذن الله عزّ وجلّ، ففعل الرجل فبرء باذن الله.

ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضّالّه فقال عليه السّلام اقرأ يس في ركعتين و قل: يا هادي الضّالّه ردّ عليّ ضالّتي ففعل فردّ الله عليه ضالّته.

ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الابق فقال عليه السّلام: اقرأ «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» - إلى قوله - «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» فقالها الرجل فرجع إليه الابق.

ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن السّرق فأنه لا يزال قد يسرق لى الشىء بعد الشىء ليلا، فقال له: اقرأ إذا آويت إلى فراشك «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» - إلى قوله - «وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا» ثم قال أمير المؤمنين عليه السّلام: من بات بأرض فقر فقرا هذه الايه «إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» - إلى قوله - «تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» حرسه الملائكه و تباعدت عنه الشّياطين.

قال: فمضى الرجل فاذا هو بقريه خراب فبات فيها و لم يقرأ هذه الايه فغشاه الشّياطين و إذا هو آخذ بخرطمه فقال له صاحبه: انظره، و استيقظ الرجل فقرا الايه فقال الشيطان لصاحبه: ارغم الله أنفك احرسه الان حتى يصبح.

فلما أصبح رجع الى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال له رأيت في كلامك الشفاء و الصدق و مضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشياطين مجتمعاً في الأرض.

(و) الاربعون أنه جعله (علما لمن وعى) أى علما كاملا بالمبدأ و المعاد لمن حفظه و عقله و جعله فى وعاء قلبه قال الطريحي: و فى الحديث لا يعذب الله قلبا وعى القرآن، أى عقل القرآن ايمانا منه و عملا، فأما من حفظ ألفاظه و ضيّع حدوده فهو غير واع له، و فيه: خير القلوب أوعاها، أى أحفظها للعلم و أجمعها له.

(و) الحادية و الاربعون أنه جعله (حديثا لمن روى) قال أمين الاسلام الطبرسى فى تفسير قوله تعالى «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» يعنى القرآن، و إنما سمّاه الله حديثا لأنه كلام الله و الكلام سمى حديثا كما سمى كلام النبى حديثا، لأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزله على الأنبياء، و هو أحسن الحديث لفرط فصاحته و لاعجازه و لاشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدله التوحيد و العدل و بيان أحكام الشرائع و غير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء و الترغيب و الترهيب، كتابا متشابها يشبه بعضه بعضا و يصدق بعضه بعضا ليس فيه اختلاف و تناقض، و قيل: إنه يشبه كتب الله المتقدّمه و ان كان أعم و أجمع و أنفع.

(و) الثانية و الاربعون أنه جعله (حكما لمن قضى) يعنى من يقضى بين الناس، فالقرآن حكم له لا حكم له غيره لأنه الحكم الحقّ و غيره باطل كما قال تعالى «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و فى آيه اخرى «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» و فى ثالثة «فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ».

قيل فى توجيهه: إنّ الحاكم بغير ما أنزل الله إن كان لا مع الاعتقاد فهو إما ظالم أو فاسق، و ان حكم بذلك مع اعتقاد أنه غير ما أنزل الله فهو كافر، هذا.

و قد تقدّم فى شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى و غيره فصل واف فى فضل الكتاب العزيز و ما يتعلّق به فليراجع هناك، و نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من العارفين بفضله، و العاملين بأحكامه، و الواعين لعلمه، و الزاوين لحديثه، و القاضين

## الترجمہ

فصل سیم و چہارم از این خطبہ در بیان بعثت حضرت رسالتاب صلوات اللہ و سلامہ علیہ و آلہ و اشارہ بر فواید بعثت است و ذکر نزول کتاب کریم و اشارہ بر مناقب آن می فرماید:

پس بدرستی کہ خداوند تعالی مبعوث فرمود محمّد بن عبد اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ را با حقّ ہنگامی کہ نزدیک شدہ از دنیای فانی بریدہ شدن آن، و اقبال کردہ بود از آخرت مشرف بودن آن، و ظلمانی شدہ بود شکفتگی دنیا بعد از روشنائی آن، و بر پا ایستادہ بود بأہل خود بغایت شدّت، و ناهموار شدہ بود از آن بساط آن، و نزدیک شدہ بود از آن انقیاد آن بزوال در انقطاع مدّت آن، و نزدیکی علامتہای فناي آن، و بریدہ شدن اہل آن، و گسیختہ شدن حلقہٴ آن، و تفرّق ریسمان آن، و اندراس علمہای آن، و انکشاف قبایح آن، و کوتاہی درازی آن.

گردانید او را حق تعالی کفایت کنندہ از برای رسالت خود، و کرامت از برای امت او، و بہار از برای اہل زمان او، و سر بلندی بجهت اعوان او، و شرف مر یاران او را.

پس نازل فرمود بر آن بزرگوار کتاب عزیز خود را نوری کہ خاموش نمی باشد چراغہای آن، و چراغی کہ نابود نمی گردد اشتعال آن، و دریائی کہ درک نمی شود تہ آن، و جادۂ واضحی کہ ضلالت نمی افتد سالک آن، و شعائی کہ تاریک نمی باشد روشنائی آن، و فرقانی کہ خاموش نمی شود برہان و دلیل آن، و بنیادی کہ خراب نمی شود رکنہای آن، و شفائی کہ ترسیدہ نمی شود مرض ہای آن، و عزیزی کہ مغلوب نمی باشد ناصران آن، و حقی کہ خوار نمی باشد یاران آن.

پس آن کتاب معدن ایمان و وسط او است، و چشمہای علم و دریاہای او است و باغہای عدالت و گودالہای آب او است، و پایہای اسلام و بنیان او است، و بیابانہای

حق و گودیه‌های او است، و دریائیت که نمی‌تواند بکشد آب آن را آب کشندگان و چشمه‌ایست که تمام نمی‌کند آب آنرا آب بردارندگان، و سرچشمه‌هایی است که ناقص نمی‌نماید آن را واردان، و منزل‌هایست که گم نمی‌کند راه آن را مسافران، و علامته‌ایست که نایباً نمی‌شود از آنها سیر کنندگان، و تله‌ایست که تجاوز نمی‌نماید از آنها قاصدان.

گردانید خداوند آن را سیرابی از برای تشنگی عالمیان، و بهار از برای قلبهای فقیهان، و راههای روشن از برای طرق صالحان، و دوائی که نیست بعد از آن دردی، و نوری که نیست با وجود آن ظلمتی، و ریسمانی که محکم است جای دستگیر آن، و پناهگاهی که مانع است بلندی آن، و عزیزی از برای کسی که آنرا بجهت خود دوست اخذ نموده باشد، و امن امان از برای کسی که داخل آن شود و هدایت از برای کسی که اقتدا نماید بان، و عذر از برای کسی که نسبت آنرا بخود بدهد، و برهان واضح بجهت کسی که با آن تکلم نماید، و شاهد صادق بجهت کسی که مخاصمه نماید با آن، و غلبه و ظفر برای کسی که احتجاج کند با آن، و بردارنده مر حاملان خود را، و مرکب از برای کسی که اعمال نماید آنرا، و علامت از برای کسی که تفکر نماید، و زره از برای کسی که طالب سلاح باشد، و علم کامل کسیرا که حفظ کند آنرا، و حدیث صحیح کسی را که روایت نماید، و حکم بحق از برای کسی که حکم نماید.

**و من کلام له علیه السلام و هو الماء و الثامن**

**اشاره**

و التسعون من المختار فی باب الخطب

و هو مروی فی الکافی بیسط و اختلاف کثیر تطلع علیه بعد الفراغ من شرح ما آورده السید (ره) هنا

ص: ۳۱۷



تعاهدوا أمر الصّلاه و حافظوا عليها، و استكثروا منها، و تقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حيث سئلوا ما سلّكم في سقر، قالوا لم نك من المصلّين و أنّها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق، و تطلقها إطلاق الرّبّق، و شبّهها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحّمّه تكون على باب الرّجل، فهو يغتسل منها في اليوم و اللّيله خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن، و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينه متاع، و لا قرّه عين من ولد و لا- مال، يقول الله سبحانه: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نصبا بالصّلاه بعد التّبشير له بالجنّه، لقول الله سبحانه «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» فكان يأمر أهله و يصبر عليها نفسه. ثمّ إنّ الزّكاه جعلت مع الصّلاه قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطى طيب النفس بها فإنّها تجعل له كفّاره، و من النار حجازاً و وقايه، فلا يتبعنها أحد نفسه، و لا يكثرنّ عليها لهفه، فإنّ من أعطى غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها، فهو جاهل بالسّنّه، مغبون الاجر، ضالّ العمل، طويل النّدم.

ثم أداء الامانه فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عرضت على السماوات المبيتة، و الارضين المدحوة، و الجبال ذات الطول المنصوبه فلا- أطول، و لا- أعرض، و لا- أعلى، و لا- أعظم منها، و لو امتنع شيء بطول، أو عرض، أو قوه، أو عز، لامتنع و لكن أشفقن من العقوبه، و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن، و هو الانسان إنه كان ظلوما جهولا. إن الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم و نهارهم، لطف به خيرا، و أحاط به علما، أعضائكم شهوده، و جوارحكم جنوده، و ضمائركم عيونهم، و خلواتكم عيانه.

## اللغة

(تعاهدوا أمر الصيلاه) و روى تعهدوا بدله يقال تعهدت الشيء و تعاهدته ترددت إليه و تفقدته و أصلحته، و حقيقته تجديد العهد به، و فى الدعاء عند الحجر الأسود:

ميثاقى تعهدته لتشهد لى بالموافاه يوم القيامه، و فى روايه العلل عن أبى عبد الله عليه السلام تعاهدته بدله، أى جدت العهد به، قال الفيومى: قال الفارابى: تعهدته أفصح من تعاهدته، و قال ابن فارس و لا يقال تعاهدته، لأنّ التعاهد لا يكون إلا من اثنين و يردّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام على روايه السيد، و دعاء الحجر على روايه العلل و ما فى الحديث من قوله: تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم.

و (حتّ) الرّجل الورق من الشجر حتا من باب مدّ أسقطه و أزاله، و تحاتت

الشجره تساقط ورقها و (الرّيق) وزان عنب جمع ربق بالكسر وزان حمل جبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهم، و كلّ عروه ربقه و (الحمه) بفتح الحاء المهمله كلّ عين فيها ماء حارّ ينبع يستشفى بها الأعداء، و فى بعض النسخ بالجيم و هى البئر الكثيره الماء و (الدّرّن) محرّكه الوسخ.

و (اقام الصّلاه) أصله إقوام مصدر أقوم مثل أكثر أكرم إكراما، و التّاء فى إقامه عوض من العين السّاقط بالاعلال، فلما اضيفت اقيمت الاضافه مقام حرف التّعويض و (نصب) نصبا كتعب وزنا و معنى فهو نصب.

و (يصبر عليها نفسه) بالثقل أى يأمرها بالصّبر من صبرته أى حملته على الصّبر بوعد الأجر، و قلت له: اصبر و يروى بالتخفيف أى يحبس عليها نفسه و (القربان) كفرقان اسم لما يتقرّب به إلى الله من أعمال البرّ.

و قوله (فلا- يتبعنها) بنون التوكيد مثقله من اتبعت فلانا لحقته قال تعالى «فَأَتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» أى لحقهم و (العيان) بالكسر المعايينه يقال لقاها عيانا أى معايينه لم يشكّ فى رؤيته إياه.

## الاعراب

قوله: على المؤمنين، متعلّق بقوله: موقوتا قوله: فما عسى أن يبقى عليه من الدّرّن، كلمه ما نافية و عسى تامّه بمعنى كاد، و أن يبقى عليه، فى موضع رفع بأنّه فاعل عسى كما فى قوله تعالى «عسى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا» و فاعل يبقى محذوف و من الدّرّن بيان للفاعل المحذوف أى يبقى عليه شيء من الدّرّن.

و قوله تعالى: رجال، فاعل يسبح المذكور قبل ذلك، قال سبحانه «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ» و على قراءه يسبح مبنيًا للمفعول فالجار و المجرور أعنى له نايب عن الفاعل و رجال مرفوع بفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور كأنّه بعد ما قيل يسبح له سئل عن المسبح فقول: رجال، أى يسبح له

رجال على حدّ قول الشّاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومه و مختبط ممّا تطيح الطوايح

أى يبكيه ضارع، و قوله: طيب النَّفس، منصوب على الحال من فاعل أعطى، و قوله: غير طيب النَّفس، و جملة يرجو بها منصوبان لفظاً و محلاً- أيضاً على الحال و قوله: لا يخفى عليه ما العباد مقترفون، كلمه ما موصوله منصوبه محلاً مفعول يخفى و ما بعدها صلها لها و العايد محذوف أى مقترفون له.

## المعنى

## إشارة

اعلم أنّ مدار هذا الكلام الشّريف على فصول ثلاثة الفصل الاول فى الأمر بالصّلاه و الحثّ عليها و الفصل الثانى فى الترغيب فى الزّكاه و الاكراه بها و الفصل الثالث فى التحضيض على أداء الأمانه و التحذير من المعاصى.

## أما الفصل الاول

فهو قوله (تعاهدوا أمر الصلاه) أى جدّدوا العهد بها و راقبوا عليها فى أوقاتها المخصوصه و لا تضيّعوها و لا تغفلوا عنها، لأنها عماد الدّين، و معراج المؤمنين، و قربان كلّ تقىّ و مؤمن نقىّ، و أول ما يحاسب به العبد إن قبلت قبل ما سواها و إن ردّت ردّ ما سواها.

و قد ذمّ الله أقواما توانوا عنها و استهانوا بأوقاتها فقال: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى روايه الخصال: يعنى أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها.

(وحافظوا عليها) أى على أوقاتها و رعايه آدابها و سننها و حدودها و مراسمها و شروطها و أركانها.

ص: ٣٢١

فلقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَرَكَ صَلَاتَهُ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ هَدَمَ دِينَهُ.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا تُضِيعُوا صَلَاتِكُمْ فَإِنَّ مِنْ ضِيعِ صَلَاتِهِ حَشْرَهُ اللهُ تَعَالَى مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ لَعْنَهُمُ اللهُ وَأَخْزَاهُمْ وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَدْخُلَهُ النَّارَ مَعَ الْمُنَافِقِينَ فَالْوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَى صَلَاتِهِ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ بِيَضَاءِ مَشْرِقِهِ، تَقُولُ: حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللهُ وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا بِغَيْرِ حُدُودِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ سُودَاءُ مَظْلَمِهِ، تَقُولُ: ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللهُ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَحَافَظَتِهَا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: «حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ».

قَالَ أَمِينُ الْإِسْلَامِ الطَّبْرَسِيُّ: أَيُّ دَاوَمُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ فِي مَوَاقِيتِهَا بِتَمَامِ أَرْكَانِهَا، ثُمَّ خَصَّ الْوَسْطَى تَفْخِيمًا لِشَأْنِهَا فَقَالَ: وَالصَّلَاةُ الْوَسْطَى وَقَالَ الْمَحَدِّثُ الْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيُّ: وَيَدُلُّ بِنَاءُ عَلَى كَوْنِ الْأَمْرِ مُطْلَقًا أَوْ خُصُوصًا أَمْرَ الْقُرْآنِ لِلْوَجُوبِ عَلَى وَجُوبِ الْمَحَافَظَةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ إِلَّا مَا أَخْرَجَهَا الدَّلِيلُ، وَرَبَّمَا يَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى وَجُوبِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْإِيَّاتِ، وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَعَلَى تَقْدِيرِ الْعُمُومِ يُمْكِنُ تَعْمِيمُهَا بِحَيْثُ يَشْمَلُ التَّوَافِلَ وَالتَّطَوُّعَاتِ أَيْضًا، فَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى الْوَجُوبِ، وَيَشْمَلُ رِعَايَةَ السُّنَنِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاجِبَةِ أَيْضًا كَمَا يَفْهَمُ مِنْ بَعْضِ الْأَخْبَارِ.

وَخَصَّ الصَّلَاةَ الْوَسْطَى بِذَلِكَ بَعْدَ التَّعْمِيمِ لِشَدَّةِ الْإِهْتِمَامِ بِهَا لِمَزِيدِ فَضْلِهَا أَوْ لِكَوْنِهَا مُعْرَضَةً لِلضِّيَاعِ مِنْ بَيْنِهَا فَهِيَ الْوَسْطَى بَيْنَ الصَّلَاةِ وَقَتَا أَوْ عَدَدًا أَوْ الْفُضْلَى مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْأَفْضَلِ الْأَوْسَطُ.

وَقَدْ قَالَ بِتَعْيِينِ كُلِّ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ قَوْمٌ إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَنَا لَمْ يَقُولُوا بِغَيْرِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ كَمَا يَظْهَرُ مِنَ الْمُنْتَهَى وَغَيْرِهِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ فِي الْخِلَافِ: إِنَّهَا الظُّهْرُ وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا وَبِهِ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَائِشَةُ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَادٍ لِأَنَّهَا بَيْنَ صَلَاتَيْنِ بِالنَّهَارِ، وَلِأَنَّهَا فِي وَسْطِ النَّهَارِ، وَلِأَنَّهَا تَقَعُ

فى شدّه الحرّ و الهاجره وقت شدّه تنازع الانسان إلى النوم و الرّاحه فكانت أشقّ، و أفضل العبادات أحمزها، و أيضا الأمر بمحافظه ما كان أشقّ أنسب و أهمّ و لأنها أوّل صلاه فرضت و لأنها فى الساعه التى يفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتّى تصلى الظهر و يستجاب فيها الدّعاء.

و روى الجمهور عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يصلى الظهر بالهاجره و لم يكن يصلى صلاه أشدّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ منها فنزلت الايه.

و روى الترمذى و أبو داود عن عايشه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ أنّه قرء حافظوا على الصلوات و الصلاه الوسطى و صلاه العصر.

قال فى المنتهى: و العطف يقتضى المغايره لا يقال: الواو زيده كما فى قوله تعالى «و لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» لأننا نقول: الزيادة منافية للأصل فلا- يصار إليه إلا- لموجب و المثل الذى ذكره نمع زياده الواو فيه بل هى للعطف على بابها و قال فى مجمع البيان: كونها الظهر هو المروى عن الباقر و الصادق عليهما السّلام و روى فيه عن عليّ عليه السّلام أنّها الجمعه يوم الجمعه و الظهر فى ساير الأيام.

و قال السيد المرتضى هى صلاه العصر و تبعه جماعه من أصحابنا، و به قال أبو هريره و أبو أيوب و أبو سعيد عبيده السلمانى و الحسن و الضّحّاك و أبو حنيفه و أصحابه و أحمد و نقله الجمهور عن عليّ عليه السّلام قالوا لأنّها بين صلاتى ليل و صلاتى نهار.

و احتجّ السيد ره باجماع الشيعه.

و المخالفون بما رووا عن النّبي صلى الله عليه و آله أنّه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاه الوسطى صلاه العصر ملاء الله بيوتهم و قبورهم نارا.

و فى الوسائل بعد روايه الأخبار الدّالّه على أنّها الظهر قال: و تقدّم ما يشعر بأنّها العصر، و هو محمول على التّقيه فى الرّوايه.

و قيل: إنّها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله و أخفاها فى جملة الصلوات

المكتوبه ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليله القدر في ليالى شهر رمضان، و اسمه الأعظم في جميع الأسماء، و ساعه الاجابه في ساعات الجمعه لثلا يتطرق التشاغل بغيرها بل يهتم غايه الاهتمام بالكل فيدرك كمال الفضل.

(و استكثروا منها) فأنها خير موضوع فمن شاء أقل و من شاء أكثر.

روى في البحار من البصاير عن محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ابن العتبه العابده قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام و ذكر عنده الصلاه فقال: إن في كتاب علي عليه السلام الذى إملا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إن الله لا يعذب على كثرة الصلاه و الصيام و لكن يزيده جزاء «خيراخ» و فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجل فقال: ادع الله أن يدخلني الجنة فقال صلى الله عليه و آله و سلم: أعنى بكثرة السجود.

و فيه عن الصدوق باسناده عن أبي جعفر العطار قال: سمعت الصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله كثرت ذنوبى و ضعف عملى، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: أكثر السجود فإنه يحط الذنوب كما تحط الریح و ورق الشجر.

(و تقرّبوا بها) إلى الله سبحانه فأنها قربان كل تقى.

كما رواه في البحار من العيون باسناده عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: الصلاه قربان كل تقى.

و فيه من ثواب الأعمال باسناده عن موسى بن بكر عن أبي الحسن عليه السلام قال:

صلاه التوافل قربان كل مؤمن.

بل هى أفضل ما يتقرّب به إليه تعالى.

كما يدلّ عليه ما رواه فى الكافى باسناده عن معاويه بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربهم فقال: ما أعلم شيئا بعد معرفه أفضل من هذه الصلاه، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليهما السلام قال: و أوصانى

بالصلاه والزكوه ما دمت حيا، هذا.

ولما أمر بتعاهدتها و محافظتها و التقرب بها عقب عليه السلام ذلك و علله بوجوه مرغبه.

أحدها قوله (فإنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) اقتباس من الايه الشريفه فى سورة النساء.

قال فى مجمع البيان: اختلف فى تأويله فقيل: إن الصلاه كانت على المؤمنين واجبه مفروضه و هو المروى عن الباقر و الصادق عليهما السلام، و قيل: معناه فرضا موقوتا أى منجما تؤدونها فى أنجمها.

و فى الكافى باسناده عن داود بن فرقد قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: قوله تعالى «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» قال: كتابا ثابتا و ليس إن عجلت قليلا أو أخرت قليلا بالذى يضررك ما لم تضيع تلك الاضاعه فإن الله عز و جل يقول لقوم «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا».

و فيه عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام فى هذه الايه أى كتابا موجوبا «موجبا ل» هذا و تخصيص المؤمنين بالذكر فى الايه الشريفه لتحريضهم و ترغيبهم على حفظها و حفظ أوقاتها حالتى الأمن و الخوف و مراعاة جميع حدودها فى حال الأمن و ايماء بأن ذلك من مقتضى الايمان و شعار أهله فلا يجوز أن تفوتهم و إن التساهل فيها يخلّ بالايمان و أنهم هم المنتفعون بها لعدم صحتها من غيرهم.

الثانى قوله (ألا- تسمعون إلى جواب أهل النار) و الاستفهام للتقرير بما بعد التنى أو للتوييح و التقرير، و الغرض منه تنبيه المخاطبين على أنّ ترك الصلاه يوجب دخول النار و سخط الجبار ليتحرزوا من تركها و يحافظوا عليها.

و ذلك أنّ أهل النار (حين سئلوا) أى سألهم أهل الجنه على ما حكى الله عنهم فى سورة المدثر بقوله: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ»



«وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ».

قال أمين الاسلام الطبرسى فى تفسير الايه: كل نفس بما كسبت رهينه أى محبوبه بعملها مطالبه بما كسبته من طاعه أو معصيه، ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقال الباقر عليه السلام نحن و شيعتنا أصحاب اليمين.

فى جنات يتساءلون، أى يسأل بعضهم بعضا وقيل: يسألون عن المجرمين أى عن حالهم و عن ذنوبهم التى استحقوا بها النار. ما سلككم فى سقر، هذا سؤال توبيخ أى تطلع أهل الجنّه على أهل النار فيقولون: ما أوقعكم فى النار.

قالوا لم نك من المصلّين، أى كنا لا نصلّى الصلاه المكتوبه على ما قررها الشرع، و فى هذا دلالة على أنّ الاخلال بالواجب يستحقّ به الذمّ و العقاب، لأنهم علّقوا استحقاقهم العقاب بالاخلال بالصلاه، و فيه دلالة أيضا على أنّ الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعيّه، لأنه حكاية عن الكفار بدليل قوله: و كنا نكذب بيوم الدين.

و قوله: و لم نك نطعم المسكين، معناه لم نك نخرج الزكوات التى كانت واجبه علينا، و الكفارات التى وجب دفعها إلى المساكين، و هم الفقراء.

و كنا نخوض مع الخائضين أى كلما غوى غاوا بالدخول فى الباطل غوينا معه و المعنى كنا نلوث أنفسنا فى المرور بالباطل كتلوث الرّجل بالخوض، فهؤلاء لما كانوا يجرّون مع من يكذب بالحقّ مشيعين لهم فى القول كانوا خائضين معهم.

و كنا نكذب بيوم الدين، مع ذلك أى نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة.

حتى أتينا اليقين، أى أتانا الموت على هذه الحالة، و قيل: حتى جاءنا علم اليقين من ذلك بأن عايّناه، هذا.

و فى الصافى عن الكافى عن الصادق عليه السلام فى قوله: لم نك من المصلّين،

قال عليه السّلام: لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله فيهم: و السابقون السابقون اولئك المقربون، أما ترى الناس يسمون الذى يلى السابق فى الحلبة مصليا، فذلك الذى عنى حيث قال: لم نك من المصلين أى لم نك من أتباع السابقين.

و عن الكاظم عليه السّلام يعنى أنا لم نتولّ وصى محمّد و الأوصياء من بعده و لم نصلّ عليهم، و هذان لا ينافيان التفسير المتقدّم لأنّ المتقدّم تنزيلها و هذا تأويلها.

(و) الثالث(انها لتحتّ الذنوب حتّ الورق)أى تسقطها من الرقاب سقوط الأوراق من الأشجار.

كما وقع التصريح به فى روايه الوسایل من مجالس ابن الشّرخبشت باسناده عن سلمان الفارسى قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله فى ظلّ شجره فأخذ غصنا منها فنفضه فتساقط ورقه فقال: ألا تسألونى عمّا صنعت؟ فقالوا: أخبرنا يا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاطت خطاياهم كما تحاطت ورق هذه الشجرة، هذا.

و التشبيه فى كلامه عليه السّلام من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، و كذلك فى قوله:

(و تطلقها إطلاق الرّب) و الكلام على القلب و المراد أنّها تطلق أعناق النفوس أى تفكّها من أغلال الذنوب إطلاق أعناق البهائم من الأرباق.

و لما ذكر إسقاطها للذنوب أيده بقوله(و شَبَّهها رسول الله صلّى الله عليه و آله بالحمه تكون على باب الرّجل)و أشار إلى وجه الشّبه بقوله(فهو يغتسل منها)و يطهر جسده من الأوساخ(فى اليوم و اللّيله خمس مرّات فما عسى أن يبقى عليه)شئ (من الدّرن)و كذلك من صلّى الصلوات الخمس لا يبقى عليه شئ من الذنوب.

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و التاسعه روايه متن الحديث النبوى من الفقيه عن الصادق عليه السّلام قال: قال النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّما مثل الصلاة فيكم كمثل السرى و هو النهر على باب أحدكم يخرج إليه فى اليوم و اللّيله يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرّات، و لم يبق الذنوب على الصلاة خمس مرّات.

و الرابع ما أشار إليه بقوله (و قد عرف حقها) و قدرها (رجال من المؤمنين) و هو عليه السلام رئيسهم و سيدهم و أفضلهم حسبما تطلع عليه في الأخبار الآتية و هم (الذين لا تشغلهم عنها زينه متاع و لا قره عين من ولد و لا مال) لعلمهم بأن المال و البنين زينه الحياه الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربهم ثوابا و خير أملا.

(يقول الله سبحانه) في وصفهم في سورة التور: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ» من عطف الخاص على العام لشمول التجاره ساير أنواع المكاسب («عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِتْيَاءِ الزَّكَاةِ») يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار.

قال في مجمع البيان: روى مرفوعا أنه سئل النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما قرء الايه أى بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و آله هذا البيت منها لبيت علي و فاطمه، قال صلى الله عليه و آله و سلم: نعم من أفاضلها.

و المراد بالرفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس و التطهير من المعاصي، و يذكر فيها اسمه أى يتلى فيها كتابه يسبح له فيها بالغدو و الاصال أى يصلّى فيها بالبكر و العشايا، رجال لا تلهيهم، أى لا تشغلهم و لا تصرفهم، تجاره و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة، أى إقامه الصلاه و ايتاء الزكاه أى إخلاص الطاعه لله و قيل يريد الزكاه المفروضه.

و روى في كتاب غايه المرام من تفسير مجاهد و الى يوسف يعقوب بن سفين «كذا» قال ابن عباس فى قوله تعالى: «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا» إنّ دحيه الكلبى جاء يوم الجمعة من الشام بالمسيره فنزل عند أحجار الزيت ثم ضرب بالطبول ليأذن بقدمه و مضوا الناس اليه إلا علي و الحسن و الحسين و فاطمه و سلمان و أبو ذر و المقداد و صهيب و تركوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم قائما يخطب على المنبر، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لقد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدي فلو لا هؤلاء الثمانية الذين جلسوا فى مسجدي لاضطرت المدينة على أهلها نارا و حصبوا بالحجاره كقوم لوط، فنزل فيهم: رجال لا تلهيهم تجاره و لا بيع.

و فيه عن محمد بن العباس عن محمد بن همام عن محمد بن إسماعيل عن عيسى بن

داود قال: حدّثنا الامام موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام فى قول الله عزّ و جلّ «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» الايه قال: بيوت آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم بيت علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و حمزه و جعفر عليهم السّلام، قلت: بالغدوّ و الاصال، قال: الصّلاه فى أوقاتها، قال: ثمّ وصفهم الله عزّ و جلّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»، قال: هم الرّجال لم يخلط الله معهم غيرهم، ثمّ قال: «لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ»، قال:

ما اختصّهم به من المودّه و الطّاعه المفروضه و صيرّ مأواهم الجنّه و الله يرزق من يشاء بغير حساب.

(و) ال خامس انّ فى المحافظه على الصلاه أسوه بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فلقد (كان رسول الله نصبا بالصلاه) أى تعبها بها كلّ التعب.

حتى روى أنّه كان يصلّى اللّيل كلّّه و يعلّق صدره بحبل حتّى لا يغلبه النّوم فعاتبه الله على ذلك و أنزل عليه «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» و أمره بأن يخفّف على نفسه و ذكر أنّه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كلّ هذا التعب.

روى فى الصافى من الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: لقد قام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه و اصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتّى عوتب فى ذلك فقال الله عزّ و جلّ «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» بل لتسعد.

قيل: الشقاء شايع بمعنى التعب و منه أشقى من رياض المهر و سيّد القوم أشقاهم، و لعلّه عدل اليه للاشعار بأنّه انزل إليه ليسعد.

و قوله (بعد التبشير له بالجنّه) إشاره إلى أنّه لم يكن مواظبه على الصّلاه شوقا إلى الجنّه و لا خوفا من النّار بل قد كان نصبا بها مع وجود تلك البشاره متحملا كلّ التعب امثالاً (لقول الله سبحانه) و أمره له بالصبر عليها فى سوره طه حيث قال: (١)

ص: ٣٢٩

«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى».

قال فى مجمع البيان: معناه و أمر يا محمّد أهل بيتك و أهل دينك بالصلاه و اصبر على فعلها، و فى الصافى و داوم عليها، لا نسألك أن ترزق نفسك و لا أهلك، بل كلّفناك العباده و أداء الرّساله و ضمنا رزق الجميع، نحن نرزقك و إياهم ففرغ بالك للاخره، و العاقبه المحموده لذوى التقوى.

قال فى مجمع البيان روى أبو سعيد الخدرى قال: لما نزلت هذه الايه كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يأتى باب فاطمه و علىّ تسعه أشهر عند كلّ صلاه فيقول: الصلاه رحمكم الله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

قال و قال أبو جعفر عليه السّلام أمره الله أن يخصّ أهله دون الناس ليعلم الناس أنّ لأهله عند الله منزله ليست للناس، فأمرهم مع الناس عامّه ثمّ أمرهم خاصّه.

و فى الصافى من العيون عن الرضا عليه السّلام فى هذه الايه قال: خصّينا الله هذه الخصوصيّة إذ أمرنا مع الامّه باقامه الصّلاه ثمّ خصّينا من دون الامّه فكان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يجرى إلى باب علىّ و فاطمه بعد نزول هذه الايه تسعه أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاه خمس مرّات فيقول: الصّلاه رحمكم الله و ما أكرم الله أحدا من ذرارى الأنبياء بمثل هذه الكرامه التى أكرمنا بها و خصّنا من دون جميع أهل بيتهم.

(فكان) صلّى الله عليه و آله و سلّم (يأمر) بها (أهله و يصبر عليها نفسه) أى يأمر نفسه بالصبر و التحمّل على تعبها، هذا.

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و التاسعه تفصيل الكلام فى فضل الصّلاه و آدابها و أسرارها و عقاب تاركها. فليراجع هناك.

## و أما الفصل الثانى

فقد أشار اليه بقوله (ثم إنّ الزكاه جعلت مع الصّلاه قربانا لأهل الاسلام)

يعنى كما جعل الله سبحانه الصّلاه قربانا للمسلمين يتقربون بها إليه تعالى، جعل الزكاه أيضا قربانا لهم مثلها.

و يدلّ على ذلك أنّه سبحانه عبّ الأمر باقام الصّلاه فى أكثر آيات كتابه العزيز بالأمر بايتاء الزّكاه، فجعل الزكاه تالى الصّلاه فى المطلوبيه.

و يشهد به أيضا ما فى الوسایل عن الصّدوق باسناده عن المجاشعى عن الرضا عليه السّلام عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: بنى الاسلام على خمس خصال:

على الشّهادتين، و القرينتين، قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصّلاه و الزّكاه، فإنّه لا يقبل إحداهما إلّا بالآخرى، و الصيام و حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا، و ختم ذلك بالولاية.

و قد مضى الكلام فى فضلها و عقوبه تاركها و أقسامها فى شرح الخطبه المأه و التاسعه بما لا مزيد عليه فليراجع ثمه.

و لما ذكر كونها قربانا لأهل الاسلام تبه على شرط قربانيّتها و هو كون اتيانها عن وجه الخلوص و طيب النفس، و سرّ ذلك ما قدّمناه فى شرح الخطبه الّتى أشرنا اليه، و محضّ ما قدّمناه أنّ الاسلام موقوف على توحيد الربّ عزّ و جلّ و كمال توحيدة عباره عن الاخلاص له، و معنى الاخلاص إفراده بالمعبوديه و المحبوبيه و اخلاء القلب عن محبّه ما سواه فلا يجتمع محبه المال مع محبّته تعالى.

(ف) علم من ذلك أنّ (من أعطاهها طيب النفس بها) حبّا له تعالى و امتثالا لأمره و ابتغاء لمرضاته و تقربا إليه عزّ و جلّ (فانها) حينئذ تقربه إليه و توجب حبّه تعالى له و القرب و الزّلفى لديه و (تجعل له) من الذّنوب (كفاره و من النار حجازا و وقايه) أى حازا مانعا من النار و وقايه من غضب الجبار.

كما يشهد به ما رواه فى الفقيه عن الصادق عليه السّلام قال: خياركم سمحواؤكم و شراركم بخلاؤكم، و من خالص الايمان البرّ بالاخوان، و السعى فى حوائجهم، و أنّ البارّ بالاخوان ليحبّه الرّحمن، و فى ذلك مرغمه للشيطان، و تزحزح عن النيران

و دخول الجنان ثم قال عليه السلام لجميل: يا جميل أخبر بهذا غرر(1) أصحابك، قلت:

جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال: هم البارون بالاخوان في العسر و اليسر، ثم قال: يا جميل اعلم أن صاحب الكثير يهون عليه ذلك و إنما مدح الله في ذلك صاحب القليل فقال في كتابه «و يُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

و بعد ذلك (ف) اللازم أن (لا يتبعنها أحد) من المعطين لها (نفسه و لا يكثرن عليها لهفه) و تحسره، لأن اتباع النفس و إكثار اللهف كاشف عن محبته لها و هو ينافى محبته تعالى فكيف يتقرب باعطائها إليه و يتغى القرب و الزلفى لديه (فإن من أعطاه) على وجه الاكراه (غير طيب النفس بها) و الحال أنه (يرجو) و يتوقع (بها ما هو أفضل منها) من رضوان الله تعالى و الخلد في جنانه (فهو) كاذب في دعوى المحبه (جاهل بالسنة) لأن السنة في أدائها أن يكون بطيب النفس، و لذلك مدح الله الباذلين للمال كذلك بقوله «و يُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» و قوله «و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُورًا».

(مغبون الأجر) لأن الأجر مترتب على العمل، فاذا كان العمل لا على وجه الرضا يكون الجزاء المترتب عليه كذلك، و من هنا قيل: كما تدين تدان، و قد قال سبحانه «و ما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله و ما آتيتم من زكاه تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون».

(ضال العمل) حيث أتاه به على غير الوجه المطلوب شرعا (طويل التدم) في الاخره على ما فوته على نفسه من الأجر الجزيل و الجزاء الجميل

ص: ٣٣٢

١- (١) - رجل أغرّ، أى شريف و غرّه القوم سيدهم، م

فهو ما أشار إليه بقوله (ثم أداء الامانه) التي جعل الله المحافظه عليها من وصف المؤمنين الموصوفين في قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» إلى قوله «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» و الأخبار في فضلها بالغه حد الاستفاضه.

منها ما في البحار من الكافي عن الحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ وَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبِرِّ وَ الْفَاجِرِ.

و من قرب الاسناد عن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: الْأَمَانَةُ تَجْلِبُ الْغِنَى وَ الْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ.

و من الامالى عن عمر بن يزيد قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكُمْ. فَلَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ائْتَمَنَنِي عَلَى أَمَانَةٍ لِأَدِّيْتَهَا إِلَيْهِ.

و عن الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: سمعته عليه السلام يقول لشيئته: عليكم بأداء الأمانه فو الذي بعث محمدا بالحق نبيا لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليهما السلام ائمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه.

و عن أحمد بن محمد الهمداني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال: لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم و صومهم و كثرة الحجّ و المعروف و طنطنتهم بالليل، و لكن انظروا إلى صدق الحديث و أداء الأمانه.

و عن الحسين بن أبي العلا عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: أحبّ العباد إلى الله عزّ و جلّ رجل صدوق في حديثه محافظ على صلاته و ما افترض الله عليه مع أداء الأمانه، ثمّ قال عليه السلام: من أوتمن على أمانه فأداها فقد حلّ ألف عقده من عنقه من عقد النار، فبادروا بأداء الأمانه، فإنّ من أوتمن على أمانه و كلّ به إبليس مأثمه شيطان من مرده أعوانه ليضلّوه و يوسوسوا إليه حتّى يهلكوه إلا من عصم الله عزّ و جلّ.



(فقد) علم من ذلك أنه (خاب من ليس من أهلها) أى خسر فى الدنيا و فى الآخرة من لم يكن من أهلها، بل كان من أهل الخيانه، فإنّ الخيانه حسبما عرفت تجلب الفقر فى الدّنيا و النار فى العقبى و خسر أهلها خسرانا عظيما.

و ان شئت أن تعرف عظم الخطب و مزيد ثقل التّكليف فيها فاستمع لما يتلى عليك من قوله:

(إنّها عرضت على السّماوات المبيّته و الأرضين المدحّوه) المبسوطة على الماء (و الجبال) الرّاسيات (ذات الطول المنصوبه) المرفوعه على الأرض و لكنّها مع أنّها أعظم ما خلق الله عزّ و جلّ فى الكون (فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم منها) امتنعن من حمل هذا التّكليف، أى تكليف الأمانه و أبين أن يحملنها لثقلها و صعوبتها لا للعظمه و الاستكبار عن الطاعه، بل للخوف و الاشفاق من المعصيه.

(و لو امتنع شىء بطول أو عرض أو قوّه أو عزّ لا تمتنعن) بل كنّ أولى بالامتناع بما لهنّ من أوصاف العظمه التى ليست فى غيرهنّ (و لكن أشفقن من العقوبه و غفلن ما جهل من هو أضعف منهن و هو الانسان) فحملها مع ما به من الضعف و النقصان (أنّه كان ظلوما جهولاً) قال الشارح البحرانى: و ذكر كون السماوات مبيّته و الأرض مدحّوه و الجبال بطولها و عرضها و عظمتها، تنبيه للانسان على جرئته على المعاصى و تضييع هذه الأمانه إذا هى لها و حملها و تعجب منه فى ذلك، فكأنّه يقول: إذا كانت هذه الأجرام العلويه التى لا أعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الأمانه حين عرضت عليها فكيف حملها من هو أضعف منها.

أقول: تحقيق هذا المقام يحتاج إلى بسط الكلام.

قال الله تعالى فى سوره الأحزاب «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا».

و قد اختلف أقوال المفسّرين كالأخبار فى تفسير هذه الايه فى مواضع:

أنّ المراد بالأمانة المعروفه ما ذا؟ فقول: هي ما أمر الله به من طاعته و نهى عنه من معصيته، و بعبارة اخرى هي التكليف و الأحكام الشرعيه المطلوبه من الانسان، فإنّ الله سبحانه لما اقتضت عنايته لايجاد هذه العباده المخصوصه، و أن يجعل في الأرض خليفه لعمارته، خلق الانسان و جعله واسطه بين الملك و الحيوان. فهو كالحيوان في الشهوه و الغضب و التناسل و ساير القوى البدنيه المخصوصه بالحيوان، و كالمملك في العقل و العلم و العباده و ساير الكمالات النفسائيه، فلو كان خاليا من العقل و الفهم لم يتأهل لمعرفة و عبادته الخاصه كساير أصناف الحيوان، و لو كان خاليا عن الشهوه و الغضب مثل الملك لم يصلح لعمارته الأرض و خلافته. و لذلك قال الله للملائكه «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فاذا هذه العباده الخاصه لا يصلح لها إلا الانسان، و هي المراد بالأمانة في الايه.

و يؤيد هذا القول ما في الصافي من العوالي أنّ عليا عليه السلام إذا حضر وقت الصلاه يتململ و يتزلزل و يتلّون فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاه وقت أمانه عرضها الله على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها.

و قيل: هي أمانات الناس و الوفاء بالعهود.

و يؤيده ما في البحار من مشكاه الأنوار نقلا من كتاب المحاسن قال: و سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْبَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا بِهَا» و ما الذي حمل الانسان؟ و ما كان هذا؟ قال: فقال: عرض عليهنّ الأمانة بين الناس و ذلك حين خلق الخلق.

و عن بعض أصحابه رفعه قال: قال لابنه يا بنى أدّ الأمانة يسلم لك دنياك و آخرتك و كن أمينا تكن غنيا.

و قيل: إنّ المراد بها الامامه قال في تفسير القمّي: الأمانة هي الامامه

و الأمر و النهى، و الدليل على أن الأمانة هي الامامة قول الله عزّ و جلّ للائمّه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»  
يعنى الامامه، فالأمانة هي الامامه عرضت على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها أن يدعوها أو يغصبوها أهلها و  
أشفقن منها، و حملها الانسان، يعنى الأول إنّه كان ظلوما جهولا، انتهى.

و يدل على ذلك أخبار كثيره مثل ما فى البحار من كنز الفوائد عن إسحاق ابن عمّار عن أبى عبد الله عليه السلام فى هذه الايه،  
قال: يعنى ولايه أمير المؤمنين.

و من جامع الأخبار و العيون عن الحسين بن خالد قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ  
الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ» قال: الأمانة الولايه من ادعاها بغير حقّ فقد كفر.

و من جامع الأخبار عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ  
الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ» قال: الأمانة الولايه و الانسان أبو الشرور المنافق.

و من البصائر عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك و تعالى «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ  
الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ» قال: الولايه أبين أن يحملنها كفرا بها، و حملها الانسان، و الانسان الذى حملها أبو فلان. إلى  
غير هذه مما لا نطيل بروايتها.

قال المحدث العلامة المجلسى بعد روايه هذه الروايات: على تأويلهم عليهم السلام يكون اللام فى الانسان للعهد و هو أبو  
الشرور أى أبو بكر أو للجنس و مصداقه الأول فى هذا الباب أبو بكر، و المراد بالحمل الخيانه، و المراد بالولايه الخلافه و  
ادعائها بغير حقّ، فعرض ذلك على أهل السماوات و الأرض أو عليهما بأن يبين لهم عقوبه ذلك و قيل لهم: هل تحملون ذلك،  
فأبوا إلا هذا المنافق و أضرابه حيث حملوا ذلك مع ما يبين لهم من العقاب المترتب عليه

## الثانى

اختلفوا فى المراد بعرض الأمانة على السماوات و الأرض.

فقيل: إنّ المراد به عرضها على نفس الأرض و السماء و إنّه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما و قال: إنّى فرضت فريضه و خلقت جنّه لمن أطاعنى و ناراً لمن عصانى: فقلن: نحن مسخّرات لأمرك لا نحتمل فريضه و لا نبتغى ثواباً و لا عقاباً، و لما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله و كان ظلوماً لنفسه بتحملها ما يشقّ عليها، جهولاً لو خامه عاقبته.

و هذا القول أعنى عرضها على نفس السماوات و الأرض مروى عن ابن عباس و يدلّ عليه ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى المتن حيث قال: و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ.

و يشهد به أيضاً ما رواه فى البحار و غايه المرام من مناقب أبى بكر الشيرازى فى نزول القرآن فى شأن علىّ عليه السلام بالاسناد عن مقاتل عن محمّد بن حنفية عن أمير المؤمنين فى قوله «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ» عرض الله أمانتى على السماوات السبع بالثواب و العقاب فقلن ربنا لا نحملنها بالثواب و العقاب و لكننا نحملها بلا ثواب و لا عقاب، و أنّ الله عرض أمانتى و ولايتى على الطيور، فأول من آمن بها البزاه البيض و القناير و أول من جحدها البوم و العنقا، فلعنهما الله تعالى من بين الطيور، فأما اليوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها، و أما العنقا فغابت فى البحار و إنّ الله عرض أمانتى على الأرضين فكلّ بقعه آمنت بولايتى جعلها طيبه زكيه و جعل نباتها و ثمرتها حلواً عذبا و جعل ماءها زلالاً، و كلّ بقعه جحدت إمامتى و أنكرت ولايتى جعلها سبخاً و جعل نباتها مرّاً علقماً، و جعل ثمرها العوسج و الحنظل، و جعل ماءها ملحاً اجاجاً ثمّ قال: و حملها الانسان، يعنى امتك يا محمّد و لايه أمير المؤمنين و امامته بما فيها من الثواب و العقاب، إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً لأمر ربّه، من لم يؤدّها بحقّها ظلوم غشوم.

و محصّل هذا القول أنّ المراد بالأمانه التكليف بالعبوديه على وجهها و التقرب بها إلى الله سبحانه كما ينبغى لكلّ عبد بحسب استعدادها لها، و أعظمها الولايه و الخلافه الالهيه، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها و عدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ ساير

التكاليف الشرعيه، و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال اعتبارها بالاضافه إلى استعدادهنّ و بابائهنّ الاباء الطبيعي الذي هو عباره عن عدم اللباقه و الاستعداد، و بحمل الانسان قابليته و استعداده لها و تحمّله إياها و كونه ظلوما جهولا، تقصيره في أدائها لما غلب عليه من القوّه الشهويّه و الغضبيه.

وقيل: إنّ المراد العرض على أهلها فحذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه، و عرضها عليهم هو تعريفها إياهم أنّ في تضييع الامانه الاثم العظيم، و كذلك في ترك أوامر الله و احكامه، فيبين سبحانه جرء الانسان على المعاصي و اشفاق الملائكه من ذلك، فيكون المعنى عرضنا الأمانه على أهل السماوات و الأرض و الجبال من الملائكه و الجنّ و الانس فابى أهلهنّ أن يحملوا تركها و عقابها و الماثم فيها و أشفقن أهلها من حملها، و حملها الانسان إنه كان ظلوما لنفسه بارتكاب المعاصي، جهولا بموضع الامانه في استحقاق العقاب على الخيانه فيها.

وقيل: إنه على وجه التقدير الآ أنه جرى عليه لفظ الواقع، لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر، و المعنى انه لو كانت السماوات و الأرض و الجبال عاقله ثمّ عرضت عليها الأمانه و هي وظيف الدّين اصولا و فروعا و بما فيها من الوعد و الوعيد، لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدّتها و قوّتها و لامتنعت من حملها خوفا من القصور عن أداء حقّها، ثمّ حملها الانسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله.

### الثالث

قوله: و حملها الانسان.

المراد بالانسان إمّا نوع الانسان أي بنو آدم، أو خصوص امّه محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فالمراد بحملهم لها قبولهم للاتيان بما كلّف عليهم من الطاعات و العبادات و التسليم لامامه أئمه الدين، و كونه ظلوما جهولا لعدم خروجهم عن عهده التكليف و عدم وفائهم بما حملوه من طاعه الأئمّه و تقصيرهم في أداء الأمانه، و هو وصف للجنس باعتبار أغلب أفراده إذ الأنبياء و الأولياء و المؤمنون القائمون بوظائف العبوديّة الرّاعون

لعهد الامامه خارجون من عموم الايه قطعاً.

و إِمَّا خصوص فرد منه و هو أبو بكر حسبما تقدّم في الأخبار، و عليه فالمراد بحمله للامانه أى الخلافه ادّعائه لها لنفسه من غير استحقاق و أهليته، و بعبارة اخرى خيانتة و تقصيره فيها و ظلمه على من كان مستحقاً به و جهله بمرتبته نفسه حيث وضعها موضعاً ليس له.

و قيل: إنّ المراد بالانسان هو آدم عليه السّلام، و اعترض عليه في مجمع البيان بقوله و لا يجوز أن يكون الانسان محمولاً على آدم لقوله «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ» فكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفاً بالظلم و الجهل.

هذا تفصيل ما قيل أو يقال في تفسير الايه الشريفه، و قد ظهر منه اختلافهم في المراد بالأمانه المذكوره فيها على أقوال.

و أمّا في كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فالظاهر أنّ المراد بها خصوص الأمانه المعهوده بين الخلق حسبما عرفتها في الأخبار المتقدّمه، و أنّما قلنا: إنّ الظاهر ذلك، لاشعار تقديم ذكر الصلاه و الزكاه عليها على عدم كون المراد بها مطلق التكليف الشرعيّه، بل التكليف المخصوص الذي في عداد الصّلاه و الزكاه القسيم لهما.

لكن الأظهر بمقتضى الحال و المقام، و أنّ وصيّته بهذا الكلام إلى أصحابه كان في مقام الحرب مع النّاكثين و القاسطين و المارقين حسبما تعرفه في التكملة الاثنيّه هو: أنّ المراد بها الامامه و الولاية، فيكون غرضه بقوله: ثمّ أداء الأمانه فقد خاب من ليس من أهلها آه الطعن و التعريض على المعارضين له و الجاحدين لولايتة و النّاصبين له العداوه من معاويه و طلحه و الزبير و أتباعهم و أهل النهر و أمثالهم بكونهم خائنين خاسرين، لعدم كونهم أهلاً للامانه أى الخلافه و الولاية، و بأنّهم حملوا و ادّعوا ما أبت السماوات و الأرض و الجبال على كبر أجرامهما من حملها و ادّعائها، و أشفقن من ذلك، و بأنّهم كانوا متّصفين بالظلم و الجهل حيث ظلموه عليه السّلام حقّه و جهلوا بشأنه و مقامه.

و كيف كان فلما أمر و أوصى أصحابه بالصّلاه و الزّكاه و أداء الأمانه، و شدّد

الترغيب فيها و التحذير من مخالفتها بكون الخائن أو المقصّر ظلوما جهولا، عقبه بالتثنيه على أنّ كلّ ما يفعله العباد من خير أو شرّ بعين الله التي لا- تنام و علمه المذى لا- تخفى عليه خافيه لتأكيد تحضيض المخاطبين بمواظبه هذه العبادات الثلاث و ساير الحسنات و تحذيرهم من مخالفتها فقال:

(إنّ الله سبحانه لا يخفى عليه) و لا يعزب عن علمه (ما العباد مقترفون) أى مكتسبون له من خير أو شرّ حسن أو قبيح (فى ليّهم و نهارهم) يعنى أنّ الليل و النهار سيّان بالنسبه إلى علمه، و ليس كغيره من مخلوقاته يكون إدراكه للمحسوسات بطريق الاحساس حتّى تكون ظلّمه اللّيل حجابا و حجازا عن إدراكه.

و قدّم الليل على النهار لمزيد الاهتمام من حيث كونها مظنّه لاختفاء ما يفعل فيها من المعاصى، و أردف بالنهار لدفع توهم الاختصاص.

(لطف به خيرا) أراد به علمه بخفّيات أفعال العباد و خبرويّته بها، و اللّطيف الخبير حسبما تقدّم فى شرح الخطبه السابقه من جمله أسمائه الحسنى عزّ و علا.

و تسميته باللّطيف من جهه علمه بالشىء اللّطيف مثل البعوضه و أخفى منها و موضع النشوء منها و العقل و الشهوه للفساد و الحذب على نسلها و نقلها الطعام و الشراب إلى أولادها فى المفاوز و الأوديه و القفار.

و معنى الخبير هو الذى لا تعزب عنه الأخبار الباطنه فلا يجرى شىء فى الملك و الملكوت و لا تتحرّك ذرّه و لا تضطرب نفس و لا تطمئنّ إلّا و يكون عنده خبره، و هو بمعنى العليم إلّا أنّ العلم إذا اضيف إلى الخفايا الباطنه سمّى خبره، و قد مرّ تفصيل نفاذ علمه فى خفاء الأشياء فى الفصل الثامن من الخطبه التسعين.

(و أحاط به علما) و قد تقدّم فى شرح غير واحده من الخطب المتقدّمه كالخطبه الاولى و الخطبه التاسعه و الأربعين و الخامسه و الثمانين و غيرها تحقيق إحاطه علمه تعالى بالكليات و الجزئيات و لا حاجه إلى الاعاده.

(أعضاؤكم شهوده) يعنى أنّها تشهد على العباد بما اقترفوه من المعاصى و الاثام.

(و جوارحكم جنوده) يعنى أنّها تكون معينه له عليهم، و ذلك لأنّ جنود

الملك عبارته عن أعوانه على أعدائه فتلك الأعضاء والجوارح لما شهدت على المجرمين بما فعلوه صارت بمنزلة المعين له بذلك الاعتبار.

ويشهد بشهادته الأعضاء والجوارح قول الله تعالى في سورة يس «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى نستنطق الأعضاء التى كانت لا تنطق فى الدنيا لتشهد عليهم ونختم على أفواههم التى عهد منها النطق وهذا حقيقته الختم يوضع على أفواه الكفار بمنعها من النطق والكلام.

قال على بن إبراهيم القمى قال: إذا جمع الله عزّ وجل الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قول الله عزّ وجل «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون وقال تعالى فى سورة فصلت «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَيِّئُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَيِّئُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَ لَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا، حتى إذا جاءوا النار التى حشروا إليها شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه، وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانيته الله تعالى فلم يؤمنوا، وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصى والأفعال القبيحة.

وقيل فى شهادته الجوارح قولان: أحدهما أن الله تعالى يبينها بينه الحى و يلجئها إلى الاعتراف و الشهادة بما فعله أصحابها، و الاخر أن الله يفعل فيها الشهادة أى يجعل فيها كلاما، و إنما نسب الكلام إليها لأنه لا يظهر إلا من جهتها.

وقيل فيه وجه ثالث: وهو أن معنى شهادتها و كلامها أن الله تعالى يجعل



فيها من الايات ما يدل على أنّ أصحابها عصوا الله بها، فسَمِيَ ذلك شهاده منها كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك.

وقيل: إنّ المراد بالجلود الفروج.

أقول: وهو المروى في الصافي عن الكافي عن الصادق عليه السلام و من الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ أنطق الله ألسنتهم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، فتقول في جوابهم أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء، ثمّ قال سبحانه: و هو خلقكم الايه، و ليس هذا من جواب الجلود.

وقوله: و ما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم، معناه و ما كنتم تستخفون أي لم يكن يتهيأ لكم أن تستتروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون، فجعلها الله شاهده عليكم يوم القيامة، و لكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيرا ممّا تعملون فاجترأتم على المعاصي لذلك، و قيل: بل معناه ما كنتم تتركون المعاصي حذرا أن يشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك، و لكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيرا ممّا تعملون، لجهلكم بالله فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك، هذا.

و في الصافي من الكافي عن الباقر عليه السلام و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقت عليه كلمه العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عزّ و جلّ «فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا».

و قوله (و ضمائر كم عيونه) قال الشارح البحراني: أي طلايعه و جواسيسه كقوله تعالى «وَ شَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» و تلك الشهاده بلسان الحال، انتهى.

أقول: يعني أنّ الضمائر لا تخفي ما فيها من الأسرار و لا تكتمها عليه تعالى كما أنّ من شأن الجاسوس المراقب بشيء أن لا يكتبه ممّن و كلّ به، و على ذلك

فالمراد بالضمائر القلوب، و يحتمل أن يكون المراد بالضمائر ما يضمه القلوب من الأسرار و الخفيات.

و العيون جمع العين بمعنى الحاضر و هو أحد معانيه كما فى القاموس و غيره، فىكون المعنى أنّ جميع ما أضمره نفوسكم فهو حاضر لديه سبحانه غير محجوب عنه كما قال تعالى «وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» و قال «قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ».

و محصل المراد أنّه لا يخفى ما فى النفوس عليه عزّ و جل كما يخفى على غيره، فىكون مساقه مساق قوله عليه السلام فى الخطبه التسعين: عالم السرّ من ضمائر المضميرين و نجوى المتحافتين، و قوله فى الخطبه المأه و السابعه: خرق علمه باطن غيب السترات و أحاط بغموض عقايد السريرات.

و قوله (و خلواتكم عيانه) قال البحرانى: كنى بالخلوات عمّا يفعل فيها من معاصى الله مجازا، و إنّما خصصها لأنها مظنه المعصيه، و يحتمل أن يريد بالخلوه مصدر قولك خلوت اخلو لا المكان، فىكون حقيقه، و ظاهر كونها عيانا لله أى معاينه له. و كلّ ذلك تحذير و تنفير عن تحريك الجوارح و الخلوه بها فيما لا ينبغى من المعاصى، و بالله التوفيق و العصمه.

## تذييل

الايه التى استدلل بها أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا الكلام على وجوب المحافظه على الصلاه أعنى قوله تعالى حكاية عن المجرمين «لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصِِّلِينَ» مما استدللّ بها أكثر أصحابنا الاصوليون كالمعتزله على أنّ الكفار مكلفون بالفروع حسبما أشار إليه أمين الاسلام الطبرسى «ره» أيضا فى تفسير الايه على ما حكيناه عنه سابقا، و حيث إنّ هذه المسأله من المسائل الغامضه المعظمه، و يتفرع عليها كثير من الأحكام الشرعيه فلا بأس بتحقيق الكلام و بسطه فيها لكونها حقيقا بذلك.

فأقول و بالله التوفيق:

المشهور بين أصحابنا بل كاد أن يكون اجماعاً أنّ الكفار مكلفون بفروع العبادات كما أنهم مكلفون باصول الاعتقادات و هو مذهب جمهور العائمه أيضاً، و لم ينقلوا فيها خلافاً إلا عن أبي حنيفة و لم أجد منّا مخالفاً أيضاً إلا شردمه من الأخباريّة كالأمين الاسترأبادى و صاحب الحدائق و صاحب الوافى، و هو الحقّ الموافق للتحقيق، و استدلّ له بوجه:

الاول عموم الأدله على التكليف مثل قوله تعالى «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون» و قوله «و لله على الناس حج البيت» و قوله «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» و «يا أيها الناس اتقوا ربكم» و غيرها، فإنها يشمل الكافر مثل شمولها للمؤمن.

و الاعتراض عليه بحملها على المؤمنين حملاً للمطلق على المقيّد و العام على الخاصّ كما فى الحدائق فاسد، لما تطلع عليه عند ذكر أدله الخصم.

الثانى أنّ الكفر لا يصلح للمانع حيث إنّ الكافر متمكّن من الاتيان بالايان أولاً حتى يصير متمكّن من الفروع.

و اعترض عليه صاحب الحدائق أيضاً بأنه مصادره محضه.

و فيه مع عدم كونه مصادره لأنّ المدعى أنّ الكفار مكلفون بالعبادات و مخاطبون بها، و الدليل أنّ ما زعمه الخصم مانعاً من توجه الخطاب عليهم و من الاتيان بها على الوجه الصحيح و هو الكفر لا يصلح للمانع فكيف يكون مصادره.

و محصّيه أنّ ما دلّ على التكليف بالفروع عام و لا يمنع من ذلك عدم التمكن من الصحيح حال الكفر لأنّ الامتناع بالاختيار لا ينافى الاختيار، على أنّ الايمان من شرايط الوجود التى يجب تحصيلها على المكلف لا شرايط الوجود، فلا مانع من التكليف حال عدمها مع التمكن منها.

الثالث قوله تعالى «لم نك من المصليين» فأنه حكاية عن الكفار و أنهم عللوا دخولهم النار بتركهم للصلاه على ما تقدّم تفصيله سابقاً.

و اعترض صاحب الحدائق أيضا ما يحمل على المخالفين المقرين بالاسلام إذ لا تصريح فيه بالكفار، و يدلّ عليه ما ورد في تفسير عليّ بن إبراهيم من تفسيرها باتّباع الاثمه، أى لم نك من أتباع الأئمه و هو مروى عن الصادق عليه السّلام حسبما عرفت سابقا و عن الكاظم عليه السّلام يعنى أنا لم نتولّ وصيّ محمّد من بعده و لم نصلّ عليهم.

و فيه إنّ الصلاه حقيقه شرعيّه فى الأركان المخصوصه و ظاهر معنى المصلّين هو المقيمون للصلاه أى الأركان المخصوصه و الحمل على المعنى اللغوى أى التابعين خلاف الظاهر المتبادر منه فلا وجه لحملها على المخالفين، و إنكار التصريح فيه بالكفار مورد تعجّب لأدّ قوله حكايه عنهم: و كُنّا نكذب بيوم الدين، صريح فى كونهم كافرين منكّرين للمعاد فكيف يكونون مقرّين بالاسلام و أمّا الخبران المرّويان عن الصادق و الكاظم عليهما السّلام فلا دلالة فيهما، لكونهما تفسيرا بالباطن كما قلناه عند شرح المتن فلا يوجبان رفع اليد عن الظاهر، و يشهد بذلك استدلال أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا الكلام الذى نحن فى شرحه بظواهرها على وجوب المحافظه على الصلوات الخمس و تعاهدها.

الرابع قوله تعالى «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَ لَكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى».

و اعترض عليه أيضا بجواز حمل الصّلاه فيها على ما دلّت عليه الأخبار فى الايه الاولى و أنّ اللفظ من الألفاظ المجمله المتشابهه المحتاج فى تعيين المراد منها إلى التوقيف، فالاستدلال بها و الحال كذلك مردود بتصادم الاحتمالات و الدّخول تحت قوله «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» الايه، على أنّ ما ذكرنا من المعنى هو الموجود فى تفسير عليّ بن إبراهيم كما لا يخفى على من راجعه.

و فيه أوّلا- منع كون الايه من المتشابهات التى يتبعها العذّين فى قلوبهم زيغ، بل من المحكمات التى تؤخذ بظواهرها و هنّ أمّ الكتاب، و ظاهر الايه كما ترى أنّه لم يصدّق بكتاب الله و رسوله و لا صلّى لله و لكن كذب بالكتاب و الرّسول و أعرض عن الايمان، و هذا وصف الكافر لا المخالف.

و يدلّ على ذلك ما فى مجمع البيان قال: و جاءت الروايه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أخذ بيد أبى جهل ثمّ قال له: «أولى لك» (١) «فأولى». فقال أبو جهل: بأى شىء تهدّدنى لا تستطيع أنت و ربّك أن تفعلابى شيئا و أنى لأعزّ أهل هذا الوادى، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هذا.

و أمّا ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم من أنه كان سبب نزولها أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله دعا إلى بيعه علىّ يوم غدير خم فلما بلغ الناس و أخبرهم فى علىّ ما أراد أن يخبر رجع الناس فاتكى معاويه على المغيره بن شعبه و أبى موسى الأشعريّ ثمّ أقبل يتمطى (٢) نحوه و يقول: ما نقرّبا لولايه لعلىّ أبدا و لا نصدّق محمّدا مقاتله، فأنزل الله جلّ ذكره «فلا صدّق و لا صيلى» الايات، فصعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم المنبر و هو يريد البراءه منه فأنزل الله عزّ و جلّ «لا تحرّك به لسانك لتعجل به» فسكت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فالجواب عنه أنّ ظاهر قوله سبحانه: فلا صدّق و لا صيلى و لكن كذب و تولّى، يفيد أنه لم يصدّق أصلا لا ظاهرا و لا باطنا، و لم يقم الصيلاه بل كذب و أعرض ظاهرا و باطنا، و هذا شأن الكافر لا المخالف المصدّق ظاهرا فقط، و المكذب المعرض باطنا فقط.

و على ذلك فاللّازم ترجيح الروايه المفيده لكون المراد بهذه الايه هو أبو جهل الكافر كما فى مجمع البيان على ما تفسير القمى المفيد كون المراد بها معاويه لأنّ فى الأخذ بالروايه الأولى إبقاء الايه على ظاهرها و الأخذ بالثانى يوجب صرفها إلى خلاف ما هو الظاهر المتبادر.

و يؤيد كون المراد به أبو جهل أنّ هذه الايه فى سورة القيامه و هى مكيه كما صرّح به فى مجمع البيان فى تفسير هذه السوره و رواه أيضا فى تفسير سوره هل أتى فأنه يقوى الظنّ بكون نزولها بمكّه فى حقّ أبى جهل لا فى غدير خم فى حقّ معاويه، و الله العالم.

ص: ٣٤٦

١- (١) - أى ويل لك، م

٢- (٢) - يتبختر افتخارا، منه

الخامس قوله تعالى «وَإِذْ قِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» و هو نص صريح فى المطلوب.

السادس قوله تعالى «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ» ذم الله المكذبين بتركهم للركوع.

قال فى الصّافى: روى أنها نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة فقالوا لا نحنى، و فى روايه لا نجبى فأنها سبّه، رواها فى المجمع قال: فقال: لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود أقول: أى لا نحنى بالمهمله و النون أى لا نعطف ظهورنا و على الروايه بالجيم و الباء الموحده المشدده أى لا ننكب على وجوهنا و هما متقاربان.

و أما ما فى تفسير على بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام قال: إذا قيل لهم تولوا الامام لم يتولوه، فهو تفسير بالباطن لا يوجب صرف اليد عن الظاهر كما لا يخفى و احتج القائلون بالعدم بوجوه، فصّلها صاحب الحدائق فى مبحث غسل الجنابه من الكتاب المذكور لا بأس بذكر عبارته على تفصيلها ثم تتبع كلّ وجه وجه بما يتوجه عليه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

فأقول: قال فى الحدائق:

المشهور بين الأصحاب رضى الله عنهم بل كاد أن يكون إجماعاً أنه يجب الغسل على الكافر لأن الكفار مكلفون بالفروع و لم ينقلوا فى المسأله خلافاً من أحد من الخاصه بل من العامه إلا عن أبى حنيفه، قالوا: لكن لا يصح منه حال كفره لاشتراط الصحه بالاسلام و لا يجبه الاسلام و إنّ جبّ الصلاة لخروجها بدليل خاص و ما ذكره منظور عندى من وجوه:

الاول عدم الدليل على التّكليف المذكور و هو دليل العدم كما هو مسلّم بينهم، و ما استدّلوا به هما سيأتى ذكره مدخول بما سنذكره.

أقول: و فيه انك قد عرفت الأدله المحكمه على هذا التّكليف كما عرفت اندفاع الاعتراضات التى اعترض بها عليها.

الثانى الأخبار الدّالة على توقف التكليف على الاقرار والتصديق بالشهادتين منها ما رواه فى الكافى فى الصحيح عن زراره قال: قلت للباقر عليه السّلام: أخبرنى عن معرفة الامام منكم واجبه على جميع الخلق؟ قال: إنّ الله تعالى بعث محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الناس أجمعين رسولا وحجّه لله على خلقه فى أرضه، فمن آمن بالله وبمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واتبعه وصدّقه فإنّ معرفه الامام منا واجبه عليه، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ولم يتبعه ولم يصدّقه ويعرف حقّهما فكيف يجب عليه معرفة الامام، وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقّهما الحديث.

وهو كما ترى صريح الدّلالة على خلاف ما ذكره وأنه متى لم يجب معرفه الامام قبل الايمان بالله ورسوله فبالطريق الأولى معرفه ساير الفروع التى هى متلقّاه من الامام، والحديث صحيح السند باصطلاحهم صريح الدّلالة فلا وجه لردّه وطرحه والعمل بخلافه إلاّ مع الغفلة عن الوقوف عليه.

قال: وإلى العمل بالخبر المذكور ذهب المحدّث الكاشانى حيث قال فى الوافى بعد نقله ما صورته: وفى هذا الحديث دلالة على أنّ الكفار ليسوا مكلفين بشرايع الاسلام كما هو الحقّ، خلافا لما اشتهر بين أصحابنا، انتهى.

قال: ويظهر ذلك أيضا من الأئمة الاسترأبادى فى الفوائد المديّته حيث صرّح فيها بأنّ حكمه الله اقتضت أن يكون تعلق التكليف بالناس على التدرّج بأن يكلفوا أولا بالاقرار بالشهادتين ثم بعد صدور الاقرار عنهم يكلفون بساير ما جاء به النبىّ صلّى الله عليه وآله.

ومن الأحاديث الدّالة على ذلك صحيحه زراره فى الوافى ثم ساق الرّوايه بتمامها.

قال: وقال أيضا بعد نقل جملة من أخبار الميثاق المأخوذ على العباد فى عالم الدّرّ بالتوحيد والامامه ونقل جملة من الأخبار الدّالة على فطره الناس على التوحيد وأنّ المعرفة من صنع الله تعالى ما لفظه: أقول: هنا فوائد إلى أن قال:

الثالثه أنه يستفاد منها أنّ ما زعمه الأشاعره من أنّ مجرّد تصوّر الخطاب من غير

سبق معرفه إلهاميه بحقايق العالم، و بأن له رضا و سخطا و أنه لا بد له من معلّم من جهته ليعلم الناس ما يصلحهم و ما يفسدهم كفاف في تعلق التكليف لهم ليس بصحيح، انتهى و اعترض عليه أولا- بأن الاستدلال يتوقف على القياس بطريق الأولى، و هو ممن أنكره في مقدّمات الكتاب و أنكره أشدّ الانكار فكيف يجوز له التمسك به في هذا المقام مضافا إلى أنه مع القول بحجّيته كما هو الحقّ الحقيق بالاتباع الموافق للايه و للأخبار المسلمّ عند كافّه علمائنا الأبرار حتى عند المستدلّ في مواضع عديده و منها هذا الموضوع يتوقّف على ثبوت الحكم في المقيس عليه و مسلميّته و قبوله و عدم مخالفته للضروره، و الأمر في المقام ليس كذلك و ذلك فأنه لا خلاف و لا إشكال عند أحد حتّى عند المستدلّ حيث جعل محلّ نزاعه مع كافّه العلماء عدا أبي حنيفه في خصوص الفروع، و الامامه من الاصول لا من الفروع إجماعا منه و من علمائنا.

و ثانيا أنّ مقتضى هذه الصحيحه عدم التكليف بالامامه و ساير الفروع إلا بتصديق الله و رسوله و هو حقيقه في التصديق و الاذعان القلبي لا مجرّد الاقرار باللسان، و على تقدير تسليم العموم فالمراد هنا التصديق القلبي جزما لقوله عليه السلام و يعرف حقّهما، فإنّ معرفه ليس ممّا يتوهم فيه حصوله باللسان خاصّه بل هو أمر قلبيّ جزما و إذعان نفسانيّ قطعاً فحينئذ تدلّ هذه الصحيحه على أنّ المنافقين و منهم الخلفاء الثلاثة لم يكونوا مأمورين بالامامه و لا ساير الفروع، و مقتضى هذا أنّه لم يكن عليهم اثم في غصب الخلافه و ساير ما فعلوه بالنسبه إلى أهل البيت من ضرب فاطمه عليها السلام و غصب حقّها و إضرار النّار حول بيتها و إلقاء الحبل على رقبه مولينا أمير المؤمنين عليه السلام و غير ذلك ممّا فعلوه بالنسبه إليهم و إلى غيرهم من البدع التي ابتدعوها في الدّين و تضييع دين خاتم النبيين و سيّد المرسلين، و كذا ما فعله يزيد و ساير جنود المخالفين مع سبط الرّسول الأئمين و ما فعله المخالفون بالنسبه إلى شيعتهم و غير ذلك، و في جميع ذلك لم يكونوا مأثومين أصلا بل هم و غيرهم من الكفّار الذين لم يصدر منهم شيء من ذلك متساويين في عقاب واحد، و هو عدم الايمان بالله و رسوله، و ذلك من حيث عدم تصديقهم لله و رسوله و معرفه حقّهما فإنّهم



و إن أقروا باللسان إلا أنهم لم يصدقوهما قلبا و لم يعرفوا حقهما، فبمقتضى الصّحيحه نظرا إلى عدم إيمانهم بالله و رسوله و معرفتهم حقهما كيف يكلفهم الله تعالى بالامامه و ساير الفروع، و ليس فى الصحيحه أنّ مجرد الاقرار باللسان كان فى ذلك، و على هذا لم يكن لشكاويهم عليهم السلام عن المخالفين و الخلفاء الثلاثة و طعنهم و لعنهم و إثبات الويل عليهم و تكفيرهم من الجهات الّتى ذكرت و تفسيقهم و كذا طعن علمائنا و منهم المستدلّ عليهم وجه، بل كان لغوا محضا و يلزمه أنّه لو فعل ذلك أو شيئا من ذلك غير المنافقين من ساير الكفّار الذين لم يقرؤا بالاسلام بالنسبه إلى سادته الأنام و فاطمه بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و سبطيه عليهما السّلام و غيرهم من شيعتهم و أولادهم و ذراريهم بالقتل و النهب و الاسر أنّه لم يكن عليهم فى ذلك شيء، و يكونون هم و ساير من لم يحدث أمثال هذا عنه فى العقاب متساويين، و قطعى أنّ المستدلّ لا يقول به أيضا إذا القول بذلك من أشنع الشّنايع و أقبح الفضايح، و هل كان مراد النّبى صلّى الله عليه و آله بقوله فى حقّ فاطمه عليها السّلام من آذاها فقد آذانى و غير ذلك بالنسبه إليها و إلى غيرها من الحسنين و أمير المؤمنين عليهم السّلام و أولادهم خصوص المؤمنين المصدّقين لله و لرسوله العارفين بحقهما، أو المراد منه الأعمّ بل ملحوظ نظره خصوص المخالفين أفيجوز المستدلّ ذلك بالنسبه إلى غيرهم فيحكم بجواز اسر غيرهم للسادات و العلويّات و الفاطميّات و قتلهم و نهب أموالهم و هتك عرضهم و غير ذلك من الناس بل الأنبياء ما هذا إلا شيء عجيب أقرب من الكفر لو لم يكن كفرا.

و ثالثا أنّ المخالفين عند المستدلّ كفار حقيقه بالكفر المقابل للاسلام، فيلزمه جريان أحكامهم فيه و منها القول الذى استحدثه من عدم العقاب على ترك شيء من التكليف ما هذا إلا أمر غريب و شيء عجيب و بالجملة فإنّ الصحيحه صريحه فى عدم تكليف المخالفين بالامامه و لا بشيء من الفروع، و يفصح عنه قوله عليه السّلام:

فكيف يجب عليه معرفه الامام و هو لا يؤمن بالله و رسوله، و يعرف حقهما، و ذلك بالتقريب الذى تقدّم، و نزيد حينئذ وجه دلالتة على ذلك هنا فنقول: إنّ مقتضاها أنّ التّكليف بالامامه فرع الايمان بالله و رسوله و هو على ما عرفوه و ورد به الخبر و قد

ذكره في أول كتاب الصلاه هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان ولا ريب في أن ذلك لم يتحقق في حق الخلفاء الثلاث لعدم تصديقهم بالجنان، هذا أفتجوز أيها العاقل أن الكفار المحاربين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والكاسرين لأسنانه والقاتلين للمسلمين في زمنه صلى الله عليه وآله والمتصددين لايقاع البلايا والمحن عليه أن يكونوا في جميع ذلك معذورين غير مأثومين وأن دعاه صلى الله عليه وآله عليهم في بعض الحروب كان عبثا ولغوا بلا منشاء وأن المنشأ هو عدم الاقرار مع أنه لا وجه لدعائه صلى الله عليه وآله وسلم عليهم في ذلك الحين خاصه دون غيرهم أولهم في غير تلك الحال.

ورابعا أن هذه الصحيحه معارضه بما في التهذيب في باب أن الجزية واجبه على جميع أهل الكتاب عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صدقات أهل الذمه وما يؤخذ من جزيتهم من ثمن خمورهم ولحم خنازيرهم وميتتهم، قال عليه السلام: عليهم الجزية في أموالهم يؤخذ منهم من ثمن لحم الخنزير أو خمر كل ما أخذوا منهم من ذلك فوزر ذلك عليهم و ثمنه للمسلمين حلال، يأخذونه في جزيتهم.

وهذا الخبر ليس في سنده من يتوقف فيه سوى إبراهيم بن هاشم وهو على المشهور حسن كالصحيح وعند المحققين من المتأخرين كما ذكره المستدل و ارتضاه ثقه، و السند المشتمل عليه إذا كان الباقي من رجال السند لا يتوقف فيه صحيح، هذا مع أنه لم يقل بهذا الاصطلاح الذي تصدى لنا سلبه متأخر وأصحابنا شكر الله سعيهم، فالحديث حججه عنده ولو كان راويه من أكذب البريه و صرح بكذبه الأئمه و تصحيح سنده منا تبرعى و سد لباب فرار الخصم لو ادعى مراعاة الصيحه في السند بعد وقوع المعارضه بينه وبين ما صح سنده، و مع صحه سنده كما ترى صريح في ثبوت الوزر عليهم في استحلالهم ثمن ما لا يحل ثمنه في مله الاسلام و مع ثبوت الوزر عليهم في ذلك يثبت في المعاصى التي ذكرناها التي هي أشد منها و مقتضى الأولويه التي تسمى ك بها في اثبات مطلبه ثبوت الوزر عليهم في المعاصى التي هي أشد بطريق الأولويه هذا، مضافا إلى عدم القول بالفصل

قال المحقق الثاني المحقق الشيخ على بعد ذكر هذا الخبر:

فيه دلالة على أنّ الكافر يؤخذ بما يستحلّه إذا كان حراما في شريعة الاسلام و أنّ ما يأخذونه على اعتقاد الحلّ حلال علينا و إن كان ذلك الأخذ حراما عندنا.

و مراده بقوله: يؤخذ بما يستحلّه المؤاخذه عليه و ايجاب ذلك العقاب لا أخذ الجزية لتبادر الأوّل من العبارة.

و به اعترف من كتاب الزّكاه في مسأله استحباب ما سوى الزّكاه من الحقوق التي في المال من الضّغث بعد الضّغث و الحفنه بعد الحفنه يوم الجذاذ حيث إنه من القائلين بالاستحباب مستندا إلى روايه معاويه بن شريح قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: في الزّرع حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه.

حيث قال: المتبادر من هذه العبارة العقاب على تركه، و هو كناية عن الوجوب و الالزام به شرعا.

و استشهد لذلك بما في المصباح المنير من قوله: و أخذ بذنبه، عاقبه عليه، و إن كان في الاستشهاد نوع تأمل.

و هذه الصّيححة مع صراحتها في ذلك معتضده بعمل كافه العلماء إلاّ أبا حنيفه على اعترافه و معتضده بأدله العقلاء التي ديدنه التمسك بها فكيف يعارضها التي ذكرها المستدلّ.

مضافا إلى معارضه الكتاب العزيز لها قال الله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» و قد نهاهم الله عن القرب من المسجد الحرام و بمقتضى الصّيححة لم يكن لهذا التكليف وجه، و كذا تكليفهم بالجزية و أخذها منهم و ايجابها عليهم.

و يدلّ على أنّهم مكلفون بشريعة الاسلام و فروعها زياده على الايمان قوله عزّ من قائل: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَ لَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ

«

انظر أيديك الله تعالى إلى ظهور هذه الاية في كونهم مكلفين بتحريم ما حرم الله و التدين بدين الحق بل و صراحتها في ذلك، فانهم لو لم يكونوا مكلفين بذلك لما كان لإرداف قوله: لا- يحرمون ما حرم الله، إلى آخره بقوله: لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و إيراد ذلك في بيان منشاء مقابلتهم و أخذ الجزية منهم وجه، إذ كان عدم الايمان كافيا في ذلك، فيصير الإرداف المذكور لغوا بحثا و خاليا عن الفايده بالمرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و قال سبحانه أيضا «و الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » انظر إلى صراحه هذه الايه أيضا فجعل العذاب المضاعف جزاء لهم على الأفعال المذكوره و من جملتها قتل النفس و الزنا، فلو لا أنّ كلا من الامور المذكوره يصير سببا لضعف العذاب يوم القيامة أو المجموع من حيث المجموع لما كان لتأخير الاشاره أى لفظه ذلك عن جميع ذلك وجه، بل كان المناسب بل اللازم دفعا لتوهم الاشتراك إردافها بالأمر الأول فقط و هو الشرك ليفيد انفراده في السبب.

و الايات الظاهره في ذلك كثيره، و العمل بالصيحيه يوجب ردّها بأجمعها و أى عاقل يرضى بهذا و قد أمروا عليهم السلام في أخبار كثيره مستفيضه بالأخذ بما وافق الكتاب، و هذه الأخبار متلقاه بالقبول حتى عند المستدلّ فالصّحيه الموافقه له و هى ما ذكرناها ترجح على الصحيحه المخالفه له و هى ما ذكرها.

و بعد هذا كلّه نقول:

الذى يفهم من الصحيحه غير ما فهمه المستدلّ و ذكره، بل المراد منها و الله العالم و قائله أعلم: أنّ مخاطبه الكفار المنكرين غير المقرّين بالله و رسوله إلى معرفه الامام الذى هو نائبه و خليفته و من تجب إطااعته و توجيه الخطاب بذلك إليهم يكاد أن يكون ذلك لغوا، و ذلك لا يستلزم عدم إرادتها و مطلوبيتها منهم.

و نظير ذلك فى الشرع كثير منه تكليف النائم و كذا الغافل و كذا فاقد

الطهور عند المحققين فى الأخير و عند الكلّ فى الأولين بقضاء الصلاة التى فاتتهما الذى هو عبارته عن تدارك ما فات اتفاقاً، فلو لا أنّ الصلاة مراده و مطلوبه منهم فى تلك لأحوال لما كان للأمر بالقضاء معنى.

و لذلك مثال فى العرف كأن يكون لشخص عبد لا يطيعه و يعصيه فلا يأمره باطاعه و كيله مثلاً، و لا يوجه إليه الخطاب باطاعه الوكيل مع أنّه لو وجهه لا يطيعه جزماً، فإنّ ذلك لا يوجب عدم المطلوبيّه منه و عدم إرادته على وجه الوجوب و اللزوم لينحصرا فيما دلّ عليه الأمر الخطابى.

فالمراد بقوله عليه السّلام: كيف يجب عليه معرفه الامام، أنّه كيف يوجّه الخطاب إليه.

و لذلك مثال آخر و هو أنّ الأمر بالشىء عند المحققين لا يستلزم الامر بما هو مقدّمه لوجوده، و يقولون بعدم حرمة من حيث إنّها مقدّمه و مع ذلك يقولون إنّ الخطاب بالاباحه و عدم الحرمة يكون لغوا و إن كان ما تضمّنه الخطاب حقّاً، و يكون مثله كبيان الواضحات مثل أنّ النائم لا يبصر و الأسود الزنجى لا يعلم الغيوب و أمثال ذلك، فعدم توجّه الخطاب من حيث القبح فى الصدور لا يستلزم عدم ما تضمّنه لو صدر و قبحه و ذلك واضح لا يخفى.

قال صاحب الحدايق:

و منها ما رواه الثقة الجليل أحمد بن أبى طالب الطبرسى فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث الزّنديق الذى جاء إليه مستدّلاً عليه باى القرآن قد اشبهت حيث قال عليه السّلام:

فكان أوّل ما قنّدهم به الاقرار بالوحدانيّه و الرّبوبيّه و شهاده أن لا إله إلاّ الله، فلمّا أقروا بذلك تلاه بالاقرار لنبىّه صلّى الله عليه و آله بالتبوه و الشهاده بالرّساله، فلمّا انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثمّ الصوم ثمّ الحجّ، الحديث.

و فيه بعد تسليم حجّيته بحسب السند حيث إنّه ليس من أخبار الكتب التى يدعى قطعيتها، أنّ التكاليفات فى صدر الاسلام و أوّل البعثه صدرت تدريجاً و لم ينسخ

الشريعة السابقة دفعه، بل إنما نسخ شيئاً فشيئاً، وليس ذلك من محلّ النزاع في شيء، فإنه لا ريب أنهم متعبدون بشريعتهم السابقة، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسخها عنهم دفعه بل أبقاهم في أول الشريعة على شريعتهم و نسخ منها شيئاً فشيئاً فأوجب عليهم بعض التكاليف تدريجاً، وذلك لا يستلزم عدم كونها مكلفين بالتكاليف في شريعتنا بعد انتساخ شريعتهم، قال:

و منها ما رواه الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى «وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» حيث قال عليه السلام:

أ ترى أنّ الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم و هم يشركون به حيث يقول: و ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة و هم بالآخرة هم كافرون، إنّما دعى الله العباد للإيمان به فإذا آمنوا بالله و رسوله افترض عليهم الفرض.

قال المحدث الكاشاني في كتاب الصافي بعد نقل الحديث المذكور:

أقول: هذا الحديث يدلّ على ما هو التحقيق عندي من أنّ الكفار غير مكلفين بالأحكام الشرعية ما داموا باقين على الكفر، انتهى.

و فيه بعد تسليم السند الحمل على التقيّه لكونه مذهب أبي حنيفة كما اعترف، و هو قد كان في زمان مولينا الصادق عليه السلام و من تلامذته، و مذهبه كان مشهوراً بينهم في زمانه.

و الشاهد على الحمل على التقيّه و تعينه أنّه مع عدم هذا الحمل يلزم مناقضه مضمون الخبر لنصّ الاية، فإنّها صريحة في أنّ المراد بالمشركين هم الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة حيث وصفهم فيها بقوله: «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

و حينئذ فمقتضى الخبر أنّ مورد الاية إمّا المسلمون أو الذين لا نعرفهم أولاً مورد لها، و الأخيران باطلان جزماً و كذلك الأوّل لأنّه يلزم أن يكون المسلمون و المؤمنون مشركين كافرين بيوم الآخر، فيحكم بنجاستهم و كفرهم و عدم قربهم من المسجد الحرام و غير ذلك من أحكام الكفر، كما فعل ذلك المستدلّ في الحكم

بكفر المخالفين من حيث إطلاق الكفر عليهم في الأخبار و جعلهم بذلك كفارا حقيقه بالكفر المقابل للاسلام فاذا كان مؤمن لا يؤتى الزكاه يلزم الحكم بكفره و شركه و نجاسته و استحقاقه للخلود في النار و هو قطعى الفساد عند المستدل و عند الكل، هذا.

مع أنّ الشرك و الكفر بالاخره الواقعين فى الايه و صفا لمن لا يؤتى الزكاه حقيقه فيمن صدر عنه هذان الوصفان، و ليس المسلم كذلك جزما و وجدانا، و حينئذ فالعمل بالخبر يستلزم إلغاء الايه و عدم وجود مصداق لها أو القول بكفر من لا يؤت الزكاه من المؤمنين و شركه و ترتب أحكامهما عليه و لا أراه يقول به.

و بالجمله ظاهر الخبر مناقض لصريح الايه و قد قالوا فى أخبار كثيره: ما خالف الكتاب فاضربوه على الحائط، و أى مخالفه أشد من هذه المخالفه.

و لو قيل بكون هذا الخبر تفسيرا لها و وجوب المصير إليه لزم منه طرح تلك الأخبار و يلزم منه أن لا يوجد مصداق تلك الأخبار الامر لضرب المخالف للقرآن على الحائط إذ كل خبر مخالف يحتمل أن يكون تفسيرا للقرآن و إن لم يرد فى تفسيره فأى خبر يعلم منه المخالفه للقرآن.

و بمقتضى جميع ما ذكر يتعين الحمل على التقيه التى هى باعتراف المستدل رأس كل آفه و بليته.

مع أنه يحتمل أن يكون المراد بهذا الخبر ما قدّمناه فى الاعتراض على الخبر الأوّل من أن عدم توجه الخطاب إليهم لا ينافى مطلوبيته منهم، أو ما قدّمناه فى الاعتراض على الخبر الثانى من أنّهم فى صدر الاسلام و أوّل البعثه لم يؤمروا بذلك، و إنّما كلفوا بالتكاليف شيئا فشيئا، و إليه يشير قوله عليه السلام فى آخر الخبر: إنّما دعا الله العباد للايمان، و على ذلك فلا دلاله فيه على ما رامه.

قال صاحب الحدائق:

و مما يدل على ذلك ما ورد عن الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» حيث قال: كيف يأمر بطاعتهم و يرخص فى

منازعتهم، إنما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله و أطيعوا الرسول.

أقول: تمام الحديث ما رواه في الكافي عن بريد العجلي قال: تلا أبو جعفر عليه السلام أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولى الأمر منكم فان خفتم تنازعا في الأمر فارجعوه إلى الله و إلى الرسول و إلى اولى الأمر منكم، ثم قال: كيف يأمر بطاعتهم و يرخص في منازعتهم إنما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله و أطيعوا الرسول.

و هو كما ترى لا- دلالة فيه على ما رامه المستدلّ بوجهه، بل محصّل معناه أنّه كان في مصحفهم عليهم السلام فارجعوه مكان فردّوه و يحتمل أن يكون تفسيراً له كما أنّ قوله فان خفتم تنازعا للأمر تفسير لقوله فان تنازعتم في شيء، و يستفاد منه أيضاً أنّه كان في مصحفهم و إلى اولى الأمر منكم، فيدلّ على أنّه لا- يدخل أولو الأمر في المخاطبين بقوله: إن تنازعتم، كما زعمه المفسرون من المخالفين، فقوله:

كيف يأمر بطاعتهم و يرخص في منازعتهم، يريد به أنّ الله سبحانه أمر بطاعتهم أولاً بقوله: و أطيعوا الرسول و اولى الأمر منكم، و مع ذلك فلا يجوز إدخالهم في المخاطبين بقوله: فان تنازعتم إذ وجوب الاطاعة لا يجتمع مع الترخيص في المنازعة فلا بدّ أن يكون المقصود بالخطاب غيرهم، و هم الذين امرؤا أولاً- باطاعه الله و الرسول و اولى الأمر، فامرؤا ثانياً عند التنازع بالردّ و الرجوع إليهم أيضاً، فافهم جيّداً.

الثالث لزوم تكليف ما لا- يطاق إذ تكليف الجاهل بما هو جاهل به تصوّراً و تصديقاً عين تكليف ما لا يطاق، و هو ممّا منعه الأدلة العقلية و التقلية لعين ما تقدّم في حكم معذوريه الجاهل، و إليه يشير كلام الذخيره في مسأله الصلاه مع التجاسه عامداً حيث نقل عن بعضهم الاشكال في إلحاق الجاهل بالعامد، و قال بعده:

و الظاهر أنّ التكليف متعلّق بمقدّمات الفعل كالنظر و السعى و التعلّم، و إلّا لزم تكليف الغافل أو التكليف بما لا يطاق، و العقاب يترتب على ترك النظر «إلى أن قال» و لا يخفى أنّه يلزم على هذا أن لا يكون الكفّار مخاطبين بالأحكام و إنّما يكونون



مخاطبين بمقدمات الأحكام، وهذا خلاف ما قرره الأصحاب رضى الله عنهم و تحقيق المقام من المشكلات.

قال صاحب الحدائق بعد نقل هذا الكلام:

لا إشكال بحمد الله سبحانه فيما ذكره بعد ورود الأخبار بمعذوريته الجاهل حسبما مرّ، و ورودها بخصوص الكافر كما نقلنا هنا، و لكنهم يدورون مدار الشهرة في جميع الأحكام و إن خلت عن الدليل في المقام سيّما مع عدم الوقوف على ما يصادها من أخبار أهل الذكر عليهم السلام.

و فيه أوّلا أنّ هذا الدليل أخصّ من المدعى لا يشمل من تصوّر أحكام الاسلام و عرفه.

و ثانيا إن كان مراده بذلك الجاهل المستضعف الذى لا يعرف الاسلام، و لم يسمع صيته أصلا فلا كلام فيه.

و إن أراد من سمع صيت الاسلام و عرفه فلا نسلم أنّه جاهل تصوّرا و تصديقا بل لا ريب أنّه عالم بالشرايع الموظفه و لو إجمالا.

نعم ليس عالما بذلك تفصيلا فهو متصوّر لما فى الاسلام من شريعته و أحكام كما أنّا مثلا عارفون بدين أهل الكفر و أنّ لهم شرايع و أحكاما و إن كنّا جاهلين بذلك تفصيلا، و هذا القدر من العلم يكفى.

و لذلك أنّ أصحابنا لا يعذرون الجاهل فى الأحكام نظرا إلى علمه بذلك إجمالا و لو لم يكف هذا المقدار لزم أن لا يكلف المقرّ بالله و رسوله بمعرفة الامام و الفروع أصلا حتّى الصّلاه و الزّكاه و الحجّ و لا يعاقب بتركها أيضا، و يكون الأمر بالمعرفة الواردة فى الأخبار ليس فيه فايده، و من الفروع و جوب تحصيل المعرفة بالأحكام و على ما ذكره يلزم أن لا يكونوا مكلفين، و هو ممّن يقول بوجوب تحصيل المعرفة على المسلمين.

و على قوله لم يكن فرق بينها و بين ساير الواجبات و المحرّمات إذ الجهل الذى هو علّه لعدم تعلّق التكليف بما وراء المعرفة من حيث استلزامه التكليف بما

لا يطاق جاء فى نفس المعرفه أيضا فأنى له بالفارق، هذا.

مع أنه لو صحّ ما ذكر يلزم قبح التكليف بالاصول أيضا لآتحد العله بل ازديادها فيها، و ذلك فإنّ من تيقن بطلان الاسلام فضلا عن أن يجهله مكلف بالاصول جزما فتكليف من هو جاهل بها أولى كما لا يخفى.

و يلزم على ذلك خروج اكثر الكفار لو لم يكن كلهم عن التكليف بالاسلام لاستحاله تكليف الجاهل فضلا عن العالم، و لا ريب أنّ كل من دان بدين إلا من شدّ متيقن بدينه جازم بصحّته، ففى حال الجزم و اليقين كيف يكلف بالعلم بطلان ما علمه و فساد ما تيقن به.

و بذلك يظهر أنّهم ليسوا مكلفين بالاصول و الحال أنّ المستدلّ لا يقول به، و ليت شعري كيف لا يلتزم به مع اقتضاء دليله ذلك و جريانه فيه بل أولى بالجريان كما عرفت، هذا.

و قد يقرّر هذا الدليل أعنى لزوم التكليف بما لا يطاق بوجه آخر و هو أنّ الكافر غير قادر على الاتيان بالعباده الصّحيحه المشروطه بالايمان.

و اجيب عنه بأننا نقول أنّهم مكلفون بالفروع حال الكفر لا بشرط الكفر فالكفر ظرف للتكليف لا للمكلف فلا يلزم التكليف بما لا يطاق.

الرابع الأخبار الدّاله على وجوب طلب العلم كقولهم عليهم السّلام طلب العلم فريضه على كلّ مسلم فإنّ موردها المسلم دون مجرّد البالغ العاقل.

و فيه أنّ الاستدلال بتلك الأخبار موقوف على القول بحجّيه مفهوم اللّقب و هو مع كونه خلاف التحقيق لا يقول به المستدلّ أيضا فلا وجه لاستدلاله بها على المدعى.

الخامس اختصاص الخطاب القرآنى بالذين آمنوا، و ورود يا أيها النّاس فى بعض و هو الأقلّ يحمل على المؤمنين حملا للمطلق على المقيد و العام على الخاص كما هو القاعده المسلّمه بينهم.

و الجواب ما قدّمنا فى الدليل السّابق، و هو أنّ دلّالته من حيث مفهوم

هذا الكلام الشّريف له عليه السّلام حسبما أشرنا إليه مروىّ في الكافي عن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعي أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان إذا حضر الحرب يوصي للمسلمين بكلمات يقول:

تعاهدوا الصّلاه و حافظوا عليها، و استكثروا منها، و تقرّبوا بها فإنّها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، و قد علم ذلك الكفّار حين سئلوا، ما سلّكم في سقر قالوا لم نك من المصلّين و قد عرف حقّها من طرقها و أكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع و لا قرّه عين من مال و لا ولد يقول الله عزّ و جلّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ»، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم منصباً (١) لنفسه بعد البشري له بالجنّه من ربّه فقال عزّ و جلّ: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»، الايه، فكان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه.

ثمّ إنّ الزكاه جعلت مع الصلاه قربانا لأهل الاسلام على أهل الاسلام، و من لم يعطها طيب النّفس بها يرجو بها من الثّمن ما هو أفضل منها فإنّه جاهل بالسنة مغبون الأجر ضالّ العمر طويل التّدم بترك أمر الله عزّ و جلّ و الرغبه عمّا عليه صالحو عباد الله يقول الله عزّ و جلّ: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى» من الأمانه فقد خسر من ليس من أهلها و ضلّ عمله عرضت على السّماوات المبتّيه و الأرض المهاده و الجبال المنصوبه فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم و لو امتنعن «امتنت خ ل» من طول أو عرض أو عظم أو قوه أو عزّه امتنعن، و لكن أشفقن من العقوبه.

ثمّ إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الاسلام، و هو قوام الدّين و الأجر فيه عظيم مع العزّه و المنعه و هو الكره فيه الحسنات و البشري بالجنّه بعد الشّهاده و بالرّزق غدا عند الرّب و الكرامه يقول الله عزّ و جلّ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا»

«فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ»، الآية.

ثُمَّ إِنَّ الرُّعْبَ وَ الخوفَ من جِهَادِ المِسْتَحَقِّ لِلجِهَادِ وَ المتوازيين على الضلال ضلال في الدين و سلب للدنيا مع الذلّ و الصغار، و فيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضره القتال يقول الله عزّ و جلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ».

فحافظوا على أمر الله عزّ و جلّ في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم و سعادته، و نجاه في الدنيا و الآخرة من فطيع الهول و المخافة، فإنّ الله عزّ و جلّ لا يعاب بما العباد مقترفون ليلهم و نهارهم لطف به علما، و كان «كل خ ل» ذلك في كتاب لا يضلّ ربّي و لا ينسى، فاصبروا و صابروا و اسألوا النَّصْرَ، و وطنوا أنفسكم على القتال و اتقوا الله عزّ و جلّ، فإنّ الله مع الذين اتقوا و الذينهم محسنون.

## بيان

رواه المحدث العلامة المجلسي في البحار من الكافي كما رويناها و قال بعد نقله:

قوله: من طرقها، لعلّه من الطروق بمعنى الاتيان بالليل أي واضب عليها في الليالي و قيل: أي جعلها دأبه و صنعته من قولهم هذا طرقة رجل أي صنعته.

و لا- يخفى ما فيه و لا- يبعد أن يكون تصحيف طوق بها على المجهول أي ألزمها كالطوق بقريته اكرم بها على بناء المجهول أيضا.

قوله على أهل الاسلام، الظاهر أنّه سقط هنا شيء قوله: من الأمانة، لعلّه بيان لسبيل المؤمنين، أي المراد بسبيل المؤمنين ولايه أهل البيت عليهم السلام و هي الامانة المعروفه.

قوله عليه السلام: و هو الكره، أي الحمله على العدو و هي في نفسها أمر مرغوب فيه اذ ليس هو إلا- مرّه واحده و حمله فيها سعادته الأبد، و يمكن أن يقرأ الكره بالهاء، أي هو مكروه للطباع فيكون إشاره إلى قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ»، و لعلّه أصوب.

و قال الجوهري: زحف إليه زحفا، مشى و الزحف الجيش يزحفون إلى العدو، و قوله: لطف به، الضمير راجع إلى الموصول في قوله: ما العباد مقترقون.

## الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام است وصیت میکرد با آن أصحاب خود را می فرمود:

مواظبت نمائید بامر نماز و محافظت نمائید بر آن و بسیار کنید از گذاردن آن و تقرّب جوئید بدرگاه پروردگار با آن، پس بدرستی که بوده است آن نماز بر مؤمنین فرض واجب، آیا گوش نمی کنید بسوی جواب اهل آتش وقتی که سؤال کرده شدند که چه باعث شد بامدن شما در دوزخ، گفتند نبودیم ما در دنیا از نماز گذارندگان، و بدرستی که آن نماز می ریزد گناهان را مثل ریختن برک از درختان و بر می دارد قید گناهان را از گردن گناه کاران مثل برداشتن بند ریسمان از گردن حیوان.

و تشبیه فرموده است نمازهای پنج گانه را حضرت رسالتاب صلوات الله و سلامه علیه و آله بچشمه آب گرمی که باشد در خانه مرد پس بشوید آن مرد بدن خود را در آن چشمه در روز و شب پنج دفعه، پس نزدیک نیست که باقی ماند بر بدن او چرکی و کثافتی، و بتحقیق که شناخت قدر نماز را مردانی از مؤمنین که مشغول نمی کند ایشان را از آن نماز زینت متاع دنیا و نه چشم روشنی از اولاد و نه مال آن می فرماید حق تعالی در شان ایشان: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ» الایه، یعنی تسبیح کند خداوند را مردانی که مشغول نمی نماید ایشان را تجارت و خرید و فروش از ذکر پروردگار و از اقامه نماز و از دادن زکاه و بود حضرت رسول خدا بغایت متحمل بمشقت و زحمت نماز با وجود این که بشارت بهشت داده بود او را بجهت فرمایش خدا که خطاب فرمود او را که: امر کن اهل خود را بنماز و صبر کن برحمت آن، پس بود آن بزرگوار امر می فرمود اهل خود را و اदार می نمود نفس خود را بر آن.

پس از آن بدرستی که زکاه گردانیده شده با نماز مایهٔ تقرّب خدا از برای اهل اسلام پس کسی که عطا نماید زکاه را در حالتی که با طیب نفس بدهد آنرا پس بدرستی که باشد آن از برای او کفّارهٔ گناهان و حاجب و مانع از آتش سوزان، پس البتّه نباید احدی چشمش بر پشت آن بدوزد، و البتّه نباید غمگین و پریشان شود بان از جهت این که هر کسی که بدهد زکاه را با وجه إکراه و عدم طیب نفس در حالتی که امیدوار باشد بجهت دادن آن ثوابی را که افضل باشد از آن پس آن کس جاهلست بسنت، مغبونست در اجرت، گمراهست در عمل، دراز است پشیمانی و ندامت آن.

پس از آن أداء امانت است پس بتحقیق که نومید شد کسی که نبوده از اهل آن، بدرستی که آن امانت اظهار شد بر آسمانهای بنا شده، و بر زمینهای فرش شده، و بر کوههایی که صاحب بلندی و منصوبست بر زمین، پس نیست هیچ چیز درازتر و پهن تر و بلندتر و بزرگتر از آنها، و اگر امتناع می نمودی چیزی بجهت درازی یا پهنی یا بجهت قوّت یا عزّت هر آینه آنها امتناع می کردند، و لکن ترسیدند از عذاب پروردگار، و فهمیدند چیزی را که جاهل شد بان کسی که ضعیفتر از ایشان بود که عبارت باشد از انسان، بدرستی که آن انسان بسیار ظالمست بسیار نادان، بدرستی که خدای تعالی مخفی نمی ماند بر او چیزی که بندگان کسب نمایند آنرا در شب و روز خودشان، لطیف خبیر است به کار ایشان، و محیط است با علم خود بان، اعضاء شما شاهدان اویند، و جوارح شما لشکران او، و قلبهای شما جاسوسان او، و خلوتهای شما آشکار است در نظر آن.

## اشاره

و التسعون من المختار في باب الخطب

و الله ما معاويه بأدهى منى، و لكته يغدر و يفجر، و لو لا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس، و لكن كل غدره فجره، و كل فجره كفره، و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، و الله ما أستغفل بالمكيدة، و لا أستغمز بالشديده.

## اللغه

(الدّهى) بسكون الهاء و الدّهاء الفكر و الارب و جوده الرأى و (غدر) غدرا من باب ضرب و نصر نقض عهده و (فجر) يفجر من باب قتل و (الغدره) و (الفجره) و (الكفره) كلّها فى بعض النسخ بفتح الفاء و سكون العين و زان تمره فالتاء للمره، و فى بعضها بتحريك الفاء و العين و زان مرده فيكون جمع غادر و فاجر و كافر، و فى بعضها بضمّ الفاء و فتح العين و زان همزه فالتاء للمبالغه أى الكثير الغدر و الفجور و الكفر، فان أسكنت العين فالبناء للمفعول تقول: رجل سخره، كهمزه يسخر من الناس، و سخره كغرفه من يسخر منه.

(و لا أستغمز) بالزاء المعجمه من الغمز و هو العصر باليد يقال غمزه غمزا من باب ضرب، و الغمز محرّكه الرّجل الضعيف قال الشارح البحرانى: و روى بالزاء المهمله أى لا استجهل بشدايد المكاييد، انتهى. و لعلّه من الغمر بالتحريك و هو من لم يجزّب الامور و الأوّل أصوب و أنسب.

الباء في قوله: بأدهى زايده في الخبر جيء بها لتأكيد معنى النفي كما في قوله تعالى «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» وقوله: بالشديده، صفة محذوفه الموصوف أي بالدواهي الشديده و نحو ذلك.

### المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام دفع توهم من كان معتقدا أنّ معاويه أجود رأيا وأكثر تدبيرا منه، و تعرّض به على معاويه من أجل عدم تحرّزه في تدبير الامور عن الغدر و الفجور، و صدر الكلام بالقسم البارّ تأكيدا للمقصود فقال:

(و الله ما معاويه بأدهى مني) أي ليس بأجود رأيا و أحسن تدبيرا و أبعد غورا و أعمق فكرا و أشدّ دهاء مني، و إن فسّر الدهاء بخصوص استعمال العقل و الرأى فيما لا- ينبغى فعله من الامور الدنيويّه المعبّر عنه بالنكراء فلا بدّ من جعل قوله عليه السّلام أدهى بمعنى أعرف بطرق الدهاء و أبصر بها، لعدم اتّصافه بالدهاء بهذا المعنى فضلا عن كونه أدهى.

(و لكنّه يغدر و يفجر) أي يستعمل الغدر في اموره السياسيّه فيزعم أهل الجهل أنّه أدهى.

و قوله: و يفجر، إشاره إلى نتيجه الغدر يعنى أنّه من أجل إقدامه على الغدر يكون فاجرا، و ذلك لأنّ الغدر مقابل الوفاء، و الوفاء فضيله داخله تحت العفّه، فيكون الغدر رذيله داخله تحت الفجور.

و أيضا الوفاء توأم الصّدق و الغدر توأم الكذب حسبما عرفت تفصيلا في الخطبه الحاديه و الأربعين و شرحها، و الكذب من أعظم الفجور.

و إيضاح هذه الفقره ما تقدّم في الخطبه المذكوره حيث قال عليه السّلام هناك:

و لقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحوّل القلب وجه الحيله و دونه



مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عن بعد القدره عليها و ينتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين.

و روى في الكافي في حديث مرفوع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له:

ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاويه؟ فقال: تلك النكراء تلك الشيطانه، و هي شبيهه بالعقل و ليست بالعقل.

و لمّا تبّه على أنّ اتّصاف معاويه بالدهاء من جهه عدم مبالاته بالغدر و الفجور، عقبه بالتنبيه على ما هو المانع من اتّصافه عليه السلام به مع كونه أعرف و أغدر به منه فقال:

(و لو لا كراهية الغدر) و المكر و استلزامه للكذب و الغشّ و الخيانه و الفجور المنافي لمرتبه العصمه (لكنت من أدهى الناس) فيدلّ هذه الجملة بمقتضى مفاد لو لا الامتناعيه على امتناع اتّصافه بالدهاء الملازم للغدر.

و المراد بالكراهه هنا الحرمة لا- معناها المعروف في مصطلح المتشرّعه كما صرّح به في عبارته التي نقلناها آنفا من الخطبه الحاديّه و الاربعين أعنى قوله:

قد يرى الحوّل القلب وجه الحيله و دونه مانع من أمر الله و نهيه فيدعها رأى عين بعد القدره عليها.

و أصرح منه ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا أنّ المكر و الخديعه في النار لكنت أمكر الناس.

و أصرح منهما قوله: (و لكن كلّ غدره فجره و كلّ فجره كفره) و قد روى نظير هذه العبارة عنه عليه السلام في الكافي باسناده عن الاصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفه: أيها الناس لو لا كراهية الغدر كنت أدهى الناس ألا إنّ لكلّ غدره فجره و لكلّ فجره كفره، ألا و إنّ الغدر و الفجور و الخيانه في النار.

قال بعض شراح الكافي: الظاهر أنّ اللّام في لكلّ مفتوحه للمبالغه في

التأكيد، وقوله: الغدر والخيانة في النار، إما على حذف المضاف أي صاحبها، أو المصدر بمعنى الفاعل، هذا.

فان قلت: استلزام الغدر للفجور المستفاد من قوله عليه السلام: و لكن كل غدره فجره قد عرفنا وجهه سابقا، و أما استلزام الفجور للكفر المستفاد من قوله:

و كل فجره كفره فما الوجه فيه؟، قلت: قال بعض الشارحين: وجه لزوم الكفر هنا إن الغادر على وجه استباحه ذلك واستحلاله كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص و معاوية في استباحه ما علم تحريمه بالضروره من دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم و جحدده هو الكفر.

و قال الشارح البحراني: و يحتمل أن يريد كفر نعم الله و سترها باظهار معصيه كما هو المفهوم اللغوي من لفظ الكفر، انتهى.

و يتوجه على الأول أولا أنه أخص من المدعى لأن المدعى هو كفر كل غادر كما هو ظاهر المتن لا الغادر المستباح المستحل للغدر فقط، و ثانيا كون حرمة الغدر من ضروريات الدين غير معلوم.

و على الثاني أنه خلاف الظاهر.

و الأظهر أنه داخل في القسم الرابع من أقسام الكفر التي تقدم تفصيلها في حديث الكافي في شرح الفصل الثامن عشر من الخطبه الاولى، فقد روينا هناك عن الكلبي باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله عز و جل على خمسة أوجه «إلى أن قال» الوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله و هو قول الله تعالى «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعَيْدِوَانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ» فكفرهم بترك ما أمر الله و نسبهم إلى الايمان و لم يقبله منهم و لم ينفعهم فقال «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ».

وقوله (و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة) قال الشّارح المعتزلي: حديث صحيح مروى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أقول: وهو تنفير عن الغدر.

و نحوه ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن التّوفلى عن السيّكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يجىء كلّ غادر يوم القيامة بامام مايل شدقه حتّى يدخل النّار، و يجىء كلّ ناكث بيعه إمام أجذم حتّى يدخل النّار، هذا.

و لما ذكر أنّ معاويه ليس بأدهى منه و نبه على معرفته بطرق الدّهاء و خبرويّته بها أكّده بقوله:

(و الله ما استغفل بالمكيده) أى لا يطمع فى اغفالى بالكيد علىّ، لأنّى أحذر من الغراب و إن كان الطامع فى الكيد أروغ من الثعلب، فإنّ من كان أعرف بطرق الخداع و وجوه التّدابير و الحيل لا يتمكّن من إغفاله و لا يلحقه الغفله عمّا يراد فى حقّه من الكيد و الخديعه كما قال عليه السّلام فى الكلام السّادس: و الله لا أكون كالصّبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها.

(و لا استغمز بالشّديده) أى لا استضعف بالخطوب الشّديده و الدّواهى العظيمة لأنّى البطل الأهيس و الحازم الأكيس و الشّجاع الأسوس.

فقد اتّضح كلّ الوضوح بما أتى به فى هذا الكلام بطلان توهم من زعم أنّ معاويه كان أدهى منه عليه السّلام و أصحّ تدبيراً.

و قد بسط الكلام فى هذا المرام أبو عثمان الجاحظ على أحسن تقرير و تبيان و فصل الشارح المعتزلى تفصيلاً عجيباً أحببت نقل ما قاله، لأنه من لسانهما أحلى فأقول:

أما الجاحظ فقد قال فى محكيّ كلامه:

و ربما رأيت بعض من بطن بنفسه العقل و التحصيل و الفهم و التمييز و هو من العامه و يظنّ أنه من الخاصه يزعم أنّ معاويه كان أبعد غورا و أصحّ فكراً و أجود

رويّه و أبعد غايه و أدقّ مسلكا، و ليس الأمر كذلك و سارى إليك بجمله تعرف بها موضع غلطه و المكان العذى دخل عليه الخطاء من قبله.

كان عليّ عليه السلام لا يستعمل فى حربته إلا ما وافق الكتاب و السنّه.

و كان معاويه يستعمل خلاف الكتاب و السنّه كما يستعمل الكتاب و السنّه، و يستعمل جميع المكائيد حلالها و حرامها و يسير فى الحرب بسيره ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان إذا لاقى رتبيل.

و عليّ عليه السلام يقول: لا تبدءوا بالقتال حتى يبدءوكم، و لا تتبعوا مدبرا، و لا تجهزوا على جريح، و لا تفتحوا بابا مغلقا، و هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى أعور السلمى، و فى عمرو بن العاص، و حبيب بن مسلمه و فى جميع الرؤساء كسيرته فى الحاشيه و الحشو و الأتباع و السفله.

و أصحاب الحروب إن قدروا على البيات تبيتوا. و إن قدروا على رضخ الجميع بالجنادل و هم نيام فعلوا و إن أمكن ذلك فى طرفه عين، و لم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، و إن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، و لم يدعوا أن ينصبوا المجانيق و العراوات و الثقب و الشريب و الدبابات و الكمين، و لم يدعوا دسّ الشيموم و لا التضريب بين الناس بالكذب و طرح الكتب فى عساكرهم بالسّبايات و توهيم الامور و ايحاش بعضهم من بعض و قتلهم بكلّ آله و حيله كيف وقع القتل و كيف دارت بهم الحال.

فمن اقتصر من التدبير حفظك الله على ما فى الكتاب و السنّه و كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لا يتناهى من المكائيد، و الكذب أكثر من الصّيدق و الحرام أكثر عددا من الحلال، و كذلك الايمان و الكفر و الطاعه و المعصيه و الحقّ و الباطل، و كذلك الصّحه و السقم و الصّواب و الخطاء.

فعلّى عليه السلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هو لله عزّ و جلّ رضى، و ممنوع اليدين عن كلّ بطش إلا ما هو لله رضى، و لا يرى الرّضاء إلا فيما يرضاه الله و يحبّه، و لا يرى الرّضاء إلا فيما دلّ عليه الكتاب و السنّه دون ما يقول عليه أصحاب الدّهاء و النكراء و المكائيد و الاراء.

فلما أبصرت العوام كثره بوادر معاويه في المكاييد، و كثره غرايبه في الخدع، و ما اتفق له و تهيأ على يده، و لم يروا ذلك من علي، ظنوا بقصر عقولهم أن ذلك من رجحان عند معاويه و نقصان عند علي فقالوا لو لم ما يعد له من الخدع إلا- رفع المصاحف.

ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأى علي و خالف أمره، فان زعمت أنه قد نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت و ليس في هذا اختلافنا، و لا عن غراره أصحاب علي عليه السلام و عجلتهم و تسرعهم و تنازعهم دفعا، و إنما كان قولنا في التميز بينهما في الدهاء و النكراء و صحه الرأي و العقل.

على أننا لا نصف الصالحين بالدهاء و النكراء، و لا يقول أحد عنده شيء من الخير: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أدهى العرب و العجم و أنكر قريش و أنكر كنانه.

لأن هذه الكلمه إنما وضعت في مديح أصحاب الارب و من يتعمق في الرأي في توكيد أمر الدنيا و زبرجها و تشديد أركانها. فأما أصحاب الاخره الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر و إنما يصلحون على تدبير خالق البشر لا يمدحون بالدهاء و النكراء، و لم يمنعوا إلا ليعطوا أفضل منه.

و أما الشارح المعتزلي فقد قال:

إن السّياس لا يتمكّن من السّياسه البالغه إلا إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، و متى لم يعمل في السّياسه بمقتضى ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوسق حاله.

و أمير المؤمنين عليه السلام كان مقيدا بقيود الشريعة، مدفوعا إلى أتباعها و رفض ما يصلح من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقا، فلم يكن قاعده في خلافته قاعده غيره ممن لم يلتزم بذلك.

و لسنا زارين بهذا القول على عمر بن الخطّاب، و لكنّه كان مجتهدا يعمل بالقياس و الاستحسان و المصالح المرسله و يرى تخصيص عمومات النصّ بالاراء و بالاستنباط من اصول يقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، و يكيد خصمه و يأمر

أمرأه بالكيد و الحيله، و يؤدّب بالدّرّه و السّوط من يتغلّب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك، و يصفح عن آخرين قد اجتموا ما يستحقّون به التّأديب كلّ ذلك بقوّه اجتهاده و ما يؤدّيه إليه نظره.

و لم يكن أمير المؤمنين عليه السّلام يرى ذلك، و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعدّها إلى الاجتهاد و الأقيسه، و يطبق امور الدّنيا على امور الدّين، و يسوق الكلّ مساقا واحدا، و لا يضع و لا يرفع إلّا بالكتاب و النّصّ، فاختلف طريقتاهما في الخلافه و السّياسه.

و كان عمر مع ذلك شديد الغلظه، و كان علىّ عليه السّلام كثير الحلم و الصّيفح و التجاوز فازدادت خلافه ذلك قوّه، و خلافه هذا لينا.

و لم يمن عمر بما منى علىّ به من فتنه عثمان الّتي أحوجته إلى مداراه أصحابه و جنده و مقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنه.

ثمّ تلى تلك الفتنه فتنه الجمل و فتنه صفّين ثمّ فتنه التّهرّوان و كلّ ذلك الامور مؤثره في اضطراب أمر الوالى و اغلال معاهد ملكه، و لم يتفق لعمر شيء من ذلك فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكه و صحّحه تدبير الخلافه.

فان قلت: فما قولك في سياسه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و تدبيره أليس كان منتظما سديدا مع أنّه كان لا يعمل إلّا بالنصوص و التوقيف من الوحي، فهلا كان تدبير علىّ عليه السّلام و سياسته كذلك؟.

قلت: أمّا سياسه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و تدبيره فخارج عمّا نحن فيه، لأنّه معصوم لا يتطرّق العله إلى أفعاله، و ليس بواحد من هذين الرّجلين بواجب العصمه عندنا «إلى أن قال»:

و كان أبو جعفر بن أبى زيد الحسنى نقيب البصره إذا حدّثناه فى هذا يقول:

إنّه لا فرق عند من قرء السير بين سيره النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و سياسه أصحابه أيّام حياته، و بين سيره أمير المؤمنين و سياسه أصحابه أيّام حياته، فكما أنّ عليّا عليه السّلام لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفه و العصيان و الهرب إلى أعدائه و كثره اختلافه و الحروب

فكذلك كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ممنوا بنفاق المنافقين و اذاهم و خلاف أصحابه عليه و هرب بعضهم إلى أعدائه و كثره الحروب و الفتن.

و كان يقول: أ لست ترى القرآن العزيز مملوًا بذكر المنافقين و الشَّكوى منهم و التَّيَأُّم من أذاهم له، كما أنَّ كلام عليٍّ مملوٌ بالشكوى من منافقي أصحابه و التَّأَلُّم من أذاهم له.

ثمَّ ذكر كثيرا من الايات المتضمَّنه لنفاق المنافقين و الشكوى منهم لا حاجه بنا إلى ذكرها ثمَّ قال:

فمن تأمل كتاب العزيز علم حاله صلوات الله عليه مع أصحابه كيف كانت و لم ينقله الله إلى جواره إلا و هو مع المنافقين له و المظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد، حتَّى لقد كاشفوه مرارا فقال لهم يوم الحديبيّه: احلقوا و انحروا، فلم يحلقوا و لم ينحروا و لم يتحرَّك أحد منهم عند قوله، و قال له بعضهم و هو يقسم الغنائم: اعدل يا محمَّد فانك لم تعدل، و قالت الأنصار له مواجهه يوم حنين أ تأخذ ما أفشاه الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكه، حتى أفضى إلى أن قال لهم في مرض موته: ايتوني بدواه و كتف أكتب لكم ما لا تضلُّون بعده، فعصوه و لم يأتوه بذلك وليتهم اقتصروا على عصيانه و لم يقولوا له ما قالوا و هو يسمع قال:

و كان أبو جعفر يقول من هذا ما يطول شرحه و القليل منه ينبيء عن الكثير و كان يقول:

إنَّ الاسلام ما جلا عندهم و لا ثبت في قلوبهم إلا بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين فتح عليهم الفتوح و جائتهم الغنائم و الأموال و كثرت عليهم المكاسب و ذاقوا لذَّة الحياه و عرفوا لذَّة الدُّنيا و لبسوا الناعم و أكلوا الطيب و تمتَّعوا بنساء الرُّوم و ملكوا خزائن كسرى، و تبدَّلوا بذلك التقشُّف و اللبس الخشن و أكل الضباب و القنافذ و اليرابيع و لبس الصُّوف و الكرايس أكل اللوز ينجات و الفالوزجات و لبس الحرير و الدِّياج فاستدلُّوا بما فتحه الله عليهم و أتاخه لهم على صحَّه الدَّعوه و صدق الرِّساله.

و قد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعدهم بأنَّه سيفتح عليهم كنوز كسرى و قيصر، فلما

وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَظْمُوهُ وَأَحْبُوهُ وَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الشُّكُوى وَذَلِكَ النِّفَاقُ وَذَلِكَ  
الاسْتِهْزَاءُ إِيمَانًا وَيَقِينًا وَإِخْلَاصًا، وَطَابَ لَهُمُ الْعَيْشُ، وَتَمَسَّ كَوَا بِالذِّينِ لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ طَرِيقًا إِلَى نَيْلِ الدُّنْيَا، فَعَظَّمُوا نَامُوسَهُ، وَ  
بَالِغُوا فِي إِجْلَالِهِ وَإِجْلَالِ الرَّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِهِ.

ثُمَّ انْقَرَضَ الْأَسْلَافُ وَجَاءَ الْأَخْلَافُ عَلَى عَقِيدَةٍ مَمَّيْدَةٍ وَأَمْرٍ أَخَذُوهُ تَقْلِيدًا مِنْ أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ دَبُّوا فِي حُجُورِهِمْ، ثُمَّ انْقَرَضَ  
ذَلِكَ الْقَرْنُ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ كَذَلِكَ وَهَلُمَّ جَزَا قَالَ:

وَلَوْ لَا الْفَتْوحُ وَالنَّصْرُ وَالظَّفْرُ الَّذِي مَنَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ وَالدَّوْلَةُ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْهِمْ لَا نَقْرَضُ دِينَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يَذْكَرُ فِي التَّوَارِيخِ كَمَا يَذْكَرُ نَبِيُّهُ خَالِدُ بْنُ سَنَانِ الْعَنْسِيِّ حَيْثُ ظَهَرَ وَدَعَا إِلَى الدِّينِ وَكَانَ  
النَّيَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَذَكَّرُونَهُ كَمَا يَعْجَبُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ أَخْبَارَ مَنْ نَبَغَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْمَلُوكِ وَالدَّعَاةِ الَّذِينَ انْقَرَضَ  
أَمْرُهُمْ وَبَقِيََتْ أَخْبَارُهُمْ، وَكَانَ يَقُولُ:

مِنْ تَأَمَّلِ الرَّجْلَيْنِ وَجَدَهُمَا مُتَشَابِهَيْنِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمَا أَوْ فِي أَكْثَرِهَا.

وَذَلِكَ لِأَنَّ حَرْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ سَجَالًا انْتَصَرَ يَوْمَ بَدْرٍ وَانْتَصَرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ  
أَحَدٍ، وَكَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ كِفَافًا خَرَجَ هُوَ وَهُمْ سِوَاءَ لَامِلِهِ وَلا- عَلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا رَئِيسَ الْأَوْسِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَكُتِلَ مِنْهُمْ  
فَارِسُ قَرِيشٍ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِودٍ وَانْصَرَفُوا عَنْهُ بِغَيْرِ حَرْبٍ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَتْ، ثُمَّ حَارَبَ قَرِيشًا بَعْدَهَا يَوْمَ الْفَتْحِ  
فَكَانَ الظَّفْرُ لَهُ.

وَهِكَذَا كَانَتْ حُرُوبُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَصَرَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَخَرَجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاوِيَةَ عَلَى سِوَاءٍ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ رُؤَسَاءَ، وَ مِنْ  
أَصْحَابِهِ رُؤَسَاءَ وَانْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنْ صَاحِبِهِ بَعْدَ الْحَرْبِ عَلَى مَكَانِهِ، ثُمَّ حَارَبَ بَعْدَ صَفِّينَ أَهْلَ النَّهْرَوَانِ فَكَانَ  
الظَّفْرُ لَهُ قَالَ:

وَ مِنْ الْعَجَبِ أَنَّ أَوَّلَ حُرُوبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ بَدْرًا وَكَانَ هُوَ الْمَنْصُورَ



فيها، و أول حروب علي عليه السلام الجمل و كان هو المنصور.

ثم كان من صحيفه الصلح و الحكومه يوم صفين نظير ما كان من صحيفه الصلح و الهدنه يوم الحديبيه ثم دعا معاويه في آخر أيام علي عليه السلام إلى نفسه و تسمى بالخلافه كما أن مسيلمه و الأسود العنسي دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تسمى بالنبوه، و اشتد على علي عليه السلام ذلك كما اشتد على رسول الله صلى الله عليه و آله أمر الأسود و مسيلمه، و بطل أمرهما بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كذلك بطل أمر معاويه و بنى اميه بعد وفاه علي عليه السلام.

و لم يحارب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين، و لم يحارب عليا عليه السلام أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم النهروان.

و مات علي عليه السلام شهيدا بالسيف، و مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شهيدا بالسم.

و هذا لم يتزوج علي خديجه أم أولاده حتى ماتت، و هذا لم يتزوج علي فاطمه أم أشرف أولاده حتى ماتت.

مات رسول الله صلى الله عليه و آله عن ثلاث و ستين سنه و مات علي عليه السلام عن مثلها، و كان يقول:

انظروا إلى أخلاقهما و خصائصهما:

هذا شجاع و هذا شجاع، و هذا فصيح و هذا فصيح، و هذا سخي جواد و هذا سخي جواد، و هذا عالم بالشرائع و الامور الالهيه و هذا عالم بالفقه و الشريعه و الامور الدقيقه الغامضه و هذا زاهد في الدنيا غير أنهم عليها و لا مستكثر منها و هذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها، و هذا مذيب نفسه في الصلاه و العباده و هذا مثله، و هذا غير محب إليه شيء من الامور العاجله إلا النساء و هذا مثله، و هذا ابن عبد المطلب بن هاشم و هذا في تعداده، و أبوهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بنى عبد المطلب و ربى محمّد صلى الله عليه و آله و سلم في حجر والده هذا و هو أبو طالب فكان عنده جاريا مجرى أحد أولاده، ثم لمّا شبّ و كبر استخلص من بنى أبي طالب و هو غلام فرّياه في حجره مكافاه لصنيع أبي طالب به، فامترج الخلقان و تماثلت السجّيتان، و إذا كان القرين

مقتديا بالقرين فما ظنك بالثريه و التثقيف الدهر الطويل.

فوجب أن يكون أخلاق محمد صلى الله عليه وآله و سلم كأخلاق أبي طالب، و أن يكون أخلاق علي كأخلاق أبي طالب أبيه و أخلاق محمد صلى الله عليه وآله و سلم مرتبه و أن يكون الكل شيمه واحده و سوسا واحدا و طينه مشتركه و نفسا غير منقسمه و لا- متجزيه، و أن لا- يكون بين بعض هؤلاء و بعض فرق و لا- فصل لولا أن الله اختص محمدا صلى الله عليه وآله برسالته و اصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البريه في ذلك، فامتاز رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بقوله: أخصيك بالنبوه فلا نبوه بعدى، و تخصم الناس بسبع و قال صلى الله عليه وآله و سلم له أيضا: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، فأبان نفسه بالنبوه و أثبت له ما عداها من جميع الفضائل و الخصائص مشترك بينهما.

قال الشارح المعتزلى:

و كان النقيب أبو جعفر غزير العلم صحيح العقل منصفًا بالجدل غير متعصب للمذهب و إن كان علويا و كان يعترف بفضائل الصيحابه و يثنى على الشيخين و يقول: إنهما مهّدا دين الاسلام و أرسيا قواعده و لقد كان شديد الاضطراب فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و إنما مهّدها بما تيسر للعرب من الفتوح و الغنايم فى دولتهما و كان يقول فى عثمان: إن الدوله فى أيامه كانت على إقبالها و علوّ جدّها بل كانت الفتوح فى أيامه أكثر و الغنايم أعظم لولا أنه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك مسلكهما و كان مضعفا فى أصل القاعده مغلوبا عليه و كثير الحب لأهله و اتيح له من مروان وزير سوء ما أفسد القلوب عليه و حمل الناس على خلعه و قتله.

قال الشارح: و كان أبو جعفر لا يجحد الفاضل فضله و الحديث ذو شجون قلت له مرّه:

ما سبب حبّ الناس لعليّ بن أبي طالب عليه السلام و عشقهم له و تهالكهم فى هواه؟ و دعنى فى الجواب من حديث الشجاعه و العلم و الفصاحه و غير ذلك من الخصائص التى رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها.

ص: ٣٧٥

فضحك و قال لى: لم تجمع حرا ميزك على؟ ثم قال: ههنا مقدمه ينبغى أن تعلم و هى:

إن أكثر الناس موتورون من الدنيا أما المستحقون فلا ريب فى أن أكثرهم محرومون.

نحو عالم يرى أنه لا حظ له من الدنيا، و يرى جاهلا غيره مرزوقا موسعا عليه.

بضروراته، و يرى غيره و هو جبان فشل ينفر من ظله مالكا بقطر عظيم من الدنيا و قطعه وافره من المال و الرزق.

و عاقل سديد الرأى صحيح العقل قد قدر عليه رزقه و هو يرى غيره أحمق مايقا تدرّ عليه الخيرات له أخلاف الرزق و ذى دين قويم و عبادته حسنه و اخلاص و توحيد و هو محروم ضيق الرزق و يرى غيره يهوديا أو نصرانيا أو زنديقا كثير المال حسن الحال حتى أن هذه الطبقات المستحقه يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات التى لا استحقاق لها، و تدعوهم الضروره إلى الذل لهم و الخضوع بين أيديهم إما لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع.

و دون هذه الطبقات من ذوى الاستحقاق أيضا ما يشاهد عيانا من تجار حاذق أو بناء عالم أو نقاش بارع أو مصور لطيف على غايه ما يكون من ضيق رزقهم و قلّه الحيله بهم، و يرى غيرهم ممن ليس يجرى مجراهم و لا يلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق.

فهذا حال ذوى الاستحقاق و الاستعداد.

و أما الذين ليسوا من أهل الفضائل كحثو العامه فانهم أيضا لا يخلون من الحقد على الدنيا و الدّم لها و الحنق و الغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم و جيرانهم و لا ترى أحدا منهم قانعا بعيشه و لا راضيا بحاله يتزهد و يطلب حالا فوق حاله قال:

فاذا عرفت هذه المقدمه فمعلوم أنّ عليا عليه السلام كان مستحقا محروما بل هو أمير المستحقين المحرومين و سيدهم و كبيرهم، و معلوم أنّ الذين يلحقهم التزله و ينالهم الضيم يتعصب بعضهم لبعض و يكونون البا و يدا واحده على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا لا اشتراكهم فى الأمر الذى ألمهم و ساءهم و عضهم و مضهم، و اشتراكهم فى الأنفه و الحميه و الغضب و المنافسه لمن عليهم و قهر عليهم و بلغ من الدنيا ما لم يبلغوه.

فاذا كان هؤلاء أعنى المحرومين متساوين فى المنزله و المرتبه و تعصب بعضهم لبعض فما ظنك بما إذا كان رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضائل محتو على الخصائص و المناقب و هو مع ذلك محروم محدود قد جرّعته الدنيا علاقمها، و علتة علا بعد نهل من صابها و صبرها، و لقي منها برحا بارحا و جهدا جهيدا و علا عليه من هو دونه و حكم فيه و فى بيته و أهله و رهطه من لم يكن ما ناله من الامر و السيلطان فى حسابه، و لا دائرا فى خلدته، و لا خاطرا بباله، و لا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له و لا- يراء له، ثم كان فى آخر الامر أن قتل هذا الرجل الجليل فى محرابه و قتل بنوه بعده و سبى حريمه و نساؤه و تتبع أهله و بنو عمّه بالطرد و القتل و الشريد و السيجون مع فضلهم و زهدهم و عبادتهم و سخائهم و انتفاع الخلق بهم.

فهل يمكن أن لا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص و هل تستطيع أن لا تحبه و تهواه و تذوب فيه و تفنى فى عشقه انتصارا له و حميه من أجله و آنفه ممّا ناله و امتعاضا ممّا جرى عليه.

و هذا أمر مركوز فى الطبائع مخلوق فى الغرائز كما يشاهد الناس على الجرف إنسانا قد وقع فى الماء العميق و هو لا يحسن السباحه فانهم بالطبع البشرى يرقون عليه رقه شديده.

و قد بلغنى أنه رمى قوم منهم أنفسهم فى الماء نحوه يطلبون تخليصه و لا- يتوقعون على ذلك مجازاه منه بمال أو شكر و لا ثواب فى الاخره فقد يكون منهم من لا- يعتقد أمر الاخره، و لكنّها رقه بشرية و كان الواحد منهم يتخيل فى نفسه أنه ذلك الغريق

فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصّعبه للمشاركة الجنسيّه.

و كذلك لو أنّ ملكا ظلم أهل بلد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلد يتعصّب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك و الاستعداد عليه.

فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشّان قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم و أخذ أمواله و ضياعه و قتل أولاده و أهله كان لياذهم به و انضوائهم إليه و اجتماعهم و التفافهم به أعظم و أعظم، لأنّ الطّبيعه البشريّه تدعو إلى ذلك على سبيل الايجاب و الاضطرار و لا يستطيع الانسان منه امتناعا.

قال الشّارح: هذا محصول قول النقيب أبي جعفر قد حكّيته و الألفاظ لى و المعنى له، و كان لا يعتقد في الصّحابه ما يعتقدّه أكثر الاماميّه فيهم و يسفّه رأى من يذهب فيهم إلى النّفاق و التّكفير، و كان يقول: حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى في بعض الافعال فحكمه إلى الله إن شاء أخذه و إن شاء غفر له قلت له مرّه: أفتقول إنّهما من أهل الجنّه؟ فقال: إى و الله أعتقد ذلك لأنّهما إمّا أن يعفو الله عنهما ابتداء أو بشفاعه الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أو بشفاعه علىّ أو يؤاخذهم بعقاب أو عتاب ثمّ ينقلهما إلى الجنه لا استريب في ذلك أصلا و لا أشكّ في ايمانهما برسول الله صلّى الله عليه و آله و صحّه عقيدتهما فقلت له: فعثمان؟ قال: و كذلك عثمان ثمّ قال: رحم الله عثمان و هل كان إلّا واحدا منّا و غصنا من شجره عبد مناف، و لكن أهله كدروه علينا و أوقعوا العداوه و البغضاء بينه و بيننا قلت له: فيلزم ذلك على ما تراه في أمر هؤلاء أن يجوز دخول معاويه الجنّه لأنّه لم تكن منه إلّا المخالفه و ترك امتثال أمر النبويّ.

فقال: كلاً- إنّ معاويه من أهل النار لا لمخالفته عليا و لا بمحاربتة اياه، و لكن عقيدته لم تكن صحيحه و لا ايمانه حقا كان من رءوس المنافقين هو و أبوه، و لم يسلم قلبه قطّ و إنّما أسلم لسانه، و كان يذكر من حديث معاويه و من فلتات

قوله و ما حفظ من كلام يقتضى فساد العقيدة شيئا كثيرا ليس هنا موضع ذكره فأذكره و قال لى مرّه: حاش لله أن يثبت معاويه فى جريده الشيخين الفاضلين أبى بكر و عمر و الله ما هما إلا كالذهب الابريز و لا معاويه إلا كالدرهم الزايف أو قال كالدرهم القمى.

ثم قال لى: فما يقول أصحابكم فيهما؟ قلت: أما الذى استقرّ عليه رأى المعتزله بعد اختلاف كثير بين قدمائهم فى التفضيل و غيره إنّ عليا عليه السلام أفضل الجماعه و إنهم تركوا الأفضل لمصلحه رأوها و إنه لم يكن هناك نصّ قاطع العذر و إنما كانت إشاره و ايماء لا يتضمّن شىء منها صريح النصّ و إنّ عليا نازع ثم بايع، و جمع ثم اسحب، و لو قام على الامتناع لم نقل بصحّه البيعه له و لا بلزومها، و لو جرّد السيف كما جرّده فى آخر الأمر لقلنا بفسق كلّ من خالفه على الاطلاق إنه فاسق كافر و لكن رضى بالبيعه أخيرا و دخل فى الطاعه، و بالجمله أصحابنا يقولون: إنّ الأمر كان له و كان هو المستحقّ و المتعين فان شاء أخذه بنفسه و إن شاء ولّاه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولايه غيره اتبعناه و رضينا.

فقال: قد بقى بينى و بينكم قليل أنا أذهب إلى النصّ و أنتم لا تذهبون إليه؟ فقلت: إنه لم يثبت النصّ عندنا بطريق يوجب العلم، و ما تذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله، و ما عدا ذلك من الأخبار التى نشارككم فيها فلها تأويلات معلومه.

فقال و هو ضجر: يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن نتأول قولنا لا إله إلا الله محمّد رسول الله، دعنى من التأويلات الباردة التى تعلم القلوب و النفوس أنها غير مراده و أنّ المتكلمين تكلفوها و تعسّفوها، فانما أنا و أنت فى الدار و لا ثالث لنا فيستحيى أحدنا من صاحبه أو يخافه.

قال الشارح: فلما بلغنا إلى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يخشاه، فتركنا ذلك الاسلوب من الحديث و خضنا فى غيره، انتهى.

قال الشارح المحتاج إلى رحمه رب العالمين المتمسك بحبل الله المتين ولايه أمير المؤمنين:

لله در الشارح المعتزلى و النقيب أبى جعفر الحسنى، فلقد أجاد كل منهما فيما أفاد، و أسفرا التّقاب عن وجه المراد، و حقّقا ما هو الحقّ الأحقّ بالاتباع، و أفصحا عن صريح مذهب الشّيعة الاماميه رضى الله عنهم لو لا إنكار الأوّل للنصّ الجلى و تعصّب الثّانى فى حقّ الشّيخين و قوله: بأنّهما من أهل الجنّه بشفاعه الرّسول صلّى الله عليه و آله أو بشفاعه علىّ عليه السّلام و بعبارة اخرى عدم تبرّيه من الشّيخين مع تولّيه لأمر المؤمنين فان كان ما قالاه مقتضى التّقيه التى هى شعار الاماميه أى يكون ما أضمره خلاف ما أظهره، فطوبى لهم و حسن ماب و جنّات خلد مفتّحه الأبواب.

و إن كان سريرتهما وفق علانيتهما فويل لهما من ديان الدّين يوم حشر الأوّلين و الاخرين.

و ما أدرى ما ذا يعتذران به إذا لاقيا أمير المؤمنين فى موقف حساب ربّ العالمين و كيف يمكن إنكار النصّ مع وجود النصوص القاطعه المتواتره العاميه و الخاصيه حسبما عرفت فى تضاعيف الشرح و تعرف أيضا فى المواقع اللايقه، أم كيف يمكن اجتماع ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام و محبّته فى القلب مع محبّه الشّيخين و ما جعل الله لرجل فى جوفه من قلبين و لنعم ما قال مجنون العامرى:

و لو كان لى قلب يذوب بحبّها و قلب باخرى إنّها لقلوب

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و السابعه و الأربعين أخبار كثيره فى عدم اجتماع محبّته عليه السّلام مع محبّه غيره فليتذكّر، هذا.

مضافا إلى النصّ الذى هو مسلّم النقيب كما أنه مثبت لخلافه أمير المؤمنين ناف لخلافه المنتحلين المبطلين، و بالجمله لازمه الولايه الحقه الثبات فى عداوه الثلثه.

و هنا لطيفه مناسبه للمقام يعجبني ذكرها و هو:

إنّ الشيخ صالح بن حسن سأل عن الشيخ الأجلّ بهاء المله و الدّين قدّس الله

روحه و قال: ما قول سيدى و سندی فى هذه الأبيات لبعض النواصب فالمأمول أن تشرفوا بجواب منظوم يكسر سورتته:

أهوى عليا أمير المؤمنين و لا أرضى بسبّ أبى بكر و لا عمرا

و لا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت النبى رسول الله قد كفرنا

الله يعلم ما ذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

فأجابه الشيخ قدس سرّه العزيز: التمسّت أيها الأخ الأفضّل الصفىّ الوفىّ أطال الله بقاءك و أدام فى معارج العزّ ارتقاك الاجابه  
عما هذر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول و طفقت أقول:

يا أيها المدعى حبّ الوصىّ و لم تسمح بسبّ أبى بكر و لا عمرا

كذبت و الله فى دعوى محبته ثبت يداك ستصلى فى غد سقرا

فكيف تهوى أمير المؤمنين و قد أراك فى سب من عاداه مفتكرا

فان تكن صادقا فيما نطقت به فابره إلى الله ممّن خان أو غدرا

و أنكر النصّ فى خمّ و بيعته و قال إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قد هجرا

أتيت تبغى قيام العذر فى فدك أ نحسب الأمر فى التمويه مستترا

إن كان فى غضب حقّ الطهر فاطمه سيقبل العذر ممّن جاء معتذرا

فكلّ ذنب له عذر غداه غد و كلّ ظلم ترى فى الحشر مغتفرا

فلا تقولوا لمن أيامه صرفت فى سبّ شيخيكم قد ضلّ أو كفرا

بل سامحوه و قولوا لا تؤاخذوه عسى يكون له عذر إذا اعتذرا

فكيف و العذر مثل الشمس اذ بزغت و الأمر متّضح كالصبح إذ ظهرنا

لكنّ إبليس أغواكم و صيّركم عميا و صمّا فلا سمعا و لا بصرا

**الترجمه**

می فرماید قسم بخدا نیست معاویه زیرکتر از من در تدبیر امورات دنیویّه،





و لكن آن ملعون مکر و حيله ميکنند و مرتکب فسق و فجور مي شود، و اگر حيله کردن حرام نمي شد هر آينه مي بودم من از زيرکترين خلق و لكن هر حيله کننده فاسق و فاجر است، و هر فاسق و فاجر کافر، و هر صاحب حيله را علمي است شناخته مي شود با او در روز قيامت، بخدا سوگند طلب نمي شود غفلت از من بجهت کيد و حيله و طمع نمي شود در ضعف من بجهت شدايد و سختيهاي روزگار.

## و من کلام له عليه السلام و هو المأتان

### اشاره

من المختار في باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهَدْيِ لِقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَجَوَعَهَا طَوِيلٌ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسُ الرِّضَا وَالسَّيِّئُ وَالسَّيِّئُ وَالسَّيِّئُ، وَإِنَّمَا عَقْرُ نَاقَةٍ تَمُودٌ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهِمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سَبْحَانَ «فَعَقَّرُوهَا فَأَصْرِبُوهَا نَادِمِينَ» فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفِ خَوَارِ السَّكَّةِ الْمُحْمَاهِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارِ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ سَلَكِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ وَرَدَ الْمَاءِ، وَ مِنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التَّيِّهِ.

### اللغة

قال الأزهري (العقر) عند العرب قطع عرقوب الناقة ثم جعل النحر عقرا

ص: ٣٨٢

لأنَّ ناجر البعير يعقره ثمَّ ينحره و (الخوار) بالضمَّ صوت البقر و الغنم و السِّهم و الحور المنخفض من الأرض، و الأرض الخَوَّاره الكثيره الخوار و (خسف) المكان غار فى الأرض و خسفه الله يتعدى و لا يتعدى و (السَّكه) بالكسر حديده الفدان التى تثير بها الأرض و (حميت) الحديده تحمى من باب تعب فهى حاميه إذا اشتدَّ حرَّها بالنَّار و يعدى بالهمزه فيقال أحميتها فهى محماه و (التَّيه) بكسر التاء المفازة التى لا علامه فيها يهتدى بها، و تاه الانسان فى المفازة يتيه ضلَّ عن الطريق.

## الاعراب

ثمود بالفتحه قبيله من العرب الاولى و هم قوم صالح و صالح من ولد ثمود سموا باسم الأكبر ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح يصرف و لا- يصرف، فمن جعله اسم حى أو واد صرفه لأنَّه حينئذ مدكّر، و من جعله اسم قبيله أو أرض لم يصرفه للتأنيث و العلميه، و أرض ثمود قريبه من تبوك، و لما عمّوه فى بعض النسخ بتشديد الميم فتكون ظرفيه بمعنى إذ، و فى بعضها بكسر اللام و تخفيف الميم فتكون ما مصدرية، و قوله: فأصبحوا نادمين إن كان أصبح ناقصه بمعنى صار فنادمين خبرها، و إن كانت تامه بمعنى الدخول فى وقت الصِّباح فهو حال من فاعلها، و يؤيِّد الثانى قوله تعالى فى سوره الحجر «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ» و كذا قوله: فما كان، يحتمل أن تكون كان ناقصه و اسمها مضمّر فيها أى ما كان الانتقام منهم، و تامه بمعنى وقع.

## المعنى

## اشاره

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام ترغيب أصحابه على الثبات على ما كانوا عليه من سلوك سبيل الحقّ، و لما كانت العاده جاريه بأن يستوحش الناس من الوحده و قلّه الرّفيق فى الطريق لا سيّما إذا كان طويلا صعبا غير مأنوس فنهى عن الاستيحاش فى تلك الطريق و قال:

(أيها الناس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّه أهله) و كنى به عمّا عساه

يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنهم ليسوا على الحق لقلتهم و كثره مخالفيتهم، و أيضا قلّه العدد في الطرق الحسيه مظنه الهلاك و السيّلامه مع الكثره فتبهم عليه السيّلام على أنهم في طريق الهدى و السلامه و إن كانوا قليلين و أنّ طرق الاخره لا تقاس بطرق الدّنيا.

ثمّ تبّه على قلّه أهل الهدى بأنّ أغلب الناس مفتونون بحبّها الصّارف لهم عن طريق الهدى إلى طريق الرّدى فقال:

(فإنّ الناس اجتمعوا على مائده) استعارها للدّنيا و الجامع كونهما مجتمع اللذات و تفرعها بأنّ(شبعها قصير و جوعها طويل) و كنى بقصر شبعها عن قصر مدّتها و بطول جوعها عن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الاخره.

قال الشارح البحرانى: لفظ الجوع مستعار للحاجه الطويله بعد الموت إلى المطاعم الحقيقه الباقيه من الكمالات النفسانيه الفانيه بسبب الغفله في الدّنيا، فلذلك نسب الجوع إليها.

و كيف كان ففيه تنفير للمخاطبين من الاجتماع على تلك المائده مع المجتمعين عليها من أهل الدّنيا و حتّ لهم على الاجتماع على مائده شبعها طويل و جوعها قصير مع المجتمعين عليها من أهل الاخره.

و انما يحصل ذلك بسلوك صراطهم المستقيم المؤدّى إلى جنّه النعيم عرضها السماوات و الأرض اعدّت للمتقين، اولئك لهم رزق معلوم، فواكه و هم مكرمون، على سرر متقابلين، يطاف عليهم بكأس من معين، بيضاء لذّه للشاربين، و فاكهه مما يتخيرون، و لحم طير مما يشتهون، يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك و فى ذلك فليتنافس المتنافسون، هذا.

و أما قلّه أهل الهدى فقد اشير إليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز و فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام، و قد مدح الله القليل و ذمّ الكثير فى كثير من آى التنزيل قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» و قال «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» و قال «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» و قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» و قال و اكثرهم لا يشعرون.

و الغرض منها رفع ما يسبق الى الأوهام العاميه من أن الكثره دليل الحقيّه و القله دليل البطلان، و لذا يميل أكثر الناس إلى السواد الأعظم مع أن في أعصار جميع الأنبياء كان أعداؤهم أضعاف أتباعهم و أوليائهم.

روى في البحار من الكافي باسناده عن سماعه بن مهران قال: قال لى عبد صالح عليه السّلام يا سماعه امنوا على فرشهم و أخافوني أما و الله لقد كانت الدّنيا و ما فيها إلا واحد يعبد الله و لو كان معه غيره لأضافه الله عزّ و جلّ إليه حيث يقول:

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» فصبر بذلك ما شاء الله، ثم إن الله آنسه باسماعيل و إسحاق فصاروا ثلاثه أما و الله إن المؤمن لقليل و إن أهل الكفر كثير أ تدرى لم ذلك؟ فقلت: لا أدرى جعلت فداك، فقال: صيروا انسا للمؤمنين يبتون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك و يسكنون إليه.

قال المحدث العلامة المجلسي بعد نقله: قوله: و أخافوني، أى بالاذاعه و ترك التقيّه، و الضمير فى أمنوا راجع إلى المدّعين للتشيعّ المذنبين لم يطيعوا أئمتهم فى التقيّه و ترك الاذاعه و أشار بذلك إلى أنهم ليسوا بشيعه لنا، و قوله و إن أهل الكفر كثير المراد بالكفر هنا المقابل للايمان الكامل كما قال تعالى «وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» و قوله: أ تدرى لم ذاك؟ أى قلّه عدد المؤمنين مع أنهم بحسب الظاهر كثيرون أو لأنّ الله لم جعل هؤلاء فى صوره المؤمنين، و المعنى أن الله جعل هؤلاء المتشيعه انسا للمؤمنين لئلا يستوحشوا لقلّتهم أو يكون علّه لخروج هؤلاء عن الايمان، فالمعنى أنه جعل المخالفين انسا للمؤمنين فيبتون أى المؤمنون إلى المخالفين أسرار أئمتهم فبذلك خرجوا عن الايمان.

و يؤيد الاحتمالات المتقدّمه ما رواه علىّ بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: ليس كلّ من يقول بولايتنا مؤمنا و لكن جعلوا انسا للمؤمنين.

و فى البحار من الكافي عن حمران بن أعين قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام:

جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاه ما أفيناها فقال عليه السّلام: ألا احديثك بأعجب

من ذلك المهاجرون و الأنصار إلا و أشار بيده (١) ثلاثه، فقلت: جعلت فداك ما حال عمّار؟ قال: رحم الله عمّارا أبا اليقظان بايع و مات شهيدا، فقلت فى نفسى: ما شىء أفضل من الشهاده، فنظر الئى فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثه ايهاات ايهاات.

و فيه من الكافى عن قتيبه الأعشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمنه أعزّ من المؤمن و المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟ و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و فيما روينا كفايه.

و قوله (أيها الناس إنّما يجمع الناس الرضا و السخط) أى يجمعهم فى العذاب رضاهم بالمنكرات و فى الخلاص منه سخطهم لها كما أنه يجمعهم فى الثواب رضاهم بالصالحات و فى الحرمان منه سخطهم لها، لأنّ الرضى بفعل قوم كالدخل معهم فيه، و يدلّ على ذلك أخبار كثيره.

مثل ما فى الوسایل عن البرقى فى المحاسن عن محمّد بن مسلم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّما يجمع الناس الرضا و السخط فمن رضى أمرا فقد دخل فيه و من سخطه فقد خرج منه.

و فيه من العيون و العلل باسناده عن عبد السلام بن صالح الهروى قال قلت لأبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام يا ابن رسول الله ما تقول فى حديث روى عن الصادق عليه السلام قال: إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذرارى قتله الحسين عليه السلام بفعل آبائها فقال: هو كذلك، فقلت: قول الله عزّ و جلّ «و لا تزرّ وازرّه و زرّ أخرى» ما معناه؟ قال: صدق الله فى جميع أقواله، و لكن ذرارى قتله الحسين يرضون بفعل آبائهم و يفتخرون بها، و من رضى شيئا كان كمن أتاه، و لو أنّ رجلا قتل بالمشرق فرضى بقتله رجل بالمغرب لكان الرضى عند الله شريك القتال، و إنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم.

و فيه من العيون و العلل بهذا الاسناد عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: لأى

ص: ٣٨٦

١- (١) - قوله و أشار بيده من كلام الراوى، و المراد به الاشاره بثلاثه أصابع من يده و ثلاثه من كلام الامام «عليه السلام» و المراد بالثلاثه: سلمان، و أبو ذر، و المقداد «بحار»

عَلَّه أَعْرَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي زَمَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهِمُ الْأَطْفَالُ وَ مِنْ لَا ذَنْبَ لَهُ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهِمُ الْأَطْفَالُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْقَمَ أَصْلَابَ قَوْمِ نُوحٍ وَأَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَانْقَطَعَ نَسْلُهُمْ فَغَرَقُوا وَلَا طِفْلَ فِيهِمْ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيَهْلِكَ بَعْدَابَهُ مِنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَ أَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَاغْرَقُوا بِتَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ سَائِرِهِمْ اغْرَقُوا بِرِضَاهُمْ بِتَكْذِيبِ الْمَكْذِبِينَ، وَ مِنْ غَابَ عَنْ أَمْرِ فَرَضِي بِهِ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ وَ أَتَاهُ.

وَ فِيهِ عَنِ الْعِيَّاشِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَاشِمٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ» وَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ قَدْ قَالُوا وَ اللَّهُ مَا قَتَلْنَا وَ لَا شَهِدْنَا، وَ إِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: اِبْرءُوا مِنْ قَتْلِنَاهُمْ، فَأَبَوْا.

وَ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَرْقَطِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: تَنْزِلُ الْكُوفَةُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ:

تَرُونَ قَتْلَهُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ:

فَأَنْتَ إِذَا لَا تَرَى الْقَاتِلَ إِلَّا مِنْ قَتْلِ أَوْ مِنْ وَلى الْقَتْلِ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ» فَأَيُّ رَسُولٍ قَتَلَ الَّذِينَ كَانَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عَيْسَى رَسُولٍ، وَ إِنَّمَا رَضُوا قَتْلَ أَوْلَادِكُمْ فِ سَمَوَاتَيْنِ، هَذَا.

وَ لَمَّا ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النَّاسَ يَجْمَعُهُمُ الرِّضَا وَ السُّخْطُ اسْتَشْهَدَ عَلَيْهِ بِقَصَّةِ ثَمُودَ فَقَالَ:

(وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَهُ) الصَّالِحَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ آيَةً قَوْمِهِ (ثَمُودَ رَجُلًا وَاحِدًا) مِنْهُمْ أَزْرَقَ أَشْقَرَ أَحْمَرَ يُقَالُ لَهُ: قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَ كَانَ وَلَدُ زَنَا وَ لَمْ يَكُنْ ابْنُ سَالِفٍ وَ إِنَّمَا وَلَدَ فِي بَيْتِهِ فَانْتَسَبَ إِلَيْهِ (فَغَمَّهَمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ) وَ هِيَ الصَّيِّحَةُ وَ الرَّجْفَةُ وَ الصَّاعِقَةُ وَ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ (لَمَّا عَمَوْهُ بِالرِّضَا) أَيْ أَنْزَلَ الْعَذَابَ عَلَى جَمِيعِهِمْ لَمَّا كَانَ الْجَمِيعُ رَاضِينَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ أَعْنَى عَقَرَ النَّاقَةَ (فَقَالَ تَعَالَى) فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ

(فَعَقَرُوها) نسب العقر إلى جميعهم لما ذكر (فأصبحوا نادمين) على عقرها عند معانيه العذاب.

و فى سورة هود «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» (١) و فى سورة الأعراف «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

قال الطبرسى فى تفسير هذه الايه الأخيره: أى الصَّيْحَه، و قيل: الزَّلْزَلَه هلكوا بها، و قيل: الصَّاعِقَه، و قيل: كانت صيحه زلزلت به الأرض و أصل الرَّجْفَه الحركه المزعجه الشديده و إنما قال فأصبحوا جاثمين لأنَّ العذاب أخذهم عند الصَّيْبَاح، و قيل: أتتهم الصَّيْحَه ليلاً فأصبحوا على هذه الصَّفَه، و العرب تقول عند الأمر العظيم: و اسوء صباحاه.

أقول: و يؤيد الأوّل قوله تعالى فى سورة الحجر «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصِيبِينَ» و ستعرف تفصيل قصّيتهم و تمام الايه المذكوره فى المتن فى التذنيب الاتى إنشاء الله.

(فما كان) عقوبتهم بعد العقر (إلا أن) أخذتهم الرَّجْفَه و (خارت أرضهم بالخسفه) أى صوتت بسبب الخسف فى الأرض (خوار السَّيْكَه المحماه فى الأرض الخواره) أى مثل تصويت السكه المحدده التى هى أقوى صوتاً و أشدَّ غوصاً فى الأرض الصَّيْلِبَه الكثيره الصَّوت فاريه بالمحماه المحدده مجازاً بعلاقه ما كان لأنَّها تحمى فى النار أوّلاً ثمَّ تحدّد أو بعلاقه الملازمه.

و أبقاه الشارح المعتزلى على معناه الحقيقى و قال: إنّما جعلها محماه لأنه يكون أبلغ فى ذهابها فى الأرض، لأنَّ السَّيْكَه المحماه تخرق الأرض بشيئين:

أحدهما تحدّد رأسها، و الثانى حرارته، فإنَّ الجسم المحدّد إذا اعتمد عليه فى الأرض اقتضت الحراره إعانه ذلك الطرف المحدّد على النَّفوذ بتحليلها ما يلاقى من صلابته الأرض، لأنَّ شأن الحراره التحليل، فيكون غوص ذلك الجسم المحدّد فى

ص: ٣٨٨



الأرض أسهل، انتهى و فيه أنّ الحديد عند التسخين ملين و اللين يوجب ضعف النفوذ لا قوّته كما هو ظاهر فكيف تكون الحرارة معينه على نفوذها.

ثمّ إنّ فسّر الخواره باللينه و فسّررها الشارح البحراني بالضعيفه، فيتوجّه عليه أنّ الأرض اللينه الضعيفه و إن كان نفوذ السكه فيها أبلغ إلّا- أنّها لا- يكون لها صوت و إنّما يخرج الصّوت من اصطدام الحديد بالصّلب من الأرض، و لذلك اشترطوا في خروج الصوت مقاومه المقروع للقارع و المقلوع للقالع، هذا.

و لما افتتح كلامه بالتهى عن الاستيحاش في سلوكك طريق الهدى، ختمه بالترغيب في سلوكه بالتنبيه على ما فيه من المنافع فقال:

(أيها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء و من خالف وقع في التيه) و هو من قبيل إيسار المثل فإنّ سالك الجادّه الوسطى يصل المنزل و يرد الماء، و الاخذ باليمين و الشّمال يضلّ عنها و يقع في المفازه الخاليه من الماء و الكلاء و يهلك من العطش.

و المراد به أنّ ناهج المنهج القويم و الصّراط المستقيم يصل إلى جنات النعيم و يشرب من كوثر و تسنيم، و التارك له صار إلى الجحيم، و وقع في العذاب الأليم و الخزي العظيم، نعوذ بالله من أتباع الهوى و من الضلال بعد الهدى.

### تنبيه

ما أوردته في شرح هذا الكلام له عليه السّلام جريا على مقتضى ظاهره المسوق سوق العموم، و الذي يقتضيه النظر الدّقيق أنّ نظره عليه السّلام فيه إلى أمر الخلافه و الحثّ على متابعتة و التحذير و التنفير من متابعه أئمّه الضّلال.

فيكون محصل المعنى على ذلك أمر المخاطبين بعدم الاستيحاش من متابعتة و من تخليص الايمان بولايته لقلّه المؤمنين و كثره المنافقين، لأنّ الناس المجتمعين على عوائد أئمّه الضّلال و موائدهم و المنتفعون من عطياتهم و جوائزهم

لا سيّما ما كان في زمن عثمان و معاويه من خضم مال الله خضم الابل نبتة الربيع قد اجتمعوا على مائده فيها اللذه العاجله القليله و التقمه الاجله الكثيره و الشّيع القصير و الجوع الطويل، و حذرهم عن الرضا بفعل أئمه الضلال من الظلم في حقّه مضافا إلى البدع و المنكرات التي أحدثوها أن يعمّمهم العذاب و يحيط بهم كما أحاط بقوم ثمود من أجل رضاهم بما فعله واحد منهم من عقر ناقه الله و الظلم في حقّها ثمّ أكّد عليه السّلام ذلك أي و جوب متابعتة و حرمة مخالفتة و العدول عنه إلى غيره بالتّنبيه على أنّ سالك سبيل ولايته يشرب من الرّحيق المختوم، و العادل عنه إلى غيره تاه في أوديه الضلال و يسقى من الضريع و الرّقوم.

و من ذلك علم حسن أقحام قصّه ثمود في البين و ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض و يزيد ذلك وضوحا:

ما رواه في البحار من الثعلبي باسناد معروف عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يا على أ تدرى من أشقى الأوّلين؟ قال: قلت: الله و رسوله أعلم قال: عاقر النّاقه، قال: أ تدرى من أشقى الاخرين؟ قال: قلت: الله و رسوله أعلم قال: قاتلك، و في روايه اخرى قال:

أشقى الاخرين من يخضب هذه من هذه و أشار إلى لحيته و رأسه.

و في البحار أيضا من قصص الأنبياء عن الشحام عن أبي عبد الله عليه السّلام في حديث طويل قال: و إنّما مثل عليّ عليه السّلام و القائم صلوات الله عليهما في هذه الامّه مثل صالح عليه السّلام.

## تذنيب

في تفصيل قصّه صالح و ثمود و كيفيه عقر الناقه فأقول:

قد ذكر الله سبحانه هذه القصة في عدّه سور من كتابه العزيز في بعضها إجمالا و بعضها تفصيلا و هي سوره الأعراف و هو و الحجر و الشعراء و النمل و السجده و الذاريات و القمر و الحاقّه و الفجر و الشّمس، و نحن نورد الايات المتضمّنه لها في

سوره الشعراء تبعاً للمتن، و نعقبها بالآخبار الواردة في تلك القصة قال تعالى:

«كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا- تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ». «إلى أن قال» «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شَرِبٌ وَ لَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ وَ لَا- تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ فَأَنجَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَمَآئِيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ» روى الكليني في كتاب الرِّوضه من الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمد إن صالحاً بعث إلى قومه و هو ابن ستِّ عشره سنه، فلبث فيهم حتى بلغ عشرين و مائة سنه لا يجيونه إلى خير.

قال: و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله عزَّ ذكره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم بعث اليكم و انا ابن ستِّ عشره سنه و قد بلغت عشرين و مائة سنه و انا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيئكم فيما سألتموني الساعه و إن شئتم سألت آلهتكم فان أجابتنى بالذي أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم و سئتموني(١) قالوا: قد أنصفت يا صالح فاتعدو اليوم يخرجون فيه.

قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم(٢) ثم قرَّبوا طعامهم و شرابهم فأكلوا و شربوا فلما أن فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل، فدعا صالح كبير أصنامهم فقال:

ما اسم هذا؟ فأخبروه باسمه، فناداه باسمه فلم يجب، فقال صالح: ما له لا يجب، فقالوا له: ادع غيره.

ص: ٣٩١

١- (١) - ای مللت منكم و مللت منی، منه.

٢- (٢) - ای خارج بلدهم، منه.

قال: فدعاها كلها فلم يجبه منها شيء (١) فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبني واحد منهم فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيئكم الساعه فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالك لا تجبن صالحا فلم تجب، فقالوا: يا صالح تنح عننا و دعنا و أصنامنا قليلا.

قال: فرموا بتلك البسط التي بسطوها و بتلك الانيه و نحو الثياب و تمرغوا في التراب و طرحوا التراب على رؤوسهم و قالوا لها: لئن لم تجبن صالحا لنفضحن ثم دعوه فقالوا: يا صالح تعالي فاسألها، فعاد فسالها فلم تجبه، فقال لهم: يا قوم قد ذهب صدر النهار و لا أرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى ادعوا إلهي فيجيئكم الساعه.

فانتدب له منهم سبعون رجلا- من كبرائهم و عظمائهم و المنظور اليهم منهم، فقالوا يا صالح نحن نسألك فان أجابنا ربك تبعناك و أجبتناك و بايعك جميع أهل قريننا، فقال لهم: سلوني ما شئتم، فقالوا: تقدم بنا إلى هذا الجبل، و كان الجبل قريبا، فانطلق معهم صالح فلما انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعه نأقه حمراء شقراء و براء عشراء (٢) بين جنبها ميل، فقال لهم صالح قد سألتموني شيئا يعظم عليّ و يهون على ربي جلّ و عزّ و تعالي.

قال: فسأل الله تبارك و تعالي صالح ذلك فانصدع الجبل صدعا كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك، ثم اضطرب الجبل اضطرابا شديدا كالمرأه إذا أخذها المخاض، ثم لم يفجاهم (٣) إلا و رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمت رقبتها حتى اجترت ثم خرج ساير جسدها ثم استوت قائمه على الأرض.

فلما رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك ادع لنا يخرج

ص: ٣٩٢

١- (١) - «فلم يجبه واحد منهم خ ل»

٢- (٢) - الشقراء الشديده الحمرة الوبراء الكثيره الوبر العشاء التي أتى على حملها عشره أشهر، منه

٣- (٣) أي لم يظهر عليهم شيء من أعضائها إلا رأسها. م

فسأل الله عزّ وجلّ ذلك، فرمت به فدبّ حولها فقال لهم: يا قوم أبقى شيء؟ قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون «يؤمنوا» بك.

قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتدّ منهم أربعة و ستون رجلا و قالوا: سحر و كذب.

قال: فانتهوا إلى الجميع فقال الستة حقّ و قال الجميع كذب و سحر، قال:

فانصرفوا على ذلك ثم ارتابت من الستة واحد و كان فيمن عقرها.

قال ابن محبوب: فحدثت بهذا الحديث رجلا من أصحابنا يقال له سعد بن يزيد فأخبرني أنّه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام فرأى جنبها قد حكّ الجبل فأثر جنبها فيه و جبل آخر بينه و بين هذا ميل.

و فى الروضة عن عليّ بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن عن عليّ بن حجره عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له «كذبت ثمود بالثدر فقالوا أ بشراً منا واحداً تتبعه إنا إذا لفي ضلال و سحر ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشتر».

قال عليه السلام: هذا بما كذبوا صالحا و ما أهلك الله قوما قط حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل فيحتجوا عليهم فبعث الله عزّ وجلّ إليهم صالحا فدعاهم إلى الله فلم يجيبوه و عتوا عليه عتوا و قالوا: لن تؤمن لك حتى تخرج إلينا من هذه الصخرة ناقة عشراء، و كانت الصخرة يعظمونها و يعبدونها و يذبحون عندها فى رأس كل سنة و يجتمعون عندها فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيا رسولا فادع لنا إلهك حتى يخرج لنا من هذه الصخرة الصماء ناقة عشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه.

ثم أوحى الله تبارك و تعالى إليه أن يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم و لكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير و لا كبير إلا شرب من لبنها يومهم ذلك، فاذا كان الليل و أصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم و لم تشرب الناقة ذلك اليوم.

فمكثوا بذلك ما شاء الله ثم إنهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه الناقه و استربحوا منها لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم و لها شرب يوم، ثم قالوا من الذى يلى قتلها و نجعل له جعلا ما أحب، فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب يقال له قدار شقى من الأشقياء مشثوم عليهم، فجعلوا له جعلا، فلما توجهت الناقه إلى الماء الذى كانت ترده تركها حتى شربت الماء و أقبلت راجعه فقعد لها فى طريقها فضربها بالسيف ضربه فلم تعمل شيئا فضربها ضربه اخرى فقتلها و خزت إلى الأرض على جنبها و هرب فضيلها حتى صعد إلى الجبل فرغا ثلاث مرات إلى السماء و أقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلا شركه فى ضربته و اقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير و لا كبير إلا أكل منها.

فلما رأى ذلك صالح أقبل عليهم فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربكم؟ فأوحى الله تعالى إلى صالح إن قومك قد طغوا و بغوا و قتلوا ناقه بعثها الله إليهم حجه عليهم و لم يكن عليهم منها ضرر و كان لهم فيها أعظم المنفعه فقل لهم: إني مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثه أيام فان هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم و إن هم لم يتوبوا و لم يرجعوا بعثت عليهم عذابي فى اليوم الثالث.

فأتاهم صالح فقال لهم يا قوم إننى رسول ربكم اليكم و هو يقول لكم إن أنتم تبتنم و رجعتنم و استغفرتنم غفرت لكم و تبت لكم. فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا و أخبث و قالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال: يا قوم إنكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفره، و اليوم الثانى وجوهكم محمره، و اليوم الثالث وجوهكم مسوده.

فلما أن كان أول يوم أصبحوا و وجوههم مصفره فمشى بعضهم إلى بعض و قالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: لا نسمع قول صالح و لا نقبل قوله و إن كان عظيما.

فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: لو أهلكنا جميعا ما سمعنا قول صالح و ما تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها و لم يتوبوا و لم يرجعوا فلما كان اليوم الثالث أصبحوا و وجوههم مسوّدّه فمشى بعضهم إلى بعض فقال: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح فقال العتاه منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح.

فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل عليه السّلام فصرخ بهم صرخه خرقت تلك الصّرخه أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم و قد كانوا في تلك الثلاثة أيام قد تحنّطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفه عين صغيرهم و كبيرهم فلم يبق منهم ناعقه و لا راعيه و لا شيء إلاّ أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم و مضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصّيحة النّار من السماء فأحرقتهم أجمعين، و كانت هذه قصّتهم.

و رواه المحدث العلامة المجلسي في البحار من التّوضه كما نقلناه. و قال بعد روايته:

«ايضاح» قوله: كذّبت ثمود بالنذر، بالانذارات أو المواعظ أو الرّسل، فقالوا أبشرا منّا من جنسنا و جملتنا لا فضل له علينا، انتصابه بفعل يفسّره ما بعده، واحدا، منفردا لا تابع له أو من آحادهم دون أشرافهم، تتبعه إذا لفي ضلال و سعر، كأنّهم عكسوا عليه فرتبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتب على ترك اتّباعهم له، القى الذّكر، الكتاب و الوحي، عليه من بيننا، و فينا من هو أحقّ منه بذلك، بل هو كذّاب أشر، حمله بطره على الرّفح علينا بادّعائه.

و الشرب بالكسر النصيب من الماء، و الأشقر من النّاس، من تعلق بياضه حمرة، لا يعرف له أب أي كان ولد زنا، و أنّما كان ينسب «الى سالف ظ» لأنّه كان ولد على فراشه، قال الجوهري: قدار بضمّ القاف و تخفيف الدال يقال له أحمر ثمود و عاقر ناقه

صالح انتهى.

و رغا البعير صوت و ضجّ، لم يبق منهم ناعقه و لا- راعيه أى لم يبق جماعه يتأتى منهم التّعيق و الرّعى، و النعيق صوت الرّاعى بغنمه، و فى بعض النسخ ثاغيه و لا راعيه أى شاه و لا ناقه.

و فى مجمع البيان فاذا كان يوم النّاقه وضعت رأسها فى مائهم فما ترفعه حتّى تشرب كلّ ما فيه ثمّ ترفع رأسها فتفجج لهم فيحتلبون ما شاءوا من لبن فيشربون و يدّخرون حتّى يملأوا أوانيهم كلّها.

قال الحسن بن محبوب: حدّثنى رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقه بين الجبلين و رأيت أثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا و كانت تصدر من غير الفجّ الذى منه وردت، و لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لأنّه يضيق عنها و كانوا فى سعه و دعه منها، و كانوا يشربون الماء يوم الناقه من الجبال و المغارات، فشقّ ذلك عليهم و كانت مواشيهم تنفر عنها لعظمتها فهمّوا بقتلها.

قالوا: و كانت امرأه جميله يقال لها: صدوف، ذات مال من إبل و بقر و غنم و كانت أشدّ الناس عداوه لصالح عليه السّلام فدعت رجلا- يقال له: مصدع بن مهرج، و جعلت له نفسها على أن يعقر الناقه، و امرأه اخرى يقال لها: عنيزه، دعت قدار بن سالف و كان أحمر أزرق قصيرا و كان ولد زنا و لم يكن لسالف الذى يدّعى اليه و لكنه ولد على فراشه، و قالت له: اعطيك أىّ بناتى شئت على أن تعقر الناقه و كان قدار عزيزا منيعا فى قومه، فانطلق قدار بن سالف و مصدع فاستغويا غواه ثمود فاتبعهما سبعة نفر و أجمعوا على عقور الناقه.

قال السدى: و لما ولد قدار و كبر جلس مع اناس يشربون الشراب، فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم و كان ذلك اليوم شرب الناقه فوجدوا الماء قد شربته الناقه، فاشتدّ ذلك عليهم فقال قدار: هل لكم فى أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم.

ص: ٣٩٦



وقال كعب: كان سبب عقرهم الناقة أنّ امرأه يقال لها: ملكاء كانت قد ملكت ثمود، فلما أقبل الناس على صالح و صارت الرياسه إليه حسدته، فقالت لامرأه يقال لها قطام و كانت معشوقه قدار بن سالف، و لامرأه اخرى يقال لها اقبال و كانت معشوقه مصدع، و كان قدار و مصدع يجتمعان معهما كلّ ليله و يشربون الخمر فقالت لهما ملكاء: إذا أتاكما الليله القدار و مصدع فلا تطيعاهما و قولاً- لهما إنّ الملكاء حزينه لأجل الناقة و لأجل صالح، فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة، فلما أتياهما قالتا هذه المقاله لهما، فقالا: نحن نكون من وراء عقرها.

قالوا: فانطلق قدار و مصدع و أصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، و قد كمن لها قدار في أصل صخره على طريقها، و كمن مصدع في أصل اخرى، فمرّت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضله و خرجت عينه و أمرت ابنتها و كانت من أحسن الناس فأسفرت لقد ارتّم زمّرتة (١) فشدّ على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فنخّرت و رغت رغاء واحده تحذر سقبها «سقيتها خ»، ثمّ طعن في لبتّها فنحرها و خرج أهل البلده و اقتسموا لحمها و طبخوه.

فلما رأى الفصيل ما فعل بأمّه ولى هاربا حتّى صعد جبلا ثمّ رغا رغاء تقطّع منه قلوب القوم، و أقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنّما عقرها فلان و لا ذنب لنا.

فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه، و كانوا عقروا الناقة ليله الأربعة فقال لهم صالح: تمتّعوا في داركم يعني في محلّكم في الدّنيا ثلاثه أيّام، فانّ العذاب نازل بكم.

ثمّ قال يا قوم إنكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفرّه، و اليوم الثّاني تصبحون و وجوهكم محمّره، و اليوم الثّالث وجوهكم مسودّه.

ص: ٣٩٧

فَلَمَّا كَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ مَصْفَرَّةً فَقَالُوا جَاءَ كَمَا قَالَ لَكُمْ صَالِحٌ، وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي أَحْمَرَّتْ وَجُوهُهُمْ، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ.

وَلَمَّا كَانَ نِصْفَ اللَّيْلِ أَتَاهُمْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَرَخَتْ بِهِمْ صَرَخَةً خَرَقَتْ أَسْمَاعَهُمْ وَصَدَعَتْ أَكْبَادَهُمْ وَفَلَقَتْ قُلُوبَهُمْ، وَكَانُوا قَدْ تَحَنَطُوا وَتَكَفَّنُوا وَعَلِمُوا أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهِمْ فَمَاتُوا أَجْمَعِينَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ اللَّهُ مِنْهُمْ ثَاغِيَةٌ وَلَا رَاغِيَةٌ وَلَا شَيْئًا يَتَنَفَّسُ إِلَّا - أَهْلَكَهَا فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ مَوْتَى جَاثِمِينَ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَعَ الصَّيْحَةِ النَّارَ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهُمْ أَجْمَعِينَ.

و فِي كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَزَلْزَلَهُ فَهَلَكُوا.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِمَحَبَّةِ دَوْلَةِ آلِهِ أَنْ لَا يُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَيُصْفِحَ عَنَّا فَإِنَّهُ كَرِيمٌ الصَّفْحِ، وَعَظِيمُ الْمَنْ، وَحَسَنُ التَّجَاوُزِ، وَوَلِيُّ الْإِحْسَانِ، وَالكَرَمِ وَالْإِمْتِنَانِ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

### الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام آنام علیه السّلام است در تحریر مردمان براه هدایت و تحذیر ایشان از طریق ضلالت می فرماید.

ای مردمان مستوحش نباشید در راه هدایت بجهت کمی اهل آن پس بدرستی که خلق جمع شده اند بر طعامی که سیر بودن از آن زمانش کوتاه و گرسنگی آن مدّتش طولانیست، ای مردمان بدرستی که جمع میکند خلق را در عذاب الهی رضا شدن ایشان بمناهی و خشمناک بودن ایشان بطاعات، و جز این نیست که پی نمود ناچه قوم صالح پیغمبر علیه السّلام را یک نفر از ایشان، پس شامل کرد خدای تعالی بجمیع ایشان عذاب را وقتی که همه ایشان راضی شدند بفعل قبیح آن یک نفر، پس فرمود خداوند در کتاب مجید خود «فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ» یعنی پی کردند و کشتند آن قوم ناچه را پس صباح نمودند در حالتی که پشیمان بودند، پس نشد مؤاخذه

و انتقام ایشان مگر این که صدا کرد زمین ایشان بجهت زلزله شدید و فرو رفتن در زمین مثل صدای آهن تیز شده که زمین را با آن شخم میکنند در زمینی که بسیار صدا کننده باشد هنگام شخم، ای مردمان هر که راه برود در راه آشکار و راست وارد می شود باب، و هر که تخلف نماید می افتد به بیابان گمراهی و هلاکت.

هنا انتهى الجزء الثانی عشر من هذه الطبعه النفیسه القیمه، و قد تمّ تصحیحه و تهذیبه و ترتیبه بید العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه و عن والدیّه، و ذلك فی - ۲۵ - من شهر شعبان سنه - ۱۳۸۲ - و یلیه انشاء الله الجزء الثالث عشر و أوله:

«و من کلام له علیه السلام عند دفن الزّهراء سلام الله علیها» و الحمد لله أولا و آخرا.

ص: ۳۹۹

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریان‌های اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می‌نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می  
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه  
اول

وب سایت: [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

ایمیل: [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

# گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی  
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

**[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

